



٤١

عصر المأمون

بقلم

الدكتور

أحمد فرید زفاعی

المفتش بوزارة الداخلية

المجلد الثالث

( حقوق الطبع محفوظة للؤلف )

[الطبعة الثانية]

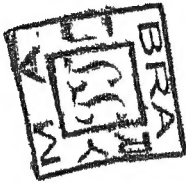
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٢٧ - ١٣٤٦ م

١٣٠٠-١٣٠١



# عصر المأمون



بقلم  
الدكتور  
أحمد فريد زفاعي

المفتش بوزارة الداخلية

المجلد الثالث

( حقوق الطبع محفوظة للأولف )

[ الطبعة الثانية ]

طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م



M.A. LIBRARY. A.M.U.



AR1965

£  
P7259N1  
E19f  
re  
1970

# فهرست

## المجلد الثالث من عصر المأمون

### ملحق الكتاب الثالث — عصر الأمين والمأمون

#### باب المنشور :

صفحة	
١	نصوص كتب الأمين والمأمون — نص كتاب الأمين الى المأمون ... ..
٢	نص كتاب الأمين الى أخيه صالح ... ..
٥	القول بخلق القرآن ( مما كتبه المأمون الى ولاته ) ... ..
١٧	عهد طاهر بن الحسين ... ..
٢٦	رسالة اذيس ( مما كتبه المأمون الى أهل خراسان ) .. ..
٣٨	ما كتبه السيدة زبيدة الى المأمون — ما كتبه المأمون اليها ... ..
٣٩	رسالة أحمد بن يوسف ... ..

#### رسائل سهل بن هارون :

٤٨	وصفه وتاريخ حياته — ما حكاه الجاحظ عنه ... ..
٤٩	ما حكاه دجيل الخزازي الشاعر عنه ... ..
٥٠	كتبه وطريقته في التأليف ... ..
٥٢	من كلام له في كتابه ثعلبة وعفرة ... ..
٥٣	ما كتبه الى صديق له أبل من ضعف — رسالته في البخل ... ..
٥٧	شيء من شعره ... ..

#### رسائل عمرو بن مسعدة :

٥٩	وصفه وتاريخ حياته ... ..
٦١	من كلام له — ما كتبه الى الحسن بن سهل — ما كتبه الى المأمون ... ..
٦٢	من شعره ... ..

صفحة	
٦٤	ما كتبه الى بعض الرؤساء
٦٥	شيء من شعره
٦٦	حكاية له
٧٠	ما قاله أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي فيه

### رسائل الجاحظ :

٧٢	وصفه وتاريخ حياته — رسالته في بني أمية
٨٠	ما كتبه الى بعض إخوانه في ذم الزمان
٨٢	وصفه لقريش وبني هاشم
٨٣	ما كتبه في الاعتذار — ما كتبه في الاستعفاف
٨٤	ما كتبه في ذم الحسد — دفاعه عن مؤلفاته
٩٢	ما كتبه في أخذ البرى بذنب المذنب
٩٨	ما كتبه في أقسام البيان
١٠١	ما كتبه في مدح الكتب
١١٥	ما كتبه في الترتيب في اصطناع الكتب

### باب الرسائل :

١٢٨	الفصول المنتخبة من الرسائل المختارة في كل فن — كتب رجل الى صديق له
١٣١	فصل لسعيد بن حميد
	فصل في هدية — فصل في شفاعة — فصل لرجل تيمى — فصل لأحمد بن يوسف
١٣٣	فصل في الصصح لأبي علي — فصل لأحمد بن يوسف
١٣٤	فصل لعقال بن شبة — فصل في التوديع — فصل في الصصح — جواب في فتح
١٣٥	فصل في الصصح عن الحفاء — فصل في الاعتذار
١٣٦	الى المأمون من عامل — فصل لاس الكلبى
١٣٧	فصل لابراهيم بن اسماعيل بن داود
١٣٨	فصل لعمر بن مسعدة
١٣٨	فصل لعيسى بن واضح الى الفضل بن ربيع — فصل لجبل بن يزيد
١٣٩	وله في المطر — وله الى بعض احوانه
١٤٠	فصل لابن أعس كاتب الخيران — فصل لأبر الكلبى — فصل لعلى بن عبيدة الى ابن الكلبى
١٤١	فصل لهامة — فصل لسعيد بن عبد الملك

صفحة	
١٤٢	فصل لجبل بن يزيد الى بعض اخوانه — وله الى بعض اخوانه أيضا ... ..
١٤٤	فصل في شكر... ..
١٤٥	فصل في صفة الجند ... ..
١٤٦	ما كتبه جعفر بن محمد الأشعث الى رجل لم يكتبه — ما كتبه الفضل بن يحيى الى رجل يشاوره في أمر حدث — ما كتبه أحمد بن يوسف الى اسحاق بن ابراهيم الموصل — توسل ما كتبه طاهر بن الحسين الى الفصل بن سهل — ما كتبه محمد بن الجهم — ما كتبه محمد بن مسعر — ما كتبه ابن وهب في الاعتذار ... ..

التحاميد :

١٤٨	التحميد الأول — التحميد الثاني ... ..
١٤٩	صدر تحميد مفرد — صدر تحميد آخر — تحميد مختار لكتاب خزيمة بن حازم في فتح الصنارية — تحميد لأحمد بن يوسف الى الولاية عن الخليفة ... ..
١٥٠	تحميد لابراهيم بن العباس في فتح اسماعيل بن اسحاق — التحميد الثاني — تحميد له مبتدأ مقام بين يدي الخليفة ... ..
١٥١	تحميد ثان — تحميد ثالث ... ..
١٥٣	تحميد في فتح لابن العباس ... ..
١٥٣	وله في فتح ابن البعيث لما ظفر به ... ..
١٥٤	وله صدر كتاب الخميس في تحميد الله وتحميده ... ..
١٥٥	تحميد لأحمد بن يوسف في صدر رسالة الخميس التي كانت تقرأ بخراسان ... ..
١٥٦	تحميد للعباس في مقام له بين يدي المأمون — تحميد لعبد الحميد في أبي العلاء الحروري ... ..
١٥٧	تحميد في فتح الى أمير لقامة — صدر تحميد لغسان بن عبد الحميد في خطبة موجهة — تحميد لعبد الحميد في فتح ... ..
١٥٨	تحميد ثان ... ..
١٥٩	تحميد لأنس بن أبي شبيب — تحميد لعبد الحميد في فتح يعظّم فيه أمر الاسلام ... ..
١٦٠	تحميد لعبد الحميد أيضا ... ..
١٦١	تحميد لقامة — تحميد لزيد بن عليّ — تحميد في الاسلام ... ..
١٦٢	تحميد لأبي عبيد الله ... ..
١٦٣	صدر رسالة في الخميس لابراهيم بن المهدي ... ..
١٦٤	تحميد في الاسلام وما آمن به على أهله ... ..
١٦٥	تحميد في الجهاد وما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم ... ..

صفحة

١٦٨	... ..	تحميد في فتح لسعيد بن حميد
١٦٩	... ..	تحميد لابن المقفع
١٧١	... ..	تحميد لغسان بن عبد الحميد — تحميد لأحمد بن يوسف في فتح السند
١٧٢	... ..	تحميد لأبي عبيد الله — تحميد لسعيد بن حميد
١٧٣	... ..	فيما يقرظ به الخليفة
١٧٧	... ..	تحميد لأبي عبيد الله
١٨٠	... ..	ما يكتب به في الخالفين وقت الهزيمة
١٨١	... ..	ما يكتب به في صفة الخالعين
١٨٤	... ..	ما يكتب به في العصاة — ما يكتب به في مدح قواد الجيوش وصفة الأولياء في أحوالهم
١٨٧	... ..	وصف الأولياء في الكتب
١٨٨	... ..	ما يقرظ به أمير المؤمنين في أواخر الكتب — سعيد بن حميد

### التحاميد في أواخر الكتب :

١٨٨	... ..	تحميد لسعيد بن نصر — تحميد لأبراهيم بن العباس — تحميد لأبي عبيد الله
١٩٢	... ..	الدعاء لأمر المؤمنين في أواخر الكتب

### مختار ما كتب من باب التهناني في كل فن :

		تهنئة خليفة بظفر — ما كتبه إبراهيم بن المهدي الى المعتصم يهنئه بخروجه عن أرض الروم
١٩٣	... ..	بعد فتح عمورية
١٩٤	... ..	ما كتبه أحمد بن يوسف الى عبد الله بن طاهر يهنئه بظفر — تهنئة خليفة بفتح
١٩٥	... ..	تهنئة بولاية — تهنئة لسعيد بن حميد الى بعض اخوانه
١٩٧	... ..	ما كتبه محمد بن مكرم الى أحمد بن دينار
١٩٨	... ..	تهنئة بعزل عامل عن عمله
١٩٩	... ..	ما كتبه محمد بن مكرم الى إبراهيم بن المدبر
٢٠٠	... ..	تهنئة بتزويج وبناء أهل
٢٠١	... ..	تهنئة بمولود كتبها العباس بن الحسن الطالبي الى المأمون
٢٠٤	... ..	ما كتبه ابن المقفع الى صديق له ولدت له جارية
٢٠٥	... ..	تهنئة لمحمد بن مكرم الى نصراني أسلم

### باب المنظوم :

٢٠٦	... ..	أبونواس
٢٤٩	... ..	النصائح

(ز)

### فهرس المجلد الثالث

صفحة	
٢٥٥	دعل ... ..
٢٦٥	حسين بن الصالح ... ..
٢٧٨	محمد بن عبد الملك الزيات ... ..
٢٨٣	ابن البواب ... ..
٢٨٦	الخري ... ..
٢٩٥	عبد الله بن طاهر ... ..
٢٩٨	ما قيل في هجاء الأمين ورثائه ... ..
٣٠٣	هجاه يحيى بن أكنم ... ..
٣٠٥	وصف ثورة بغداد وحرقتها ... ..





# مُلْحَقُهُمْ

## الكتاب الثالث

### باب المنشور

#### (١) نصوص كتب الأمين والمأمون

١ - نص كتاب الأمين الى المأمون، وهو الكتاب الذي أشرنا اليه في الجزء الأول .  
إذا ورد عليك كتاب أخيك - أعاده الله . من فقدك - عند حلول ما لا مرد له  
ولا مدفع، مما قد أخلف وتناخ الأئم الخالية، والعرون الماضية، بما عزاك الله به .  
وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ شَأْنُهُ، قَدْ أَخْتَارَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلَ الدَّارِينَ، وَأَجْزَلَ الْخَطِيئِينَ،  
فَقَبَضَهُ اللَّهُ طَاهِرًا زَاكِيًا، قَدْ شَكَرَ سَعِيَّهٖ، وَغَفَرَ ذَنْبَهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَقُمُّ فِي أَمْرِكَ قِيَامَ  
ذِي الْحِزْمِ وَالْعِزْمِ، وَالنَّاطِرِ لِأَخِيهِ وَنَفْسِهِ، وَسُلْطَانِهِ وَعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ . وَإِيَّاكَ أَنْ يَغْلِبَ  
عَلَيْكَ الْجُرْعُ، فَإِنَّهُ يُنْجِطُ الْأَجْرُ، وَيُعْقَبُ الْوِزْرُ؛ وَصَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَيًّا وَمَيِّتًا،  
وَلِنَا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ . وَخُذِ الْبَيْعَةَ عَلَى مَنْ قَبْلَكَ، مِنْ قُودَاكَ وَجُنُودِكَ، وَخَاصَّتِكَ  
وَعَامَّتِكَ، لِأَخِيكَ ثُمَّ لِنَفْسِكَ، ثُمَّ لِلْقَاسِمِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَى الشَّرِيطَةِ الَّتِي جَعَلَهَا لَكَ  
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : مَنْ نَسَخَهَا لَهُ وَإِثْبَاتَهَا، فَإِنَّكَ مُقَلِّدٌ مِنْ ذَلِكَ، مَا قَلَّدَكَ اللَّهُ وَخَلِيفَتُهُ .  
وَأَعْلَمُ مَنْ قَبْلَكَ رَأْيِي فِي صَلَاحِهِمْ، وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ؛ فَمَنْ أَنْكَرَكَهُ عِنْدَ  
بَيْعَتِهِ، أَوْ أَتَهَمَّتْهُ عَلَى طَاعَتِهِ، فَابْعَثْ إِلَى بَرَأْسِهِ مَعَ خَبَرِهِ . وَإِيَّاكَ وَإِقَالَتَهُ، فَإِنَّ النَّارَ أَوْلَى



به . وأَكْتُبُ إلى عُثْمَانَ تُغُورِكَ ، وَأُمَرَاءِ أَجْنَادِكَ ، بِمَا طَرَفَكَ مِنَ الْمَصِيبَةِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَعْلَانِهِمْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ الدُّنْيَا لَهُ ثَوَابًا ، حَتَّى قَبِضَهُ إِلَى رُوحِهِ وَرَاحَتِهِ وَجَتَّتْهُ ، مَغْبُوطًا مَحْمُودًا ، قَائِدًا لِجَمِيعِ خُلَفَائِهِ إِلَى الْخِنَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَمُرَّهِمْ أَنْ يَأْخُذُوا الْبَيْعَةَ عَلَى أَجْنَادِهِمْ ، وَخَوَاصِّهِمْ وَعَوَامَّتِهِمْ ، عَلَى مِثْلِ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ ، مِنْ أَخْذِهَا عَلَى مَنْ قَبْلَكَ ، وَأَوْعِزْ إِلَيْهِمْ فِي ضَبْطِ تُغُورِهِمْ ، وَالْقُوَّةِ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، إِنِّي مُتَّفَقٌ حَالَتِهِمْ ، وَلَا أُمْ شَعْنَهُمْ ، وَمُوسِعٌ عَلَيْهِمْ ، وَلَا أَنْ فِي تَقْوِيَةِ أَجْنَادِي وَأَنْصَارِي . وَلَتَكُنْ كُتُبُكَ إِلَيْهِمْ كُتُبًا عَامَةً لَتُقْرَأَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَا يَسْكُنُهُمْ ، وَيَسُطُّ أَمْلَهُمْ . وَأَعْمَلْ بِمَا نَأْمُرُ بِهِ لِمَنْ حَضَرَكَ ، أَوْ نَأَى عَنْكَ مِنْ أَجْنَادِكَ عَلَى حَسَبِ مَا تَرَى وَتُشَاهِدُ . فَإِنْ أَخَاكَ يَعْرِفُ حَسَنَ اخْتِيَارِكَ ، وَصِحَّةَ رَأْيِكَ ، وَبَعْدَ نَظَرِكَ ، وَهُوَ يَسْتَحْفِظُ اللَّهَ لَكَ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَشُدَّ بِكَ عَضُدَهُ ، وَيَجْمَعَ بِكَ أَمْرَهُ ، إِنَّهُ لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ . وَكُتِبَ بِكَرْبَنِ الْمُعْتَمِرِينَ يَدِي وَإِمْلَائِي فِي شَوَّالِ سَنَةِ ١٩٢ هـ

٢ — وهذا كتاب محمد الأمين إلى أخيه صالح .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كِتَابِي هَذَا ، عِنْدَ وَقُوعِ مَا قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ ، وَنَقَذَ مِنْ قَضَائِهِ ، فِي خُلَفَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، وَجَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ ، فَقَالَ : رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . فَأَحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ عَظِيمِ ثَوَابِهِ وَمُرافقة أنبيائه ، صلوات الله عليهم ، إنا إليه راجعون ، وإياه نسأل أن يُحَسِّنَ الْخِلَافَةَ عَلَى أُمَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَدْ كَانَ لَهُمْ عِصْمَةٌ وَكَهْفًا ، وَبِهِمْ رِءُوفًا رَحِيمًا .

فَشِمَّرْتُ فِي أَمْرِكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُلْقَى بِيَدِكَ ، فَإِنْ أَخَاكَ قَدْ آخَرَاكَ لِمَا آسَتْهُنْهُكَ لَهُ ، وَهُوَ مُتَّفَقٌ مَوَاقِعَ فَقْدَانِكَ ، فَحَقَّقْ ظَنَّهُ ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ . وَخَذِ الْبَيْعَةَ عَلَى مَنْ قَبْلَكَ ، مِنْ وَلَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَمَوَالِيهِ وَخَاصَّتِهِ وَعَامَتِهِ لِمُحَمَّدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ لِلْقَاسِمِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلَى الشَّرِيطَةِ الَّتِي جَعَلَهَا

أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — من فسّخها على القاسم أو إثباتها . فإن السعادة واليمن في الأخذ بعهدته والمضي على مناهجه .

وأعلم من قبلك من الخاصة والعامة رأيي في استصلاحهم ، وردّ مظالمهم ، وتفقد حالاتهم ، وأداء أرزاقهم ، وأعطياتهم عليهم . فإن شغب شاغب ، أو نعر ناعر ، فاسطُ به سطوة تجعله نكالا لما بين يديه وما خلفها وموعظةً للتقين . وأضمتُ إلى الميمون ابن الميمون الفضل بن الربيع ولد أمير المؤمنين وخده وأهله ؛ ومُره بالمسير معهم فيمن معه ، وجنده ورباطته ؛ وصير إلى عبد الله بن مالك أمر العسكر وأحداثه ، فإنه ثقة على ما يلي ، مقبول عند العامة ؛ وأضمتُ إليه جميع جند الشرط ، من الروابط وغيرهم ، إلى من معه من جنده ؛ ومُره بالجد والتيقظ ، وتقديم الحزم في أمره كله ، ليله ونهاره . فإن أهل العداوة والنفاق لهذا السلطان يَغْتَنِمُونَ مثل حلول هذه المصيبة ؛ وأقر حاتم بن هرثمة على ما هو عليه ، ومُره بحراسة ما يحفظ به قصور أمير المؤمنين ، فإنه ممن لا يُعرف إلا بالطاعة ، ولا يدين إلا بها ، بمعاقدة من الله ، مما قدّم له من حال أبيه الحمود عند الخلفاء ؛ ومُره الخدم بإحضار روابطهم ، من يُسدُّ بهم وبأجنادهم مواضع الخلل من عسكرك ، فإنهم حدٌ من حدودك ؛ وصير مُقَدِّمَكَ إلى أسد بن يزيد بن مزيد ، وسأقتك إلى يحيى بن معاذ ، فيمن معه من الجنود ، ومُرهما بمناوبتك في كل ليلة .

وألزم الطريق الأعظم ، ولا تعدوّن المراحل ، فإن ذلك أرفق بك ؛ ومُره أسد بن يزيد ، أن يتخيّر رجلا من أهل بيته أو قواده ، فيصير إلى مقدمته ، ثم يصير أمامه ، لتهيئة المنازل ، أو بعض الطريق ؛ فإن لم يحضرْكَ في عسكرك بعض من سميتُ ، فاحترمواضعهم من تثق بطاعته ، ونصيحته وهيئته ، عند العوام ؛ فإن ذلك لن يعوزك ، من قواده وأنصارك ، إن شاء الله .

وإياك أن تُفقد رأيا ، أو تُبرم أمرا ، إلا برأى شيخك ، وبقية آبائك ، الفضل بن الربيع ، وأقرر جميع الخدم على ما في أيديهم من الأموال والسلاح والخزائن وغير ذلك ؛

ولا تُخْرِجَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ، مِنْ ضَمْنِ مَا بِي، إِلَى أَنْ تَقْدُمَ عَلَيَّ . . . وَقَدْ أَوْصَيْتُ بِكَرْبَنِ الْمُعْتَمِرِ  
بِمَا سَيُبَلِّغُكَ؛ وَأَعْمَلُ فِي ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا تَشَاهِدُ وَتَرَى . وَإِنْ أَمَرْتُ لِأَهْلِ الْعَسْكَرِ بِعَطَاءٍ  
أَوْ رِزْقٍ فَلْيَكُنِ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ الْمُنَوَّلِيُّ لِإِعْطَائِهِمْ، عَلَى دَوَاوِينَ يَتَّخِذُهَا لِنَفْسِهِ، بِمَحْضَرٍ  
مِنْ أَصْحَابِ الدَّوَاوِينَ؛ فَإِنَّ الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ لَمْ يَزَلْ مِثْلَ ذَلِكَ لِمَهْمَاتِ الْأُمُورِ . وَأَنْفِذْ  
إِلَى عِنْدِ وَصُولِ كِتَابِي هَذَا إِلَيْكَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ صَبِيحٍ، وَبَكَرَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ، عَلَى مَرَكَبَيْهِمَا  
مِنَ الْبَرِيدِ؛ وَلَا يَكُنْ لَكَ عُرْجَةٌ وَلَا مُهْلَةٌ، بِمَوْضِعِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، حَتَّى تُوجِّهَ إِلَى  
بَعْسُوكَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخِزَائِنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . أَخُوكَ يَسْتَدْفِعُ اللَّهُ عَنْكَ، وَيَسْأَلُهُ لَكَ  
حَسَنُ التَّأْيِيدِ بِرَحْمَتِهِ . وَكُتِبَ بِكَرْبَنِ الْمُعْتَمِرِ بَيْنَ يَدَيَّ وَإِمْلَأْنِي فِي شَوَّالِ سَنَةِ ١٩٢ هـ .

## (ب) القول بخلق القرآن

وهاك مثلاً مما كتبه المأمون إلى ولاته في الأخذ بمذهبه في القول بخلق القرآن، وهو ما أرسله إلى عالمه إسحاق بن إبراهيم وما يرويه لنا الطبري مما حصل .  
أما الكتاب فهو :

أما بعد، فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد في إقامة دين الله الذي استخفظهم، ومواريث النبوة التي أورثهم، وأثر العلم الذي استودعهم، والعمل بالحق في رعيته، والتشهير لطاعة الله فيهم، والله يسأل أمير المؤمنين، أن يوفقه لعزيمة الرشيد وصريته، والإقسط فيما ولّاه الله من رعيته، برحمته وميثقه، وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم، والسواد الأكبر، من حشو الرعية، وسفلة العامة، ممن لا نظر له ولا روية، ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته، ولا استضاءة بنور العلم وبرهانه، في جميع الأقطار والآفاق، أهل جهالة بالله وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتوجيه الإيمان به، وكوب عن واضحات أعلامه وواجب سبيله، وقصور أن يقدروا الله حق قدره، ويعرفوه كنه معرفته، ويفرقوا بينه وبين خلقه، لضعف آرائهم، ونقص عقولهم، وجفائهم عن التفكير والتذكر، وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى، وبين ما أنزل من القرآن، فأطبقوا مجتمعين، وآتفقوا غير متعاجمين، على أنه قديم أول، لم يخلقه الله، ويحدثه ويخترعه، وقد قال الله عز وجل في مُحْكَم كتابه، الذي جعله لما في الصدور شفاءً، وللمؤمنين رحمةً وهدى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ . فكل ما جعله الله فقد خلقه، وقال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ . وقال عز وجل : ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ . فأخبر أنه قصص لأمر أحدثه بعدها، وتلا به مُتَقَدِّمَهَا، وقال : ﴿الرَّكِيبُ أَهْلُكُمْ أَكْبَرُ مِنْ لَدُنْكُمْ خَيْرٌ﴾ . وكل مُحْكَم مُفَصَّل، فله مُحْكَم مُفَصَّل، والله مُحْكَم كتابه ومفصّله، فهو خالفه ومبتدعه،

ثم هم الذين جادلوا بالباطل ، فدعوا إلى قولهم ، ونسبوا أنفسهم إلى السنة ، وفي كل فصل من كتاب الله قصص من تِلَاوَتِهِ ، مُبْطَل قولهم ، ومكذَّب دعواهم ، يردُّ عليهم قولهم ونِحْلَتَهُمْ ، ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة ، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة ؛ فاستطالوا بذلك على الناس ، وغرُّوا به الجهال ، حتى مال قومٌ من أهل السُّمْتِ الكاذب ، والتخشُّع لغير الله ، والتقصُّف لغير الدين إلى موافقتهم عليه ، ومواطأتهم على سَيِّئِ أَرَائِهِمْ ، تزيُّناً بذلك عندهم ، وتصنعاً للرياسة والعدالة فيهم ، فتركوا الحق إلى باطلهم ، واتخذوا دون الله وليجةً إلى ضلالتهم ، فقَبِلْتُ بتركيتهم لهم شهادتهم ، ونفذت أحكام الكتاب بهم ، على دَغَلِ دينهم ، ونَغَلِ أديمتهم ، وفساد نيَّاتهم وبقينهم ؛ وكان ذلك غايتهم التي إليها جَرُّوا ، وإيَّاها طلبوا في متابعتهم ، والكذب على مولاهم ، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ، ألا يقولوا على الله إلا الحق ، ودرسوا ما فيه ، أولئك الذين أصمَّهم الله ، وأعمى أبصارهم ، ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ، أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ . فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأئمة ، ورعوس الضلالة ، المنقوصون من التوحيد خطأ ، والمختسوسون من الإيمان نصيباً ، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ، ولسان إبليس الناطق في أوليائه ، والهائل على أعدائه ، من أهل دين الله ، وأحق من يُنَمُّ في صدقه ، وتُطْرَح شهادته ، ولا يوثق بقوله ولا عمله ، فإنه لا عمل إلا بعد يقين ، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام ، وإخلاص التوحيد ؛ ومن عَمِيَ عن رشده وحظه ، من أهل الإيمان بالله وبتوحيده ، كان عمماً سوى ذلك من عمله ، والقصد في شهادته ، أعمى وأضلَّ سبيلاً ؛ ولعمري أمير المؤمنين أن أحجى الناس بالكذب في قوله ، وتخص الباطل في شهادته من كذب على الله ووحيه ، ولم يعرف الله حقيقة معرفته ، وأن أولاهم برَّد شهادته ، في حكم الله ودينه من ردَّ شهادة الله على كتابه ، وبهت حق الله بباطله ، فاجمع من بحضرتك من القضاة ، وأقرا عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون ، وتكشيفهم عما يعتقدون ، في خلق الله القرآن وإحداثيه . وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله ، ولا واثق

فيا قلده الله، وأستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه، وخُلوص توحيده و يقينه، فإذا أقرّوا بذلك، ووافقوا أمير المؤمنين فيه، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة، فُرِّمَ بنصّ من يحضرهم من اليهود على الناس، ومسألتهم عن علمهم في القرآن، وترك إثبات شهادة من لم يُقرّ أنّه مخلوق مُحدّث ولم يره، والامتناع من توقيعها عنده؛ وأكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتيك، عن قضاة أهل تملك في مسألتهم، والأمر لهم بمثل ذلك، ثم أشرّف عليهم، وتفقد آثارهم، حتى لا تُنفذ أحكام الله، إلا بشهادة أهل البصائر في الدين، والإخلاص للتوحيد؛ وأكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك إن شاء الله . وكتب في شهر ربيع الأول سنة ٢١٨ هـ .

وكتب المأمون، إلى إسحاق بن إبراهيم، في إشخاص سبعة نفر، منهم : محمد بن سعد كاتب الواقدي، وأبو مسلم مستمل يزيّد بن هارون، ويحيى بن معين، وزهير بن حرب أبو خيثمة، وإسماعيل بن داود، وإسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن الدُّورقي، فأشخصوا إليه، فامتحنهم، وسألهم عن خلق القرآن، فأجابوا جميعاً أنّ القرآن مخلوق، فأشخصهم إلى مدينة السلام، وأحضرهم إسحاق بن إبراهيم داره، فشهّر أمرهم وقولهم بحضرة الفقهاء، والمشايخ من أهل الحديث، فأقرّوا بمثل ما أجابوا به المأمون فغلب سبيلهم، وكان ما فعل إسحاق بن إبراهيم من ذلك بأمر المأمون .

وكتب المأمون بعد ذلك إلى إسحاق بن إبراهيم :

أما بعد، فإن من حق الله على خلفائه في أرضه، وأمنائه على عبادِهِ، الذين آرتضاهم لإقامة دينه، وحملهم رعاية خلقه، وإمضاء حكمه وسننه، والائتمام بعدله في بريته، أن يجهّدوا لله أنفسهم، وينصّحوه فيما أستحفظهم وقلدهم، ويدلّوا عليه — تبارك اسمه — وتعالى — بفضل العلم الذي أودعهم، والمعرفة التي جعلها فيهم، ويهدوا إليه من زاغ عنه، ويردوا من أدبر عن أمره، وينهجوا لرايائهم سمت نجاتهم، ويقفوه على حدود إيمانهم، وسبيل فوزهم وعصمتهم، ويكشفوا لهم عن مغطيات أمورهم، ومشتبهاتها

عليهم ، بما يدفعون الربب عنهم ، ويعود بالضيء والبيئة على كافتهم ؛ وأن يؤثروا ذلك من  
إرشادهم وتبصيرهم ، إذ كان جامعا لفنون مصانعهم ، ومستظا لحظوظ عاجلتهم وآجلتهم ،  
ويتذكروا أن الله مُرْصِدٌ من مسألتهم عما حُمِّلوه ، ومجازاتهم بما أسلفوه ، وقدموا عنده ؛  
وما توفيقُ أمير المؤمنين ، إلا بالله وحده ، وحسبه الله وكفى به . ومما بينه أمير المؤمنين  
برؤيته ، وطالعه بفكره ، فبين عظيم خطره ، وجلبل ما يرجع في الدين من وكفه وضرره  
ما ينال المسلمون بينهم من القول في القرآن الذي جعله الله إماما لهم ، وأثرا من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم باقيا لهم ، وأشباهه على كثير منهم ،  
حتى حُسِنَ عندهم ، وترين في عقولهم ، ألا يكون مخلوقا ، فتعرضوا بذلك لدفع خلق الله ،  
الذي بان به عن خلقه ، وتفرد بجلالته من ابتداع الأشياء كلها بحكمته ، وإنشائها بقدرته ،  
والتقدم عليها بأوليته ، التي لا يُبلغ أولاهها ، ولا يدرك مداها ، وكان كل شيء دونه . خلقا  
من خلقه ، وحدثا هو المحدث له . وإن كان القرآن ناطقا به ، ودالا عليه ، وقاطعا  
للأختلاف فيه ، وضاهوا به قول النصارى ، في أدعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بخلق ،  
إذ كان كلمة الله ، والله عز وجل يقول : ( إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا . . . ) وتأويل ذلك : إما  
خلقناه ، كما قال جل جلاله : ( وَجَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا لِمَسْكَنٍ إِلَيْنَا ) . وقال : ( وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ  
لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا . . . وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ . . . فسوى عز وجل ، بين  
القرآن ، وبين هذه الخلائق ، التي ذكرها في سِيَةِ الصنعة ، وأخبر أنه جاعله وحده .  
فقال : ( بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْمُودٍ . . . ) فقال ذلك على إحاطة الواح بالقرآن .  
ولا يحاط إلا بخلق ، وقال له صلى الله عليه وسلم : ( لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَعَلَ بِهِ . . . )  
وقال : ( مَا بَأْسُهُمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدِّثٍ . . . ) وقال : ( مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ  
كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ) . وأخبر عن قوم ذمهم بكنبهم ، أنهم قالوا : ( مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ  
مِنْ شَيْءٍ ) . ثم أكنبهم على لسان رسوله ، فقال لرسوله : ( قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي  
جَاءَ بِهِ مُوسَى ) . فسعى الله تعالى القرآن قرآنا وذكره ، وإله آية . . . )

وقصصا، فقال : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ .  
 وقال : ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ .  
 وقال : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾ . وقال : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ  
 وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ . فجعل له أولا وآخرآ، ودل عليه ، أنه محدود مخلوق ، وقد عظم هؤلاء  
 الجهمية بقولهم في القرآن ؛ التلم في دينهم ، والخرج في أمانتهم ، وسهلوا السبيل لعدو  
 الإسلام ، وأترفوا بالتبديل والإلحاد على قلوبهم حتى عرفوا ، ووصفوا خلق الله وفعله  
 بالصفة التي هي لله وحده وشبهوه به ، والإشباه أولى بخلقهم ، وليس يرى أمير المؤمنين ،  
 لمن قال بهذه المقالة حظا في الدين ، ولا نصيبا من الإيمان واليقين ، ولا يرى أن يُحَلَّ  
 أحدا منهم محل الثقة في أمانة ولا عدالة ولا شهادة ، ولا صديق في قول ولا حكاية ، ولا تولية  
 لشيء من أمر الرعية ؛ وإن ظهر قصد بعضهم ، وعُرف بالسداد مُستد فيهم ، فإن الفروع  
 مردودة الى أصولها ، ومجولة في الحمد والذم عليها ، ومن كان جاهلا بأمر دينه ، الذي  
 أمره الله به ، من وحدانيته ، فهو بما سواه أعظم جهلا ، وعن الرشيد في غيره أعمى وأضل  
 سهيلا .

فاقرأ على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحاق القاضي كتاب أمير المؤمنين ، بما  
 كتب به إليك ، وانصصهما عن علمهما في القرآن ، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين  
 على شيء من أمور المسلمين ، إلا بمن وثق بإخلاصه وتوحيده ، وأنه لا توحيد لمن لم يُقر  
 بأن القرآن مخلوق ، فإن قالا بقول أمير المؤمنين في ذلك فنقدم اليهما في أمّهم ، من يحضر  
 مجالسهما ، بالشهادات على الحقوق ، ونصمهم عن قولهم في القرآن ، فمن لم يقل منهم إنه  
 مخلوق ، أبطلا شهادته ، ولم يقطعا حكما بقوله ، وإن ثبت عفاؤه بالقصد والسداد في أمره ،  
 وأفعل ذلك بمن في سائر عمالك من القضاة ، وأشرف عليهم إشرافا يزيد الله به ذا البصيرة  
 في بصيرته ، ويمنع المرتاب من إغفال دينه ، وأكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون منك  
 في ذلك إن شاء الله .



ثم لننظر ما حصل بعد ذلك مما يرويه لنا الطبري قال :

فأحضر إسحاق بن إبراهيم لذلك جماعة من الفقهاء والحكام والمحدثين ، وأحضر أبا حسان الزياتي ، وبشر بن الوليد الكندي ، وعلى بن أبي مقاتل ، والفضل بن غانم ، والذئال بن الهيثم ، وسجادة ، والقواريري ، وأحمد بن حنبل ، وقتيبة ، وسعدويه الواسطي ، وعلى بن الجعد ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وآبن الهريش ، وآبن عيسى الأكبر ، ويحيى ابن عبد الرحمن العمري ، وشيخا آخر من ولد عمر بن الخطاب ، كان قاضي الرقة وأبا نصر الثمار وأبا معمر القطيعي ، ومحمد بن حاتم بن ميمون ، ومحمد بن نوح المضروب ، وابن الفرخان ، وجماعة منهم النضر بن شميل ، وابن علي بن عاصم ، وأبو العوام البزاز ، وابن شجاع ، وعبد الرحمن بن إسحاق ، فأدخلوا جميعا على إسحاق ، فقرأ عليهم كتاب المأمون هذا مرتين ، حتى فهموه ، ثم قال لبشر بن الوليد : ما تقول في القرآن ؟ فقال : قد عرفت مقاتلي لأمر المؤمنين غير مرة ، قال : فقد تجد من كتاب أمير المؤمنين ما قد ترى ، فقال : أقول القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، أخلق هو ؟ قال : الله خالق كل شيء ، قال : ما القرآن شيء ؟ قال : هو شيء ، قال : فخلق ؟ قال : ليس بخلق ، قال : ليس أسألك عن هذا ، أخلق هو ؟ قال : ما أحسن غير ما قلت لك ، وقد استعهدت أمير المؤمنين ألا أتكلم فيه ، وليس عندي غير ما قلت لك ، فأخذ إسحاق بن إبراهيم رقعة كانت بين يديه ، فقرأها عليه ، ووقفه عليها ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله أحدا فردا لم يكن قبله شيء ، ولا بعده شيء ، ولا يشبهه شيء من خلقه ، في معنى من المعاني ، ولا وجه من الوجوه ، قال : نعم ، وقد كنت أضرب الناس على دون هذا ، فقال للكاتب : أكتب ما قال .

ثم قال لعل بن أبي مقاتل : ما تقول يا علي ؟ قال : قد سمعت كلامي لأمر المؤمنين في هذا غير مرة ، وما عندي غير ما سمع ، فامتحنه بالرقعة ، فأقر بما فيها ، ثم قال : القرآن مخلوق ؟ قال : القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، قال : هو كلام الله وإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا ، فقال للكاتب : أكتب مقالته .

ثم قال للذيال نحووا من مقاتله لعلّ بن أبي مقاتل ، فقال له مثل ذلك . ثم قال لأبي حسان الزيّادي : ما عندك ؟ قال : سل عما شئت ، فقرأ عليه الرقعة ، ووقفه عليها فأقر بما فيها . ثم قال : من لم يقل هذا القول فهو كافر ، فقال : القرآن مخلوق هو ؟ قال : القرآن كلام الله والله خالق كل شيء ، وما دون الله مخلوق ، وأمير المؤمنين إمامنا وبسببه سمعنا عامة العلم ، وقد سمع ما لم نسمع ، وعلم ما لم نعلم ، وقد قلده الله أمراً ، فصار يُقيم حجّنا وصلاتنا ، ويُؤدّي إليه زكاة أموالنا ، ونجاهد معه ، ونرى إمامته إمامة ، وإن أمرنا ائتمرنا ، وإن نهانا أتينا ، وإن دعانا أجبنا ، قال : القرآن مخلوق هو ؟ فأعاد عليه أبو حسان مقاتله ، قال : إن هذه مقالة أمير المؤمنين ، قال : قد تكون مقالة أمير المؤمنين ولا يأمر بها الناس ، ولا يدعوهم إليها ، وإن أخبرتني أنّ أمير المؤمنين أمرك أن أقول قلت ما أمرتني به ، فإنك الثقة ، المأمون عليه ، فيما أبلغتني عنه من شيء ، فإن أبلغتني عنه شيء صرّت إليه ، قال : ما أمرني أن أبلغك شيئاً ، قال علي بن أبي مقاتل : قد يكون قوله كاختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفرائض والمواريث ، ولم يحملوا الناس عليها ، قال له أبو حسان : ما عندي إلا السمع والطاعة ، فمرني آتِمْ ، قال : ما أمرني أن آمرك ، وإنما أمرني أن أمتحنك .

ثم عاد الى أحمد بن حنبل ، فقال له : ما تقول في القرآن ؟ قال : هو كلام الله ، قال : مخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله لا أزيد عليها ، فامتنع بهما في الرقعة ، فلما أتى الى ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) وأمسك عن لا يُشَبِّهُ شَيْءٌ من خلقه ، في معنى من المعاني ، ولا وجه من الوجوه ، فاعترض عليه ابن البكاء الأصغر ، فقال — أصلحك الله — : إنه يقول : سميع من أذن ، بصير من عين ، فقال إسحاق لأحمد بن حنبل : ما معنى قوله سميع بصير ؟ قال : هو كما وصف نفسه ، قال : فما معناه ؟ قال : لا أدري هو كما وصف نفسه ، ثم دعا بهم رجلاً رجلاً كلهم يقول : القرآن كلام الله ، إلّا هؤلاء نفر : قتيبة ، وعبيد الله بن محمد بن الحسن ، وابن ذُليّة الأكبر ، وابن البكاء ، وعبد المُنعم بن إدريس

ابن بنت وهب بن منبه ، والمظفر ابن مَرْجَا ، ورجلا ضريرا ليس من أهل الفقه ، ولا يُعرف بشيء منه إلا أنه دُسَّ في ذلك الموضع ، ورجلا من ولد عمر بن الخطاب قاضي الرقة ، وابن الأحمر ، فأما ابن البكاء الأكبر فإنه قال : القرآن مجعول لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ، والقرآن مُحدَث لقوله : ﴿ زَمَّا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ ﴾ قال له إسحاق : فالمجعول مخلوق؟ قال : نعم ، قال : فالقرآن مخلوق؟ قال : لا أقول مخلوق ولكنه مجعول ، فكتب مقالته ، فلما فرغ من امتحان القوم وكتب مقالاتهم أعترض ابن البكاء الأصغر فقال — أصلحك الله — : إن هذين القاضيين أئمة ، فلو أمرتهما فأعادا الكلام ! قال له إسحاق : هما من يقوم بحجة أمير المؤمنين ، قال : فلو أمرتهما أن يُسمعانا مقالاتهما لنحكي ذلك عنهما ! قال له إسحاق : إن شهدت عندهما بشهادة فستعلم مقالاتهما إن شاء الله ، فكتب مقالة القوم رجلا رجلا ووجهت إلى المأمون ، فمكت القوم تسعة أيام ثم دعا بهم . وقد ورد كتاب المأمون ، جواب كتاب إسحاق بن إبراهيم في أمرهم . وهالك هو مانجعله ختاماً لكلماتنا .



بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك جواب كتابه ، كان اليك فيما ذهب إليه مُصَنِّعة أهل النبلة ، ومانسوخ الرياسة فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة ، من القول في القرآن ، وأمرك به أدير المؤمنين ، من امتحانهم ، وتكشيف أحوالهم ، وإحلالهم محالهم ، تذكر إحضارك جعفر بن عيسى ، وعبد الرحمن بن إسحاق ، عند ورود كتاب أمير المؤمنين ، مع من أحضرت ممن كان ينسب إلى الفقه ، ويُعرف بالجلوس للحديث ، وينصب نفسه للفتيا بمدينة السلام ، وقراءتك عليهم جميعاً كتاب أمير المؤمنين ، ومسانك إياهم عن اعتمادهم في القرآن ، والدلالة لهم على حفظهم ، وإطباقتهم على نفي التشبيه ، واختلافهم في القرآن ، وأمرك من لم يقل منهم إنه مخلوق بالإمساك عن الحديث والفتوى ، في السر والعلانية ، وتقديمك إلى السندي ، وعباس مولى أمير المؤمنين .

تقدّمت به فيهم الى القاضيّ بمثل ما مثّل لك أمير المؤمنين، من امتحان من يحضر مجالسهما من الشهود، وبت الكتب الى القضاة في النواحي من عملك بالقدوم عليك، لتحمّلهم وتميخهم على ما حاده أمير المؤمنين، وتثبيتك في آخر الكتاب أسماء من حضر ومقالاتهم، وفيهم أمير المؤمنين ما اقتضت؛ وأمير المؤمنين يمد الله كثيرا كما هو أهله، ويسأله أن يصلّي على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ويرغب الى الله في التوفيق لطاعته، وحسن المعونة، على صالح نيّته برحمته .

وقد تدبر أمير المؤمنين ما كتبت به من أسماء من سألت عن القرآن، وما رجّع اليك فيه كل امرئ منهم، وما شرحت من مقالنيهم؛ فأما ما قال المغرور بشر بن الوليد في نفي التشبيه، وما أمسك عنه من أن القرآن مخلوق، وآدعى من تركه الكلام في ذلك وأستعهاد أمير المؤمنين، فقد كذب بشرف ذلك وكفر، وقال الزور والمنكر، ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه في ذلك، ولا في غيره، عهد ولا نظر أكثر من إخباره أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الإخلاص والقول بأن القرآن مخلوق، فادع به إليك، وأعلمه ما أعلمك به أمير المؤمنين من ذلك، وانصصه عن قوله في القرآن، واستنبه منه، فإن أمير المؤمنين يرى أن تستتب من قال بمقالته إذ كانت تلك المقالة الكفر الصراح والشرك المحض عند أمير المؤمنين، فإن تاب منها فأشهر أمره، وأمسك عنه، وإن أصرت على شركه، ودفع أن يكون القرآن مخلوقا بكفره وإلحاده، فاضرب عنقه، وأبعث الى أمير المؤمنين برأسه، إن شاء الله، وكذلك إبراهيم بن المهدي فامتحنه بمثل ما تمتحن به بشرا، فإنه كان يقول بقوله، وقد بلغت أمير المؤمنين عنه بوالغ، فإن قال إن القرآن مخلوق، فأشهر أمره وأكشفه، وإلا فاضرب عنقه، وأبعث الى أمير المؤمنين برأسه إن شاء الله .

وأما علي بن أبي مقاتل فقتل له : ألفت القائل لأمر المؤمنين إنك تحلل وتحرّم والمكلم له بمثل ما كلمته به، مما لم يذهب عنه ذكره؛ وأما الديال بن الميثم، فأعلمه أنه كان في الطعام الذي كان يسرقه في الأنبار، وفيما يستولى عليه من أمر مدينة أمير المؤمنين

أبى العباس ما يشغله ، وأنه لو كان مقتنيا آثار سلفه ، وسالكا مناهجهم ، ومُحتذيا سبيلهم ، لما خرج إلى الشرك بعد إيمانه ؛ وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبى العوام ، وقوله إنه لا يُحْسِن الجواب في القرآن ، فأعلمه أنه صبيٌّ في عقله ، لا في سنه ، جاهل ، وأنه إن كان لا يُحْسِن الجواب في القرآن فسيُحْسِنه ، اذا أخذه التأديب ، ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك إن شاء الله .

وأما أحمد بن حنبل ، وما تكتب عنه ، فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عَرَفَ خَوَى تلك المقالة ، وسبيله فيها ، وأستدل على جهله ، وأفته بها ؛ وأما الفضل بن غانم ، فأعلمه أنه لم يَحْفَ على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر ، وما أكتسب من الأموال في أقل من سنة ، وما شَجَرَ بينه وبين المُطَّلَب بن عبد الله في ذلك ، فإنه من كان شأنه شأنه ، وكانت رغبته في الدينار والدرهم رغبته ، فليس بمُسْتَنَكِر أن يبيع إيمانه طمعا فيهما ، وإيثارا لعاجل نفعهما ، وإنه مع ذلك القائل لعل بن هشام ما قال ، والمخالف له فيما خالفه فيه ، فما الذى حال به عن ذلك ، ونقله الى غيره ؛ وأما الزَّيَادِيّ ، فأعلمه أنه كان مُتَحِلًّا لأوَّلِ دَعْيٍ كان في الإسلام خُولِف فيه حكمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان جديرا أن يسلك مسلكه فانكر أبو حسان أن يكون موثى لزيد ، أو يكون موثى لأحد من الناس ، — وذكّر أنه إنما نُسِبَ الى زيد لأمر من الأمور — وأما المعروف بأبى نصر التمار ، فإن أمير المؤمنين شبه خساسة عقله بخساسة متجره ؛ وأما الفضل بن الفرخان ، فأعلمه أنه حاول بالقول الذى قاله في القرآن أخذ الودائع التى أودعها إياه عبد الرحمن بن إسحاق وغيره ، تربصا بمن استودعه ، وطمعا فى الاستحثار لما صار فى يده ، ولا سبيل عليه عن تقادم عهده ، وتطاول الأيام به ، فقل لعبد الرحمن بن إسحاق لا جزاك الله خيرا عن تقويتك مثل هذا ، وإثمتانك إياه ، وهو معتقدٌ للشرك ، منسلخ من التوحيد .

وأما محمد بن حاتم ، وابن نوح ، والمعروف بأبى معمر ، فأعلمهم أنهم مشاغل بأكل الربا ، عن الوقوف على التوحيد ، وأن أمير المؤمنين أو لم يستحل محاربتهم فى الله ومجاهدتهم ،

إلا لإربائهم، وما نزل به كتاب الله في أمثالهم، لاستحل ذلك، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شركاً، وصاروا للتصاري مثلاً؛ وأما أحمد بن شجاع، فأعلمه أنك صاحبُه بالأمس، والمستخرج منه ما استخرجته من المسال الذي كان استحلّه من مال عليّ بن هشام. وأنه من الدينار والدرهم دينه؛ وأما سعدويه الواسطيّ فقل له: قبح الله رجلاً بلغ به التصنع للحديث، والتزين به، والحرص على طلب الرياسة فيه، أن يمتنّى وقت المحنة فيقول بالتقرب بها: متى يمتحن فيجلس للحديث؛ وأما المعروف بسجادة، وإنكاره أن يكون سميع ممن كان يجالس من أهل الحديث، وأهل الفقه، القول بأن القرآن مخلوق، فأعلمه أنه في شغله بإعداد النوى، وحكّه لإصلاح تبحّاده، وبالودائع التي دفعها إليه على بن يحيى وغيره ما أذهله عن التوحيد وأهله، ثم سلّه عما كان يوسف بن أبي يوسف، ومحمد بن الحسن، يقولانه إن كان شاهدهما وجالسهما؛ وأما القواريريّ ففياً تكشف من أحواله، وقبوله الرشا والمصانعات ما أبان عن مذهبه، وسوء طريقته، وسخافة عقله ودينه، وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أنه يتولّى لجعفر بن عيسى الحسنى مسائله، فتقدم إلى جعفر بن عيسى في رفضه، وترك الثقة به، والاستئمانه إليه.

وأما يحيى بن عبيد الرحمن العمريّ، فإن كان من ولد عمر بن الخطاب بخوابه معروف؛ وأما محمد بن الحسن بن علي بن عاصم فإنه لو كان مقتدياً بمن مضى من سلفه لم يتحل النحلة التي حكيت عنه، وإنه بعد صبيّ يحتاج إلى تعلّم، وقد كان أمير المؤمنين وجه إليّك المعروف بأبي مُسهر، بعد أن نصّه أمير المؤمنين عن محنته في القرآن، بفهمه عنها، وبتلّيج فيها، حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف، فأقرّ ذمياً، فانصصه عن إقراره، فإن كان مقياً عليه فأشهر ذلك وأظهره إن شاء الله؛ ومن لم يرجع عن شركه ممن سميت لأمر المؤمنين في كتابك، وذكره أمير المؤمنين لك، أو أمسك عن ذكره في كتابه هذا، ولم يقل إن القرآن مخلوق، بعد بشر بن الوليد، وإبراهيم بن المهدي، فأعلمهم أجمعين، مؤثمين

الى عسكر أمير المؤمنين مع من يقوم بحفظهم ، وحراستهم في طريقهم ، حتّى يؤدّتهم الى عسكر أمير المؤمنين ، ويسلمهم الى من يؤمّر بتسليمهم اليه ، لينصّبهم أمير المؤمنين ، فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعا على السيف إن شاء الله ، ولا قوّة إلّا بالله ؛ وقد أنفذ أمير المؤمنين كتابه هذا في خريطة بُنداريّة ، ولم ينظر به اجتماع الكتب الخرائطية مُعجّلا به ، تقربا الى الله عز وجل بما أصدر من الحكم ، ورجاء ما أعتد ، وإدراك ما أمل ، من حزيل نواب الله عليه ، فأنفذ لما أتاك من أمر أمير المؤمنين ، وعجل إجابة أمير المؤمنين بما يكون منك في خريطة بُنداريّة مفردة عن سائر الخرائط ، لتعرف أمير المؤمنين ما يعملونه إن شاء الله . وكتب سنة ٢١٨ هـ .

## (ج) عَهْد طاهر بن الحسين

قال ابن طيفور : ولما عَهِد طاهرُ بن الحسين الى عبد الله آبنه هذا العهد، تنازلت إليه الناس وكتبوه وتدارسوه، وشاع أمره حتى بلغ المأمونَ، فدعا به وقرئ عليه، وقال : ما أبقي أبو الطيب شيئاً من الدين والدنيا، والتدبير والرأى، وإصلاح الملك والرعية، وحفظ البيعة، وطاعة الخلفاء، وتقويم الخلافة الا وقد أحكمه، وأودعني به، وتقدم فيه . وأمر أن يكتب بذلك الى جميع العمال في نواحي الأعمال . ولما كان هذا العهد من الوثائق التاريخية التي لها قيمتها العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية أثرنا ذكره على ما فيه من طول رغبة منا في ألا يخلو كتابنا من هذا الأثر العظيم القيمة والخطر، وهما كه :

« عليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه ، وحفظ رعيّتك ، وألزم ما ألبسك الله في العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومسئول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله ويحييك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه ، فإن الله قد أحسن إليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب عنهم ، والدفع عن حريمهم وبيضتهم ، والحقن لدمائهم ، والأمر بسبيلهم ، وإدخال الراحة عليهم في معاشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ، ومُسائلك عنه ، ومُنيك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورويتك ، ولا يُذهلك عنه ذهل ، ولا يَسْغُلْك عنه شغل ، فإنه رأس أمرك وملاك شأنك ، وأول ما يوفقك الله به لرشدك ، وإيكن أول ما تلزم به نفسك وتُنسب إليه فعالك ، المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها في إسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتل في قراءتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ، ولتصدق فيها لربك نيّة ، وأحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك ، وأدأب عليها فإنها كما



قال الله تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمثابرة على خلائقه، وأقتفاء آثار السلف الصالح من بعده، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله وتقواه، ولزوم ما أنزل الله في كتابه، من أمره ونهيه، وحلاله وحرامه، وإتمام ما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قُم فيه بما يحق لله عليك، ولا تَمَلْ عن العدل فيما أحببت أو كرهت، لقريب من الناس أو بعيد، وآثر الفقه وأهله، والدين وحملتسه وكتاب الله والعاملين به، فإن أفضل ما تزين به المرء الفقه في دين الله، والطلب له والحث عليه، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله، فإنه الدليل على الخير كله، والقائد له، والآمر به، والناسي عن المعاصي والموبقات كلها، وبها مع توفيق الله تزداد العبادُ معرفةً بالله، عز وجل، وإجلالا له ودركا للدرجات العلى في المعاد، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمره والهيبة لسلطانك، والأنسة بك والثقة بعدلك. وعليك بالاعتصام في الأمور كلها فليس شيء أبين نفعاً ولا أحضر أمناً ولا أجمع فضلاً من القصد، والقصد داعية إلى الرشد، والرشد دليل على التوفيق، والتوفيق متقاد إلى السعادة، وقوام الدين والسنن الهادية بالاعتصام، فآثره في دنياك كلها، ولا تُقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة، والسنن المعروفة ومَعَالِم الرشد، فلا غاية للاستكثار من البر والسعي له، إذا كان يُطلب به وجهُ الله ومرضاته، ومرافقة أوليائه، في دار كرامته.

وأعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز، ويحصن من الذنوب وأنت لن تحوط نفسك ومن يليك، ولا تستصلحُ أمورك، بأفضل منه، فآته، وآهتد به تم أمورك، وتزد مقدرتك، وتصلح خاصتك وعامتك، وأحسن الظن بالله عز وجل، تستقم لك رعيتك، والنس الوسيلة إليه في الأمور كلها، تستدم به النعمة عليك، ولا تُهض أحدًا من الناس، فيما تولّيه من عملك، قبل تكشف أمره بالتهمة، فإن إيقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم مأثم، وأجعل من شأنك، حسن الظن بأصحابك، وأطرد عنك سوء الظن بهم، وأرفضه عنهم، يُعنك ذلك على أصطناعهم ورياضتهم، ولا يحدث عدو الله الشيطان في أمرك مغمزاً،

فإنه إنما يكتفى بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم، في سوء الظن، ما ينغص عليك لذاته عيشك، وأعلم أنك تجد بحسن الظن، قوة وراحة، وتكفى به ما أحببت كفايته من أمورك، وتدعو به الناس الى محبتك، والاستقامة في الأمور كلها لك، ولا يمنحك حسن الظن بأصحابك، والرافة برعيتك، أن تستعمل المسئلة والبحث عن أمورك والمباشرة لأموال الأولياء، والحياطة للرعية، والنظر فيما يقيمها ويصلحها، بل لتكن المباشرة لأموال الأولياء، والحياطة للرعية، والنظر في حوائجهم، وحمل مؤناتهم، آثر عندك مما سوى ذلك، فإنه أقوم للدين، وأحمى للسنة، وأخلص نيتك في جميع هذا، وتفرد بتقويم نفسك، تفرد من يعلم أنه مسئول عما صنع، ومجزئ بما أحسن، فإن الله جعل الدين حرزاً وعزاً، ورنج من أتبعه وعززه، فاسلك بمن تسوسه وترعاه، نهج الدين، وطريقة الهدى، وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم، وما استحقوه، ولا تعطّل ذلك ولا تهاون به، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة، فإن في تفريطك في ذلك، لما يفسد عليك حسن ظنك، واعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة، وجانب الشبه والبدعات، يسلم لك دينك، وتقم لك مروءتك، وإذا عاهدت عهداً فف به، وإذا وعدت الخير فأنجزه، وأقبل الحسنة، وأدفع بها، وأغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك، وأشدّد لسانك عن قول الكذب والزور، وأبغض أهله، وأقص أهل النيمة، فإن أقل فساد أمرك في عاجل الأمور وأجلها، تقريب الكذب، والجرأة على الكذب، لأن الكذب رأس المأثم، والزور والنيمة خاتمها، لأن النيمة لا يسلم صاحبها، وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم لمطيعها أمر، وأحب أهل الصديق والصلاح، وأعن الأشراف بالحق، وواصل الضعفاء، واصل الرحم، وأبتغ بذلك وجه الله، وعزة أمره، وأتمس فيه ثوابه والدار الآخرة، وأجتنب سوء الأهواء والجور، وأصرف عنهما رأيك، وأظهر من ذلك لرعيتك، وأنعم بالعدل سياستهم، وقم بالحق فيهم، وبالمعرفة التي تنتهي بك الى سبيل الهدى، وأملك نفسك عند الغضب، وآثر الوفاق والحلم، وإياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله، وإياك أن

تقول : إني مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ ما أشاء فإن ذلك سريعٌ فيك إلى نقص الرأي ، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له ، وأخايلصُ لله وحده النية فيه ، واليقين به ، وأعلم أن الملكَ لله ، يعطيه من يشاء ، وينزعه ممن يشاء وإن تجدد تغير النعمة ، وحلول النعمة ، إلى أحدٍ أسرع منه ، إلى حَمَلَةِ النعمة ، من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم في الدولة ، إذا كفروا بنعم الله وإحسانه وأستطالوا بما آتاهم الله من فضله ، ودع عنك شره نفسك ، ولتكن ذخائرك وكذورك التي تدنر وتكثُر ، البر والتقوى ، والمعدلة ، وأستصلاح الرعية وعمارة بلادهم ، والتفقد لأموالهم ، والحفظ لدمائهم ، والإغاثة للمهوفهم ، وأعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن ، لا تثمر ، وإذا كانت في إصلاح الرعية ، وإعطاء حقوقهم ، وكف المؤونة عنهم ، نمت وربت ، وصاغت به العامة ، وتزينت به الولاة ، وطاب به الزمان ، وأعتقد فيه العز والمنفعة ، فليكن كثر خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله ، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوف رعيّتك من ذلك حصصهم ، وتعهد بما يصلح أمورهم ومعايشهم ، فإنك إذا فعلت ذلك قوت النعمة عليك ، وأستوجبت المزيد من الله ، وكنت بذلك على جباية نَحْرَاجِكَ ، وجمع أموال رعيّتك وعملك أقدر ، وكان الجميع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك ، وأطيب نفسا بكل ما أردت ، فاجهد نفسك ، فيما حدّدت لك في هذا الباب ، ولتَعْظُمَ حِسْبَتُكَ فيه ، فإنما يبقى من المال ، ما أنفق في سبيل حقه ، وأعرِفَ للشاكرين شكرهم ، وأثيبهم عليه ، وإياك أن تُنْسِيكَ الدنيا وغرورها هَوْلَ الآخرة ، فتهاون بما يحقّ عليك ، فإن التهاون يوجب التفريط والتفريط يورث البوار ، وليكن عملك لله ، وفيه تبارك وتعالى ، وأرجُ الثواب ، فإن الله قد أسبغ عليك نعمته في الدنيا ، وأظهر لديك فضله ، فاعتمد بالشكر ، وعليه فاعتمد ، يزدك الله خيرا وإحسانا . فإن الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ، وقضاء الحق فيما حمل من النعم ، وألبس من العافية والكرامة ، ولا تحتقرن ذنباً ، ولا تمالئن حاسداً ، ولا ترحمن فاجراً ، ولا تصلن كفوفاً ، ولا تداهين عدواً ، ولا تصدقن تمّاماً ، ولا تأمنن غداراً ، ولا توالين فاسقاً ، ولا تتبعن غاويّاً ، ولا تجمدن

مُرَائِيًا ، وَلَا تَحْقِرَنَّ إِنْسَانًا ، وَلَا تَرْدَنَّ سَائِلًا فَقِيرًا ، وَلَا تَجْبِنَ بِاطِلًا ، وَلَا تَلَا حِظْنَ  
مُضْحَكًا ، وَلَا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا ، وَلَا تَذْهَبَنَّ خِفْرًا ، وَلَا تَظْهَرَنَّ غَضَبًا ، وَلَا تَأْتِينَ بِذَخٍّ ،  
وَلَا تَمْشِينَ مَرَحًا ، وَلَا تَرْكَبَنَّ سَفَهًا ، وَلَا تُفْرِطَنَّ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ ، وَلَا تَدْفَعِ الْأَيَّامَ عِيَانًا ،  
وَلَا تُغْمِضَنَّ عَنِ الظَّالِمِ رَهْبَةً مِنْهُ ، أَوْ مَخَافَةً ، وَلَا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَكْثَرَ  
مُشَاوَرَةِ الْفُقَهَاءِ ، وَاسْتَعْمِلْ نَفْسَكَ بِالْحِلْمِ ، وَخُذْ عَنِ أَهْلِ التَّجَارِبِ وَذَوِي الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ  
وَالْحِكْمَةِ ، وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ أَهْلَ الدَّقَّةِ وَالْبَخْلِ ، وَلَا تَسْمَعَنَّ لَهُمْ قَوْلًا ، فَإِنَّ  
ضَرَرَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ مَنْفَعَتِهِمْ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ فُسَادًا لِمَا اسْتَقْبَلَتْ فِي أَمْرِ رَعِيَّتِكَ مِنْ  
الشُّحِّ ، وَأَعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ حَرِيصًا ، كُنْتَ كَثِيرَ الْأَخْذِ ، قَلِيلَ الْعَطِيَّةِ ، وَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ  
لَمْ يَسْتَقِمَّ لَكَ أَمْرُكَ إِلَّا قَلِيلًا ، فَإِنَّ رَعِيَّتَكَ إِنَّمَا تَعْتَقِدُ عَلَى مَحَبَّتِكَ بِالْكَفِّ عَنْ أُمُورِهِمْ ،  
وَتَرْكِ الْجُورِ عَلَيْهِمْ ، وَيَدُومُ صَفَاءُ أَوْلِيَائِكَ لَكَ ، بِالْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ ، وَحَسَنِ الْعَطِيَّةِ لَهُمْ ،  
فاجْتَنِبِ الشُّحَّ ، وَأَعْلَمْ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا عَصَى بِهِ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ ، وَإِنَّ الْعَاصِيَ بِمِثْلَةِ نَحْرِي ،  
وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فَسَهِّلْ طَرِيقَ الْجُودِ  
بِالْحَقِّ ، وَاجْعَلْ لِلْسَّامِعِينَ كُلِّهِمْ مِنْ نَيْتِكَ حِظًا وَنَصِيبًا ، وَأَيِّنْ أَنْ الْجُودَ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ  
الْعِبَادَةِ ، فَأَعِدِدْهُ لِنَفْسِكَ خُلُقًا ، وَأَرْضَ بِهِ عَمَلًا وَمَذْهَبًا ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ الْجَنْدِ فِي دَوَابِهِمْ ،  
وَمَكَاتِبِهِمْ ، وَأَدْرِ عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي مَعَايِشِهِمْ ، لِيَذْهَبَ بِذَلِكَ اللَّهُ فَأَقْتَرَهُمْ ،  
وَيَقُومَ لَكَ أَمْرُهُمْ ، وَيَزِيدَ بِهِ قُلُوبُهُمْ فِي طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ ، خُلُوصًا وَانْشِرَاحًا ، وَحَسَبُ  
ذِي سُلْطَانٍ مِنَ السَّعَادَةِ ، أَنْ يَكُونَ عَلَى جَنْدِهِ وَرَعِيَّتِهِ ، رَحْمَةٌ فِي عَدْلِهِ وَحَيْطُتُهُ وَإِنْصَافُهُ  
وَعَنَابَتُهُ ، وَشَفَقَتُهُ وَرَبْرَهُ وَتَوْسِيعَتُهُ ، فَزَايِلُ مَكْرُوهِ الْبَلِيَّتَيْنِ ، بِاسْتِشْعَارِ تَكَلُّمَةِ الْبَابِ الْآخِرِ  
وَلِزُومِ الْعَمَلِ بِهِ تَلَقُّ أَنْ شَاءَ اللَّهُ نَجَاحًا وَصَلَاحًا وَفَلَاحًا .

وَأَعْلَمْ أَنَّ الْقَضَاءَ مِنَ اللَّهِ ، بِالْمَكَانِ الَّذِي لَيْسَ مِثْلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأُمُورِ ، لِأَنَّهُ مِيزَانُ اللَّهِ الَّذِي  
تَعْتَدِلُ عَلَيْهِ الْأَحْوَالُ فِي الْأَرْضِ ، وَبِإِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْقَضَاءِ وَالْعَمَلِ تَصْلُحُ الرِّعْيَةُ ، وَتُؤَمِّنُ  
السُّبُلُ ، وَيَنْصِفُ الْمَظْلُومَ ، وَيَأْخُذُ النَّاسَ حَقُوقَهُمْ ، وَتُحَسِّنُ الْمَعِيشَةَ ، وَيُؤَدِّي حَقَّ

الطاعة، ويرزق الله العافية والسلامة، ويقوم الدين، وتجري السنن والشرائع، وعلى مجاريها يُنتَجَزُ الحق والعدل في القضاء، وأُشْتَدَّ في أمر الله وتوَرَّعَ عن النَّطْفِ وأمض لإقامة الحدود، وأقلل العجلة، وأبعد من الضجر والقلق، وأقنع بالقسم، وتَسَكَّنَ رِيحُكَ، وبقَرَّ جَدِّكَ، وانتفع بتجربتك، وانتبه في صمتك، وأسدد في منطقك، وأنصف الخصم، وقف عند الشبهة، وأبلغ في الحجَّة، ولا يأخذك في أحد من رعيَّتِكَ مُحاباة ولا مُجاملة، ولا لوم لائم، وثبت وثاق، وراقب وأنظر، وتدبّر وتفكر، واعتبر وتواضع لربك، وارأف بجميع الرعية، وسأط الحق على نفسك، ولا تسرعن إلى سفك دم، فإن الدماء من الله بمكان عظيم انتهكها كلها بغير حقها، وأنظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية، وجعله الله للإسلام عزًّا ورفعة، ولأهله سعة ومنعة، ولعدوه وعدوهم كبتًا وغيظًا، ولأهل الكفر من معادلتهم ذلًّا وصغارًا، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية، والعموم فيه، ولا تدفعن منه شيئًا عن شريف لشرفه، وعن غنى لغناه، ولا عن كاتب لك، ولا أحد من خاصتك، فلا تأخذن منه، فوق الاحتمال له، ولا تكلفن أمرًا فيه شطط، وأحل الناس كلهم على مُرِّ الحق، فإن ذلك أجمع لأئمتهم، وألزم لرضى العامة، واعلم أنك جعلت بولايتك خازنًا وحافظًا، وراعيًا، وانما سمى أهل عملك رعيَّتِكَ، لأنك راعيهم، وقيهم، تأخذ منهم ما أعطوك، من عفوهم ومقدرتهم، وتشفقه في قِولهم وأمرهم وصلاحتهم، وتقويم أودهم، فاستعمل عليهم في كُور عملك، ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل، والعلم بالسياسة والعفاف، ووسع عليهم في الرزق، فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت، وأُسند إليك، ولا يسغلنك عنه شاغل، ولا يصيرفك عنه صارف، فإنك متى أثرته، وقمت فيه بالواجب، استدعيت به زيادة النعمة من ربك، وحسن الأحداث في عملك، واستجرت به المحبة من رعيَّتِكَ، وأعنت على الصلاح، فذرت الخيرات ببلدك، وفشت العمارة بناحياتك، وظهر الخصب في كورك، وكثر خراجك، وتوفرت أموالك، وقويت بذلك على ارتباط جنسك، وإرضاء العامة، بإفاضة العطاء فيهم من

نفسك ، وكنت محمود السياسة ، مرضى العدل في ذلك عند عدوك ، وكنت في أمورك كلها ، ذا عدل وقوة ، وآلة وعدة ، فنافس في هذا ، ولا تقدم عليه شيئاً ، تُحمد مغبة أمرك ، ان شاء الله ، وأجعل في كل كورة من عملك أميناً ، يخبرك أخبار عمالك ، ويكتب اليك بسيرتهم وأعمالهم ، حتى كأنك مع كل عامل في عمله ، مُعين لأمره كله ، وإن أردت أن تأمره بأمر ، فانظر في عواقب ما أردت من ذلك ، فإن رأيت السلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه حسن الدفاع ، والنصح والصنع فأمره ، وإلا فتوقف عنه ، وراجع أهل البصر والعلم ، ثم خذ فيه عدته ، فإنه ربما نظر الرجل في أمر من أمره ، قد واثاه على ما يهوى ، ففقواه على ذلك وأعجبه ، وإن لم ينظر في عواقبه أهلكه ، ونقض عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت وباشره بعد عون الله بالقوة ، وأكثر استخارة ربك ، في جميع أمورك ، وأفقر من عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأكثر مباشرته بنفسك ، فإن لغد أموراً وحوادث تُلهيك عن عمل يومك الذي أخرت ، وأعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، وإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين ، فشغلك ذلك حتى تُعرض عنه ، فاذا أمضيت لكل يوم عمله ، أرحت نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم ، وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك ، فاستخلصهم ، وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مؤوتهم وأصلح حالهم ، حتى لا يجدوا نخلتهم مساً ، وأفرد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظامة إليك ، والمحقر الذى لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أخنى مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيّتك ، ومُرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوى البأساء ويتامهم وأراملهم ، وأجعل لهم أرزاقاً من بيت المال اقتداءً بأمير المؤمنين أعزّه الله فى العطف عليهم والصلة لهم ، ليصلح الله بذلك عيشتهم ، ويرزقك به بركة وزيادة ، وأجر للأمرء من بيت المال ، وقدم حملة

القرآن منهم، والحافظين لأكثره، في الحراية على غيرهم، وأنصب لمرضى المسلمين دُورا  
تؤويهم، وقواما يرفقون بهم، وأطباء يعالجون أسقامهم، وأسعفهم بشهواتهم، ما لم يؤد ذلك  
إلى سرف في بيت المال، وأعلم أن الناس إذا أُعطوا حقوقهم، وأفضل أمانيتهم لم يرضهم  
ذلك، ولم تطب أنفسهم، دون رفع حوائجهم إلى ولاتهم؛ طمعا في نيل الزيادة، وفضل  
الرفق منهم، وربما يرم المتصفح لأموال الناس لكثرة ما يرد عليه، ويشغل فكره وذهنه، ومنها  
ما يناله به مؤونة ومشقة، وليس من يرضى في العدل ويعرف محاسن أموره في العاجل  
وفضل ثواب الآجل، كالذى يستقبل ما يقربه إلى الله، ويلتمس رحمته به، وأكثر الإذن  
للناس عليك، وأبرز لهم وجهك، وسكن لهم أحراسك، وأخف لهم جناحك، وأظهر لهم  
بشرى، وإن لهم في المسألة والمنطق، وأعطف عليهم بجودك وفضلك، وإذا أعطيت فأعط  
بسماحة وطيب نفس، وأتمس الصنيعة والأجر، غير مكدر ولا مئان، فإن العظيمة على ذلك  
تجارة مُربحة إن شاء الله، وأعتبر بما ترى من أمور الدنيا، ومن مضى من قبلك، من أهل  
السلطان والرياسة، في القرون الخالية والأمم البائدة، ثم أعنيصم في أحوالك كلها بأمر الله،  
والوقوف عند محبته، والعمل بشريعته وسنته وإقامة دينه وكتابه، واجتنب ما فارق ذلك  
وخالفه، ودعا إلى سخط الله، وأعرف ما تجمع عمالك من الأموال، ويُنفقون منها،  
ولا تجمع حراما، ولا تُنفق إسرافا، وأكثر بُجالة العلماء، ومشاورتهم ومخالطتهم، وليكن  
هواك اتباع السنن وإقامتها، وإيثار مكارم الأمور ومعاليها، وليكن أكرم دُخلائك وخاصتك  
عليك من إذا رأى عيبا فيك لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك اليك، في سر، وإعلامك  
ما فيه من النقص، فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك، وأنظر عمالك الذين يحضرتك،  
وكتائب فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبته ومؤامراته  
وما عنده من حوائج عمالك وأمر كورك ورعيته، ثم فرغ لما يُورده عليك من ذلك  
سمعك وبصرك، وفهمك وعقلك، وكرّر النظر اليه والتدبير له، فما كان موافقا للحزم والحق  
فامضه وأستخِر الله فيه، وما كان مخالفا لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه والمسألة عنه،

ولا تمنُّ على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتية اليهم ، ولا تقبل من أحد منهم إلا  
 الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تضعن المعروف إلا على ذلك ،  
 وتفهم كتابي اليك ، وأكثر النظر فيه ، والعمل به ، وأستعن بالله على جميع أمورك وأستخره ،  
 فإن الله مع الصالح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك ، وأفضل رغبتك ، ما كان الله رضا ،  
 ولدينه نظاما ، ولأهله عزّا وتمكينا ، وللدّمة والّمة عدلا وصلاحا ، وأنا أسأل الله أن يحسن  
 عونك وتوفيقك ، ورشدك وكلاءك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته ، بتمام فضله عليك ،  
 وكرامته لك ، حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيبا ، وأوفرهم حظا ، وأسناهم ذكرا وأمرأ ، وأن  
 يهلك عدوك ومن نأواك وبغى عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز الشيطان  
 عنك ووساوسه ، حتى يستعلى أمرك بالعزّ والقوّة والتوفيق ، إنه قريب مجيب .



## (د) رسالة الخميس

من عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين، الى المبايعين على الحق، والناصرين للدين، من أهل نخراسان وغيرهم من أهل الإسلام : سلام عليكم، فإن أمير المؤمنين يحمّد اليكم الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على مجد عبده ورسوله .

أما بعد، فالحمد لله القادر القاهر، الباعث الوارث، ذى العز والسلطان، والنور والبرهان، فاطر السموات والأرض وما بينهما، والمتقدم بالمن والطول على أهلها، قبل استحقاقهم لمثوبته، بالمحافظة على شرائع طاعته، الذى جعل ما أودع عباده من نعمته، دليلاً هادياً لهم الى معرفته، بما أفادهم من الأبواب، التى يفهمون بها فصل الخطاب، حتى أفتنوا علم موارد الاختبار، وثقفوا مصادر الاعتبار، وحكوا على ما بطن بما ظهر، وعلى ما غاب بما حضر، وأستدلوا بما أراهم من بالغ حكمته، ومُنقن صناعته، وحاجة مترايل خلقه ومتواصله، الى القوم بما يئمه ويصاحبه، على أن له بارئاً أنشأه وأبدأه، ويسر بعضه لبعض . فكان من أقرب وجودهم، ما يباشرون به من أنفسهم فى تصرف أحوالهم، وفنون أنتقالهم، وما يظهرون عليه من العجز عن التأتى لما تكاملت به قواهم، وتمت به أدواتهم، مع أثر تدبير الله عز وجل وتقديره فيهم، حتى صاروا الى الحلقة المحكمة، والدورة المعجبة، ليس لهم فى شىء منها تَلَطَّف يَتَمَوَّنُه، ولا مَقْصِدٌ يَعْتَمِدُونُه من أنفسهم، فإنه قال تعالى ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَجَّكَ ۖ﴾ . ثم ما يتفكرون فيه من خلق السموات، وما يجرى فيها من الشمس والقمر والنجوم مسخرات، على مسير لا يثبت العالم إلا به من تصارييف الأزمنة التى بها صلاح الحرث والنسل، وإحياء الأرض، وإفاح النبات والأشجار، وتعاور الليل والنهار، ومر الأيام والشهور والسنين التى تُحْصَى بها الأوقات، ثم ما يوجد من دلائل التركيب فى طبقات السقف المرفوع، والمهاد الموضوع، باختلاف أجزائه وألوانها، ونحى الأنهار، وإرساء

الجبال . ومن البيان الشاهد ما أخبر الله عز وجل به من إنشائه الخلق ، وحدوثه بعد أن لم يكن مترقياً في السماء ، وثباته إلى أجله في البقاء ، ثم محاربه مُنْقِضِها إلى غاية الفناء . ولو لم يكن له مُفْتَسِحٌ عدد ولا مُنْقَطِعٌ أمد ، ما ازداد ينشوء ، ولا تحيفه نقصان ، ولا تفاوت على الأزمان ؛ لأن ما لا حد له ولا نهاية ، غير ممكن الاحتمال للنقص والزيادة . ثم ما يوجد عليه منفعة من ثبات بعضه لبعض ، وقوام كل شيء منه بما يسر له ، في بدء استمداده إلى منتهى نفاذه ؛ كما احتج الله عز وجل على خلقه ، فقال : ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ . وكل ما تقدم من الأخبار عن آيات الله عز وجل ودلالاته في سمواته التي بَنَى ، وأطباق الأرض التي دحأ ، وآثار صنعه فيما برأ وذراً ، ثابت في فطر العقول ، حتى يُسَجَّرَ أولى الزينج ما يُدْخِلُونَ على أنفسهم من الشبهة فيما يجعلون له من الأضداد والآنداد . جل عما يُشْكِرُونَ . ولولا توحيده بالتدبير ، عن كل مُعِينٍ وظهير ، لكان الشركاءُ جُدراناً أن تختلِفَ بهم إرادتهم فيما يخلُقُونَ ، ولم يكن التخلُفُ في إثباته وإزالته لِيُخْلُو من أحد وجهيه ، وأيهما كان فيه فالعجز والنقص مما أتاه وبرأه . جل البديع خالق الخلق ومالك الأمر عن ذلك وتعالى علواً كبيراً ؛ كما قال سبحانه : ﴿ مَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ . ثم من عظيم نعمة الله عز وجل على خلقه أفتقاده إياهم ، وأنه يُسَدِّدُهم ويُدْهِمُهم على منافعهم ، ويُنَجِّنُهم مضارهم ، ويَهْدِيهم لما فيه صلاحهم ، ويُرْغِبُهم في المحافظة على التمسك بدين الله عز وجل ، الذي جعله عِصْمةً لهم وحاجراً بينهم .

ولولا ما تقدم به من تلافيمهم وأستدراكهم بفضل رحمته ، لاجتاحهم التلف ، لقصور معرفتهم عن التأني لأقواتهم ومعايشهم ، ولم يكونوا لِيَقْتَصِرُوا على حظوظهم وأقسامهم عما بنوا عليه من الجمع والرغبة ، ولتَهَالَكُوا بِنِجْيِ بعضهم على بعض ، وعدوان قوتهم على ضعيفهم ، ولكنه بعد تعريفه إياهم مُلْكَ قدرته وجلالة عزته ، بعث إليهم أنبياءه ورسله مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ ،

بالآيات التي لا تائها أيدي المخلوقين؛ فرَضُوا بما قُيِّسَ بينهم، وأرتدعوا عن التباغى والظالم، لما وعدوا من الثواب الجسيم وخُوفوا من العقاب الأليم؛ ولم يكونوا لِيُطِيعُوا أمرا لآمر ولا نهيا لناسه، إلا بحجة يتبين بها الحق على من خالفه من المبطلين، وتخويف يتقن به مقارفة ما حرم عليهم، ورجاء يتجشمون له مؤونة ما تُعبدوا به. فافتتح الله عز وجل بأبيهم آدم عليه السلام، فعلمه الأسماء كلها، وأمر الملائكة بالسيود له — كما اقتص في وحيه المنزل — وكرم ولده وفضلهم، فقال جل وعز: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَهْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾. وجعل ما فطرهم عليه من العطف على ذراريهم وأبنائهم سببا لما أراد من بقائهم وتناسلهم، وما آخضهم به من العلم والفهم حجة عليهم، ليمتنح طاعتهم، ويملوهم أيهم أحسن عملا. ولم تزل رسل الله عز وجل الى خاقه تترى بالنور الساطع، والبرهان القاطع، لا يجيدون لما يُوردون عليهم من الحق القاهر مرّدا ولا مدفعا؛ لقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ بِخَبْرِهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. فلم يجد المكذّبون مَسَاغا الى دفع ما أُقيم عليهم من لازم الحجّة، إلا المعاندة والمجاهدة. وكان أنبياء الله صلوات الله عليهم، يُعشّون في أعصار الحَقْب، نُذرا للآمم، حتى ختمهم الله عز وجل بالنبى الأُمّى محمد صلى الله عليه وسلم، فبعثه فردا وحيدا لا عاصد له ولا رافد، الى قوم يعبدون أصناما بكمّا، وحجارة صمّا، فكذب به القوم الذين بُعث فيهم أول ما دعاهم، ورامه ملوك أقطار البلاد بتوجيه الأجناد، ومُرافقة القوّة والعتاد وبغى الغوائل، ونصب الجبائل، وهو يدعو الى سبيل ربه بما أمره به، إذ يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. ثم جاهد بمن أطاعه من عصابه، وبمن آتبعه من خالفه، حتى أعز الله كلمته، وأظهر دعوته، وأكمل لعباده دينهم الذى ارتضى لهم. فلما اختار الله له ما لديه، واختصّه بما عنده: من النعم المقيم، والجزاء الكريم، بعد استقامة الدين

ودخول الناس فيه أفواجا، خلفه، إذ ختم به الأنبياء، بالبررة النجباء من أدانيه وُحْمته، لإقامة الشرائع المفترضة، وإنفاذ حكم الله المنزل، وأقفاء السنة المسأورة وحفظه له في قرابته ومجيبى دعوته، وإتماما لما أوجب له من الفضيلة، وقريب الوسيلة، وإنجازا لما وعده من إظهار ما بعثه به، من دينه الذى أصطفاه وأرتضاه. وكان اختيار أولى الفضل من حُجته وعصيته لإرث خلافته، ومن عظيم الزلف التى رغب الى الله فيها أنبيأؤه، وبما أقتص في منزل وحيه، وأختص تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما أمره به من مسألة أمته تصيير مودته في القربى جزاءه ممن تبعه على الرسالة، وهدايه من الضلالة؛ فكانت فضيلتهم عنيمة من الله عز وجل، دون طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ألزمه تأديته الى خلقه وألزمهم أداءه، فقال عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. ودل بما أخبر به وأظهره من تطهيره إياهم وإذهابه الرجس عنهم، على أصطفائه لهم؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. وكان مما أوجب لهم به حقّ الوراثه في حكم تزييله قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾. ثم قرن طاعتهم بطاعته، فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. وأحلهم من النباهة والصيت بالمحل الذى أعلى به أمرهم ورفع به ذكركم، لما أحب من النبيين في الدلالة عليهم، والهداية إليهم، فإنه يقول عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾. ولو كان الأئمة المقلدون أمر عباده خاملة أنسابهم، منقطعة أسابهم، غير مخصوصين بفضيلة يرونها بها دون غيرهم، لم تعد طلبتهم عقسد الخلافة لهم، وأن تكون من المفترضات على كافة الأمة، أو على بعض دون بعض؛ فإن كان لأهل الشرق والغرب من ذوى النقص والكمال أن يختاروا لأنفسهم، فليس في اجتماع آرائهم مع تفرقهم واختلافهم طمع آخر أيام الدهر. وإن كان الى خاصة دون عامة، فستحتاج العامة من طلب معرفة تلك الحال الى مثل ما احتاجوا اليه في أئمتهم، إذ لم يكن أهل الارتباب والطلب من أعلام الآفاق ليتواطئوا على اتفاق،

لنفاد آجالهم قبل بلوغهم غاية الاجتهاد في الفحص والتكشيف ، وحاجتهم الى اختبار البلدان ، وتمحيص أولى الفضائل بالامتحان ، وما هو حاق عليهم من الشبه في اختيارهم ، والاختلاف فيمن عسوا أن يمتدوا ويقدموه ، حتى تنهالك الرعية بتظالمها بينها ، ويطرُق من يليها من الأمم إياها ؛ إذ لا ذائد عنها ولا محامى . فإذا ألزمت الأئمة الحاجة إلى نصب الحكام لإقامة الدين ، وتقسيط الحقوق من المسلمين ، ومجاهدة عدوهم من المشركين ، لم يكن لهم في الإمام عليهم مجاز إلى التخلص من حقه إليهم ، ولا ريب عند المعرفة برأفة الله ورحمته ، ولطفه وحكمه ، في دفعه عن عباده ما لم يجعل في حيلتهم له وسعاً ، ولا في حيلتهم له دركاً ، وكفايته إياهم ما يعجزهم من البحث والتنقيب عن ولاية أمرهم ، بنصبه إياهم ، وما رفعهم إليه من الدرجة التي أعلاها وأسناها ، إذ وصل نسبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقرض مودتهم على خلقه ، ولم يشنهم جهلهم للغرض الذي لزمهم له ، ولم يجب عليهم فرض في معرفة من سواهم . ولم يزل سياق أئمة الهدى مطرداً ، ونظامهم متصلاً ، يتلقاه كابر عن كابر ، ويؤديه أول إلى آخر ، حتى تنهاهى إلى أمير المؤمنين ، وهو حال دار دعوته ، وبين أنصاره من أهل نخراسان ، فنظر به خيرهم ، وعرفوا ما تصرفت به أحوالهم ، وظهر لهم من بيان حجة على من نازعه في الأمر ، وشاهدوا من إبلاغة في العذر ، وأستظهاره بالتأني والصبر ، ما أزاح عنهم الشبهة وكشط الحيرة ، حتى استرألوا نهوضه بحقه ، وخافوا الزيف على أديانهم فيما أعطوه من صفة أيمانهم ؛ وهو ماض على عادته ، مستديم للوادعة ، متلوم على المراجعة ، بالغ غابة ما في وسعه من الرخصة في دفع الولاية التي نهته بها الرعية ، حتى ضاق عليه في دينه ترك القيام بما أنهضه الله به من ثقلها وقلده من حملها ، وخاف المخلوع فانبعث بالشر والغرة ، فتناول أولياء الحق باغيا طاغيا ، لما أراد الله من تأييدهم عليه بالبيان والحجة التي يجب لها قلبه ، ويفت بها في عضده ، ويقبل الله ما شرفكم به من النصر والغلبة فيه التي جعلها الله للتقين . فاجتمع

لكم معشر أهل نُرَاسان في دولة أمير المؤمنين ثلاث خلال آخِصَّكم الله بفضيلتها ، وسنيّ  
مِراتبها ، دون ثلاث شَمِلَتْكم وغيركم .

أما الأولى من اللواتي خَصَّكم الله بهنّ ، فما تقدّم لأسلافكم من نُصرة أهل بيت النبيّ ،  
والقائمين بمراتبه من آباء أمير المؤمنين .

وأما الثانية ، فما آثركم الله به من نُصرته في دعوته الثانية .

وأما الثالثة ، فما تقدّمتم به من صحة ضمائمكم ، ومحض مناصحتكم .

وأما الثلاث اللواتي هنّ لكم ولغيركم :

فهنّ ما أكّد الله لأمر المؤمنين في أعناق المسلمين : من العهد الذي أخذ إصره ،  
وألمهم الوفاء به والتمسك بوثائق عصمته ، عند محاولة المخلوخ ماحول من الإعلان بالردة ،  
والتمس من تبديل معالم الدين وتغفية آثاره ، فلم يُلَفِ الرعية سُدى مهملين ، لا جامع  
لأمرهم ، ولا ضامّ لشرهم .

ومنهنّ ما أفادكم الله وإياهم من العبر ، عند حاول الغير بمنّ غدر وختر ، تذكرة لأولى  
النبيّ ، وحجة بالغة على من أدبر وتولّى ، ليهتدى متحيّر ويتعظ مُزدرج ، ﴿ وَيُحَصِّصَ اللَّهُ  
الَّذِينَ آمَنُوا وَيَحَقِّقَ الْكَافِرِينَ ﴾ . ومنهنّ آجتاع أهل الفضل من المسلمين : ممن لم يكن له  
نُصر ولا أزر في الدعوة الأولى على المشايعة في الدعوة الثانية ، فأصبح دُعاة أمير المؤمنين  
من أهل الحرمين والمُصرّين ومدينة السلام والمشرق والمغرب ممن غار أو أنجد من  
المتمسكين بذمهم الموفين بنذورهم ، من إخوانكم ؛ إن كان الله قد قدّمكم في الأمرين  
جميعا بنفوق حالكم على غيركم ، يعتدون من معاضدتكم ومكانفتكم بما جعله الله عز وجل  
ألفة لكم ومودة بينكم ، يمد بها ما كان الشيطان يترغ به بين أهل التباعد في الأنساب ،  
والتبائى في الأوطان من إيقاع العداوة والبغضاء ، والانطواء على الأحقاد والذن ، وطلب  
تقديم الإحن ، وصار أهل السمو الى الدرجة العليا والاعتصام بالعروة الوثقى من أولياء  
أمير المؤمنين وشيعته ، منشرجة صدورهم بمكانفته ، منبسطة أيديهم بمعاونته على حقّه ،

منفسحةً آمالهم في إذكاء ناره على عدوه والإتحاف في بلاده وافتتاح ممتنع حصونه ، بما جمعهم الله عليه من الألفة ، ورفع عنهم من الحماسة والعصبية ؛ راجين عودتهم الى أحسن ماضى عليه سلفهم ، في عهد نبيه صلى الله عليه وسلم ، من سلامة الصدور ، وصلاح ذات الدين ، واجتماع القوى على مجاهدة من شاقهم ؛ قد أفرد الله عنهم نفرة التحارب والتجاذب ، وجعل ما كان يسعى به بعضهم من الإعداد لبعض ، زيادة في ريجهم ، وحدًا في شوكتهم ، لائتلافهم في دولة أمير المؤمنين المحدودة المؤيدة بصديق الضمائر ، ونفاذ البصائر . وإلى الله يرغب أمير المؤمنين في إعانتة على صالح نيتهم ، وتبليغه منتهى سؤله وغاية همته ، في اعزاز دينه وإذلال من صدد عن سبيله ؛ إنه سميع قريب .

ومن أقوى الأسباب إلى استدعاء الشكر على النعمة تذكري ما كانت عليه الحال قبلها ، فاستديروا الإفاضة فيما رفع الله من خساستكم وأعلى من أقداركم ، بضرة أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وما أبلاكم الله في الدعوة الأولى مما لا يؤدى حقه إلا بعون الله وتوفيقه ، فإنه ارتاح لهم بلطفه وتوفيقه ، فأناهم رغائب الأقسام وسني الخطوات ، ورفع درجهم ودرج خلوهم وأعقابهم من بعدهم ، بعد إذ هم مستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس ، مدعون بقرع عدوهم واستثثاره عليهم ، ثم لم يلبثوا أن صاروا الى الحال التي يرونهم بها من الغبطة والبهجة ، إلا أنهم أخذوها بحقها ، وكانت في أيدي الظلمة من أهل بيت اللعنة وأتباعهم بحمد الله الباطل ومحنة الابتلاء ، ﴿ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .<sup>(١)</sup> وليس أحد منكم بخارج من المحنة بما أليس من النعمة ، وإن كنتم أهلها الآخذين لها بحقها ، بل الذي يلزمكم استدانتها والقيام بحفظها ، على حسب ما أولاكم الله منها ، فربما كان الذي يُعقِب أهلها من الغفلة والاعتثار ويُلهيهم بها من حبورها وسرورها ، أعظم إثمًا وحوَبًا مما يخاف على أهل البطالة والصبر من ضعف العزم وقلة الصبر ، لما يستولى عليهم من استكانة الذلّة ، والاعتثار بالتقصير ، والفرج الى ربهم في تنفيس كُرهِهم ، فإنه

(١) كذا في الأصل .

تبارك وتعالى قد وصف أهل الطبقتين فقال : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُودًا عَصِيْبًا ﴾ . فحاجتكم اذا أنجح الله سعيكم وأظفركم بطليعتكم ، الى حياطة ما أودعكم الله من مننه وحراسة ما آتاكم من فضله ، بالشكر الممتري للزيد . فتهجدوا معشر شيعة أمير المؤمنين أنفسكم بتذكّر ما سئل الله لكم من الحزونة ، وذلل لكم من الصعوبة ، وحكم لكم به من النصر ، على مُراق الملة ومُخالف أهل القبلة ، وأباحكم من ديارهم وأموالهم ؛ فأصبحتم بمنّ الله عليكم حُماة الدين ، وأنصار الأئمة الراشدين ، وحصون كافة المسلمين ، بعد ما آجئت الله بكم قُرون النفاق ، وأباد بكم صناديد الضلالة ، وشرّد من لم تستحمله سيوفكم ، وأضرع اليكم من أذعن وأستسلم ، وقد استشرّفكم معشر شيعة أمير المؤمنين أهل الشنآن ، ولا حظوكم بأعين الحسد والمفاصة ، فبين ذلك مجهر مُعاليّن ، ومُسْتَسِرّ مداهن ، وداخل في عدادكم ، ووالج في سوادكم ، يرى أمنه بين ظهوركم ، فطعنهُ عليكم في دولتكم بريسة التويه وخُداع التشبيه ، أيسرُ عليه كلفةً وأعظمُ فيكم جرحاً ونكايّة ، فتوقّوا هذه الطبقة أشدّ التوقى ، فإن أكثر من يلجأ الى استباحة الحيلة ، من يحجز عن المباداة والإحجار ، وعند ظهور الحازم وغلبته يحترز من لطيف الخُدع وخفي الاستدراج .

وأحذروا معشر شيعة أمير المؤمنين من استمراء الطراءه ، والركون الى راحة الدعة ما قد رأيتم وباله عاد على أهله ، وأورثتهم عواقبه طول الندم والحسرة ؛ فإنكم قد كنتم في حال المراقبة لعدوكم ، والخوف لبائقة متيقظين مُتحفظين لما كان يرومكم به من ختله وحيله ، ثم أفضيتم الى الجح وقد جهدكم السعى ومسكم النصب ، وسيلق الشيطان في أمانيك أن قد اكتفيتم بسالف ما قاسيتم ، ويجد من ضَعف العزائم مُعينا داعيا الى اغتنام الخفض ، والإخلاد الى الأرض ، ما لم تعتصموا بما عايتم من الاعتبار ، وتمثّلوا مواضى الآثار فيمن سلف من القرون الخالية ، وما أفضت به اليه العزة من زوال النعم ووقوع الغير ، فإن جميع ما خولكم الله وأفادكم مُرتين بما ألزمكم من حياطته واستنائه ؛ فقد وجبت عليكم الحجة بما حضّمكم الله



عليه ، وعظمت عليكم المنة بما هداكم اليه ، وأراكم من آياته ومثلاته فيمن خلا قبلكم ما فيه أبلغ الإعذار والإنذار لكم . ومن أجمع له اقتناء صواب من تقدمه الى ما ينبعث من نفسه ، فكانه قد أختبر بالتجربة ، مع استمداده بما يستفيد ، ويستريد ما يفتح لبه ورأيه ، وأيقنوا أنكم لن تصلوا الى من سواكم ، من هو أعر طاعة عليكم وأعذر بمعصيتكم ، حتى تبدءوا باستصلاح أنفسكم ، وأنه لن يرجى لكم القوة على مجاهدة عدوكم حتى تقووا على مجاهدة أهوائكم ، فإن على كل امرئ ريبة من أمره ، وغطاء من غيبة ، لا يكشفه إلا صحة المعرفة ، والإذعان بالنصفه ؛ فهناك يؤمن عليه الجهل والمعاندة ، وإذا أمنت هاتان الخلتان أنسدت بإذن الله ثلم الآفات ، وفوتق المكاره ، فإنه لا يخاف الضلال على من أهتدى ، ولا اعتماد الجور على من انتصف من هوى .

● ولكن أول ما نتعهدون به أنفسكم ، وتناوبون عليه من صالح أدبكم تناصف الحق بينكم ، بتقديم أهل الفضائل والآثار المحموده منكم وتفخيم أمركم ؛ فقد علمتم أن منكم المبرز الفاضل الذي لا يدرك شأوه ولا يوازي بلاؤه ، حين كشف الإبلاء ضماثر السقوب وجلا مشتبهات الظنون ، فصرح بالمحاربة بعد التقدم في الحجّة ، وفاء بمؤكّد العهد وركوبا منه لائل الخطر ، غير هائب مع صحبة الحق ما برق لديه الناكس المخلوع ورعد ، ولا مستوحش فيما تفرد به الى من تولى وأدبر ، حتى أتى الغاية التي أبحر إليها في الله عز وجل وفي خليفته ، ثم لرؤسائكم من أهل المشايعة والمكانفة والنصرة والحظ الجزيل والأثر الممين ، نوابهم واجب وحقهم لازم ؛ ثم منكم من يحفظ لسلفه وأوله من الآباء الذين يحفظون ولايتهم ، فإن الله عز وجل يقول في ذكر اليتيمين : ﴿ وَأَمَّا الْخِطَابُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ الآية . وقال على لسان يعقوب لابنه يوسف : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ الآية . وأمير المؤمنين يرى توريث الحكمة والذمام سنة عليه في أخلاقه التي يراها ويحافظ عليها ؛ كما أنه يرى وراثته التركة فريضة واجبة ، فيخلف السلف الصالح عنده من المزية والفضل ما يتلون به أهل الغناء بأنفسهم ، ثم

يتلوهم من أقتدى [بهم] وأهتدى بهديهم . والسابق المتقدم من أعتد ببلاء نفسه الى بلاء سلفه ، ثم يتبعه بعدد المبلى بنفسه ، ثم يتلوها المتوسل بأبائه ، ثم الصاعد به هواه ورأيه ، طبقةً فطبقة ؛ فليقتصر كل أمرئ منكم على المرتبة التي أحله بها سعيه ، وليسلك الى الأزدیاد فيها بالزيادة من نفسه ؛ فإن من الفتوق العظيمة على أهل الدول ما ينزغ به الشيطان بينهم ، ويكثر عندهم ما يكون منه ، فيوافق من الحيف للأفئس ما يجحد به مساغا الى ما يروم من إيقاع الشقاء بينهم ، وتثبیت الإحن في صدورهم ، بعد التآزر والتناصر . ومتى يجمع المرء لمزية من فوقه ، واعتباط من دونه كفى مترك . وان تخلص نيأتكم . وتسلم ضمائرکم ، حتى تمحصوا شكر ما أوليه إخوانكم ، وتعندوا ما نالهم شاملا لكم ، وتجنبوا طريقة من اقتصر بأمنيته على خاصته ، وتعتب فيما أوثر به أهل الفضل دونه . وكفى عظة فيما نهاكم الله عنه من ذلك ؛ يقول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ ﴾ الآية . ولا يلمس أحد مودته عن سوء نية بحسن مداراة في ظاهره ، فإن الله مقلد كل امرئ ربة عمله ومطوقه طوق سريره . ولا يغدرت فيما يلزمه لإمامه ؛ فإنه إنما يغدر في حظه ويخس قسمه ، ويخس نفسه . ثم لا يقتصر على استصلاحها حتى يتناول من كانت مئته عليه من أقربيه وحسويه ، فإن يسير ما هو معانٍ من تأديتهم لا ينشأ أن يتجاوز أدنى المراتب الى أقاصيها ، وقربها الى متناهيها ، حتى يستفيض شاملا علما ، بعد أن بدا محلا خاصا .

واعلموا أن أمير المؤمنين متفقد من تثقيفكم وتقويمكم على صالح الأدب ومجود السيرة ، ما لا يتفقد به من سواكم ؛ فإنه إن كان يُوجب على نفسه استصلاح الرعية وحملهم على ما فيه رشدهم وقوامهم ، لما يلزمه من فضل العناية بالأخص والأولى فالأولى ، فإن في أخلائكم من التقديم في التأديب والتعهد ، وجوها من الضرر : منها : أنكم أولى بحسن الطاعة وسرعة الإجابة ، للطف محلكم وقرب مكانكم عند أمير المؤمنين .

ومنها : أنكم يأنس بكم المؤمنون ويقتدي بكم التابعون ؛ فحقى قصرتم وأخلتكم ، آتفتى  
 أنركم من نصبتكم له أعلاما ، ثم لم يكن لكم أن تزدوا عليه ، ولا أن تأخذوا فوق يده ، بل كان  
 قميناً أن يكون يسومكم الرضا بمثل ما سمعتموه ، ثم تجري هذه العادة في الطبقات ، حتى يطرد  
 السياق ، الى أن يستفيض الفساد في حشوا الناس وعامتهم ، فلا تغني قوة ولا حزم ولا  
 شدة ، إلا العجز والاضاعة ؛ ثم يجد الأعداء مساعدا الى الطعن والعيب ، فلا يملكون أن  
 يرهقوكم ويستولي عليكم الفشل ؛ فإن الأيدي إنما تبتسط بنفاذ العزائم ، والعزائم إنما تنفذ  
 بثبات الحجّة ، والحجّة إنما تثبت إذا كانت عن الحق . وإذا أضيع أول هذه الرسوم ، التي  
 رسم لكم أمير المؤمنين ، تبعته تواليه وشفعته أواحقه ، ووجد العدو الملاحظ مكان العورة ،  
 مطمعا في إهمال ما كان يعد له من الغرة ، ويتوقع به من مناهزة الفرصة ، وليكن ما تفيضون  
 فيه وتعدونه ظهيرا على طاعين إن طعن في دولتكم ، ما ألهم الله أمير المؤمنين : من شمول  
 رعيته بالعدل ، وفرش الأمر في مضمراتها ومنقلبيها ، ورفع به عنهم من سير الجود ، وبسط  
 به يده من إثابة أهل البلاء ، وتعمد الجرائم لأولى الزلل ، والإبلاغ في دعاء من عاند وشاق  
 الى التوبة والإثابة ، وإقالة العثرة بعد القدرة ، والحقن لمباح الدماء ، فلم تعلموه صبر محملا ،  
 ولا هتك لأحد ممن أظفره الله به ستر ، ولا وقفه على عورة . ثم تولى الله أمير المؤمنين ،  
 في حروبه شرقا وغربا ، التي أغناه الله عن الإطناب في وصف صنع الله لكم فيها ،  
 لاستفاضة أخبارها في دهمائكم ، مع ما أحب من مطالعته إياكم ببالح أدبه وسأف  
 عطفه ، أن يتنكب من الإسهاب ، في غير ما صمد له ورأى من تفرع أسماعكم وأذهانكم ،  
 لوعى ما التمس أن تعوه من تبصيركم حظكم ، وتنبهكم على رشدكم . وحسب أمير المؤمنين  
 في نفسه وفيكم الله ، وكفى به مبينا .

وإن أمير المؤمنين مع ما تقدم به اليكم لعل ثقة من حياة الله خلّقه التي جعلها  
 عزرا لدينسه وقواما لخلقته ، وأنه ليس بها ممن أدبر عن حقها آفتلال بل من خلع  
 ربقتها وأضاع حظها منها ، جلب الخلّة والحاجة وخسران الدنيا والآخرة . وإنما أتى

المُقَصِّرُونَ فِي إِعْظَامِ حَقِّهَا مِنْ ضَعْفِ الرُّوْيَةِ عَنْ بُلُوغِ مَا تُقْضَى بِهِمْ إِلَيْهِ مَصَادِرُ الْعَوَاقِبِ ، وَتُؤَدِّيهِمْ إِلَيْهِ رَوَاجِعُ مَا قَدَّمُوا ، فَلَا يَكُونُونَ بِعَمَلِهِمْ غَيْرَ مُتَجَاوِزِينَ بِهِمْهُمْ ، وَفِيهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ إِلَى مَا يَمْنَعُهُ <sup>(١)</sup> .

وَأَسْتَدِيمُوا مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ سَابِغَ النِّعْمَةِ بِمُحَمَّدٍ مُوَلِّيَهَا وَالْمُتَطَوِّلِ بِهَا . وَقَدْ تَرَوْنَ مَا كُنْتُمْ فِيهِ قَبْلُهَا وَمَا آلَتْ إِلَيْهِ حَالُ مَنْ سُلِبَهَا ، ثُمَّ يُعْقِبُ النَّدَامَةَ حِينَ لَا مُسْتَعْتَبٌ وَلَا نَظَرَةٌ يُمْكِنُ فِيهَا اسْتِقَالَةُ الْفَارِطِ بِتَقْصِيرٍ وَلَا هَفْوَةٍ زَلَلٍ . وَثَقُوا مِنْ رِيَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٍ آثَارَكُمْ ، وَمَا مَضَى مِنْ بَلَاءٍ كُلِّ أَمْرٍ مِنْكُمْ ، بِمَا تَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ وَتَتَوَقَّعُونَ عَادَتَهُ ، بِأَسْنَى مَا تَرْفَعُ إِلَيْهِ أَمَالُكُمْ وَتَسْمُو إِلَيْهِ هَمَمُكُمْ ، إِلَى مَا يَدْنِحُ اللَّهُ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِدَاهُ ، وَاعْتَصَمَ بِتَقْوَاهُ ، وَجَاهَدَ عَنْ حَقِّهِ ، وَافِيَا بِأَمْرِ عَهْدِهِ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ وَكَرِيمِ مَأْبِهِ ، إِلَى الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ : وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا .

أَحَبُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَعَهَّدَ بِعِظَةِ تَلْبِيهِمْ عَلَى حَظِّكُمْ ، وَتُثَبَّتَ مِنْ بَصَائِرِكُمْ ، وَتَقْطَعَ مِنْ طَمَعِ الشَّيْطَانِ وَحَزَنِهِ فِيكُمْ ، لِيَا يَجِبَ عَلَيْهِ مِنْ إِرْشَادِكُمْ ، وَيَرْجُو مِنْ تَأْدِيَةِ حَقِّ اللَّهِ عَنْ وَجَلِ فِيكُمْ ، وَلِيَا يَرَى مِنْ اتِّصَالِكُمْ بِجَبَلِهِ ، وَمَا يَشْمَلُهُ مِنَ الصَّنِيعِ فِيَا وَلَا كَمُ اللَّهِ بِهِ ، وَتَوَلَّاهُ لَكُمْ .

وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُ اللَّهُ الَّذِي دَلَّ عَلَى الدَّعَاءِ تَطَوُّلًا ، وَتَكَفَّلَ بِالْإِجَابَةِ حَتْمًا ، فَقَالَ عَنْ وَجَلٍ : ﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، أَنْ يَجْمَعَ عَلَى رِضَاهِ أَلْفَتِكُمْ ، وَأَنْ يَصِلَ عَلَى الطَّاعَةِ حَبْلَكُمْ ، وَأَنْ يُتِمَّعَكُمْ بِأَحْسَنِ مَا أَوْدَعَكُمْ مِنْ مَنَنِهِ ، وَيُوزِعَكُمْ عَلَيْهَا مِنْ شُكْرِهِ ، مَا يُوَاصِلُ لَكُمْ مِنْ يَدِهِ ، وَأَنْ يَكْفِيَكُمْ كَيْدَ الْكَافِرِينَ ، وَحَسَدَ الْبَاغِينَ ، وَيَحْفَظَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيكُمْ بِأَفْضَلِ مَا حَفِظَ بِهِ أَمَامَ هَدَى فِي أَوْلِيَائِهِ وَشِيعَتِهِ ، وَيَجْعَلُ عَنْهُ ثَقْلَ مَا حَمَلَهُ مِنْكُمْ . وَبِاللَّهِ يَسْتَعِينُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلَى مَا يَنْسَوِي مِنْ جَزَائِكُمْ بِالْحَسَنِ ، وَحَمَلِكُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَثَلَى ، وَبِهِ يَرْضَى نَاصِرًا وَوَلِيًّا ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

ومنها : أنكم يأنس بكم المؤمنون ويقتدي بكم التابعون ؛ فتي قصّرتم وأخلّتم ، أفنّى  
أثركم من نصبتهم له أعلاما ، ثم لم يكن لكم أن تزروا عليه ، ولا أن تأخذوا فوق يده ، بل كان  
قينا أن يكون يسومكم الرضا بمثل ما سمعتموه ، ثم تجري هذه العادة في الطبقات ، حتى يطرد  
السياق ، الى أن يستفيض الفساد في حشوش الناس وعامتهم ، فلا تُعني قوة ولا حزم ولا  
شدّة ، إلا العجز والاضاعة ؛ ثم يجد الأعداء مساعا الى الطعن والعيب ، فلا يملكون أن  
يرهبوكم ويستولي عليكم الفشل ؛ فإن الأيدي إنما تُبسّط بنفاذ العزائم ، والعزائم إنما تُنفذ  
بثبات الحجّة ، والحجّة إنما تثبت إذا كانت عن الحق . وإذا أضيع أول هذه الرسوم ، التي  
رسم لكم أمير المؤمنين ، تبعته تواليه وشفعته لواحقه ، ووجد العدو الملاحظ مكان العورة ،  
مطمعا في إهمال ما كان يُعدّله من العزة ، ويتوقّف به من مناهضة الفرصة ، وليكن مأفوضون  
فيه وتعدّونه ظهيرا على طاعين إن طعن في دولتكم ، ما ألهم الله أمير المؤمنين : من شمول  
رعيته بالعدل ، وفرش الأمر في مضممراتها ومثقلها ، ورفع به عنهم من سير الجود ، وبسّط  
به يده من إجابة أهل البلاء ، وتغمد الجرائم لأولى الزلل ، والإبلاغ في دعاء من عاند وشاقّ  
الى التوبة والإنابة ، وإقالة العثرة بعد القدرة ، والحقن لمباح الدماء ، فلم تعلموه صبر محملا ،  
ولا هتك لأحد ممن أظفّره الله به ستر ، ولا وقفه على عورة . ثم تولى الله أمير المؤمنين ،  
في حروبه شرقا وغربا ، التي أغناه الله عن الإطباب في وصف صنع الله لكم فيها ،  
لاستفاضة أخبارها في دهمائكم ، مع ما أحبّ من مطالعته إياكم ببالغ أدبه وشافي  
عطفه ، أن يذكّب من الإسهاب ، في غير ما صمّده ورأى من تقريع أسماعكم وأذهانكم ،  
لوعى ما التمس أن تعوه من تبصيركم حظكم ، وتبهيروكم على رشدكم . وحسب أمير المؤمنين  
في نفسه وفيكم الله ، وكفى به مينا .

وإن أمير المؤمنين مع ما تقدّم به اليكم لعلّ ثقة من حيّاة الله خلاّقه التي جعلها  
عزّا لدينه وقواما لخلقّه ، وأنه ليس بها ممن أدبر عن حقها آفئلال بل من خلّع  
ربقتها وأضاع حظّه منها ، جلب الخلة والحاجة وخسران الدنيا والآخرة . وإنما أني

المُقَصِّرُونَ فِي إِعْظَامِ حَقِّهَا مِنْ ضَعْفِ الرِّوَايَةِ عَنْ بُلُوغِ مَا تُقْضَى بِهِمْ إِلَيْهِ مَصَادِرُ الْعَوَاقِبِ ، وَتُؤَدِّيهِمْ إِلَيْهِ رَوَاجِعُ مَا قَدَّمُوا ، فَلَا يَكُونُونَ بِعَمَلِهِمْ غَيْرَ مُتَجَاوِزِينَ بِهِمْهُمْ ، وَفِيهِمْ الَّذِي هُمْ فِيهِ إِلَى مَا يَمْنَعُهُ <sup>(١)</sup> .

وَأَسْتَدِيمُوا مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ سَابِغَ النِّعْمَةِ بِمُحَمَّدٍ مُوَلِيَّهَا وَالْمُتَطَوِّلِ بِهَا . وَقَدْ تَرَوْنَ مَا كُنْتُمْ فِيهِ قَبْلُهَا وَمَا آتَى إِلَيْهِ حَالٌ مِنْ سُلْبِهَا ؛ ثُمَّ يُعَقِّبُ النَّدَامَةَ حِينَ لَا مُسْتَعْتَبٌ وَلَا نَظَرَةٌ يُمْكِنُ فِيهَا اسْتِقَالَةُ الْفَارِطِ بِتَقْصِيرٍ وَلَا هَفْوَةٍ زَلَلٍ . وَثَقُوا مِنْ رِعَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٍ آثَارَكُمْ ، وَمَا مَضَى مِنْ بَلَاءٍ كُلِّ أَمْرٍ مِنْكُمْ ، بِمَا تَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ وَتَتَوَقَّعُونَ عَادَتَهُ ، بِأَسْنَى مَا تَرْفَعُ إِلَيْهِ آمَالُكُمْ وَتَسْمُو إِلَيْهِ هِمَمُكُمْ ، إِلَى مَا يَدْخِرُ اللَّهُ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِدَاهُ ، وَاعْتَصَمَ بِتَقْوَاهُ ، وَجَاهَدَ عَنْ حَقِّهِ ، وَافِيَا بِأَمْرِ عَهْدِهِ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ وَكَرِيمِ مَأْبِهِ ، إِلَى الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ : وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا .

أَحَبُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَعَهَّدَ بِعِظَةِ تَلَبُّهِمْ عَلَى حَقِّكُمْ ، وَتُثَبَّتَ مِنْ بَصَائِرِكُمْ ، وَتَقْطَعَ مِنْ طَمَعِ الشَّيْطَانِ وَحَزَنِهِ فِيكُمْ ، لِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ إِرْشَادِكُمْ ، وَيَرْجُو مِنْ تَأْدِيَةِ حَقِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيكُمْ ، وَلِمَا يَرَى مِنْ اتِّصَالِكُمْ بِجَبَلِهِ ، وَمَا يَشْمَلُهُ مِنَ الصَّنِيعِ فِيمَا وَلَّاكُمْ اللَّهُ بِهِ ، وَتَوَلَّاهُ لَكُمْ .

وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُ اللَّهُ الَّذِي دَلَّ عَلَى الدَّعَاءِ تَطَوُّلًا ، وَتَكَفَّلَ بِالْإِجَابَةِ حَتْمًا ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » ، أَنْ يَجْمَعَ عَلَى رِضَا أَلْفَتِكُمْ ، وَأَنْ يَصِلَ عَلَى الطَّاعَةِ حَبْلُكُمْ ، وَأَنْ يُتَمَتَّعَ بِأَحْسَنِ مَا أَوْدَعَكُمْ مِنْ مَنَنِهِ ، وَيُوزِعَكُمْ عَلَيْهَا مِنْ شُكْرِهِ ، مَا يُوَاصِلُ لَكُمْ مَزِيدَهُ ، وَأَنْ يَكْفِيَكُمْ كَيْدَ الْكَافِرِينَ ، وَحَسَدَ الْبَاغِينَ ، وَيَحْفَظَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيكُمْ بِأَفْضَلِ مَا حَفِظَ بِهِ أَمَامَ هَدَى فِي أَوْلِيَائِهِ وَشِيعَتِهِ ، وَيَجِلَّ عَنْهُ ثَقَلُ مَا حَمَلَهُ مِنْكُمْ . وَبِاللَّهِ يَسْتَعِينُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلَى مَا يَنْسَوِي مِنْ جَزَائِكُمْ بِالْحَسَنِ ، وَحَمَلِكُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَثَلِيِّ ، وَبِهِ يَرْضَى نَاصِرًا وَوَلِيًّا ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وللمأمون — لما كتبت إليه السيِّدة زُبَيْدة بعد مقتل ولدها الأمين خطابها

الآتي تستعطفه :

كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ . وَكُلُّ زَلٍّ وَإِنْ جَلَّ حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي عَوَّدَكَ اللَّهُ ؛ فَأُطَالَ مَدَّتَكَ ، وَتَمَّ نِعْمَتَكَ ، وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ ، وَرَفَعَ بِكَ الشَّرَّ .

هذه رُقعة الوالِّه التي ترجولك في الحياة لنواب الدهر ، وفي الممات بلجمل الذكر . فإن رأيت أن ترحم صَعْفِي ، وَأَسْتَكْنِي ، وَقَلَّةَ حِيلِي ، وَأَنْ يَصِلَ رَحْمِي ، وَتَحْتَسِبَ فِيمَا جَعَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا فَافْعَلْ ، وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ .

فكتب إليها المأمون :

وَصَلَتْ رُقْعَتُكَ يَا أَمَاهُ ، أَحَاطَ اللَّهُ وَتَوَلَّى بِالرَّعَايَةِ ، وَقَفَّتْ عَلَيْهَا وَسَاءَنِي — شَهِدَ اللَّهُ — جَمِيعَ مَا أَوْصَحْتَ فِيهَا ، لَكِنَّ الْأَفْدَارَ نَافِذَةٌ ، وَالْأَحْكَامَ جَارِيَةٌ ، وَالْأُمُورَ مُتَصَرِّفَةٌ ، وَالْمَخْلُوقُونَ فِي قَبْضَتِهَا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا ، وَالدُّنْيَا كُلُّهَا إِلَى شَتَاتٍ ، وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى مِمَاتٍ ، وَالْغَدُ رَوَّابُغِي حَنْفُ الْإِنْسَانِ ، وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أَخَذَ لَكَ ، وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى مَمْنُونِي إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ . وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مَا تَخْتَارُ بِهِ وَالسَّلَامُ .

(هـ) أحمد بن يوسف<sup>(١)</sup>

رسالة ممتعة لأحمد بن يوسف ذكرها ابن طيفور في اختيار المنظوم والمنثور وهي :

أما بعد فالحمد لله القاهر القادر، الخالق الرازق، فاطر السموات والأرض، الذي أحاط بكل شيء علما، ونطق به خبرا، وأتقنه حكمة وعاما، وألف بين مختلفه ومختلفه، ليدل بقوام بعضه على بعض، على اتصال تدبير مشيئته ومبتدعه، وأنه أحد صمد، لا ضد له ولا يد، إذ قدر له حاجته ثم شدّها ببلاغها الى الغاية التي جعلها، فقال جل وعز ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ وحكى عن نجيّة موسى عليه السلام، ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾، وقال الله تعالى ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ثم لم يكلف العباد من شكره كفاء نعمته، بل رضى منهم باليسير، وقبل منهم العفو، وجعل طاعتهم إياه عائدة عليهم بجزيل الحظ في دينهم ودنياهم، لغناه عن عبادتهم، وأنّساع قدرته بالتطوّل عليهم، مفضّحة وخاتما، وبإدنا وعائدا .

والحمد لله الذي أصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم، نبيا لرسالته، وأتمّنه على وحيه، وأنزل عليه كتابه العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فأدّى الى خلقه الرسالة، واستفدّهم من الضلالة، وصدّع بأمر ربه وجاهد في سبيله، ونصح لأئمة حتى أتاه اليقين من ربه، بعد استنارته الحق، وظهور الحقّة، فصلى الله عليه بشيرا ونذيرا، وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا قد نلّا في من الملوك، وجمع الألفة بعد الفرقة، وأوضح الهدى بعد الدروس، ومعالّم الرشد بعد الضلال، وكان بالمؤمنين رحيا .

والحمد لله الذي قفى على آثار المرسلين، والأئمة الراشدين، الهاديّ التقي، الطاهر الزكي، الإمام المأمون أمير المؤمنين، أعزّ الله نصره، فسّد ثلّتهم، ورأب صدعهم وقلّده خلافتهم، وجعله لكافة المسلمين غيانا ورحمة، وجعل ما أتمّنه من العدل والإحسان

(١) راجع ما كتبناه عنه في الفصل العاشر من الكتاب الثالث في المجلد الأول .



اليهم، مِنَّةٌ عليه ورحمةٌ ذَنَرها له، دون الخلفاء قَبْلَه، فبما أظهر من فضل زمانه على الأزمنة، وسياسة مَنْ تَقَدَّمه، ومنح الرعية من عطفه ونظَره، ما لا يحمل عنهم أوبه ولا يؤدَّى عنهم شكره، الا هو لا شريك له؛ وأحسن الله جزاء أمير المؤمنين ومثوبته، على صِلَّة رَحِم رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي هي رَحِمه وقربته، واختياره لولاية عهده الأمير الرضى على بن موسى، حفظه الله، حين أحمد سيرته، ورضى محبته، وعرف استقلاله، بما قلَّده في هَدْيِه، ودينه ووفائه، بما أكَّد الله به عليه، من عهد أمير المؤمنين أيَّده الله، في اعتيابه من ازره وأَسَّاه بما شَفَّع رأيه، وأنفَذ تدبيره، حين هَمَّ لامتصلاح ما استرعاه الله، من أمور عبادِه، لما أنتقى القائم بدعوته، ورئيس شريعته، الأمير ذا الرياستين رحمه الله، فاتَّخذه مكانها ظهيراً ووزيراً دون من سواه، فاتَّبع منهاج أمير المؤمنين أيَّده الله، وسار بسيرته، شرقاً وغرباً، وغوراً ونجداً، مُوفياً بعهدِه، قائماً بدعوته، مقتفياً لأثره وسُنَّته، فحَسَمَ الله به الأعداء، وقَعَ به الأعداء، من عِثاة الأمم، وطواغيت الشُّرك، وأباد على يده، أهل الشَّقَاق والتَّفَاق، في كل أُنُقٍ وطَرْفٍ، بجَدِّ أمير المؤمنين أعزَّه الله، وبركة سياسته ودولته، ونُجَح سعى من قام بُنْصَرة من قام بحَقِّه، وأُتار برهانه، حتى توقَّاه الله عز وجل، حين بلغَ هَمَّتِه وغايته، وحُتِّ أَجَلِه، وأنْقَطَعَت مدَّتُه، سعيداً حميداً، شهيداً فقيداً، عند إمامه أكرمِه الله، وعند الخاصَّة والعامة، وكان من إجلال أمير المؤمنين، الحادثُ الذي نزل به، فأحيا آثاره، بوصف محاسنه، في مشاهدِه ومُجامعِه، وترجمه عليه عند ذكره، وحَفِظَه في مُجْمَعِه، وأهل حُرْمَتِه، وفيمن كان يحمِد الله على طاعته ونصيحتِه، ما أتمَّ به نِعْمَتِه، عندنا وعندكم معشر الشيعة، فقد أصبح أمره بكم متصلاً، وموقعه من جماعتكم متمكناً، يقبضكم ماقبضه، ويسطركم ما بسطه من أومة المصيبة، وحسن العُقْبى، وقد علمتم معشر أهل الحجاز والنَّجْد، والطاعة لله عز وجل وخليقته - وذوى الغناء والبلاء، في دعوته من أهل خراسان وغيرهم من حضر مَنْ آمَنَ الله قلبه بوفاء العهد والاستبصار في حقِّ أمير المؤمنين أبقاه الله، والمجاهدة دونه، والصبر على «واطن الصِّدق والآلاء»، والدَّبَّ عن البيضة والحريم،

والمتحملين للنَّصَب، والمصابين التي أُنْجَلَتْ، حتى كأن لم تكن، وبقي أجرها على الله عز وجل، ومجود ذكرها شائعا في الناس، إن نعم الله، قد جَلَّتْ ولَطُفَتْ، وَخَصَّتْ وعَمَّتْ، وعَلَتْ وسمَّتْ، وتمت ودامت، حتى قصرنا عن موازينها، والإحاطة بأدائها، فإذا لم يكن لنا معشر إخواننا سبب إلى مكافأة بآلائه بالعمل، فنحن جُدراء أن نجتهد في القول، ونُطِيب في الوصف إن شاء الله جلَّ وعزَّ، فقد جعل ذكر النعم من أسباب الشكر، وقد جَدَدْنَا أمير المؤمنين أيده الله من الحياة والكرامة، وجزيل الحِيطَة، وسَنَى الرتبة التي قُرى بها عليكم كتابه ما يستغرق جهْدنا، ويستفرغ وسْعنا، وفرغ إلى الله عز وجل، ولي الرغبة، ومؤتى السؤل والطَّلبة، في إعانتنا على تأدية ما وجب له، فيما منحنا من فوائده ونَحْلِه، ثم نستفيدكم ونستعينكم على شكره، وإمدادنا بما بلغته طاقتكم في السعي له فقد أدنا ثَقْل ما حملنا، وثقل ما طَوَّقنا، وعظمت فاقتنا إلى استعمال القوي من الأنفس والحالمة، والخاصة والعامة، في جزاء ما جَلَّل أمير المؤمنين فينا من سُنَّته، وشيئنا من ناليد أياديه وطايرفها، وقديمها وحديثها، وكيف يُوجد إلى موازاة أمير المؤمنين سبيل ببذل جهْد، أو بلوغ حَشْد، فإنما تقتدى بهْداه، وتَعَشُّو بنوره في ديننا، وليس عَجْزنا عن أن نجزي حَقه، بواضيع عنا مؤونة الدُّويب في التحزى لتأديته، فإن الله عز وجل، قد أخبر بفضائل الشكر ومناقبته، وجعله من أسمائه، ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾، وقد قال تعالى ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾، وقال تعالى ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ . ولولا أن الله عز وجل رَضِيه لنفسه، لأجللناه عن التسمية إذ كان أكثر ما نستعمله، ونعرفه في مكافأة من مَنْ وَتَطَوَّل، ثم نَحْنُ بذكر فضله في العباد، فإن الله تبارك وتعالى أفتح أول ما علَّم خلقه بالحمد، وجعله بدء كتابه، وخاتمة دعوة أهل جَنَّتِه، فقال عز وجل، ﴿وَأَحْرُدْ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وخلق الله السموات والأرض، ومن برأ ودرأ في الحياة لِيَبْلُو عِبَادَه بِشُكْرِهِ، وأُعد الجنة في الآخرة لمن شكره، والنار لمن كفره، وقال الله تعالى : ﴿إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لِلْكَافِرِينَ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِ الْغَافِقِينَ﴾ .

كَفَرْتُمْ إِنَّ عِدَائِي لِشَدِيدٌ ۖ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَآتَمَّ أَذِلَّةً فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ۖ ﴾ ، فحمل التقوى واقعةً ، والشكر مرجحاً ليدل على ارتفاع رتبته ، وعلو درجته عنده ، وقال لَنَجِيهِ موسى عليه السلام : ﴿ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي نَحْنُ مَا آمَنَّا بِكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۚ ۝ فَلَمْ يَكْفِهِ إِلَّا أَخَذَ مَا أَعْطَاهُ ، وَالشُّكْرَ عَلَى مَا أَنَاهُ ، وَأَخْبَرَ بِعَزَّتِهِ فِي الْعِبَادِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ۚ ﴾ ، فَأَيَّةُ نِعْمَةٍ أَجَلَ قَدْرًا ، وَأَسْنَى أَمْرًا ، مَعَشَرَ الشَّيْعَةِ مِنْ نِعْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيَّدَهُ اللَّهُ ، عِنْدَ الْأَمِيرِ ذِي الرِّيَاسَتَيْنِ ، وَمُرَاتِبَهُ الَّتِي رَتَّبَهُ بِهَا ، فَإِنَّهُ أَعْطَاهُ رِيَاسَةَ الْحَرْبِ ، وَرِيَاسَةَ التَّدْيِيرِ ، وَعَقَدَ لَهُ عَلَى رَأْسِهِمَا عِلْمًا فِي رِوَايَةِ دَعْوَتِهِ ، وَقَلَدَهُ سَيْفَهُمَا وَخَتَمَهُ بِخَاتَمِ الْخِلَافَةِ ، وَخَاتَمِ الدَّوْلَةِ ، وَجَعَلَ صَلَاتَهُ بَيْنَ صَاحِبِ حَرَسِهِ ، وَصَاحِبِ شُرْطَتِهِ ، وَوَسِيرِهِ بَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَهُمَا ، أَمَامَهُ وَخَلْفَهُ ، وَصَيَّرَ لَهُ الْجُلُوسَ عَلَى الْكَرْسِيِّ بِحَضْرَتِهِ ، فِي صَدْرِ كُلِّ مَجْلِسٍ جُلُوسًا ، إِلَّا أَنْ يُؤْثِرَ بِهِ مَنْ أَحَبَّ مِنْ أَسْبَاءِ الْخُلَفَاءِ ، وَقَدَّمَهُ فِي دُخُولِ دَارِ الْأَمِيرِ رَاكِبًا إِلَى أَقْصَى مَكَانٍ يَتَنَهَى إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، لِأَنَّهُ مِنْهُمْ ، وَأَعْظَمُهُمْ غَنَاءً عَنْهُمْ ، فَسَمَّاهُ صَاحِبَ دَعْوَتِهِ وَسَيْفِهِ عَلَى عَدُوِّهِ وَبَابِهِ الَّذِي يَدْخُلُ إِلَيْهِ مِنْهُ ، وَوَلَّاهُ خِيُولَهُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَمُقَدَّمَتَهُ بِحَضْرَتِهِ ، وَقَلَدَهُ مِنَ الثَّغُورِ مَا قَدْ عَلِمَتْ ، بِمَا أَفْرَدَهُ فِي عَهْدِهِ ، إِلَى مَا أَنْفَذَهُ مِنْ أَمْرِهِ ، فِي جَمِيعِ سُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ ، مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، وَأَيْنَ يَأْتِي الْوَصْفُ عَلَى مَا فَضَّلَهُ بِهِ ، وَقَدَّمَهُ وَشَرَّفَهُ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَلَكَا تُحْطَرُ بِذِكْرِهِ ، ثُمَّ نَكَلَ السَّامِعِينَ إِلَى مَا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي لَا تَبْلُغُهَا الصِّفَةُ ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ مَا أَكْرَمَهُ بِهِ فِي حَيَاتِهِ ، بِأَعْلَى قِمَا أَكْرَمَهُ بِهِ فِي وَفَاتِهِ ، تَوَلَّى غَسْلَهُ وَتَكْفِينَهُ ، وَمُبَاشَرَتَهُ لِجَهَازِهِ ، إِلَى حَفْرَتِهِ بِيَدِهِ ، وَقَاسَى مِنَ الْغُصَصِ ، وَبَرَءَاءِ الْحُزْنِ ، وَإِذْرَاءِ الْعَبْرَةِ ، وَإِرَاقَةِ الدَّمْعَةِ مَا حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ ، وَكَادَ يَمْنَعُهُ مِنَ الْقَوْلِ وَالِدَعَاءِ فِي صَلَاتِهِ عَلَيْهِ ، مِنَ الْحَكْمِ ، وَحِفْظِ أَهْلِ الْحُرْمَةِ ، بِهِ رِعَايَةً لَهُ فِيهِمْ ، وَوَفَاءً بِعَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَقَرَّ خَاصَّتَهُ ، وَفَوَّادَهُ وَغَمَّالَهُ . وَكَتَبَ عَلَى مِرَاتِبِهِمْ ، وَحَمْدَ بِحَمْدِهِ ، وَدَمَّ بِذِمَّتِهِ ، وَجَدَّدَ لِحْنَهُ ، وَتَلَّ كَرِيمَتَهُ ، نَظَرًا وَعُظْفًا ، فَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ فِي إِحْيَاءِ ذِكْرِهِ ، وَبُلُوغِ كُلِّ مَا يَجِبُهُ فِي حَيَاتِهِ غَايَةً إِلَّا اتَى مِنْ وَرَائِهَا ؛

وأمر بقراءة فُتُوْحِه ، كما كانت تُقرأ على عهدِه ، وأضاف كل ما حَدَّث من بعده الى ما تقدّم من سَعِيِه ، وأخبر أنّه كان سببِه ، والمفتتح به ، ووليّ محمد بن الحسن خلافتِه ، ونصبِه منْصِبِه ، وأقامه مُقامِه الى أن جَدَّد العهد لي ، فاستخلفتُه على ما وليّ بحضرتِه ، ثم تتابعت كتبُ أمير المؤمنين ، أكرمه الله بعد مصاب الأمير ذى الرّياستين ، بما لا يقارب التفضيل ، والإطلاق والتفويض الذى كنتم سمعتم به وبلغتم ، فلم يكن يرى وراءه مجاراة ، ولا فوقه مَصْعَدا ، حتى جَدَّد لنا من كرامتِه ، ما قد قرئ عليكم فى كتابِه ، فبلغ بنا ما لم تكن الهمم تبلغُه ، والأمانى لِتُحِيط به ، لولا ما منحنا الله عز وجل من الترقى فى الفضل ، الى ما تُحَسِّر من دونه الأبصار ، وتتقطع دونه الآمال ، وإنما اقتصصناه وذكرنا ما أبلانا وأصطنع عندنا من بلائِه بدعائنا الى الله عز وجل ، والى طاعته بالعدل والإحسان الى رعيّته والنظر بالصفح ، والأخذ بالفضل ، والأمر بالمعروف ، وصِلَة المروءة بالوفاء بالعهد ، والشكر لِلَّيْن ، ورعاية الأخلاق المحموده ، وإحطاء أهلها ، وإقامة سوقها ، حتى تنافسوها وتساخوا فيها ، وصارت هى الدَّرَائِع اليه ، والوسائل عنده ، فلو تأمل متأمل أهل الرُّفَّة ، والآثرة لديه ، لو جدّ الأخصّ فالأخصّ ، والأعلى قدرا عنده هو الأفضّل ديناً ومروءة ، فلو لم يكن فى الخطوة عنده إلا إيجابها لصاحبها صحّة المحبة ، والزاهة عن كل ظنّة ، لكان فيها أعظم الغبطة ، وأعدل الشهادة والدلالة ، وسنْقَص عليكم بما أخبرناكم عنه مالا سبيل الى بحمْدِه وإنكاره ، بوضوح معالِمِه ومنازله ، أو ليس المجاهد عن دين الله ، والمجاهى عن بيضة المسلمين ، والمؤاتى لأغلظ عداوتهم شوكة ، وأخوفهم عداوة ، والمنجى فى بلادهم ، بمن كان لا يرام ، ولا يحاول لاستصعابه وشسدة مُقاساتِه ، حتى أذعن جيفويه بالعبودية له ، ثم أباح حريمه حين تمزّد عليه ، حتى بلغ السبى الى ولده ، وحاربونا به ، ونغافلّت خيولُه ، حتى توصّلت الى قُبْتِه ، ومنتهى عزّه ، أو ليس مُسْكِن التّهيج بالانرف ، حتى خبّت النيران فيه ، وأذعن رؤسائها وقادتها ، أو ادسى نازى بلاد بابل حين طغى أميرها ، ونذل موثكت ونفص ، حتى آتخت أدومته ، وأباح حريمه ، وأراح الدارين من حباته ، أهلى من اذ العيون ، ومُشَدِّد من

عَوْرَاتِهَا ، والمباشر لتدبيرها ، والمُسْعِدَا لِلسَّكَايِدَةِ الْمُتَجِّحِ فِيمَنْ أَرَادَهَا ، وَفَالِكِ الْعِنَاةِ ، مِنْ رِقِّ  
 الْإِسَارِ ، وَنَاشِرِ الرَّحْمَةِ عَلَى فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَضَعْفَائِهِمْ وَأَهْلِ الْمَسْكِنَةِ ، وَانْخِلَافَةِ مِنْهُمْ ، وَقَاسِمِ  
 الصَّدَقَاتِ فِي أَهْلِهَا ، وَعَامِرِ الْمَوْسَمِ وَمَحْصَنِهِ مِنَ الْآفَاتِ حَيَاةً لِلْمُسْلِمِينَ فِي جَمْعِهِمْ ،  
 وَمَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى رَبِّهِمْ ؛ وَهَلْ أَقْتَرَنَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُئِمَّةِ مَا أَقْتَرَنَ لَهُ فِي الْمَلِكِ وَالْدِّينِ وَالْعِزِّ ،  
 وَالتَّوَاضُعِ وَالسَّعَةِ ، وَالْبَدَلِ وَالْقُدْرَةِ ، وَالْعَفْوِ وَالْغُلْظَةِ ، وَاللَّيَّانِ فِي مَوَاضِعِهَا ، وَالنُّسْكِ مَعَ  
 الْهَمَّةِ ، وَالسُّطُوَةِ مَعَ الْإِقَالَةِ ، وَهَلْ تَرَكَ مَعْشَرَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْإِخْوَانَ فِي الدِّينِ غَايَةً لَمْ يَسْمُ بِهَا إِلَى  
 شَرَفِهَا ، وَعَلَى مَرَاتِبِهَا ، وَمُسْتَرَادِ الْخَطِّ فِي عَاجِلٍ وَأَجَلٍ ، لَمْ يَبْلُغْنَاهُ وَنَخْتَارُ لَنَا خَاصَّ مَكْرَمَتِهِ ،  
 وَمُدَّتَّحِرَ عَاقِبَتِهِ ؛ أَرْشَدَنَا إِلَى الدِّينِ ، وَسَلَكَ بِنَا سُبُلَ الْجَنَّةِ ، حَازَ لَنَا الْمَلِكُ ، فَلَمْ يَبْقَ وَرَاءَ  
 مَا مَلَكَتْهُ غَايَةً ، وَوَرَدَ بِنَا الْحُرُوبَ وَسَاسَهَا لَنَا ، فَلَمْ يَدَعْ غَايَةً لِلتَّعْلِيمِ وَالدَّرَاسَةِ ، سُلِّطَ عَلَيْنَا  
 بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَنَاهُ فَلَمْ يَدَعْ غَايَةً فِي التَّقْلِيدِ وَالْفَقْهِ ، فَكَمْ عَلَّمْنَا الْفَضَائِلَ ، ثُمَّ فَضَّلْنَا بَهَا ،  
 غَلَبَ لَنَا الْأَعْمَى ، ثُمَّ خَوَّلَنَا هَا . عَلَّمْنَا طَرَائِقَ الشَّرَفِ ، ثُمَّ شَرَّفْنَا بِهَا . أَخْبَرْنَا عَنِ الْأَنْبَاءِ فَكَفَّافَا  
 مَوْثُونَةَ التَّمَاثِيلِ ، وَأَغْنَانَا بِمَا عِنْدَهُ فِيهَا ، أَخَذَ عَلَى أَيْدِينَا الْخَيْرَ الرَّعِيَّةَ ، فَوَهَّبَ لَنَا شُكْرَهَا ، وَصَدَّقَ  
 مَقَالَتَنَا عِنْدَ الشُّبُهَةِ ، وَأَنْقَذَ أَمْرَنَا فِي التَّدْبِيرِ .

فِيَا أَيُّهَا الْإِمَامُ الْمَنْصُورُ الْمَهْدِيُّ الرَّشِيدُ حُزَّتْ فُضَائِلُ الْآبَاءِ ، وَاهْتَدَيْتَ بِهَسَدِي  
 الْأَنْبِيَاءِ ، أَنْشُرَكَ عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَأَنْتَ الْقَائِمُ بِهِ الدَّاعِي لَهُ ، وَالنَّاصِرُ لِحَقِّهِ ، أَمْ نَشْكُرُكَ  
 عَنِ الْأَمْصَارِ ، فَأَنْتَ الْمُفْتِيحُ لِمَتْنَعِهَا عَنُودَ ، وَالْمُتَطَوِّلُ عَلَى أَهْلِهَا بِالرَّحْمَةِ ، وَالْمُنْعِطِفُ عَلَيْهِمْ  
 بِحَسَنِ الْفَائِدَةِ بَعْدَ مَا هَيَّجَتْ مِنْكَ سُورَةُ الْغَضَبِ ، فَأُطْفَأَتْ نَارُهَا ، وَأُنْجِدَتْ لَهَبُهَا ،  
 وَعُدَّتْ عَلَى مَنْ سَبَّهَ ، وَأَضَاعَ حَظَّهُ ؛ أَمْ نَشْكُرُكَ عَلَى الْمَسَاجِدِ ، فَأَنْتَ الَّذِي أَسَّسْتَهَا عَلَى  
 التَّقْوَى ، وَعَمَّرْتَهَا بِسُلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَطَهَّرْتَ الْمَنَابِرَ وَرَوَّكَيْتَهَا ، تَعْلُوها صَائِمًا ، وَتَنْطِقُ عَلَيْهَا  
 صَادِقًا ، وَتَدْعُو إِلَى الرُّشْدِ عَلَيْهَا نَاصِحًا ، وَتَحْتَمُّ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تَبْدَأَهَا مُحْسِنًا ، وَتَتْلُو مِنْ قَوَارِعِهِ ،  
 مَا تَصِيخُ لَهُ الْأَسْمَاعُ وَتَلِينَ لَهُ الْقُلُوبُ ؛ أَمْ نَشْكُرُكَ عَلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، وَالرَّكْنِ الْمَقَامِ ،  
 وَالْحَجَرِ وَزَمْزَمَ ، وَمَشَاعِرِ الْحِجِّ ، وَأَنْتَ ذَبَبْتَ عَنْهَا ، وَأَعَدَّتْ إِلَيْهَا عَهْدَهَا ، فِي مَبْعَثِ نَبِيِّهَا ،

صلى الله عليه وسلم ، فأقننت النازع إليها ، من كل فج عميق ، والحالين بها من الركوع  
والسجود ، أم نشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حفظت فيه من عثرته ،  
بعفوك عن مجرمهم ، ومضاعفتك ثواب محسنهم ، وإحيائك من أمرهم ، ما كان قد أندرس  
وأنطمس ، بعد اللقاء بنبي الله صلى الله عليه وسلم ، وقد راعيت منه في قرابته وقرابتك ،  
وذوى رحمه ورحمك ، ماضيح الناس . ووصأت منهم ما كان وصلة ، إذ كان الله عز وجل ،  
قد قرَضَ صلة الأرحام ، فكان أطوع خلق الله عز وجل فيما قرَضَ عليه . أم نشرك  
عن العوام ، فقد ألبست المسلمين ثوب الأمن ، وأذقتهم طعم السعة والرفاهة ، وعدلت  
بينهم بالإنصاف ، وتوليت دونهم النصيب ، وآثرتهم الراحة . أم نشرك عن الملوك والقواد  
والأجناد ، فأنت الذى رفعت منازلهم ، ووقرت عددهم ، فلم يكن في دهر أحد من الخلفاء  
أسعد ولا أحظى منهم في سلطانك ، بما بذلت لهم من المعاون ، ووليتهم من الثغور  
والأمصار ، وأدررت عليهم من الأرزاق والخواص ، أم نشرك عن الأحكام والسُنن ، فأنت  
الذى أنهجت سبيلها ، فأوجبت فرضها ، ونافست في أهلها ، أم نشرك عن الأعداء فأنت  
الذى بدأتهم بالهجرة ، ودعوتهم إلى الفئدة والإناية ، ثم شئت معقبا بالعمو ، ونعشتهم بعد  
البؤس ، وأنستهم من الوحشة ، أم نشرك على مكارم الأخلاق ، وأنت الذى ثبت وطأتها ،  
ونفيت عنها أضرادها ، ولو نطقت بالفضل ، لنطقت بشرك ، في إزالتك إياها عن اللثام ،  
وإخطائك من أعترى إليها . أم نشرك عن الثغور ، فأنت الذى تَمَّمْتها ، وحصنت عوراتها ،  
أم نشرك عن السلف ، فأنت الذى أشدّت بفعالهم ، وحفظتهم في أبنائهم . أم نشرك عن  
رُؤس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن القضيبي الذى شخّص به ، حتى جعلتهما زينتك ،  
وسموت بهما في أعيادك ، عند حشدك ، على الطهر والزكاة ، والنسك والتقوى ، أم نشرك  
عن المسلمين في رعايتك إياهم ، ودا ترعيتهم من جنابك ، وتنفى عنهم من الآفات ، وتعمل  
عنهم من جباية الكفر ، وتفرض من جيوش الشرك والنكث ، وتفتح من الحصون  
المستصعبة ، وتسهل من الطرق الوعرة ، أم نشرك عن تواضعك لله عز وجل وإصلاح

المسلمين طلبا للرفعة عند الله ، أم نشكرك عن الدين وقد جعلت السلطان عبدا وفائدا ومنقذا .  
وكان مأمورا بجماعة أمرا ، وآلة للقوة بفعلت القوة له آلة ، فيا من اتصل شكره بشكر الله عز  
وجل ، ونعمته بنعمة الله تعالى وطاعته ، بطاعة الله فوهب الله لك شرف المنازل ، ورقاك  
درج الفضائل ، وجزاك الله عنا وعن غيرنا ، مما شكر من ناطق أو صامت ، جزيل الثواب  
ورفيع الدرجات ، وأمتعك ما أتاك وأمتع الأمة ما آتاهم منك ، والحمد لله ذي الرغبات ،  
ومتم الصالحات ، شكرا لرب العالمين ، فإنه مبلّغ طاعتنا ، ومُنْتَهَى جَهْدنا ، وبه نستعين  
على تادية فرائضه ، أنه لا يعين على ذلك الا هو ، أحببت أن نشكر اليكم أمير المؤمنين  
أيده الله ، اذ ورد على من أنعمه وافضاله ، مالا أبلغه بالفعل ، وأن يكون ما أقتصصنا  
عليكم ، داعيا لكم ، الى أن تشكروه عنا ، وعن أنفسكم ، وعن الإسلام والمسلمين ، ورجوت  
بما وفقنا الله له ، فيما شرحنا وأوضحنا ، من الدلالة والبيان أن يكون مجتمعنا يتنفع به من  
حضرنا ، ومن عسى أن يؤدي اليه الخبر عنا ، أو حدث بعدنا ، وضمنت بهذه المكرمة الرائعة ،  
والمأثرة البارة ، التي آدّتها الله لأمر المؤمنين ، أعز الله نصره ، وأفرده بها ، دون الأئمة  
والخلفاء ، أن تمر بالأسماع صفحا ، وتجتاز على القلوب سهوا ، حتى تؤكد بالشواهد والبرهان ،  
ليبقى ذكرها ونفعها في الخُلوْف والأعقاب ، ونحن نسأل الله عز وجل الذي جمع بأمر المؤمنين  
— مد الله في عمره — ألفتنا ، وعلى طاعته أهواءنا وضمائرنا ، وأنالنا من الغبطة في دولته  
وسلطانه ، ما لم تحوهِ شيعة إمام ، ولا أنصار خليفة ، أن يتم نور أمير المؤمنين ، ويعلّى كعبه ،  
ويتمتعنا ببقائه ، حتى يبلغه سؤاله وهمته في الاستكثار من البرّ وأدخار الأجر ، وأستجاب  
الحمد والشكر ، وأن يلّم به الشعث ، ويرأب به الصدع ، ويصلح على يديه الفساد ويرتق  
به فتوق هذه الأمة ، ويُمخّن بسياسة ونكايته في عدوها ، ويتابع الفتوح في بلدانهم حتى  
يُزيّته من نتيج السعي ، ورغائب الحظ في الدنيا ، ما يُجزل عليه ثوابه في الآخرة ، وأرشد  
نجباءه واصفياه ، الذين يقول لهم ، (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ  
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

ومن توقعاته نقلا عن كتاب الصولى .

وقع الى عامل ظالم « الحق طريق واضح لمن طلبه تهديده محجته ولا تخاف تثرته  
وؤمن في السر مغبته فلا تستقل منه ولا تعدل عنه فقد بالغت في مناصحتك فلا تجوجنى  
الى معاودتك فليس بعد التقدمة اليك إلا سطوة الإنكار عليك » .

ووقع في عناية بإنسان الى بعض العمال « أنا بفلان نأتم العناية وله شديد الرعاية وكنت  
أحب أن يكون ما أرعيتك طرفك من أمره في كتابي مستودعا سمعك من خطابي فلا تعدل  
بعنايتك الى غيره ولا تمنحن بعقدك سواء حتى تنيله إرادته وتجاوز به أميته إن شاء الله » .  
وفي كتاب ابن طيفور من توقعات أحمد بن يوسف الشىء الكثير فارجع اليه  
إن شئت .



(و) رسائل سهل بن هارون<sup>(١)</sup>

من كلامه :

حكى الجاحظ قال : — لقي رجل سهل بن هارون فقال : هب لي ما لا ضرر به عليك ؛ فقال : وما هو يا أخي ؛ قال : درهم ؛ قال : لقد هوت الدرهم وهو طائع الله في أرضه

(١) هو من أبناء الفرس وكان من رجالات البلاغة والعلم والحكمة في دولتي الرشيد والمأمون ، وقد وضع كتابا حاكى به كتاب خليفة ودية وسماه « نعمة وغفرة » . وكان قيم بيت الحكمة ( مدير دار الكتب ) في عهد المأمون . ولد سهل بن هارون في مدينة ميسان بين واسط والبصرة ، وفي رواية في دسديسان كورة بين الأهواز وواسط والبصرة ، في أواخر النصف الأول من القرن الثاني تقديرا ، ولا يعرف من نسبه إلا أنه سهل بن هرون بن راهبون ( راهبون ) وكنيته أبو عمرو ، فارسي الجنس ، أهوازي أو خوزي المولد ، عراقي المنشأ ، تحول إلى البصرة في سن لم تعرف ، وكانت البصرة إذ ذاك مدينة العلم في الدولة الإسلامية ، بل مدينة العلم في العالم كله ، أو كما قيل فيها « قبة الإسلام ، ونخانة العرب » حوت من العلم الانساني أصوله وفروعه ، ومن القاميين على تنمية العلم وخفوله ، فغذى روحه بلبان مجالسها ومجامعها ، واستنار عقله بما اقتبسه من نور معارفها فتخرج بعلمائها ، ولأمر من أهم كانوا طبقة عالية جدا ، في كل مطلب من مطالب الآداب . وقيل : أن سهل بن هارون كان شيعيا ، وشيعة العراق في زمنه كانوا على الإطلاق معتزلة ، ولم يؤثر عنه أنه تنقص أحدا من الصحابة الكرام ، بل عرف بالاعتدال مع الأموات ، إعتداله مع الأحياء ، وما أثر عنه أنه خاض غمار باحث الكلام التي كانت على أشد حرارتها إذ ذاك ولا سيما في البصرة ودار السلام بغداد ، وأتهموه بأنه كان مع الشعوبيين الذين يصغرون شأن العرب ، ولا يرون لهم على العجم فضلا ، وإذا صححت هذه التهمة فمن الصعب التوفيق بين مذهب من يقول بالشعبية ومن يقول بالتشيع ، على المعنى الذي فسر به بعد قرون .

وصفه الجاحظ فقال : « كان سهل سهلا في نفسه ، عشيق الوجه ، حسن الشارة ، بعيدا من الغدامة ( العي ) معتدلا الفامة ، مقبول الصورة ، يقص له بالحكمة ، قبل الخبرة ، وبرقة الذهن ، قبل المخاطبة ، وبدقة المذهب ، قبل الامتحان ، وبالنبل ، قبل الكشف ( الظهور ) » . وكان الجاحظ مازجه وثافته . وقيل للحراني ولعله ابراهيم بن ذكوان كاتب الهادي ووزير : يترك وبين سهل بن هارون صداقة فأنته لنا كي نعرف ، فقال : « هو كالخير ، وازن العلم ، واسع الحلم ، إن حدث لم يكذب ، وإن مزح لم يفض ، كالغيث أين وقع ، نفع ، وكالشمس حيث أوت ، أحييت ، وكالأرض ما حلتها حبات ، وكالماء طهور للتمسه ، ونافع لغله من أحر إليه ، وكالهواء الذي تقطف منه الحياة بالنسيم ؛ وكالنار التي يعيش بها المرقور ، وكالماء التي قد حسنت بأصناف النور » . ٥٠١ . صورتان جميلتان في وصف سهل صورهما مصوران مبدعان عاشا بقر به ، وفتنهما بخلفه وخلقه .

وأنهموا سهل بن هارون بالبخل وأوردوا له قصصا ونوادير ، وربما كان اتهامه بالبخل مبالغ فيه تراد به التكنة والنادرة ٥٠١ . من محاضرة للاستاذ الباحث السيد محمد كرد علي ألقاها بالجمع العلمي العربي بدمشق ونشرها بجملي الجمع والمتنطف .

لا يعصى ، وهو عُشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف دية المسلم ، ألا ترى الى أين انتهى الدرهم الذى هو نونته ، وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم ! فانصرف الرجل ، ولولا أنصرافه لم يسكت .

وحكى دَعْبِل الخزاعى الشاعر قال : أقفنا يوما عند سهل بن هارون ، وأطلنا الحديث حتى أضرب به الجوع ، فدعا بغذائه فَأَتَى بِصَحْفَةٍ فيها مَرَقٌ تحته ديك هَرَمٌ ، فأخذ كسرةً وتنفق ما فى الصحفة فلم يجد رأس الديك فبقى مطرقا ، ثم قال للغلام : أين الرأس ؟ قال : رميت به ، قال : ولم ؟ قال : لم أظنك تأكله ، قال : ولم ظننت ذلك ! فوالله إني لأمقت من يرمى برجله فكيف برأسه ! ولو لم أكره ما صنعت إلا للطيرة والفأل لكريهته ، أما علمت أن الرأس رئيس يُتَفَاءَل به ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه فرقه الذى يُتَبَرَّك به ، وعينه التى يضرب بصفتها المثل فيقال : شراب كعين الديك ، ودماغه عجب لوجع الكلىة ، ولم أر عظما قط أهش تحت الأسنان منه ، وإن كان بلغ من نُبلِك أنك لا تأكله ، فعندنا من يأكله ، أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق ! أنظر أين رميته ، فقال : والله ما أدري ، قال : أنا والله أدري ! إنك رميت به ، والله فى بطنك ، فوالله حسيبك .

ومن مؤلفاته كتابُ البخلاء .

ولما صنف سهل كتابه فى البخل أهداه الى الحسن بن سهل وأستماحه ، فكتب إليه الحسن : قد مدحت ما ذمه الله ، وحسنت ما قبحه الله ، وما يقوم بفساد معنك صلاح لفظك ، قد جعنا ثواب مدحك فيه قبول قولك ، فما نعطيك شيئا .

وأنهم سهل بن هارون بالبخل وأورد له فى ذلك قصص ونوادير وعده الجاحظ من "مُتَعَالَى البخلَاءِ وَأَشْيَاءَ الْعُلَمَاءِ" قال : ما علمت أن أحدا جرّد فى البخل كتابا إلا سهل بن هارون ، وأبا عبد الرحمن الثورى ، والبخل فى الترس غالب فى الجملة ، غلبة الكرم على

طبائع العرب ، فاقضى ذلك التفريط الذى رآه سهل فى تبذير العرب ، أن يدلى لقومه بأرائه المفرطة فى الاقتصاد والإمساك . وما سُهِدَ قَطُّ تفريطاً آلاً وإلى جانبه إفراط .  
كتبه وطريقته فى التأليف :

كان سهل بن هارون مُنْقَطِعَ القرنين فى صنوف العلم والآداب ، وناهيك بعالم كبير كالجاحظ كان يؤلف الكتاب الكثير المعانى ، الحسن النظم ، فينسبُه الى نفسه فلا يرى الأسماع تُصْنِى اليه ، ولا القلوب تَتِمُّ نحوه ثم يؤلف كما قال عن نفسه ، ما هو أنقصُ منه مرتبةً وأقلُّ منه فائدةً ، فينحله عبد الله بن المقفع ، أو سهل بن هارون ، فيقبل الناس عليها ، ويسارعون الى نسخها .

ويقال إن طريقة سهل فى كتابته طريقة أمير المؤمنين على بن أبى طالب لا يتكلف لِكلامه ، فلا يُشاهد فيه الناقد أثرَ التعمُّل ، بل لا يكلف بغير إرسال النفس على سيجيتها ، فهو وابن المقفع والجاحظ على غرارٍ واحد .

وقيل إن سهلاً كاتبُ سلاطين ، والجاحظ مؤلفُ دواوين . وكان كلامه نعمةً موسيقيةً تعرفَ انتهاءَ جملته من رتبتها بعهد أن ملكت عليك مشاعرك ، لا يحفلُ بالأصباح إلا إذا جاءت عَفْوُ الخاطر ، شأنُ بُلْغَاءِ الصدرِ الأول . وكان يقول الشعر وأكثُرُ شعره ممَّا أملاه قلبه ، فى غرض من أغراض المجتمع . وعده الجاحظ من الخطباء والشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والفصاحات والكتب الكبار المجلدة ، والسير الحسن المولدة ، والأخبار المدونة . ولقبه مرةً بالكاتب ، ولعل لقب الكاتب فى شرفه أكبر من عالم . وذكره ابن النديم فى البلغاء وقال : إنه شاعرٌ مُفِلٌّ ، وعده فى الشعراء الكتاب . وقال : إنه كان ممن يعمل الاستمرار والخرافات على ألسنة الناس والطير والبهائم هو وعبدُ الله بن المقفع وعلى بن داود كاتب زبيده . وشعره خمسون ورقة . أما الدهشة ففى تأليفه ، فله ديوان رسائله ، وكتاب النمر والعلب ، وكتاب اسباسيوس ( أسانوس ) فى اتخاذ الإخوان ، كتاب أسد بن أسد ، كتاب سحرة العقل ، كتاب تدبير الملك والسياسة ، كتاب الى عيسى بن أبان

في القضاء، كتاب الفرس، كتاب الغزالين، كتاب ندود وودود ولدود، كتاب الرياض، كتاب ثعلة وعفراء، (وفي رواية ثعلة وعفرة) على مثال كتاب كليلة وديمئة، قلده في أبوابه وأمثاله .

وقال المسعودي : يزيد عليه أى على كليلة وديمئة في حسن نظمه وقد صنّفه للمأمون .  
ومن تأليفه : كتاب الهزلية والمخزومي، كتاب الوامق والعدراالى غير ذلك من المصنفات التي لم تُبقي الأيام وبالأأسف على واحد منها فيما علمنا .

دخل سهل على الرشيد وهو يضاحك المأمون؛ فقال : اللهم زده من الخيرات، وأبسط له من البركات، حتى يكون في كل يوم من أيامه مريضاً على أمسه، مقصراً عن غده، فقال الرشيد : يا سهل، من روى من الشعر أحسنه وأرصنه، ومن الحديث أفصحه وأوضحه، إذا رام أن يقول لا يعجزه القول؟ فقال سهل : يا أمير المؤمنين، ما ظننت أن أحداً تقدمني الى هذا المعنى، قال بل أعشى همدان حيث يقول :

رأيتك أميس خير بنى لوى : وأنت اليوم خير منك أميس

وأنت غداً تريد الخير ضعفاً : كذلك تريد سادة عبد شمس

وقد شهد مقتل البرامكة في سنة ١٨٧ هـ وحدث فيما كان عليه يحيى وجعفر من البلاغة فقال : إن تجاعى الخطب، ومجبرى القريض عيال على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى، ولو كان كلام يتصور دراً، ويحمله المنطق السرى جوهراً، لكان كلامهما، والمنطق من لفظهما، ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد في بديته وتوقعاته في كتبه، فقدمين عيين، وجاهلين آميين، ولقد عمرت معهم، وأدركت طبقة المتكلمين في أيامهم، وهم يرون أن البلاغة لم تُستكمل الا فيهم، ولم تكن مقصورة إلا عليهم، ولا انتقادت الا لهم، وأنهم محض الأنام، ولباب الكرام، وبلغ الأيام، عشق منظر، وجودة مخبر، وجرالة منطق، وسهولة لفظ، ونزاهة نفس، وأكتال خصال، حتى لو فخرت الدنيا بفيل أيامهم، والمأثور

من خصالهم، كثير أيام من سواهم من لدن آدم أيهم الى النفخ في الصور، وأبتعات أهل القبور، حاشا أنبياء الله المكرمين، وأهل وحيه المرسلين، لما باهت إلّا بهم، ولا عوّلت في الفخر إلّا عليهم، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم، وكريم أعراقهم، وسعة آفاقهم، ورفق ميثاقهم، ومعسول مذاقهم، وبهاء إشراقهم، ونقاوة أعراضهم، وتهذيب أغراضهم، وأكتمال خيال الخير فيهم، الى ملء الأرض مثلهم في جنب محاسن المأمون كالنّفثَة (التفلة) في البحر، والحرّدة في المهمة القفر.

قيل : وهذا الكلام على ما فيه من حقيقة في بيان سجايا البرامكة والرشيد والمأمون لم يختتم بالنّصف الحقة، ومال به سهل الى المصاحبة، وخرجه على نحو مبالغة الفرس، في الإطراء والمّلق لولي الأمر.

وروى بعض الرواة أن المأمون كان استقل سهل بن هارون، وقد دخل عليه يوما والناس على مراتبهم، فتكلّم للمأمون بكلام ذهب فيه كلّ مذهب، فلما فرغ من كلامه أقبل سهل بن هارون على الجمع فقال : ما لكم تسمعون ولا تعون، وتُشاهدون ولا تفقهون، وتفهمون ولا تتعجبون، وتُعجبون ولا تُصفون ! والله إنه ليفعل ويفعل في اليوم القصير ما فعل بنو مروان في الدهر الطويل، عربكم كعجمكم، وعجمكم كعبيدكم، ولكن كيف يُعرف بالدواء من لا يشعر بالداء . فرجع المأمون فيه الى الرأي الأول، وعرف أنه الرجل كلّ الرجل، فقزّبه وأدناه على النحو الذي كان عليه في عهد والده.

ومن كلام له في كتابه ثعلة وعفرة :

”اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مُقدّما قبل الذي تجودون به من تفضلكم، فإنّ تقديم النافلة مع الإبطاء في الفريضة شاهد على وهن العقيدة، وتقصير الروية، ومُضّر بالتدبير، وغُلّ بالاختيار، وليس في نفع تمتد به عوض من فساد المروءة، وازوم النقيصة“.

وهذا مأخوذ من قوله في يحيى بن جعفر :

عَدُوُّ تِلَادِ الْمَالِ فِيمَا يَنْسُوهُ \* مَنُوعٌ إِذَا مَا مَنَعَهُ كَانَ أَحْزَمًا  
مُذَلَّلُ نَفْسٍ قَدْ أَبَتْ غَيْرَ أَنْ تَرَى \* مَكَارِهِ مَا تَأْتِي مِنَ الْعَيْشِ مَغْنَمًا  
وكتب الى صديق له أبلّ من ضعف :

” بلغني خبر الفترة في المسمها وأنحسارها ، والشكاة في حلولها وأرتحالها ، فكاد يشغل القلب بأقوله عن السكون لآخره ، ونذهل الحيرة في ابتدائه ، عن المسرة في انتهائه ، وكان تغري في الحالين بقدرهما آرتياغاً للأولى ، وأرتياحاً للآخرى “ .

\* \*

وكتب في البخل :

بسم الله الرحمن الرحيم

أصالح الله أمركم وجمع شملكم وعلمكم الخير وجعلكم من أهله . قال الأحنف بن قيس :  
يا معشر بني تميم ، لا تسرعوا الى الفتنة فإن أسرع الناس الى القتال أقلهم حياء من الفرار .  
وقد كانوا يقولون : اذا أردت أن ترى العيوب جمّة فتأمل عيًّا فإنه إنما يعيب الناس  
بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب العيب أن يعيب ما ليس بعيب . وقبيح أن تنهى  
مرشداً وأن تغري بمشفيق . وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم ، وإصلاح فاسدكم ،  
وابقاء النعمة عليكم . وما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم . وقد تعلمون  
أنا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لكم ، ولأنفسنا قبلكم ، وشهرنا به في الاتفاق دونكم ؛ ثم نقول  
في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : ( وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَأَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ  
إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ) ، فما كان أحقنا  
منكم في حُرْمَتِنَا بكم أن نزعوا حق قصصنا بذلك اليكم على ما رعيناه من واجب حقكم ؛  
فلا العذر المبسوط بلغتم ولا بواجب الحرمة فقمتم . ولو كان ذكر العيوب يراد به نحر لرأينا  
في أنفسنا من ذلك شغلا .

عَبْتُمُونِي بِقَوْلِي لِحَادِي : أَجِيدِي الْعَجِينَ فَهُوَ أَطْيَبُ لَطْعَمِهِ وَأَزِيدُ فِي رَيْعِهِ <sup>(١)</sup> . وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَمْلِكُوا الْعَجِينَ فَإِنَّهُ أَحَدُ الرَّيَعِينَ <sup>(٢)</sup> .

وَعَبْتُمُونِي حِينَ خَتَمْتُ عَلَى مَا فِيهِ شَيْءٌ ثَمِينٌ مِنْ فَاكِهَةٍ رَطْبَةٍ نَقِيَّةٍ وَمِنْ رَطْبَةِ غَرِيبَةٍ عَلَى عَبْدِ نَيْسَمٍ وَصَبِيٍّ جَشِيعٍ وَأُمَةٍ لَكُفَاءٍ وَزَوْجَةٍ مُضِيعَةٍ <sup>(٣)</sup> .

وَعَبْتُمُونِي بِالنَّخْمِ وَقَدْ خَتَمَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ عَلَى مِزْوَدِ سَوِيْقٍ <sup>(٤)</sup> وَعَلَى كَيْسٍ فَارِغٍ . وَقَالَ : طَيِّبَةُ خَيْرٌ مِنْ طَيِّبَةٍ ، فَأَمْسَكْتُمْ عَنْ خَتْمٍ عَلَى لَأْشَيْءٍ وَعَبْتُمْ مِنْ خَتَمٍ عَلَى شَيْءٍ .

وَعَبْتُمُونِي أَنْ قُلْتُ لِلْغُلَامِ : إِذَا زِدْتَ فِي الْمَرْقِ فَزِدْ فِي الْإِنْضَاجِ لِيَجْتَمَعَ مَعَ التَّادِيمِ بِاللَّحْمِ طَيِّبُ الْمَرْقِ .

وَعَبْتُمُونِي بِخَصْفِ النَّعْلِ <sup>(٥)</sup> وَبِتَصْدِيرِ الْقَمِيصِ <sup>(٦)</sup> وَحِينَ زَعَمْتُ أَنَّ الْمُخْصُوفَةَ مِنَ النَّعْلِ أَبْقَى وَأَقْوَى وَأَشْبَهَ بِالشَّدِّ وَأَنَّ التَّرْقِيعَ مِنَ الْحَزْمِ وَالتَّفْرِيطَ مِنَ التَّضْيِيعِ . وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ وَيَقُولُ : لَوْ أَهْدَى إِلَى ذِرَاعٍ لَقَبِلْتُ ، وَلَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ . وَقَالَتِ الْحَكَمَاءُ : لَا جَدِيدَ لِمَنْ لَمْ يَلْبَسِ الْخَلْقَ . وَبَعَثَ زِيَادُ رَجُلًا يَرْتَادُ لَهُ مُحَدَّثًا وَأَشْرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا فَأَتَاهُ بِهِ مُوَافِقًا فَقَالَ لَهُ : أَكُنْتَ بِهِ ذَا مَعْرِفَةٍ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُهُ فِي يَوْمٍ فَأَنْظُ يَلْبَسُ خَلْقًا وَيَلْبَسُ النَّاسُ جَدِيدًا ، فَتَفَرَّسْتُ فِيهِ الْعَقْلَ وَالْأَدَبَ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْخَلْقَ فِي مَوْضِعِهِ مِثْلُ الْجَدِيدِ فِي مَوْضِعِهِ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا وَسَمَّا بِهِ مَوْضِعًا كَمَا جَعَلَ لِكُلِّ زَمَانٍ رَجُلًا وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا . وَقَدْ أَحْيَا اللَّهُ بِالسَّمِّ وَأَمَاتَ بِالْدَوَاءِ وَأَغَصَّ بِالْمَاءِ . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْإِصْلَاحَ أَحَدُ الْكَاسِيينَ كَمَا زَعَمُوا أَنَّ قِلَّةَ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينِ . وَقَدْ جَبَرَ الْأَحْنُفُ بْنُ قَيْسٍ يَدَ عَزْرٍ وَأَمَرَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ

(١) الرِّيعُ : الْغَنَاءُ وَالزِّيَادَةُ . (٢) إِمْلَاكُ الْعَجِينَ : إِتْعَامُ عَجْنَتِهِ . (٣) الْكُفَاءُ : الْحَقَاءُ .

(٤) الْمِزْوَدُ : وَهَاءُ الزَّادِ . وَالسَّوِيْقُ : طَعَامٌ يَنْخُلُ مِنَ الْخُطَلَةِ أَوِ الشَّعِيرِ . (٥) خَصَفَ النَّعْلَ : خَرَزَهَا .

(٦) تَصْدِيرُ الْقَمِيصِ : أَنْ يَجْعَلَ لَصَدْرِهِ بَطَانَةً .

يَفْرُكُ النَّعْلَ . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكل يَبِضَةً فقد أكل دَجَاجَةً .  
ولبس سالم بن عبد الله جِلْدَ أُصْحِيَةٍ . وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهْدِي اليك  
دجاجة . فقال : إن كان لابد فاجعلها يَبُوضًا .

وعبتمونى حين قلت : من لم يعرف مواضع السَّرَفِ في الموجود الرخيص لم يعرف  
مواضع الاقتصاد في المُنْتَعِ الغالى . ولقد أُثِبتُ بماء للوضوء على مبلغ الكِفَايَةِ وأشدَّ من  
الكِفَايَةِ ، فلما صرت الى تفريق أجزائه على الأعضاء والى التَّوْفِيرِ عليها من وَضِيعَةِ الْمَاءِ<sup>(١)</sup>  
وجدتُ في الأعضاء فَضْلاً عن الماء ، فعلمتُ أن لو كنتُ سَلَكْتُ الاقتصادَ في أوائله  
لخرج آخره على كِفَايَةِ أَوَّلِهِ ولكن نصيبُ الأول كنصيب الآخر ، فعبتمونى بذلك وشنَّتم  
على ، وقد قال الحسن وذَكَرَ السَّرَفَ : أما إنه ليَكُونُ في الماء والكَلا فلم يَرْضَ بذكر  
الماء حتى أَرَدَفَهُ الْكَلا .

وعبتمونى أن قلت : لا يَغْتَرَّ أَحَدُكُمْ بطول عمره وتَقْوِيسِ ظَهْرِهِ وَرِقَّةَ عَظْمِهِ وَوَهْنِ  
قُوَّتِهِ وأن يرى نحوه أكثر ذُرِّيَّتِهِ ، فيدعوه ذلك الى إخراج ماله من يده وتحويله الى مِلْكٍ  
غيره والى تحكيم السَّرَفِ فيه وتسليط الشهوات عليه ، فاعله يكون مُعَمِّراً وهو لا يدري ،  
وممدوداً له في السِّنِّ وهو لا يشعر ، ولعله أن يُرْزَقَ الولد على اليأس ويحدث عليه من آفات  
الدهر ما لا يَحْطُرُ على بال ولا يُدْرِكُه عقل ، فيستردّه من لا يردّه ويُظهِرُ الشكوى الى من  
لا يرحمه أَصْعَبَ ما كان عليه الطَّلب وأقبح ما كان به أن يَطْلُبَ ، فعبتمونى بذلك ؛  
وقد قال عمرو بن العاص : ” إِعْمَلْ لدنياك كأنك تعيش أبداً ، وأَعْمَلْ لآخرتك كأنك  
تموت غداً “ .

وعبتمونى بأن قلت : بأن السَّرَفَ والتبذير الى مال المواريث وأموال المملوك وأن  
الاحتفاظ لئال المكتسب والغنى المحتلب والى من لا يُعْرِضُ فيه بذهاب الدين وأهتضام  
العرض ونَصَبِ البدن واهتمام القلبِ أسرع ومن لم يحسبُ نفقته لم يحسب دَخْلَهُ

(١) الوضعية هنا : النقص .



ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الأصل . ومن لم يعرف للغنى قدره فقد أودن بالفقر وطاب نفساً بالذل .

وعبتموني بأن قلت : إن كسب الحلال يضمن الإنفاق في الحلال . وإن الخبيث يترع الى الخبيث ، وإن الطيب يدعو الى الطيب ، وإن الإنفاق في الهوى حجاب دون الهدى ؛ فعبتم على هذا القول ، وقد قال معاوية : لم أرتبذيرا قط إلا والى جنبه حق مضيع . وقد قال الحسن : إن أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا فيماذا يُنفقه فإن الخبيث إنما يُنفق في السرف . وقلت لكم بالشفقة عليكم وحسن النظر منى لكم وأتم في دار الآفات ، والجوائح غير ماء ونات : فإن أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع إلا الى نفسه . فاحذروا التقم باختلاف الأمكنة فإن البلية لا تجرى في الجميع إلا بموت الجميع .

وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في العبد والأمة والشاة والبعير : فَرَّقُوا بَيْنَ الْمَنَائِيا . وقال ابن سيرين لبعض البحريين : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قالوا : نُفَرِّقُهَا فِي الشُّفْنِ فَإِنْ عَطِبَ بَعْضُ سَلَمَ بَعْضٌ . ولولا أن السلامة أكثر ما حملنا أموالنا في البحر . قال ابن سيرين : ” نَحْسَبُهَا خَرْقَاءَ وَهِيَ صَنَاعٌ ”<sup>(١)</sup> .

وعبتموني بأن قلت لكم عند إشفاق عليكم : إن للغنى لسكراً وللسال لزوة<sup>(٢)</sup> فن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المسال بخوف الفقر فقد أهمله .

فعبتموني بذلك وقد قال زيد بن جبلة : ليس أحد أقصر عقلاً من غنى ابن الفقر ، وسكر الغنى أكثر من سكر الخمر . وقد قال الشاعر في يحيى بن خالد بن برمك :  
وَهُوبُ تِلَادِ الْمَالِ فِيمَا يَنْوِبُهُ \* مَنُوعٌ إِذَا مَا مَنَعَهُ كَانَ أَحْرَمًا

وعبتموني حين زعمتم أنى أقدم المسال على العلم ، لأن المال به يُقَادَ العلمُ وبه تقوم النفس قبل أن تعرف فضل العلم ، فهو أصل والأصل أحق بالفضيل من الفرع ، فقلتم :

(١) هذا مثل يضرب لمن تفلن به الغفلة وهو فطن يقظ . (٢) الزوة : الثرة أو الوثبة .

كيف هذا؟ وقد قيل لرئيس الحكماء: الأغنياء أفضل أم العلماء؟ قال: العلماء. قيل له: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء؟ قال: ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال وجهل الأغنياء بحق العلم. فقلت: حالهما هي القاضية بينهما. وكيف يستوى شيء حاجة العامة اليه وشيء يغنى فيه بعضهم عن بعض.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء بالتخاذل والغنم والفقراء بالتخاذل الدجاج. وقال أبو بكر رضى الله عنه: إني لأبغض أهل بيت يُنفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد. وكان أبو الأسود الدؤلى يقول لولده: إذا بسط الله لك الرزق فابسط وإذا قبض فاقبض.

وعبتمونى حين قلت: فضل الغنى على القوت إنما هو كفضل الالة تكون في البيت إذا احتيج إليها استعملت وإن استغني عنها كانت عُدَّة. وقد قال الحصين بن المنذر: ودِدْتُ أن لى مثل أحد ذهباً لا أتنفع منه بشيء. قيل له: فما كنت تصنع به؟ قال: لكثرة من كان يمدمنى عايه لأن المال مخدوم. وقد قال بعض الحكماء: عليك بطلب الغنى فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك ودل في قلب عدوك لكان الحظ فيه جسيماً والنفع فيه عظيماً.

ولسنا ندع سيرة الأنبياء ونعلم الخلفاء وتأديب الحكماء لأصحاب اللهو؛ ولستم على تردد ولا رأي تفتنون، فقدّموا النظر قبل العزم وأدركوا ما لكم قبل أن تُدركوا ما لكم والسلام عليكم.

وسهل هو القائل:

نفسى همّان قد كسفاً بالى      وقد تركا نأبى حملةً يبال  
هما أدرياً دمسى ولم تدبر عبرى      رهينة خذ ذات سبط ومنظال  
ولا قهوة لم يبق منها سوى الذى      بل أن شاكى النور فى دأس ذبال

تخلل منها جرمها وتماسكت \* لها نفس معدوم على الزمن الخالي  
ولكنما أبكى بعين سنيّة \* على حدّ تبكي له عين أمالي  
فراق خليل لا يقوم به الأسى \* وخلة حرّ لا يقوم بها مالى  
فواحسرتى حتى متى القلب موجد \* لنفر خليل أو تعدّر إفضال  
وما الفضل إلا أن تجود بنائل \* وإلا لقاء الخلل ذى الخلق العالى

وهو القائل :

إذا أمر وضاقت عني لم يضق خلقي \* من أن يراني غنيا عنه باليأس  
لا أطلب المال كي أغنى بفضله \* ما كان مطلبه فقرا من الناس

( ز ) عمرو بن مسعدة<sup>(١)</sup>

كان كاتباً بليغاً، جَزَلَ العبارة وجيَّزَهَا، سَدِيدَ المقاصد، فَضْلُهُ شائعٌ، وَنُبْلُهُ ذائعٌ، أشهرُ من أن يُنْبَهَ عليه، أو يُدَلَّ بالوصف إليه، قد ولىَ للمأمون الأعمالَ الحليَّةَ، وألحقَ بذي المراتبِ النبيلةِ، وسمَّاه بعضُ الشعراءَ وزيراً لعِظَمِ منزلته لا لأنه كان وزيراً، وهو قوله:

لقد أسعدَ اللهُ الوزيرَ بنَ مسعدة \* وبثَّ له في الناسِ شُكْرَهُ ومُجْمَدَهُ

(١) هو عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول بن صول (بضم الصاد) كان رجلاً تركياً وكان ملك وأخوه فيروز على جرجان ومحجسا بعد التركية وقشها بالفرس .

بدأ عمرو بن مسعدة في خدمة الدولة عاملاً من العمال فظهرت كفايته وبلاغته، وبالبلغة توصل إلى الخليفة فعَدَّ أحد أفراد فلائل في رجاله، قال أحمد بن يوسف الكاتب : دخلت يوماً على المأمون ويده كتاب يعاود قراءته تارة بعد أخرى، ويصعد فيه ويصوب، فلما مررت على ذلك مدَّة من زمانه التفت إلى وقال : يا أحمد أراك مفكراً فلما تراه مني، قلت : نعم، فقال : ان في هذا الكتاب كلاماً نظير ما سمعت الرشيد يقول في البلاغة، زعم أن البلاغة إنما هي التباعد عن الاطالة، والتقرب من معنى البغية، والدلالة بالقليل من اللفظ، على الكثير من المعنى، وما كنت أتوهم أن أحداً يقدر على ذلك . وقال : هذا كتاب عمرو بن مسعدة الينا، ففككته فإذا فيه : « كتابي إلى أمير المؤمنين، ومن قبلي من قواده، ورؤساء أجناده، في الانقياد والطاعة، على أحسن ما تكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم، وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم، فاخملت لذلك أحوالهم، والثالث معه أمورهم » . فلما قرأته قال : ان استحساني اياك بمعنى أن أمرت لبند قبله بأعطياتهم لسبعة أشهر، وأنا على جوازاة الكاتب بما يستحقه من حل محله في صناعته . وفي رواية أن المأمون أمر لعمرو بن مسعدة برزق مائة أشهر وأنه قال لأحمد بن يوسف : لله در عمرو ما أبلغه ! ألا ترى إلى إدماجه المسألة في الأخبار، وإعناؤه سلطانه من الآثار .

وكان عمرو بن مسعدة وكنيته أبو الفضل أبيض أحر الوجه، وكان المأمون يسديه الرومي لبياض وجهه وكان يخضب وتوفي بأذنة سنة سبع عشرة ومائتين . ولم نعشرف منشأه ومولده وأساتيذه وغاية ما عرفناه أنه كان أحد إخوة أربعة أحسن أبوهم — وكان كاتباً أيضاً — تربيتهم كل الإحسان حتى جاءت من أحدهم هذه البلاغة النادرة التي كان من أثرها أن أصبح عشير المأمون، وكان هو وأبو عباد ثابت بن يحيى يكتبان بين يديه ويخسوان معه ويمازحانه . ولكي يصل الرجل إلى هذا المقام مع مثل هذا الخليفة العظيم في كل شؤونيه يجب أن يتخطى على صفات عالية يعز مثلها في الأقران والأثراب .

قال عمرو بن مسعدة : كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البيمكي فرجع إليه غليماً ورفقة يسزرونه في روايتهم فرمى بها إلى وقال : أجب عنها فكنتيت : « قليل دائم خبر من كثير منقطع » فنزرب بيده على ظهره وقال : —

فهو كما كتب الحسن بن سهل الى محمد بن سماعة القاضي وقد احتاج الى رجل<sup>(١)</sup> يولي بعض الأعمال فقال : إنه يريد رجلاً جامعاً لخصال الخير ، ذا عفة ونزاهة طعمة ، قد هدبته الآداب ، وأحكته التجارب ، ليس بظنين في رأيه ، ولا ببطعون في حسبه إن أؤتمن على الأسرار قام بها ، وإن قُلد مُهماً من الأمور أجزأ فيه ، له سنٌّ مع أدب ولسان ، تُعقده الرزانة ، ويسكته الحلم ، قد فُرع عن ذكاء وفطنة ، وعُض على قارحة من الكمال ، تكفيه اللحظة ، وترشده السكينة ، قد أبصر خدمة الملوك وأحكماها ، وقام في أمور فُمد فيها ، له أناة الوزراء ، وصولة الأمراء ، وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، وجواب الحكماء ، لا يبيع نصيب يومه بجرمان غده ، يكاد يسترّق قلوب الرجال بحلاوة لسانه ، وحُسن بيانه ، دلائل الفضل عليه لأشعة ، وأمارات العلم له شاهدة ، مُضطّلعاً بما أستمض ، مستقلاً بما حمل .

= أى وزير في جلدك . وقد شهد لعمر بن مسعدة بالبلاغة أعيان البيان في عصره ومنهم الفضل بن سهل فقال فيه : إنه أبلغ الناس ، ومن بلاغته أن كل أحد اذا سمع كلامه ظن أنه يكتب مثله فاذا رآه بعد عليه . وهذا كما قيل لأحد البغاة : ما حد البلاغة ؟ فقال : التي اذا سمعها الجاهل ظن أنه يقدر على مثلها ، فاذا رآها استصعبت عليه . ولم يؤثر عن عمرو أنه ألف في موضوع خاص وأفرد مسألة في التأليف ، وعده ابن النديم في الشعراء الكتاب ولم يذكر إلا أن له ولأخيه مجاشع خمسين ورقة من الشعر وهى من الضائع أيضاً . والغالب أن مهام الدولة لم تترك له وقتاً يصرفه في درس خاص ، أو وضع كتاب أو رسالة : وما تلقظه العلماء والأدباء من كلامه ، فهو مما صدر عنه بالمناسبات ، ورواه له المعجبون به ، وما أعظم المفقود منه . والمطلون أن لو كانت جمعت له رسائله على إيجازها لكان منها ديوان كبير ، لأن من صرف أعواماً طويلة وهو قابض على يراعه يعالج بها الموضوعات السياسية والادارية في ذاك المجتمع العظيم لا شك أنه تجتمع له صفحات كثيرة مهما كان مقلاً معروفاً بالإيجاز . ١٠٥ من محاضرة الاستاذ الباحث محمد كرد على نشرها بمجلة المجمع العلمى العربى . وفى عمرو بن مسعدة قال محمد البديق وقد اعتل :

قالوا أبو الفضل معتل فقلت لهم \* نفسى الفداء له من كل محذور

يا ليت عنته بي غير أن له \* أجر العليل وإنى غير مأجور

وتجد ترجمته في معجم الأدباء لباقوت (ج ٦ ص ٨٨) وابن خلكان (ج ١ ص ٥٥٥) والوفاء بالوفيات

لصفدى (ج ٥ ص ٥٠٢ قسم ثالث من الأصل الفتوغرافى المحفوظ بدار الكتب المصرية) .

(١) فى الأساس : ومن الحجاز فلان طيب الطعمة وخيىث الطعمة (بالكسر) وهى الجهة التى منها يرتقى (بوزن الحرفة) . (٢) أجزأنى كذا : كفى . (٣) فرع ذكاء ، وفطنة ، أى جرب واختبر فيها . (٤) وعُض على قارحة ، كناية عن بلوغه درجة الكمال .

ومن كلام عمرو بن مسعدة :

أعظم الناس أجراً ، وأنهم ذكراً ، مَنْ لم يَرْضَ بموت العدل في دولته ، وظهور الحق في سلطانه ، وإيصال المنافع الى رعيته في حياته ، وأسعدُ الرعاة مَنْ دامت سعادته الحق في أيامه ، وبعد وفاته وانقراضه .

وقال : الخطُّ صورُ الكُتُبِ تُردُّ اليها أرواحُها .

وقال : الخطُّ صورةٌ ضئيلةٌ لها معانٍ جليةٌ ، وربما ضاق عن العيون ، وقد ملأ أخطار الفنون .

وقال : لا تستصحب مَنْ يكون استمتاعه بمالك وجاهك ، أكثر من إمتاعه لك بشكر لسانه وفوائد علمه ، ومن كانت غايته الاحتيال على مالك وإطراءك في وجهك ، فإن هذا لا يكون إلا ردىء الغيب ، سريعاً الى الذم .

وكتب الى الحسن بن سهل :

أما بعد ، فإنك ممن اذا غرس سقى ، واذا أسس بنى ، ليستتم تشييد أسسه ، ويحتجى مآر غرسه ، وشأؤك عندي قد شارف الدروس ، وغرسك مُشِف على اليوس ، فتدارك بناء ما أسست ، وسقى ما غرست إن شاء الله .

وكتب الى بعض أصحابه فى شخص يعز عليه :

أما بعد ، فوصل كتابي اليك سالم والسلام . أراد قول الشاعر :

يُديروننى عن سالم وأديرهم . وجلدة بين العين والأنف سالم

أى يحل منى هذا المحل .

وكتب الى المأمون فى رجل من بنى ضبة يستشفع له بالزيادة فى منزلته وجعل كتابه

تعمريضا :

أما بعد ، فقد استشفع بى فلان يا أمير المؤمنين لتطوّل على ، فى إلحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يرتقون به ، وأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعاني فى مراتب المستشفعين ، وفى ابتدائه بذلك تعذى طاعته والسلام .

فكتب اليه المأمون : "قد عرفنا توطئتك له ، وتعريضك لنفسك ، وأجبتك اليهما ، ووافقناك عليهما" . وقوله : "إن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفين ، وفي ابتدائه بذلك تعدى طاعته" : من الكلام السري الذي يدل على مبلغ أدب عمرو وبُعد غوره في السياسة ووقوفه على رُوح عصره ونفسية الخلفاء .

قدّم رجل من أبناء دهاقين قريش ، على المأمون لِعِدَّة سلفت منه ، فطال على الرجل انتظارُ خروج أمر المأمون ، فقال لعمرو بن مسعدة : "توصل مني رُقعةً الى أمير المؤمنين تكون أنت الذي تكتبها تكن لك على نعمتان . فكتب : "إن رأى أمير المؤمنين أن يَفُكَّ أسرَ عبده من رِبقة المَطل بقضاء حاجته ، أو يَأْذَنَ له بالانصراف الى بلده فعل إن شاء الله" .

فلما قرأ المأمون الرُقعة دعا عمراً فجعل يَعْجَب من حسن لفظها ، وإيجازِ المراد . فقال عمرو : فما نتيجتها يا أمير المؤمنين ؟ قال : الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه ، لئلا يتأخّر فضلُ استحساننا كلامه ، وبجائزة مائة ألف درهم ، صِلَةً عن دناءة المَطل . وسمّاجية الإغفال .

وهذا مما يدل على سعة عقل المأمون ولوعه بالبلاغة وقدره أهلها حقّ قدرهم ، دع ما هنالك من نفيس ما أحببت إلا الجود والعطاء .

ومن حُكم عمرو بن مسعدة :

العبودية عبودية الإخاء . لا عبودية الرّق . الودّ أعطف من الرّحم . إن الكريم ليرعى من المعرفة ما رعى الوصل من القرابة . عليكم بالإخوان فإنهم زينة في الرخاء ، وعُدّة للبلاء . نل الإخوان مثل النار ، فليها متاع ، وكثيرها بوار . النفس بالصدق ، آنس منها بالعشيق ، وغزل المودة ، أرق من غزل الصباية . من حقوق المودة ، عفو الإخوان ، والإغضاء عن نقصير إن كان . ذكر رجل رجلاً فقال : حسبك أنه خالق كما تشتهي إخوانه . المودة قرابة

(١) الدمايين : الزعماء أرباب الأملاك بالسواد ، وأحدهم دهقان (بكر الدال معرّب) .

مستفادة . ما تواصل اثنان فدام تواصلهما ، الا لفضلهما أو فضل أحدهما . أسرع الأشياء انقطاعا مودة الأشرار . المحروم من حُرِّم صالحى الإخوان . لقاء الخليل شفاء الغليل . قلة الزيارة ، أمان من الملالة . إخوان السوء كشجر النار يحرق بعضه بعضا . علامة الصديق اذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب ، ولا يبتدىء بالكتاب . لا يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له . من لم يقدم الامتحان قبل الثقة ، والثقة قبل الأُس ، أثمرت مودته دما . اذا قدمت الحُرمة ، تشبهت بالقرابة . العتاب حياة المودة . ظاهر العتاب خير من باطن الحقد . ما أكثر من يُعاتب لطلب علة ، ويتقى الود ما بقى العتاب . كُفون الحقد فى القواد ككُفون النار فى الزناد . القريب بعيد بعداوته ، والبعيد قريب بمودته . لا تأمن عدوك وإن كان مقهورا ، واحذر وإن كان مفقودا ، فإن حدَّ السيف فيه وإن كان مغموذا لا تتعرض لعدوك فى دولته ، فإنها اذا زالت كفتك مؤونته . نصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأليب .

روى البيهقي قال : أخبرنا بعض أصحابنا قال : شهدت المأمون يوما وقد خرج من باب البستان ببغداد فصاح به رجل بصري : يا أمير المؤمنين إني تزوجت بأمرأة من آل زياد وإن أبا الرازي فزق بيننا وقال : هى امرأة من قريش ؟ قال : فأمر عمرو بن مسعدة فكتب الى أبى الرازي :

إنه قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من الزيادة وخلعك إياها إذ كانت من قريش . ففى تحاكت اليك العرب ؟ لا أم لك فى أنسابها ، ومتى وكلتسك قريش يابن الخناء بأن تلصق بها من ليس منها ؟ نخل بين الرجل وامرأته ، فلئن كان زياد من قريش ، إنه لأبن سمية بغي عاهرة ، لا يُفتخر ، بقرابتها ولا يتناول بولادتها . ولئن كان ابن عبيد ، لقد باء بأمر عظيم ، إذ ادعى الى غير أبيه ، لحظ تعجله ، وملك قهره .

وأمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب لرجل به عناية الى بعض العيال فى قضاء حقه ، وأن ينصرك كتابه ما أمكنه ، حتى يكون ما يكتب به فى سطر واحد ، لا زيادة عليه . فكتب عمرو :



كُتِبَ اليك كِتَابٌ واثقٌ بمن كُتِبَتْ اليه ، مَعْنَى بمن كُتِبَ له ، ولن يَضِيعَ بين الثَّقَةِ والعناية حاملُهُ .

وكتب الى بعض الرؤساء ، وقد تزوجتُ أمه فسأه ذلك ، فلما قرأها ذلك الرئيس تسَلَّى بها ، وذهب عنه ما كان يَحْجده . وقيل : إن هذه الرسالة من إنشاء ابن العَمِيد وهى : الحمد لله الذى كَشَفَ عنا سِتْرَ الحَيَرَةِ ، وهدانا لِسِتْرِ العَوْرَةِ . وَجَدَعَ بما شَرَعَ من الحلالِ أَنْفَ الغَيَرَةِ ، وَمَنَعَ مَنَ عَضَلَ الأَمْهَاتِ ، كما مَنَعَ من وادِ البناتِ ، استنزالا للنفوس الأَبْيَةِ ، عن الحِمِيَةِ حِمِيَةِ الجاهليَّةِ ، ثم عَرَضَ لجزيل الأجر ، مَن استسلم لواقع قضائِهِ ، وعَوَّضَ جليلَ الذخرِ مَن صَبَرَ على نازلِ بلائِهِ ، وهَنَّاكَ الذى شرحَ للتَّقْوَى صَدْرَكَ ، ووسَّعَ فى البَلَوَى صَبْرَكَ ، وأَهْمَكَ من التسليمِ لمشيئَتِهِ ، والرِّضَا بقضيتِهِ ، ما وفَّقَكَ له من قضاءِ الواجبِ فى أحدِ أبْوَيْكَ ، وَمَن عَظَّمَ حَقَّهُ عَلَيْكَ ، وجعل الله تعالى جَدَّهُ ما تَجَرَّعَتْهُ من أَنْفٍ ، وكَظَمَتْهُ من أَنْفٍ ، معدودا فيما يُعَظَّمُ به أجرك ، ويجزلُ عليه ذُخْرُكَ ، وقرَنَ بالحاضرِ من امتعاضِكَ بفعلِها ، المُتَنَظَّرِ من ارتماضِكَ بدفْنِها ، فستوفى بها المصيبةُ ، وتَسْتَكِلَ عنها المَثُوبَةُ ، فوصل الله لسيدى ما استشعره من الصَّبْرِ ! يَكْتَسِبُهُ من الصبرِ على نفسِها ، وعَوَّضَهُ من أَسْرَةِ فرسِها ، أَعْوَادَ نعشِها ، وجَهِشَ جَدَّهُ ما يُنْعَمُ به عليه بعِداها من نعمة ، معرَى من قِمة ، وما يولِّيه بعد قبضِها من مِئْخَةٍ ، مُبْرَأً من مِخْنَةٍ ، فأحكامُ الله تعالى جَدَّهُ ، ونَفَسَتْ أَسْماءُؤه ، جاريةً على غير مُرادِ المخلوقين ، لكنه تعالى يختار لعباده المؤمنين ما هو خَيْرٌ لهم فى العاجلة ، وأبقى لهم فى الآجلة ، اختار الله لك فى قبضِها اليه ، وَقْفاً ومها عليه ، ما هو أَنْفَعُ لها ، وأولى بها ، وجعل القبرَ ، كُفْوءاً لها والسلام .

وقال عبد العزيز بن يحيى المكيّ الذى ناظر يَشْرِبَ بنَ غِيَاثِ المِريَّسيّ بحضرة أمير المؤمنين فى مسألة خَلَقَ القرآن :

جاءنى خليفةُ عمرو بن مسعدة ومعه جَمْعٌ من الفرسان والرجالة فحملنى مَكْرَماً على دابَّته حتى صار الى باب أمير المؤمنين فأوقفنى حتى جاء عمرو بن مسعدة فدخل بفلس فى حُجْرَتِهِ

التي كان يجلس فيها ثم أذن لي بالدخول عليه فدخلت فلما صيرت بين يديه أجلسني ثم قال لي : أنت مقيمٌ على ما كنت عليه أو قد رجعت عنه ؟ فقلتُ : بل مقيمٌ على ما كنتُ وقد ازدددتُ بتوفيق الله تعالى إياي بصيرةً في أمري ؛ فقال لي عمرو بن مسعدة : أيها الرجل ، قد حملتَ نفسك على أمرٍ عظيمٍ ، وبلغتَ الغايةَ في مكروهاها ، وتعرضتَ لما لا قِوَامَ لك به في مخالفةِ أمير المؤمنين ، وأدعيتَ بما لا يثبتُ لك به حجةٌ على مخالفتك ، ولا لأحدٍ غيرك ، وليس وراءك بعد الحجَّة عليك إلا السيفُ ، فانظرَ لنفسك وبادرَ أمرَكَ ، قبل أن تقعَ المناظرةُ وتظهرَ عليك الحجَّةُ ، فلا تنفعك الندامةُ ولا يقبلُ منك معذرةٌ ولا تُقالَ لك عثرةٌ ، فقد رحمتُك وأشفقتُ عليك مما هو نازلٌ بك ، وأنا أَسْتَقِيلُ لك أمير المؤمنين وأسأله الصِّفْحَ عن جرمك ، وعظيم ما كان منك إذا أظهرتَ الرجوعَ عنه والندمَ على ما كان ، وأخذُك الأمانَ منه والحائِزةَ ، فإن كانتِ لك ظُلَامَةٌ أزلتها عنك وإن كانت لك حاجةٌ قضيتها لك ، فإنما جالسْتُ رحمةً لك مما هو نازلٌ بك بعد ساعة إن أقمتَ على ما أنت عليه ورجوتَ أن يخلصك الله تعالى على يدي من عظيم ما أوقعتَ نفسك فيه .

## شعره :

نقلنا أمثلةً قليلةً من نثر عمرو بن مسعدة ، أما شعره فقليلٌ جداً . ذَكَرَ المترجمون له أنه كان له فَرَسٌ أدهمُّ أغرُّ ، لم يكن لأحد مثله فراهةً وحُسناً . فبلغ المأمونَ خبره ، وبلغ عمرو ابن مسعدة ذلك . فخاف أن يأمر بقوده إليه فلا يكون له فيه تَحَمُّدٌ ، فوجه به إليه هدية وكتب معه :

يا إماماً لا يُدَا .. نبيه إذا عُدَّ إمامٌ  
فَضَّلَ الناسَ كما يَفُ : فَضْلَ نقصانائِنا تَمَامُ  
قد بَعَثْنَا بِجَوَادٍ \* مثله ليس يُرَامُ  
فَرَسٌ يُرْهِى به لد .. يحسن سَرْجٌ وبلحَامُ  
دُونَهُ الخَيْلُ كما مَث .. لك في الفضلِ الأَنَامُ

وَجْهَهُ صُبْحٌ وَلَكِنْ \* سَائِرَ الْجَسْمِ ظِلَامٌ  
وَالَّذِي يَصْلُحُ لِلَّو \* لَيْ عَلَى الْعَبْدِ حَرَامٌ

وعمر هو القائل :

وَمُسْتَعِذٌ لِلْهَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْدَبُ \* أَكَاثِمُهُ حُبِّي فَيَنْأَى وَأَقْرُبُ  
إِذَا جَدْتُ مِنْهُ بِالرِّضَا جَادَ بِالْخَفَا \* وَيَزْعُمُ أَنِّي مُذْنِبٌ وَهُوَ أَذْنِبُ  
تَعَلَّمْتُ أَلْوَانَ الرِّضَا خَوْفَ هَجْرِهِ \* وَعَلِمَهُ حُبِّي لَهُ كَيْفَ يَغْضَبُ  
وَلِي غَيْرُ وَجْهِ قَدْ عَرَفْتُ طَرِيقَهُ \* وَلَكِنْ بَلَا قَلْبٍ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ

ووقع مرة في ظهر رُقعة لرجل :

أَعِزُّ زَعِيٌّ بِأَمْرِ أَنْتَ طَالِبُهُ \* لَمْ يُمْكِنِ النَّجْحُ فِيهِ وَأَنْقَضَى أَمْدُهُ

ولعمرو بن مسعدة حكايات منها ما حكاها القاضي التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة :  
قال عمرو بن مسعدة : كنت مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم حتى إذا نزلت الرقعة  
قال : يا عمرو، ما ترى الرَّجِيحِيَّ قد احتوى على الأهواز، وهي سلة الخير وجميع المال قبله  
وطمع فيها، وكتبته متصلة بجمالها، وهو يتعلل ويتربص بي الدوائر؟ فقلت : أنا أكفي  
أمير المؤمنين هذا، وأنفذ من يضطره إلى حمل ما عليه، فقال : ما يقنعني هذا، فقلت :  
فيأمر أمير المؤمنين بأمره، فقال : فأنخرج إليه بنفسك حتى تصفده بالحديد، فتجمله إلى  
بغداد وتقبض على جميع ما في يده من أموالنا، وتتظر في أعمالنا وترتب لها عمالاً، فقلت :  
السمع والطاعة، فلما كان في غد دخلت عليه فقال : ما فعلت فيما أمرتك به ؟ قلت :  
أنا على ذلك، قال : أتريد أن تجيء في غد مودعاً؟ قلت : السمع والطاعة، فلما كان  
في غد جئته مودعاً، فقال : أريد أن تحلف لي أنك لا تقيم ببغداد إلا يوماً واحداً،  
فاضطربت من ذلك إلى أن حضنتي وأستحلفني ألا أقيم فيها أكثر من ثلاثة أيام، ففرجت

(١) راجع (ج ٢ ص ٣٥ طبع الهلال) . والعقد الفريد لابن عبد ربه (ج ٢ ص ٢١١ طبع بولاق) .

حتى قدمت بغداد ، فلم أقيم بها إلا ثلاثة أيام وأنحدرت في زلالي أريد البصرة وجعل لي في الزلالي خيش واستكثرت من الثلج لشدة الحر .

فلما صرت بين جرجان وجبل سمعت صوتا من الشاطئ يصيح : يا ملاح ، فرفعت سيف الزلالي وإذا بشيخ كبير السن جالس حاسر الرأس حافي القدمين خلق القميص ، فقلت للغلام : أجبه ، فأجابه ، فقال : يا غلام ، أنا شيخ كبير السن على هذه الصورة التي ترى ، وقد أحرقتني الشمس وكادت تتلفني ، وأريد جبل ، فأحملوني معكم فإن الله يحسن أجر صاحبكم ، قال : فستمه الملاح وأتهره ، فأدركتني رقة عليه وقلت : خذوه معنا ، فتقدمنا الشط ومحمنا به وحملناه ، فلما صار معنا في الزلالي وأشدنا نتقدم فدفعت اليه قميصا ومنديلا وغسل وجهه واستراح وكأته كان ميتا وعاد الى الدنيا فحضر وقت الغذاء وتقدمت وقلت للغلام : هاتيه يا كل معنا ، فجاء وقعد على الطعام ، فأكل أكل أديب نظيف غير أن الجوع أثر فيه ، فلما رفعت المائدة أردت أن يقوم ويغسل يده ناحية كما تفعل العامة في مجالس الخاصة فلم يفعل ، فغسلت يدي وتذممت أن آمر بقيامه ، فقلت : قدموا له الطشت فغسل يده ، وأردت بعدها أن يقوم لأنام فلم يفعل ، فقلت : يا شيخ ، أي شيء صناعتك ؟ قال : حائك أصالحك الله ، فقلت في نفسي : هذه الحياكة علمته سوء الأدب ، فتناومت عليه ومددت رجل فقال : قد سألتني عن صناعتى وأنت أعزك الله ما صناعتك ؟ فأكبرت ذلك وقات : أنا جنيت على نفسي هذه الجناية ولا بد من احتمالها ، أترأه الأحمق لا يرى زلالي وغلمانى ونعمتى وأت مثلى لا يقال له هذا ! فقلت : كاتب ، فقال : كاتب كامل أم كاتب ناقص فإن الكتاب خمسة ، فأيهم أت ؟ فورد على قولك لائق موردا عظيما وسمعت كلاما أكبرته وكنيت . تنكأ بفيلست ، ثم قالت : فصل الخمسة قال :

نعم ، كاتب يحتاج أن يكون عالما بالشروط والطسوت والحساب والمساحة والبقوق والفتسوق والرتوق . وكاتب أحكام يحتاج أن يكون عالما بالحلال والحرام

(١) في العقد الفريد : « بين دبر هرمل ودبر الماقول » .

والاحتجاج والإجماع والأصول والفروع . وكاتبٌ معونة يحتاج أن يكون عالماً بالقصاص والحدود والجراحات والمواثبات والسياسات . وكاتبٌ جيش يحتاج أن يكون عالماً بحلّ الرجال وشيآت الدوابّ ومُدّارة الأولياء وشيئا من العلم بالنسب والحساب . وكاتب رسائل يحتاج أن يكون عالماً بالصدور والنصوص والإطالة والإيجاز وحُسن البلاغة والخط ، قال : فقلت : إني كاتب رسائل ، قال : فأسألك عن بعضها ، قلت : قل ، فقال لى :

أصلحك الله ، لو أنّ رجلا من إخوانك تزوّج أمك فأردت أن تكتبه مهنتا فكيف كنتَ تكتبه ؟ فكركُ في الحال فلم يخطر ببالى شيء ، فقلتُ : ما أرى للتهنئة وجهها ، قال : فكيف تكتب اليه تعزيه فكركُ فلم يخطر ببالى شيء ، فقلت : اعفنى ، قال : قد فعلت ، ولكمك لست بكاتب رسائل ، قلت : أنا كاتب خراج ، قال : لا بأس ، لو أنّ أمير المؤمنين ولّاك ناحية وأمرك فيها بالعدل والإنصاف وتقضى حاجة السلطان فيتظلم اليك بعضهم من مساحيك وأحضرتهم للنظر بينهم وبين رعيتك ، خلف المسّاح بالله العظيم لقد أنصفوا وما ظلموا ، وحلفت الرعيّة بالله إنهم لقد جاروا وظلموا ، وقالت الرعيّة : قف معنا على ما مسّحوه وأنظر من الصادق من الكاذب ، نخرجت لتقف عليه ، فوقفوا على براح شكّله قاتل قنا ، كيف كنتَ تمسّحه ؟ قلت : كنت أخذ طوله على أنعراجة وعرضه ثم أضربه في مثله ، قال : إنّ شكل قاتل قنا أن يكون زاويته محدودتين وفي تحديده تقويس ، قلت : فأخذ الوَسَط فأضربه في العَرَض ، قال : إذا ينثنى عليك العمود ، فأسكتنى ، فقلت : ولستُ كاتب خراج ، قال : فإذا ما أنت ؟ قلت : أنا كاتب قاض ، قال : أرايتَ لو أنّ رجلا توفى وخلف امرأتين حاملتين إحداها حرّة والأخرى سريّة ، فولدت السريّة غلاما والحرّة جارية ، فعادت الحرّة الى ولد السريّة فأخذته ، وتركته بدله الجارية فاخصما في ذلك ، فكيف الحكم بينهما ؟ قلتُ : لا أدري ، قال : فلست بكاتب قاض ، قلتُ : فأنا كاتب جيش ، فقال : لا بأس ، أرايتَ لو أنّ رجلين جاءا اليك لتُحلّيهما وكلّ واحد منهما أسمه وأسم أبيه كاسم الآخر إلا أنّ أحدهما مشقوق الشفة العليا ، والآخر مشقوق

الشفة السفلى ؟ كيف كنتَ تحليهما ، قال : قلتُ : فلانُ الأفلح وفلان الأعمى ، قال : إن رزقهما مختلفان وكل واحد منهما يحىء في دعوة الآخر ، قلتُ : لا أدري ، قال : فلست بكاآب جئش ، قلتُ : أنا كاتب معونة ، قال : لا تبالي ، لو أن رجلين رُفعا اليك قد شجَّ أحدهما الآخر شجَّةً موضحةً<sup>(١)</sup> ، وشجَّ الآخر شجَّةً مأمونة ، كيف كنتَ تفصل بينهما ؟ قلتُ : لا أدري ، قال : لست إذا كاتب معونة ، اطلب لنفسك أيها الرجل شغلا غير هذا ، قال : فصغرتُ الى نفسي وغازني ، فقلت : قد سألتُ عن هذه الأمور ويجوز ألا يكون عندك جوابها كما لم يكن عندي ، فإن كنت عالما بالجواب فقل ، فقال :

نعم ، أما الذي تزوج أمك فتكتب اليه : أما بعد ، فإن الأمور تجري من عند الله بغير محبة عباده ولا اختيارهم ، بل هو تعالى يختار لهم ما أحب ، وقد باغى تزويج الوالدة خاآ الله لك في قبضها ، وإن القبور أكرم الأزواج وأستر العيوب والسلام .

وأما براآ قاتل قتنا فتمسح العمود حتى اذا صار عددا في يدك ضربته في مثله ومثل ثلثه فما نخرج فهو المساحة .

وأما الجارية والغلام فيوزن لبن الاثنين ، فأيهما كان أخف فالجارية له .

وأما الجنديان المتفقا الأسمين ، فإن كان الشق في الشفة العليا قيل فلان الأعمى ، واذا كان في الشفة السفلى قلت فلان الأفلح .

وأما صاحب الشجتين فلصاحب الموضحة ثأآ الدية ، ولصاحب المأمونة نصف الدية ، فلما أجاب بهذه المسائل تعجبت منه وامتحنته بأشياء كثيرة غيرها فوجدته ماهرا في جميعها حاذقا بليغا ، فقالت : ألسآ زعمت أنك حائك ، فقال : أنا أصلحك الله حائك كلام ولست بحائك نساجة ، وأنشأ يقول :

ما مرَّ بؤس ولا نعيم ۞ إلا ولي فيهما نصيب  
فدقتُ حُلواً وذقتُ مرًا ۞ كذاآ عيش الفتي ضروب  
نوابأ الدهر أدبني ۞ وإني يوعظ الأديب

(١) الموضحة : الشجة التي تبدى وضع العظام .

قلت : فما الذى بك من سوء الحال ؟ قال : أنا رجلٌ كاتبٌ دامت عُطَّيُّ ، وكَثُرَتْ عُيَّيُّ ، وتواصلتِ مُحَنِّي ، وَقَلَّتْ حِيلِي ، تَخَرَّجْتُ أَطْلُبُ تَصَرُّفاً فُقِطِعَ عَلَى الطَّرِيقِ فَصُرْتُ كما ترى ، فمَشِيتُ عَلَى وَجْهِى ، فَلَمَّا لَاحَ لِي الزَّلَالَى اسْتَعَثْتُ بِكَ ، قلتُ : فَإِنِى قَدْ خَرَجْتُ إِلَى مُتَصَرِّفٍ جَلِيلٍ أَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى جَمَاعَةٍ مِثْلِكَ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِخِلْعَةٍ حَسَنَةٍ تَصْلُحُ لِمِثْلِكَ وَخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ تُصْلِحُ بِهَا أَمْرَكَ ، وَتُنْفِذُ مِنْهَا إِلَى عِيَالِكَ ، وَتُقَوِّى نَفْسَكَ بِبَاقِيهَا ، وَتَصِيرُ مَعِى إِلَى عَمَلِي فَأَوْثِيكَ أَجَلَهُ ، فَقَالَ : أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ إِذَا تَجَدُّدُنِي بِحَيْثُ أَسْرَكَ ، وَلَا أَقُومُ مَقَامَ مُعْذَرِ الْيَسْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأَمَرْتُ بِتَقْيِيضِهِ مَا رَسَمْتُ لَهُ قَبْضَهُ ، وَانْحَدَرْتُ إِلَى الْأَهْوَازِ مَعِى ، ففَعَلْتُهُ الْمُنَاطَرَةَ لِلرَّجْحَى وَالْحَاسِبَ لِي بِمَحْضَرَتِي ، وَالْمُسْتَخْرَجَ لِمَا عَلَيْهِ ، فَقَامَ بِذَلِكَ أَحْسَنَ قِيَامٍ وَعَظُمْتَ حَالُهُ مَعِى ، وَعَادَتْ نِعْمَتُهُ إِلَى أَحْسَنَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ .

وفى عمرو بن مسعدة يقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي :

أَعْنَى عَلَى بَارِقٍ نَاضِبٍ \* خَفِيَّ كَوَحِيكَ بِالْحَاجِبِ  
كَأَنَّ تَأَلَّفَهُ فِي السَّمَاءِ \* يَدَا كَاتِبٍ أَوْ يَدَا حَاسِبِ  
فَرَوَى مَنَازِلَ تَذْكَارُهَا \* يَهِيَّجُ مِنْ شَوْقِكَ الْغَالِبِ  
غَرِيبٌ يَجِبُ لِأَوْطَانِهِ \* وَيَبْكِي عَلَى عَصْرِهِ الذَّاهِبِ  
كَفَاكَ أَبُو الْفَضْلِ عَمْرُو النَّدَى \* مَطَالَعَةَ الْأَمَلِ الْكَاذِبِ  
وَصَدَقَ الرَّجَاءُ وَحُسْنُ الْوَفَاءِ \* لِعَمْرَوَيْنِ مَسْعَدَةَ الْكَاتِبِ  
عَرِيضُ الْفِنَاءِ طَوِيلُ الْبِنَا \* فِي الْعِزِّ وَالشَّرَفِ الشَّاقِبِ  
بَنَى الْمَلِكُ طُودَهُ لِيَبْنِيَهُ \* وَأَهْلُ الْخِلَافَةِ مِنْ غَالِبِ  
هُوَ الْمُرْتَجَى لَصُرُوفِ الزَّمَانِ \* وَمُعْتَصِمُ الرَّاغِبِ الرَّاهِبِ  
جَوَادُهَا مَلَكْتُ كَفُّهُ \* عَلَى الضَّيْفِ وَالْجَارِ وَالصَّاحِبِ  
بَادِمُ الرِّكَابِ وَوَشْيُ الثِّيَابِ \* بِِ الطَّرْفِ وَالطُّفْلِ الْكَاعِبِ  
تَوَكَّلْهُ لِحَسَامِ الْأُمُورِ \* وَنَزْجُوهُ لِلْجَلَلِ الْكَارِبِ

خَصِيْبُ الْجَنَابِ مَطِيرُ السَّحَابِ \* بِشَيْمَةٍ لَيْسَ الْجَانِبُ  
 يَرَوِي الْقَنَا مِنْ نَحْوِ الْعَدَا \* وَيُغْرِقُ فِي الْجُودِ كَاللَّاعِبِ  
 إِلَيْكَ تَبَدَّتْ بِأَكْوَارِهَا \* حَرَجِيْجٌ فِي مَهْمَةٍ لَّاحِبِ  
 كَأَنَّ نَعَامًا تَبَارَى بِنَا \* بِوَايِلٍ مِنْ بَرْدٍ عَاصِبِ  
 يَرِدْنَ نَدَى كَفِّكَ الْمُرْتَجَى \* وَيَقْضِينَ مِنْ حَقِّكَ الْوَاجِبِ  
 وَلِلَّهِ مَا أَنْتَ مِنْ خَائِرٍ \* بِسَجَلٍ لِقَوْمٍ وَمِنْ خَارِبِ  
 فَتَسْقِي الْعَدَا بِكَؤُوسِ الرَّدَى \* وَتَسْقِيُ مَسْئَلَةَ الطَّالِبِ  
 وَكَمْ رَاغِبٍ نَلْتَهُ بِالْعَطَا \* وَكَمْ نَلْتِ بِالْعَطْفِ مِنْ هَارِبِ  
 وَتِلْكَ الْخَلَائِقُ أُعْطِيَتْهَا \* وَفَضْلٌ مِنَ الْمَانِعِ الْوَاجِبِ  
 كَسَبَتْ الثَّنَاءَ وَكَسَبَ الثَّنَا \* ءَافْضَلُ مَكْسَبِ الْكَاسِبِ  
 يَقِينُكَ يَجْلُو سَتُورَ الدُّجَى \* وَظَنُّكَ يُخْبِرُ بِالْغَائِبِ



## رسائل الجاحظ

## رسالته في بني أمية

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ <sup>(١)</sup> : أطال الله بقاءك ، وأتمّ نعمته عليك ، وكرامته لك . أعلم أرشد الله أمرك ، أنّ هذه الأمة قد صارت بعد إسلامها ، والخروج من جاهليتها ، الى طبقات متفاوته ، ومنازل مختلفة : فالطبقة الأولى عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، وست سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه ، كانوا على التوحيد الصحيح ، والإخلاص المحض ، مع الألفة واجتماع الكلمة على الكتاب والسنة ، وليس هناك عمل قبيح ، ولا بدعة فاحشة ، ولا نزعة من طاعة ، ولا حسد ولا غل ولا تأوّل ، حتى كان الذى كان : من قتل عثمان ، رضى الله عنه ، وما أنشك منه ، ومن خبطهم إياه بالسلاح ، وبغى بطنه بالحرب ، وفرى أوداجه بالمشاقص ، وشدخ

(١) هو إمام الأدب أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكناى البصرى صاحب التصانيف المنتمية والرسائل المبدعة . وقد تقدّم الكلام عليه فى المجلد الأول من هذا الكتاب ( ص ٤٢١ ) . ولد حوالى سنة ١٦٠ هـ بمدينة البصرة ونشأ بها فتناول كل فن . ومارس كل علم عرف فى زمانه مما وضع فى الاسلام أو نقل عن الأمم الأوائل فأصبح له مشاركة فى دلم كل ما يقع عليه الحس أو يخطر بالبال فهو راوية . متكلم . فيلسوف . كاتب . مصنف . مترسل . شاعر . مؤرخ . عالم بالحيوان والنبات والموت . وصاف لأحوال الناس ووجوه معاشهم واضطرابهم وأخلاقهم وحياتهم إلا أنه غلب عليه أمران : الكلام على طريقة المعتزلة فهو بذلك إمام الطائفة الجاحظية من المعتزلة والأدب المزوج بالفلسفة والفكاهة فهو أول من ألف الكتب الجامعة لفنونه ككتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وغيرها .

وكان غاية فى الذكاء ودقة الحس وحسن الفراسة إلى دعاية فاشية ، وقلة اعتداد بما يأخذ به الناس انفسهم ويتجاهونه من الرسوم والاداءات وأنواع العصبية المذهبية وعدم ميلالة بوقوع المتورعين فيه . وكان سمحاً جواداً كثير المواسة لإخوانه وكان على دماثة خلقه وتناقض خلقه خفيف الروح ، فكاهة المجلس ، غاية فى الظرف وطيب الفكاهة وحلاوة الكلام وهو على الجملة أحد أفذاذ العالم وأحد جميع اللسان العربى . توفى سنة ٢٥٥ هـ ببغداد بمقبرة الخيزران . وتجد ترجمته فى معجم الادباء لياقوت ( ج ٦ ص ٥٦ — ٨٠ ) وابن خلدون ( ج ١ ص ٥٥٣ ) .

(٢) فى الأصل : « المخلص » .

هامته بالعمد، مع كفه عن البسط، ونهيه عن الامتناع، مع تعريفه لهم قبل ذلك : من  
 كم وجه يجوز قتل من شهد الشهادة، وصلى القبلة، وأكل الذبيحة؛ ومع ضرب نسائه  
 بحضرته، وإلحاق الرجال على حرمة، مع اتقاء نائلة بنت الفرافصة عنه بيدها، حتى أطنوا<sup>(٢)</sup>  
 إصبعين من أصابعها، وقد كشفت عن قناعها، ورفعت عن ذيلها ليكون ذلك رادعا لهم،  
 وكاسرا من غريبتهم؛ مع وطئهم في أضلاعه بعد موته، وإلقائهم على المذبلة جسده مجزئا  
 بعد سجنه، وهي الخزرة التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفنا لبناته وأياماه وعقائله،  
 بعد السب والتعطيش والحصر الشديد، والمنع من القوت، مع احتجاجه عليهم وإلحاقه لهم؛  
 ومع اجتماعهم على أن دم الفاسق حرام، كدم المؤمن، إلا من ارتد بعد إسلام، أوزنى  
 بعد إحصان، أو قتل مؤمنا على عمد، أو رجل عدا على الناس بسيفه فكان في امتناعهم  
 منه عطبه؛ ومع اجتماعهم على ألا يقتل من هذه الأمة، ولا يُجهز منها على جريح؛  
 ثم مع ذلك كله ذمروا عليه وعلى أزواجه وحرمة وهو جالس في محرابه ومصحفه يلوح  
 في حجره، لن يرى أن مؤحدا يقدم على قتل من كان في مثل صفته وحاله .

لأجرم لقد احتلبوا به دما لا تطير رغوته، ولا تسكن فورته، ولا يموت نائره، ولا يكل  
 طالبه، وكيف يضيق الله دم وليه، والمتقم له، وما سمعنا بدم بعد دم يحيى بن زكريا عليهما  
 السلام، غلا غليانه، وقتل سائحه، وأدرك بطائله، وبلغ كل محبته، كدمه رحمة الله  
 عليه .

ولقد كان لهم في أخذه، وفي إقامته للناس، والاقتصاص منه، وفي بيع ما ظهر من  
 رباعه، وحدائقه، وسائر أمواله، وفي حبسه بما بقي عليه، وفي طمّره حتى لا يحس،  
 بذكره، ما يُغنيهم عن قتله إن كان قد ركب كل ما قذفوه به، وأدعوه عليه، وهذا كله  
 بحضرة جلّة المهاجرين والسلف المقدمين، والأنصار والتابعين .

(١) قال في شرح الناموس : كل ما في العرب من هذا الاسم «فراقصة» فهو بضم الفاء الافرأصة أبا نائلة

فهو بالفتح لا غير . (٢) أطنوا : قطعوا . (٣) من بعضهم بعدنا عليه . تهتدون .

ولكنّ الناس كانوا على طبقاتٍ مختلفة، ومراتبٍ متباينة : من قاتلٍ ومن شادّ على  
عضده، ومن خاذل عن نصرته، والعاجز ناصر بإرادته، ومطيع بحسن نيته، وإنّما الشك  
منّا فيه، وفي خاذله، ومن أراد عزله والاستبدال به؛ فأما قاتله، والمعين على دمه،  
والمريد لذلك منه، فضلالٌ لاشكّ فيهم، ومراقٍ لا امتراء في حكمهم؛ على أنّ هذا  
لم يعدّ منهم الفجور : إمّا على سوء تأويل، وإمّا على تعدّد للشقاء، ثم ما زالت الفتن  
متصلة، والحروب مترادفة، كحرب الجبل، وكوقائع صفّين، وكيوم الثهروان، وقبل ذلك  
يوم الزابوقة<sup>(١)</sup>، وفيه أسير ابن حنيفة، وقتل حكيم بن جبلة، إلى أن قتل أشقاها على بن أبي  
طالب رضوان الله عليه، فأسعده الله بالشهادة، وأوجب لقاتله النار واللعة؛ إلى أن كان من  
اعتزال الحسن عليه السلام الحروب وتخلّيته الأمور، عند انتشار أصحابه، وما رأى من الخلل  
في عسكره، وما عرّف من اختلافهم على أبيه، وكثرة تلونهم عليه؛ فعندها استوى معاوية  
على الملك، واستبدّ على بقية الشورى، وعلى مائة المسلمين، من الأنصار والمهاجرين،  
في العام الذي سمّوه عام الجماعة، وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبريّة وظلّة،  
والعام الذي تحوّلت فيه الإمامة ملكاً كسروياً، والخلافة غصباً قيصرياً، ولم يعدّ ذلك  
أجمع الضلال والفسق. ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكمنا، وعلى منازب مارتبنا، حتى  
ردّ قضية رسول الله صلى الله عليه وسلم رداً مكشوفاً، وبجحد حكمه بجحد ظاهره، في ولد  
الفرّاش وما يجب للعاهر، مع اجتماع الأمة أنّ سميّة لم تكن لأبي سفيان فرّاشاً، وأنّه  
إنّما كان بها عاهراً. فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار، وليس قتل حجر بن  
عديّ، وإطعام عمرو بن العاص خراج مصر، وبيعة يزيد الخليع، والاستئثار بالفئ،  
واختيار الولاة على الهوى، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقراة، من جنس بجحد الأحكام  
المنصوصة، والشرائع المشهورة، والسّنن المنصوبة، وسواء في باب ما يستحقّ من الكفار  
بجحد الكتاب، وردّ السنة إذا كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره، إلا أنّ أحدهما

(١) الزابوقة : موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجبل أوّل النهار .

أعظم ، وعقاب الآخرة عليه أشد ، فهذه أول كفره ، كانت من الأمة ، ثم لم تكن إلا فيمن يدعى إمامتها ، والخلافة عليها ، على أن كثيرا من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره ، وقد أربت عليهم نابتة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا ، فقالت : لا تسبوه ، فإن له صحبة ، وسب معاوية بدعة ، ومن يبغضه فقد خالف السنة ، فزعمت أن من السنة ترك البراءة ، ممن جحد السنة ، ثم الذي كان من يزيد ابنه ، ومن عماله ، وأهل نصرته ، ثم غزو مكة ، ورمى الكعبة ، واستباحة المدينة ، وقتل الحسين عليه السلام ، في أكثر أهل بيته ، مصابيح الظلام ، وأوتاد الإسلام ، بعد الذي أعطى من نفسه ، من تفريق أتباعه ، والرجوع إلى داره وحرمة ، أو الذهاب في الأرض ، حتى لا يحس به أو المقام حيث أمر به ، فأبوا إلا قتله ، والنزول على حكمهم ، وسواء قتل نفسه بيده ، أو أسلمها إلى عدوه ، وخير فيها من لا يبرد غليظته إلا بشرب دمه ، فاحسبوا قتله ليس بكفر ، وإباحة المدينة ، وهتك الحرمه ، ليس بحجة ، كيف تقولون في رمي الكعبة ، وهدم البيت الحرام ، وقبلة المسلمين ؟ فإن قلتم ليس ذلك أرادوا بل إنما أرادوا المعتز به ، والمتحصن بحيطانه ، أفما كان في حق البيت وحرمة أن يحضروه فيه ، إلى أن يعطى بيده ! وأى شيء بقي من رجل ، قد أخذت عليه الأرض إلا موضع قدمه ! واحسبوا مارووا عليه من الأشعار ، التي قولها شرك ، والتمثل بها كفر ، شيئا مصنوعا ، كيف تصنع بتقرر القضيبي بين ثيبي الحسين عليه السلام ، وحمل بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم حواسر على الأقتاب العارية ، والإيل الصعاب ، والكشف عن عورة علي بن الحسين عند الشك في بلوغه ! على أنهم إن وجدوه ، وقد أنبت قتالوه وإن لم يكن أنبت حملوه ، كما يصنع أمير جيش المسلمين ، بذراى المشركين ، وكيف تقول في قول عبيد الله بن زياد لإخوته وخاصته ، دعوني أقتله ، فإنه بقمية هذا النسل ، فأحسم به هذا القرن ، وأميت به هذا الداء ، وأقطع به هذه المسادة !

خبرونا علام تذل هذه القسوة ، وهذه الغلظة ! بعد أن شقوا أنفسهم بقتلهم ، ونالوا ما أحبوا فيهم ، أتدل على نصيب ، وسوء رأى وحقد ، وبغضاء ونفاق ، وعلى رقة ممدخوب

وإيمانٍ مخروج ! أم تدلّ على الإخلاص ، وعلى حبّ النبي صلى الله عليه وسلم ، والحفظ له ، وعلى براءة الساحة وصحة السريرة ! فإن كان على ما وصفنا لا يتعدو الفسق والضلال ، وذلك أدنى منازل ؛ فالفاسق ملعون ، ومن نهى عن نهى الملعون فملعون .

وزعمت نابتة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا ، أن سبّ ولاية السوء فتنة ، ولعن الجورة بدعة ، وإن كانوا يأخذون السميّ بالسميّ ، والوليّ بالوليّ ، والقريبّ بالقريب ، وأخافوا الأولياء ، وأمنوا الأعداء ، وحكموا بالشفاعة والهوى ، وإظهار الغدرة والتهاون بالأمة ، والقمع للزعية ، وأنهم في غير مداراة ولا تقيّة ، وإن عدا ذلك إلى الكفر ، وجاوز الضلال إلى المجذ ، فذاك أضلّ ممن كفّ عن شتمهم ، والبراءة منهم ، على أنه ليس من استحقّ اسم الكفر بالقتل كمن استحقّه بردّ السنة وهدم الكعبة ، وليس من استحقّ اسم الكفر بذلك كمن شبه الله بخلقه ، وليس من استحقّ الكفر بالتشبيه كمن استحقّه بالتجويز<sup>(١)</sup> ، والنابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه ، وابن زياد وأبيه ، ولو ثبت أيضا على يزيد أنه يمثل بقول بن الزبير :

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا \* جزع الخزرج من وقع الأسل  
لاستطاروا واستهلّوا قرحاً \* ثم قالوا يا يزيد لا تسل  
قد قتلنا العز من ساداتهم \* وعدلناه ببدرٍ فاعتدل

كان تجويز النابت لربه ، وتشبيهه بخلقه ، أعظم من ذلك وأقطع ، على أنهم مجمعون على أنه ملعون من قتل مؤمنا ، متعمدا أو متأولا ؛ فإذا كان القاتل سلطانا جائرا ، أو أميرا عاصيا ، لم يستحلوا سبّه ، ولا خلعه ، ولا نفية ، ولا عيبه ، وإن أخاف الصالحاء ، وقتل الفقهاء ، وأجاع الفقير ، وظلم الضعيف ، وعطل الحدود والثغور ، وشرب الخمر ، وأظهر الفجور ؛ ثم ما زال الناس يتسكعون مرة ، ويدهنونهم مرة ، ويقارونهم مرة ، ويشاركونهم مرة إلا بقيّة من عصمه الله تعالى ذكره ، حتى قام عبد الملك بن مروان ، وابنه الوليد ،

(١) شبه الله إلى الجور .

وعاملهما الحجاج بن يوسف، ومولاه يزيد بن أبي مسلم، فأعادوا على البيت بالهدم، وعلى حرم المدينة بالغزو، فهدموا الكعبة، واستباحوا الحرم، وحولوا قبلة واسطاً، وأحروا صلاة الجمعة، الى مغير بن الشمس، فإن قال رجل لأحدهم : اتق الله فقد أحرقت الصلاة عن وقتها، قتله على هذا القول جهاراً غير ختيل، وعلايةً غير سر، ولا يعلم القتل على ذلك إلا أفيح من إنكاره، فكيف يكفر العبد بشيء ولا يكفر بأعظم منه !

وقد كان بعض الصالحين ربماً وعظ الجبابة، وخوفهم العواقب، وأراهم أن في الناس بقيةً ينهون عن الفساد في الأرض، حتى قام عبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف، فزجرا عن ذلك، وعاقبا عليه، وقتلا فيه، فصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه؛<sup>(١)</sup> وحسب تحويل القبلة كان خطأ، وهدم البيت كان تأويلاً، وحسب ما روي من كل وجه، أنهم كانوا يزعمون أن خليفة المرء في أهله أرفع<sup>(١)</sup> عنده من رسوله اليهم، باطلاً ومسموعاً مولداً، وحسب وسم أيدي المسلمين ونقش أيدي المسلمات، وردهم بعد الهجرة الى قراهم، وقتل الفقهاء، وسب أئمة الهدى، والنصب لعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يكون كفراً؛ كيف تقول في جمع ثلاث صلوات فيهن الجمعة، ولا يصَلون أولاهن، حتى تصير الشمس على أعلى الجدران، كالملاء المعصفر، فإن نطق مسلم، خبط بالسيف، وأخذته العمد، وشك بالزجاج، وإن قال قائل : اتق الله أخذته العزة بالإثم، ثم لم يرَضْ إلا بنشر دماغه على صدره، وبصلبه حيث تراه عياله، ومما يدل على أن القوم لم يكونوا إلا في طريق التمرد على الله عز وجل، والاستخفاف بالدين، والتهاون بالمسلمين، والابتذال لأهل الحق، أكل أمرائهم الطعام، وشربهم الشراب على منابرهم أيام جمعهم وجوعهم، فعل ذلك حبيش بن دبلجة، وطارق مولى عثمان، والحجاج بن يوسف، وغيرهم، وذلك إن كان كفراً كله فلم يبلغ كفر نابتة

(١) يشير بذلك الى ماورد عن الحجاج انه قال في كلام له : ويحكم أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله اليهم، يريد بذلك تفضيل مقام الخلافة على مقام الرسالة و يمثل هذا رى الحجاج بالكفر وقد عقد ابن عبيد ربه في العقد المرید فصلاً فيمن زعم ان الحجاج كان كافراً راجع العقد الريد ح ٣ ص ٢٣

(٢) في الأصل : « حسن » وهو خطأ والصواب ما أثبتناه كما في شرح القاموس والطبري .

عصرنا ، وروافض دهرنا ، لأنّ جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك . كان اختلاف الناس في القدر على أنّ طائفة تقول كلّ شيء بقضاء وقدر ، وتقول طائفة أخرى كلّ شيء بقضاء وقدّر إلا المعاصي ، ولم يكن أحد يقول إنّ الله يعذب الأبناء ليغيظ الآباء ، وإنّ الكفر والإيمان مخلوقان في الإنسان ، مثل العمى والبصر ، وكانت طائفة منهم تقول إنّ الله يرى ، لا تزيد على ذلك ، فإن خافت أن يُظنّ بها التشبيه قالت يرى بلا كيف تفرّزا من التجسيم والتصوير ، حتى نبتت هذه النابتة ، وتكلّمت هذه الرافضة ، فقالت جسيما ، وجعلت له صورة وحدئا ، وأكفرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير ، ثم زعم أكثرهم أنّ كلام الله حسن وبين وحجة وبرهان ، وأنّ التوراة غير الزبور ، والزبور غير الانجيل ، والانجيل غير القرآن ، والبقرة غير آل عمران ، وأن الله تولى تأليفه ، وجعله برهانه على صدق رسوله ، وأنه لو شاء أن يزيد فيه زاد ، ولو شاء أن ينقص منه نقص ، ولو شاء أن يبدله بدله ، ولو شاء أن ينسخه كلّ بغيره نسخ ، وأنه أنزله تنزيلا ، وأنه فصله تفصيلا ، وأنه بالله كان دون غيره ، ولا يقدر عليه إلّا هو ، غير أن الله مع ذلك كله لم يخلقه ، فأعطوا جميع صفات الخلق ، ومنعوا اسم الخلق .

والعجب أنّ الخلق عند العرب إثمنا هو التقدير نفسه ، فلذا قالوا : خالق كذا وكذا ، ولذلك قال : ﴿ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ . وقال : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ وقال : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ فقالوا : صنعه وجعله وقدره ، وأنزله وفصله وأحدثه ، ومنعوا خلقه ، وليس تأويل خلقه أكثر من قدره ، ولو قالوا بدل قولهم : قدره ولم يخلقه خلقه ولم يقدره ما كانت المسألة عليهم إلّا من وجه واحد ، والعجب أن الذي منعه بزعمه أن يزعم أنه مخلوق ، أنه لم يسمع ذلك من سلفه ، وهو يعلم أنه لم يسمع أيضا من سلفه أنه ليس بمخلوق ، وليس ذلك بهم ، ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف ، وعلى جهة تقطيع الحروف ، وإعمال اللسان والشفيتين ، وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام ، ولما كنا عندهم على غير هذه الصفة ،

وكنا لِكلامنا غير خالقين ، وجب أن الله عز وجل لكلامه غير خالق ؛ اذ كنا غير خالقين لكلامنا ، فإتّما قالوا ذلك ، لأنّهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرقا ، وإن لم يُقرّوا بذلك بالسنتهم فذلك معناه وقصدُهم .

وقد كانت هذه الأمة لا تتجاوز معاصيها الإثم والضلال ، إلا ما حكيّت لك عن بنى أمية ، وبنى مروان ، وعمّالهم ، ومن لم يدن بكفارهم حتّى نجت النوابت ، وتابعتها هذه العوام ، فصار الغالب على هذا القرن الكفر ، وهو التشبيه والجبر ، فصار كفرهم أعظم من كفر من مضى في الأعمال التي هي الفسق ، وشركاء من كفر منهم بتوليّهم ، وترك إكفارهم ، قال الله عز وجل من قائل : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ .

وأرجو أن يكون الله قد أغاث المحقّين ، ورحمهم وقوى ضعفهم ، وكثر قلتهم ، حتّى صار ولاة أمرنا في هذا الدهر الصعب والزمن الفاسد أشدّ استبصارا في التشبيه من علّمتنا ، وأعلم بما يلزم فيه منّا ، وأكشف للقناع من رؤسائنا وصارفوا الناس وقد انتظموا معان الفساد أجمع ، وبلغوا غايات البدع ، ثم قرنوا بذلك العصبيّة التي هلك بها عالم بعد عالم ، والحياة التي لا تُبقى دينا إلا أفسدته ، ولا دنيا إلا أهلكتها ، وهو ما صارت اليه العجم من مذهب الشّعوبية ، وما قد صار اليه الموالى من الفخر على العجم والعرب ، وقد نجت من الموالى ناجمة ، ونبئت منهم نابتة ، تزعم أن المولى بولائه قد صار عربيا ، لقول النبيّ صلّى الله عليه وسلم : « مولى القوم منهم » ولقوله : « الولاء لِحمة كل حمة النسب لا لباع ولا يوهب » .

قال : فقد علمنا أنّ العجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا أشرف من العرب ، ولمّا حوّل ذلك الى العرب صارت العرب أشرف منهم ، قالوا : فنحن معاشر الموالى بقديمتنا في العجم أشرف من العرب ، وبالحديث الذي صار لنا في العرب أشرف من العجم ، وللعرب القديم دون الحديث ، ولنا خصلتان جميعا وافرتان فينا ، وصاحب الخصلتين

(١) كذا في الأصل ، ولعله : وصاروا شركاء الخ . (٢) معان بفتح الميم والعين : المابة والمنزل .



أفضل من صاحب الخصلة ، وقد جعل الله المولى بعد أن كان عجميا عربيا بولائه ، كما جعل حليف قريش من العرب قرشيا بحليفه ، وجعل اسماعيل بعد أن كان أعجميا عربيا ولولا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنا اسماعيل كان عربيا » ما كان عندنا إلا أعجميا لأن الأعجمي لا يصير عربيا ، كما أن العربي لا يصير أعجميا ، فإنما علمنا أن اسماعيل صيره الله عربيا بعد أن كان أعجميا ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم ، فكذلك حكم قوله « مولى القوم منهم » وقوله : « والولاء حممة » . قالوا : وقد جعل الله إبراهيم عليه السلام أباً لمن لم يلد ، كما جعله أباً لمن ولد ، وجعل أزواج النبي أمهات المؤمنين ، ولم يلدن منهم أحدا ، وجعل البخار والد من لم يلد في قوب غير هذا كثير قد أتينا عليه في موضعه ، وليس أدعى إلى الفساد ، ولا أجلب للشر من المفارقة ، وليس على ظهرها إلا نخور ( إلا قليل ) وأى شيء أغبط من أن يكون عبدك يزعم أنه أشرف منك ، وهو مقر أنه صار شريفا بعثك إياه .

وقد كتبت — مد الله في عمرك — كتباً في مفارقة حطان ، وفي تفضيل عدنان ، وفي رد الموالي إلى مكانهم من الفضل والنقص ، وإلى قدر ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف ، وأرجو أن يكون عدلاً بينهم ، وداعية إلى صلاحهم ، ومنبهة عليهم وطم ؛ وقد أردت أن أرسل بالجزء الأول اليك ثم رأيت ألا يكون إلا بعد استئذائك ، واستئذائك ، والالتقاء في ذلك إلى رغبتك ، فأريك فيه موفق إن شاء الله عز وجل وبه الثقة .

### وكتب الى بعض إخوانه في ذم الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظك الله حفظ من وقفه للقناعة ، وأستعمله بالطاعة ؛ كتبت اليك وحالي حال من كثفت غمومه ، وأشكلت عليه أموره ، وأشتبه عليه حال دهره ، وتخرج أمره ، وقيل عنده من يثق بوفائه ، أو يحمّد مغبة إخوانه ، لاستحالة زماننا ، وفساد أيامنا ، ودولة أنذلنا ؛ وقدما كان من قدم الحياء على نفسه ، وحكم الصديق في قوله ، وآثر الحق في أموره ، ونبت المشتبهات عليه من شؤونه ، تمت له السلامة ، وفاز بوفور حظ العافية ، وحمد مغبة مكروه

العاقبة ؛ فنظرنا إذ حال عندنا حكمه ، وتحولت دولته ؛ فوجدنا الحياء متصلا بالحِرمَان والصدق آفة على المال ، والقصد في الطلب بترك استعمال القِحة ، وإخلاق العِرض من طريق التوكُّل دليلا على سخافة الرأي ، إذ صارت الحُظوة البالغة ، والنعمة السابغة ، في لؤم المشيئة ؛ وسناء الرزق من جهة محاشاة الرضاء ، ومُلابسة معزة العار ؛ ثم نظرنا في تعقب المتعقب لقولنا ، والكاشر مُحجَّبنا ؛ فأقننا له علما واضحا ، وشاهدا قائما ، ومَنارا يَبِينا ؛ إذ وجدنا مَنْ فيه السُّفُوِيَّة الواضحة ، والمثالب الفاضحة ، والكذب المُبرَّح ، والخلف المُصرَّح ، والجَهالة المُفرطة ، والركاكة المُستخفَّة ، وضعف اليقين والاستثبات ، وسرعة الغضب والجِراءة ، قد استكمل سروره ، واعتدلت أموره ، وفاز بالسهم الأغلب ، والحظ الأوفر ، والقدر الرفيع ، والجواز الطائع ، والأمر النافذ ؛ إن زَلَّ قبل حكم ، وإن أخطأ قبل أصاب ، وإن هَدَى في كلامه وهو يقظان قيل رؤيا صادقة من نَسمة مباركة ؛ فهذه مُحجَّبنا والله على من زعم أن الجهل يخفِض ، وأن التُّوك يُردى ، وأن الكذب يضرُّ ، وأن الخلف يُزرى ؛ ثم نظرنا في الوفاء والأمانة والنبل والبلاغة وحسن المذهب وكَمال المروءة وسَعَة الصدر وقلة الغضب وكرم الطبيعة ، والفائق في سعة علمه ، والحاكم على نفسه ، والغالب لهواه ، فوجدنا فلان بن فلان ؛ ثم وجدنا الزمان لم يُنصفه من حقه ، ولا قام له بوظائف قرضه ، ووجدنا فضائله القائمة له قاعدةً به ؛ فهذا دليل أن الطَّلاح أجدى من الصلاح ، وأن الفضل قد مضى زمانه ، وعَفَّت آثاره ، وصارت الدائرة عليه كما كانت الدائرة على ضده ؛ ووجدنا العقل يتسقى به قريته ، كما أن الجهل والحق يحظى به خديته ؛ ووجدنا الشعر ناطقا على الزمان ، ومُعربا عن الأيام حيث يقول :

تَحَامَقَ مع الحق إذا ما لِفَيْتَهُم      ولا فِهم بالجهل فَعَلَ أحمى الجهل  
وخلَطَ إذا لاقيت يوما مخلَطًا      يُخلَطُ في قول صحيح وفي هَزَل  
فإني رأيت المرء يتسقى بعمله      كما كان قبل اليوم يسعد بالعفل

فَبَقِيْتُ — أَبْقَاكَ اللَّهُ — مَثَلٌ مِنْ أَصْبَحَ عَلَى أَوْفَارٍ، وَمِنْ الثَّقَلَةِ عَلَى جِهَازٍ، لَا يَسُوعُ لَهُ نِعْمَةٌ، وَلَا تَطْعَمُ عَيْنُهُ غَمَضَةً، فِي أَهْأَوِيلَ يَبَاكَرُهُ مَكْرُوهُهَا، وَيُرَاوِحُهُ عَقَائِبُهَا، فَلَوْ أَنَّ الدُّعَاءَ أَجِيبَ، وَالتَّضَرُّعَ يُسْمَعُ، لَكَانَتِ الْعِدَّةُ الْعِظْمَى، وَالرَّجْفَةُ الْكَبِيرَى؛ فَلَيْتَ أَىْ أُنْخَى مَا أُسْتَبْطِنَتْ مِنَ النَّفْخَةِ، وَمِنْ بَحَاةِ الصَّبِيحَةِ، قُضِيَ لِحَانٌ، وَأُذِنَ بِهِ فَكَانَ؛ فَوَاللَّهِ مَا عُدَّتْ أُمَّةٌ بِرَجْفَةٍ، وَلَا رِيحٍ وَلَا سَخَطَةٍ، عَذَابَ عَيْنِي بِرُؤْيَةِ الْمُغَايَظَةِ الْمُذْمَنَةِ، وَالْأَخْبَارِ الْمَهْلِكَةِ، كَأَنَّ الزَّمَانَ يُوَكَّلُ بِعَذَابِي، أَوْ يُنْصَبُ بِأَيَّامِي، فَمَا عَيْشٌ مِنْ لَا يُسَرِّبُ أَخَ شَفِيقٍ، وَلَا يَصْطَبِيحُ فِي أَوَّلِ نَهَارِهِ، إِلَّا بِرُؤْيَا مِنْ يَكْرَهُهُ، وَيَغْتَمُّ بِطَلْعَتِهِ؛ فَقَدْ طَالَتِ الْحَجَّةُ، وَوَاظَبَتِ الْكُرْبَةُ، وَأَدْلَهَمَّتِ الظُّلُمَةُ؛ وَنَحَمَدُ السَّرَاجَ، وَتَبَاطَا الْأَنْفِرَاجُ .

### وصف الجاحظ لقريش وبنى هاشم

قَدْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ كَرَمُ قُرَيْشٍ وَسَخَاؤُهَا، وَكَيْفَ عَقُولُهَا وَدَهَاقُهَا؛ وَكَيْفَ رَأْيُهَا وَذَكَافُهَا، وَكَيْفَ سِيَاسَتُهَا وَتَدْبِيرُهَا؛ وَكَيْفَ إِيْجَازُهَا وَتَحْسِيرُهَا، وَكَيْفَ رَجَاحَةُ أَحْلَامِهَا إِذَا خَفَّ الْحَلِيمُ، وَحِدَّةُ أَذْهَانِهَا إِذَا كَلَّ الْحَدِيدُ؛ وَكَيْفَ صَبْرُهَا عِنْدَ الْإِقْدَاءِ، وَثَبَاتُهَا فِي الْأَلْوَاءِ؛ وَكَيْفَ وَفَاقُهَا إِذَا أَسْتَحْسِنَ الْغَدْرُ؛ وَكَيْفَ جَوْدُهَا إِذَا حُبَّ الْمَالُ؛ وَكَيْفَ ذِكْرُهَا لِأَحَادِيثِ غَدٍ، وَقِلَّةُ صِدُودِهَا عَنِ جِهَةِ الْقَصْدِ؛ وَكَيْفَ إِقْرَارُهَا بِالْحَقِّ وَصَبْرُهَا عَلَيْهِ؛ وَكَيْفَ وَصْفُهَا لَهُ وَدُعَاؤُهَا إِلَيْهِ؛ وَكَيْفَ سِمَاحَةُ أَخْلَاقِهَا، وَصَوْنُهَا لِأَعْرَاقِهَا؛ وَكَيْفَ وَصُولُ قَدِيمَتِهِمْ بِحَدِيثِهِمْ، وَطَرِيفَتِهِمْ بِتَلِيدِهِمْ؛ وَكَيْفَ أَشْبَهَ عَالِيَتَتِهِمْ سُرَّتَهُمْ، وَقَوْلُهُمْ فَعَلْتُهُمْ، وَهَلْ سَلَامَةٌ صَادِرٌ أَحَدِهِمْ إِلَّا عَلَى قَدَرٍ بَعْدَ غَدِيرِهِ، وَهَلْ غَفْلَتُهُ إِلَّا فِي وَزْنِ صِدْقِ ظَنِّهِ، وَهَلْ ظَنُّهُ إِلَّا كَيْفَيْنِ غَيْرِهِ .

## وكتب في الاعتذار :

أما بعد فنعلم البديل من الزلة الاعتذار، وبئس العوض من التوبة الإصرار، وإن أحق من عطف عليه بحلمك من لم يستشفع إليك بغيرك، وإنني بمعرفتي بمبلغ حلمك وغاية عفوك، ضمنت لنفسى العفو من زلتها عندك، وقد مسنى من الألم ما لم يشفه غير مواصلتك .

## وله في الاستعطاف :

ليس عندى أعزك الله سبب ولا أقدر على شفيح إلا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة والتأميل الذى لا يكون إلا من نتاج حسن الظن وإثبات الفضل بحال المأمول وأرجو أن تكون من الشاكرين فتكون خير مُعْتَبٍ، وأكون أفضل شاكر، ولعل الله يجعل هذا الأمر سببا لهذا الإنعام، وهذا الإنعام سببا للانقطاع إليكم والكون تحت أجنتكم، فيكون لأعظم بركة، ولا أئتمى بقية من ذنب أصبحت فيه، وبمثلك - جعلت فداك - عاد الذنب وسيلة، والسببة حسنة، ومثلك من أنقلب به الشر خيرا والغرم غنا .

من عاقب فقد أخذ حظه، وإنما الأجر فى الآخرة، وطيب الذكر فى الدنيا، على قدر الاحتمال وتجرع المرار وأرجو، ألا أضيع وأهلك فيما بين كرمك وعقلك، وما أكثر من يعفو عمن صغر ذنبه وعظم حقه، وإنما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة، وإن كان العفو عظيما مُسْتَطَرَفَا من غيركم فهو تلاد فيكم، حتى ربما دعا ذلك كثيرا من الناس إلى مخالفة أمركم، فلا أتم عن ذلك تتكلمون، ولا على سالف إحسانكم تندمون، وما مثلكم إلا كمثل عيسى بن مريم عليه السلام حين كان لا يمتز بملأ من بنى إسرائيل إلا أسمعوه شرا وأسمعهم خيرا، فقال له شمعون الصفا : ما رأيت كالיום كلها أسمعوك شرا أسمعهم خيرا فقال : كل أمرئ يُنْفِقُ مما عنده وليس عندكم إلا الخير ولا فى أوعيتكم إلا الرحمة ” وكل إناء بالذى فيه ينضح “ .

## وله في ذمّ الحسد :

الحسد - أبقاك الله - داء يهلك الحسد ، علاجه عسير وصاحبه صجير وهو باب غامض ، وما ظهر منه فلا يُداوى وما بطن منه قُداويه في عناء ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « دَبَّ اليك داء الأئم من قبلكم : الحسد والبغضاء » . الحسد عَقِيد الكفر ، وحليف الباطل ، وضد الحق منه تُتولد العداوة وهو سبب كل قطيعة ومفرق كل جماعة ، وقاطع كل رَحِم من الأقرباء ومُحَدِّث التفرق بين القرناء ، وملقح الشرِّ بين الحلفاء .

## دفاع الجاحظ عن مؤلفاته :

وقد ذكر الجاحظ جلّ مؤلفاته في كتاب "الحيوان" ودافع عنها بعد أن وصفها فقال :<sup>(١)</sup>  
جَنَّبَكَ اللهُ الشَّبهة ، وعَصَمَكَ مِنَ الحَيِّرة وجعل بينك وبين المعرفة نَسْبا ، وبين الصدق سَبْبا ، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ التَّيَبُّت ، وزَيَّنَ فِي عَيْنِكَ الْإِنصاف ، وأَذَاكَ حِلَاوةَ التَّقْوَى ، وَأَشْعَرَ قَلْبَكَ عِزَّ الْحَقِّ ، وَأَوْدَعَ صَدْرَكَ بَرْدَ الْيَقِين ، وطَرَدَ عَنْكَ ذُلَّ الطَّمَع ، وعَرَّفَكَ مَا فِي الْبَاطِل مِنَ الدَّلَّة ، وما فِي الْجَهْل مِنَ الْغِلَّة ، وَلَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ غَيْرُ هَذَا الدَّعَاء أَصَوِّبَ فِي أَمْرِكَ ، وَأَدْلَى عَلَى مِقْدَارِ وَزْنِكَ ، وَعَلَى الْحَالِ الَّتِي وَضَعْتَ نَفْسَكَ فِيهَا ، وَوَسَّمتَ عِرْضَكَ بِهَا ، وَرَضِيتَ بِهَا لَدِينِكَ حِطًّا ، وَلَمُرُوءَتَكَ شُكْلًا ، فَقَدْ انْتَهَى إِلَى مَيْلِكَ عَلَى أَبِي إِسْحَاق ، وَحَمَلْتُكَ عَلَى ، وَطَعْنُكَ عَلَى مَعْبَد ، وَتَقَصُّصُكَ لَهُ فِي الَّذِي كَانَ جَرَى بَيْنَهُمَا فِي مَسَاوِي الدِّيكِ وَمَحَاسِنِهِ ، وَفِي ذِكْرِ مَنَافِعِ الْكَلْبِ وَمَضَارِهِ ، وَالَّذِي خَرَجَا إِلَيْهِ مِنْ اسْتِقْصَاءِ ذَلِكَ وَجْمَعِهِ ، وَمِنْ تَبَعِّعِهِ وَنَظْمِهِ ، وَمِنْ الْمَوَازِنَةِ بَيْنَهُمَا ، وَالْحُكْمِ فِيهِمَا .

ثم عَيَّنَتْنِي بِكِتَابِ حَيْسِلِ اللَّصُوص ، وَكِتَابِ غِشِّ الصَّنَاعَاتِ ، وَعَيَّنَتْنِي بِكِتَابِ الْمُلْحِ وَالطُّرْفِ ، وَمَا خَرَّ مِنَ النُّوَادِرِ وَبَرْدِ ، وَعَادَ بَارِدُهَا حَارًّا بِفَرْطِ بَرْدِهِ ، حَتَّى أُمْتَعَ بِأَكْثَرِ مِنْ أَمْتَاعِ الْحَارِّ ، وَعَيَّنَتْنِي بِكِتَابِ أَحْتِجَاجَاتِ الْبُخْلَاءِ ، وَمَنَاقِضَتِهِمْ لِلْشُّمَعَاءِ ، وَالْقَوِيَّ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ

(١) اعتمدنا في تصحيح هذه الفصول على الأصل الفتوغرافي المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٨٥

آداب ، لأن السمة المطبوعة من كتاب الحيوان بمطبعة السعادة بمصر في غاية التعريف وملاى بالأخطاء .

الصدق اذا كان ضارا في العاجل ، والكذب اذا كان نافعا في الآجل ، ولم جعلنا الصدق أبدا محمودا ، والكذب أبدا مذموما ، والفرق بين الغيرة وإضاعة الحرمة ، وبين الإفراط في الحمية والأنفة ، وبين التقصير في حفظ حق الحرمة ، وقلة الأكرث بسوء القالة ؛ وهل الغيرة أكساب وعادة ، وبعض ما يعرض من جهة الديانة وبعض التريث فيه والتحسين به ، أو يكون ذلك شيئا في طبع الحرية وحقيقة الجوهرية ، ما كانت العقول سليمة ، والآفات منفية ، والأخلاق معتدلة ؛ وعبتي بكتاب الصرحاء والمهجناء ، ومفاحرة السودان والمجران ، والموازنة بين حق الخؤولة والعمومة ؛ وعبتي بكتاب الزرع والنخل ، والزيتون والأعناب ، وأقسام فضول الصناعات ، ومراتب التجارات ؛ وبكتاب فضل ما بين الرجال والنساء ، وفرق ما بين الذكور والإناث ، وفي أي موضع يغابن ويفضلن ، وفي أي موضع يكن المغلوبات والمفضولات ، ونصيب أيهما في الولد أوفر ، وفي أي موضع يكون حقهن أوجب ، وأي عمل هو بهن أليق ، وأي صناعة هن فيها أبلغ ؛ وعبتي بكتاب القحطانية وكتاب العدنانية في الرد على القحطانية ، وزعمت أنني تجاوزت فيه حد الحمية ، الى حد العصبية ، وأني لم أصل الى تفضيل العدنانية إلا بتنقص القحطانية ؛ وعبتي بكتاب العرب والموالي ، وزعمت أنني بحسب الموالى حقوقهم ، كما أنني أعطيت العرب ما ليس لهم ؛ وعبتي بكتاب العرب والعجم ، وزعمت أن القول في فرق ما بين العرب والعجم هو القول في فرق ما بين الموالى والعرب ، ونسبتي الى التكرار والترداد ، والى التكثير والجهل بما في المعاد من الخطأ ، وحمل الناس المؤمن ؛ وعبتي بكتاب الأصنام ، وبذكر اعتلالات الهند لها ، وسبب عبادة العرب إياها ، وكيف آختلما في جهة العلة مع اتفاقهما على جملة الديانة ، وكيف صار عبادة البسدة<sup>(١)</sup> والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة ، والأصنام المنجورة ، أشد الناس إلغا لما دانوا به ، وشعفا بما تعبدوا له ، وأظهرهم جدا ، وأشدتهم على من خالفهم ضغنا ، وبما دانوا صباة ونجبا ، وما الفرق بين البُد والوثن ، وما الفرق بين الوثن والصنم ، وما الفرق

(١) البسدة جمع بد ، وهو بيت فيه الصنم أو الصنم نفسه كما قال ابن دريد .

بين الدُّمِيَّة والجُثَّة ، ولم صَوِّروا في محاريبهم وبيوت عباداتهم صُورَ عظمائهم ورجالِ  
دعوتهم ، ولم تأتقوا في التصوير ، وتجردوا في إقامة التركيب ، وبالغوا في التحسين والتفخيم ،  
وكيف كانت أولية تلك العبادات ، وكيف افترقت تلك النحل ، ومن أى شىء كانت خُدْعُ  
تلك السدنة ، وكيف لم يزالوا أكثر الأصناف عددا ، وكيف شمل ذلك المذهبُ الأجناس  
المختلفة !

وعبتي بكتاب المعادن ، والقول في جواهر الأرض ، وفي اختلاف أجناس الفلز ،  
والإخبار عن ذائبها وجامدها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف يُسرَّع الانقلابُ الى بعضها  
ويُبطئُ عن بعضها ، وكيف صار بعض الألوان يصبغ ولا يصبغ ، وبعضها يصبغ  
ولا يصبغ ، وبعضها يصبغ ويصبغ ، وما القول في الإكسير والتلطيف ؛ وعبتي بكتاب  
فرق ما بين هاشم وعبد شمس ، وبكتاب فرق ما بين الجن والإنس ، وفرق ما بين الملائكة  
والجن ، وكيف القول في معرفة الهدد وأستطاعة العفريت ، وفي الذى كان عنده علم من  
الكتاب ، وما ذلك العلم ، وما تأويل قولهم : كان عنده اسم الله الأعظم ؛ وعبتي بكتاب  
الأوقاف والرياضات ، وما القول في الأرزاق والإنفاقات ، وكيف أسباب التثمير<sup>(١)</sup> والترقيح  
وكيف تجتلب التجار الحرفاء ، وكيف الاحتيال للودائع ، وكيف التَّسبُّبُ الى الوصايا ، وما الذى  
يوجب لهم التعديل ، ويصرف اليهم باب حُسن الظن ، وكيف ذكرنا غش الصناعات  
والتجارات ، وكيف التَّسبُّبُ الى تعرّف ما قد سَتَرُوا ، وكشف ما مَوَّهُوا ، وكيف باب  
الاحتراس منه والسلامة من أهله ! . وعبتي برسائلى ، وبكل ما كتبتُ به الى إخوانى وخُطَّائى  
من مَنَح وجَد ، ومن إفصاح وتعريض ، ومن تَغَاوُل وتوقيف ، ومن هِجَاء لا يزال وُسْمُهُ  
باقيا ، ومديح لا يزال أثره ناميا ، ومن مُلَح ، تُضْحِك ، ومواعظ تبكى ، وعبتي برسائلى  
الهاشميات ، واحتجاجى فيها ، وأستقصائى معانيها ، وتصويرى لها فى أحسن صورة ،  
وإظهارى لها فى أتم حليّة ، وزعمت أنى قد خرجتُ بذلك من حد المُعْتَرِلة الى حد الزَّيْدِيَّة ،

(١) التثمير والترقيح : نمو المال وإصلاحه .

ومن حدّ الاعتدال في التشيع والاقتصاد فيه الى حدّ السرف والإفراط فيه، وزعمت أن مقالة الزيدية خطبة مقالة الرافضة، ومقالة الرافضة خطبة مقالة الغالية، وزعمت أن في أصل القضية، والذي جرت عليه العادة أنّ كلّ كبير فأقوله صغير، وأن كلّ كبير فإنما هو قليل بجمع الى قليل، وأنشدت قول الراجز:

قد يلحق الصغير بالخليل \* وإنما القرم من الأفيـل<sup>(١)</sup>

\* وسحق النخل من الفسيل \*

وأنشدت قول الشاعر:

رُبّ كبير هاجه صغير \* وفي البحور تغرق البحور

وقلت وقال يزيد بن الحكم:

وأعلم بُني فإنه \* بالعلم ينتفع العليم

إنّ الامور دقيقتها \* مما يهيج له العظيم

وقلت وقال الآخر:

صار جدًا ما مَرَحْتُ به \* رُبّ جدّ ساقه اللّعب

وأنشدت قول الآخر وهو عنترة<sup>(٢)</sup>:

ما تنظرون بحق ورّدة فيكم \* تُقضى الأمور ورهط ورّدة غيب

قد يبعث الأمر الكبير صغيره \* حتى تظلل له الدماء تصبب

وقالت كبشة بنت معديكرب:

جدّعم يعبد الله أنف قومه \* بني ما زى أن سب راعي المخزّم

وقال الآخر:

أية نار قدح القادح ٢ وأى جدّ بلغ المازح

(١) الأفيـل : صغر الإبل .

(٢) والصواب أن البيتين لطفه وهما من جملة أبيات في ديوانه .



وتقول العرب : « العَصَى من العَصِيَّة ولا تُلد الحَيَّة إلا حُيَّة » ؛ وعبت كُتَّابِي في خَلْق القرآن ، كما عبت كُتَّابِي في الرَّد على المُشَبَّهة ؛ وعبت كُتَّابِي في أصول الفُتْيَا والأحكام ، كما عبت كُتَّابِي في الاحتجاج لنُظُم القرآن ، وغريب تآليفه ، وبديع تركيبه ؛ وعبت مُعَارَضَتِي الزَّيْدِيَّة ، وتفضيلي الاعتِرَال على كُلِّ نَحْلَةٍ ، كما عبت كُتَّابِي في الوعد والوعيد ، وكُتَّابِي على النصارى واليهود ؛ ثم عبت بُحْلَةً كُتَّبِي في المعرفة ، وآتَمْتُ تهجينها بكلِّ حيلة ، وصَغَّرْتُ من شأنها ، وحطَّطْتُ من قدرها ، واعترضت على ناسِخِها والمتفعِّين بها .

وعبت كُتَّابَ الجَوَابَاتِ وكُتَّابَ الرِّسَالِ ، وكُتَّابَ الرَّد على أصحاب الإلهام ، وكُتَّابَ الحُجَّة في تثبيت بُرْهَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكُتَّابَ الْأَخْبَارِ ؛ ثم عبت كُتَّابِي إنكارِي بِصِيرَةِ غَنَامِ الْمُرْتَدِّ ، وبصيرة كُلِّ جاحِدٍ ومُؤَيَّدٍ ، وتفريق بين أَعْتِزَامِ الغُمرِ وبين أَسْتَبْصَارِ الْحَقِّ ؛ وعبت كُتَّابَ الرَّد على الْجَهْمِيَّةِ في الإدراك ، وفي قولهم في الجهالات ، وكُتَّابَ الفرق ما بين النَّبِيِّ وَالْمُنْتَبِي ، والفرق بين الحيل والمخاريق ، وبين الحقائق الظاهرة والأعلام القاهرة ؛ ثم قصدت إلى كُتَّابِي هَذَا بالتصغير لقدره ، والتهجين لنظمه ، والاعتراض على لفظه ، والتحقيق لمعانيه فزَرَيْتُ على نَحْسِهِ وسبكه ، كما زَرَيْتُ على معناه ولفظه ، ثم طعنْتُ في الغرض الذي إليه نَزَعْنَا ، والغاية التي إليها أَجْرَيْنَا ، وهنا كُتَّابُ معناه أَنبَه من أسمه ، وحقيقته أَنْق من لفظه ، هو كُتَّابُ يَحْتَاجُ إليه الْمُتَوَسِّطُ الْعَامِّي ، كما يَحْتَاجُ إليه الْعَالَمُ الْخَاصِّي ، ويَحْتَاجُ إليه الرِّيْضُ ، كما يَحْتَاجُ إليه الْحَاقِقُ .

أما الرِّيْضُ فَلِلتَّعَلُّمِ والدُّرْبَةِ ، ولِلتَّرْتِيبِ والرياضة ، ولِلتَّمَرِينِ وتمكين العادة ، إذ كان جليله يَتَقَدَّمُ دَقِيقِهِ ، وإذا كانت مُقَدِّمَانِهِ مُرَتَّبَةً ، وطبقات معانيه مُتَرَلِّةً ؛ وأما الْحَاقِقُ فَلِكِفَايَةِ الْمُؤَوَّنَةِ ، ولأنَّ كُلَّ مَنْ التَّقَطَّ كُتَّابًا جامعا ، وبابا من أمهات العلم مجموعا كان له غُنْمُهُ ، وعلى مُؤَلِّفِهِ غُرْمُهُ ، وكان له نفعه ، وعلى صاحبه كَدُّهُ ، مع تَعَرُّضِهِ لمطاعن البُغَاة ، ولا اعتراض

(١) الغدر مثلثة الغين : من لم يجرب الأمور ، والجاهل الأهل .

(٢) أَجْرَيْنَا : قصدنا .

المنافسين، ومع عَرَضِهِ عَقْلَهُ الْمَكْدُودَ عَلَى الْعُقُولِ الْفَارِغَةِ، وَمَعَانِيَهُ عَلَى الْجَهَابَةِ، وَتَحْكِيمِهِ فِيهِ الْمَتَأَوِّلِينَ وَالْحَسَدَةَ، وَمَتَى ظَفَرَ بِمِثْلِهِ صَاحِبَ عِلْمٍ، أَوْ هَجَمَ عَلَيْهِ طَالِبُ فِقْهِ، وَهُوَ وَادِعٌ رَأْفَهُ، وَنَشِيطٌ جَامٍ، وَمُؤَلِّفُهُ مُتَعَبٌ مَكْدُودٌ، فَقَدْ كُنِيَ مَوْثُوتَةً بِجَمْعِهِ، وَخَزَنَهُ وَتَتَبَعَهُ، وَطَلَبَهُ، وَأَغْنَاهُ ذَلِكَ عَنْ طُولِ التَّفَكِيرِ، وَاسْتِنْفَادِ الْعَمْرِ، وَقَلَّ الْحَدُّ، وَأَدْرَكَ أَقْصَى حَاجَتِهِ، وَهُوَ مُجْتَمِعُ الْقُوَّةِ، وَعَلَى أَنَّ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَجْعَلَ هُجُومَهُ عَلَيْهِ ضَرْبًا مِنَ التَّوْفِيقِ، وَظَفَرَهُ بِهِ بَابًا مِنَ التَّسَدِيدِ .

(وهذا كتاب) تستوى فيه رغبة الأمم، وتتشابه فيه العرب والعجم، لأنه وإن كان عربيا أعرابيا، وإسلاميا جماعيا، فقد أخذ من طُرف الفلسفة، وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة، وأشرك بين علم الكتاب والسنة، وبين وجدان الحاسة وإحساس الغريزة، ويشتهيه الفتيان كما يشتهيه الشيوخ، ويشتهيه الفاتك كما يشتهيه الناسك، ويشتهيه اللاعب ذو اللهو كما يشتهيه الجدوى ذو الحزم، ويشتهيه الغفل كما يشتهيه الأديب، ويشتهيه الغني كما يشتهيه الفطن، وعبتني بحكاية قول العثمانية والضَّرارية وأنت تسمعتني أقول في أول كتابي: وقالت العثمانية والضَّرارية، وكما سمعتني أقول: وقالت الراضية والزَّيدية، فحكمت على بالنَّصِّ لحكايتي قول العثمانية، فهَلَّا حكمت على بالتشيع لحكايتي قول الراضية، وهَلَّا كُنْتُ عِنْدَكَ مِنَ الْغَالِيَةِ لحكايتي مُجَبِّحِ الْغَالِيَةِ، كما كُنْتُ عِنْدَكَ مِنَ النَّاصِبَةِ لحكايتي قول الناصبة، وقد حكينا في كتابنا قول الإباضية والصُّفَرِيَّةِ، كما حكينا أقاويل الأزارقة والنجدية، وعلى هذه الأركان الأربعة بُنِيتِ الْخَارِجِيَّةُ، وكلُّ أَسْمٍ سِوَاهَا فَإِنَّمَا هُوَ فَرْعٌ وَنَتِيجَةٌ وَأَسْتَقَاقٌ مِنْهَا، وَمَحْمُولٌ عَلَيْهَا، فَهَلَّا كُنَّا عِنْدَكَ مِنَ الْحَكْمَةِ الْخَارِجَةِ، كما صرنا عِنْدَكَ مِنَ الضَّرَارِيَّةِ، وَالنَّاصِبَةِ! وكيف رضيت بأن تكون الشيعة إلى أعراض الناس أسرع من المارقة! أَللَّهِمَّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ وَجَدْتَ حِكَايَتِي عَنِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَالضَّرَارِيَّةِ أَشْبَعَ وَأَجْمَعَ، وَأَتَمَّ وَأَحْكَمَ وَأَجُودَ صَنْعَةً، وَأَبْعَدَ غَايَةً، وَرَأَيْتَنِي قَدْ وَهَنْتُ حَقَّ أَوْلِيَاكَ بِقَدْرِ مَا قَوِيْتُ بِاطِلِ أَعْدَائِكَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَكَانَ شَاهِدُكَ مِنَ الْكُتُبِ حَاضِرًا، وَبِرْهَانُكَ عَلَى مَا أَذْعَيْتَ وَاضِحًا .

وعبني بكتاب العباسية فهلا عبني بحكاية مقالة من ادعى وجوب الإمامة ، ومن يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذين زعموا أن ترك الناس سُدَى بلا قيم أرد عليهم ، وهما بلا راج أريح لهم ، وأجدر أن يجمع لهم ذلك بين سلامة العاجل ، وغنيمة الآجل ، وأن تركهم نَشْرًا لا نظام لهم أبعد لهم من المفاسد ، وأجمع لهم على المرائد ! بل ليس ذلك بك ، ولكنه لما بهرك ما سمعت ، وملاً صدرك الذي قرأت ، وأبعلك وأبطرك فلم تنجبه للحجة وهي لك معترضة ، ولم تعرف المقاتل وهي لك بادية ، ولم تعرف باب المخرج إذ جهلت باب المدخل ، ولم تعرف المصادر إذ جهلت الموارد ؛ ورأيت أن سب الأولياء أشقى لدائك ، وأبلغ في شفاء سقمك ؛ ورأيت أن إرسال اللسان أحضر لذة ، وأبعد من النصب ، ومن إطالة الفكرة ، ومن الاختلاف إلى أرباب هذه الصناعة ؛ ولو كنت حين فطنت لعجزك وصلت نقصك بتمام غيرك ، وأستكفيت من هو موقوف على كفاية مثلك ، وحبس على تقويم أشباهك ، كان ذلك أزين في العاجل ، وأحق بالمشورة في الآجل ، وكنت إن أخطأتك الغنيمة لم تخطئك السلامة ، ولقد سلم عليك المخالف ، بقدر ما أبغى به منك الموافق ؛ وعلى أنه لم يتنل منك إلا بقدر ما ألزمته من مؤونة تقيفك ، والتشاغل بتقويمك ؛ وهل كنت في ذلك إلا كما قال العربي : \* وهل يضر السحاب نبح الكلاب \* ؟ وإلا كما قال الشاعر :

هل يضر البحر أمسي زاحرا \* أن رعى فيه غلامٌ بحجر

وهل حالنا في ذلك إلا كما قال الأول :

ما ضر تغلب وائل أحمسوها \* أم بليت حيث تناطح البحران

وقال حسان :

ما أبالي أنب بالحزن تيس \* أم لحاني بظهر غيب لئيم

وما أشك أنك قد جعلت طول إعراضنا عنك مطية لك ، ووجهت حامنا عنك إلى

الخوف منك ، وقد قال زفر بن الحارث لبعض من لم يرحق الصفيح بفعل العفو سببا

إلى سوء القول :

فَإِنْ عُدْتَ وَاللَّهِ الَّذِي فَوْقَ عَرْشِهِ \* مَتَّحْتُكَ مَسْنُونِ الْغَرَارِينَ أَزْرَقًا  
فَإِنَّ دَوَاءَ الْجَهْلِ أَنْ تُضْرَبَ الطَّلِي (١) \* وَأَنْ يُغَمَّسَ الْعَرِيضُ (٢) حَتَّى يَغْرَقَا  
وقال الأول :

وَمَا نَفَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ \* كَمِثْلِ وَفِكَ جَهْلًا بِجَهْلٍ  
فَاقْعَسْ إِذَا حِدَبُوا وَأَحْدَبْ إِذَا قَعَسُوا \* وَوَازِنِ الشَّرَّ مِثْقَالًا يَمْتَقِلُ  
وقال الآخر :

وَضَغَائِنِي دَوَائِهَا بِضَغَائِنِ \* حَتَّى يَمُتَنَّ بِالْحُقُودِ حُقُودًا  
وَلِمَنِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي سِنَانُ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَلَا مُعَارِضَةٌ هَؤُلَاءِ : الشَّرُّ بِالشَّرِّ،  
وَالْجَهْلُ بِالْجَهْلِ، وَالْحَقْدُ بِالْحَقْدِ، فَإِنْ عِنْدِي مَا قَالَ الْمَسْعُودِيُّ :  
فَسَّاتِرَابَ الْأَرْضِ مِنْهَا خُلِقْتُمَا \* وَفِيهَا الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْحَشِيرِ  
وَلَا تَعِجَبَا أَنْ تَرْجِعَا فُسَّاسَا \* فَا حُشِيَ الْأَقْوَامُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ  
فَلَوْ شِئْتُ أَدْلَى فَيْكُمَا غَيْرُ وَاحِدٍ \* عَلَانِيَةً أَوْ قَالَ عِنْدِي فِي سِتْرِ  
فَإِنَّ أَنَا لَمْ أَمْرٌ وَلَمْ أَنَّهُ عِنَّمَا \* ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلِجَ وَيَسْتَشْرِى (٣)  
وقال التَّمْرِ بْنُ تَوَلَّبَ :

جَزَى اللَّهُ عَنِّي حَمَزَةَ بَنَةِ نَوْفَلٍ \* جَزَاءَ مُغِيلٍ بِالْأَمَانَةِ كَاذِبٍ  
بِمَا خَبَرْتُ عَنِّي الْوُشَاةَ لِيَكْذِبُوا \* عَلَى وَقَدْ أَوَّلِيْتُهَا فِي النَّوَائِبِ  
يقول : أخرجت خبري الى من يشتهي أن أعاب عندها .

ولو شئنا لعارضناك من القول بما هو أقبح أثرا، وأبقى وشما، وأصدق قبلا، وأعدل  
شاهدا، وليس كل من ترك المعارضة فقد صفع، كما أنه ليس كل من عارض فقد انتصر،

(١) الطلي : الأعناق .

(٢) العريض : الذي يتعرض للناس بالشر .

(٣) كذا في الأصل ، وفي اللسان في مادة ليج : تضحكت حتى يلج ويستشري .

وقد قال الشاعر قولاً إن فهمته كَفَيْتَنَا مَوْنَةَ المَعَارِضَةِ ، وكفيت نفسك لزوم العار ، وهو قوله :

إِنْ كُنْتَ لَا تَرْهَبُ ذِمِّي لِمَا \* تَعْرِفُ مِنْ صَفِيحِي عَنِ الْجَاهِلِ  
فَاخْشَ سَكَوِي آذِنًا مُنْصِتًا \* فِيكَ لَمَسُوعُ خَنَا الْقَائِلِ  
فَالسَامِعُ الذَّمَّ مُقِرٌّ بِهِ \* كَالْمَطْعَمِ الْمَأْكُولَ لِلْآكِلِ  
مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا \* أَسْرَعُ مِنْ مُنْجِدِ سَائِلِ  
وَمَنْ دَعَى النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ \* ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ  
فَلَا تَهْجُ إِنْ كُنْتَ ذَا إِرْبَةٍ \* حَرَبَ أَخِي التَّجْرِبَةَ الْعَاقِلِ  
فَإِنَّ ذَا الْعَقْلِ إِذَا هَجَّتْهُ \* هَجَّتْ بِهِ ذَا خَبَلٍ خَابِلِ  
يُنْصِرُ فِي عَاجِلِ شِدَاتِهِ \* عَلَيْكَ غِبُّ الضَّرْرِ الْآجِلِ

وقد يقال : إِنَّ الْعَفْوَ يُفْسِدُ مِنَ اللَّئِيمِ بِقَدْرِ إِصْلَاحِهِ مِنَ الْكَرِيمِ ؛ وقد قال الشاعر :

وَالْعَفْوَ عِنْدَ لَبِيبِ الْقَوْمِ مَوْعِظَةٌ \* وَبَعْضُهُ لَسَنِيهِ الْقَوْمِ تَدْرِيبُ

فإن كما قد أسأنا في هذا التقرير والتوقيف ، فالذي لم يأخذ فينا مُحْكَمُ الْقُرْآنِ ، ولا بأدب الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يفرع إلى ما في الْفِطَنِ الصَّحِيحَةِ ، أو إلى ما تَوَجَّبَهُ الْمُقَابِسُ الْمُطْرِدَةُ ، والأمثال المضروبة ، والأشعارُ السَّائِرَةُ ، أُوْلَى بِالْإِسَاءَةِ ، وَأَحَقُّ بِالْإِثْمَةِ ، قال الله جَلَّ شَأْؤُهُ : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : " لَا تَجْنِ يَمِينُكَ عَلَى شِمَالِكَ " وهذا مُحْكَمُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، وآدَابُ رَسُولِهِ ، والذي أُنْزِلَ بِهِ الْكِتَابُ ، ودُلَّ عَلَيْهِ فِي مُجْجِ الْعُقُولِ .

### أَخَذَ الْبَرِيءُ بِذَنْبِ الْمَذْنِبِ

ثم قال في أخذ البريء بذنب المذنب : فَأَمَّا مَا قَالُوا فِي الْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ ، "رَمَتْنِي بِدَائِيهَا وَانْسَلَتْ" . وَأَمَّا قَوْلُ الشُعْرَاءِ وَذَمُّ الْخَطِيئَةِ لِمَنْ أَخَذَ إِنْسَانًا بِذَنْبٍ غَيْرِهِ ، وَمَا ضَرَبُوا فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَمْثَالِ ، كَقَوْلِ النَّابِغَةِ حَيْثُ يَقُولُ فِي شِعْرِهِ :

وَكَلَّفَتْنِي ذَنْبَ أَمْرِي وَتَرَكْتَهُ \* كَذَى الْعُرْيُكُوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ

وكانوا إذا أصاب إليهم العُزْكَوُوا السليم ليذهب العُزُّ عن السقيم فأسقموا الصحيح من غير أن يُبْرِئُوا السقيم، وكانوا إذا كثُرَتْ إِبِلُ أحدهم فبلغت الألف فقَّوْا عَيْنَ الفحل، فإن زادت الإِبِلُ على الألف فقَّوْا عينه الأخرى، فذلك المُفَقِّ والمُعَمَّى السدان سمعتَ بهما قال الفرزدق :

غَلَبْتُكَ بِالْمُفَقِّ<sup>(١)</sup> وَالْمُعَمَّى<sup>(٢)</sup> \* وَبَيْتِ الْمُجْتَبَى<sup>(٣)</sup> وَالْخَافَقَاتِ<sup>(٤)</sup>  
وكانوا يزعمون أن المُفَقِّ<sup>(١)</sup> يَطْرُدُ عنها العينَ والسَّوْفَ والغارة فقال الأول :  
فَقَّاتُ لَهَا عَيْنَ الْفَحِيلِ تَعِيفًا \* وَفِيهِنَّ رَعْلَاءُ الْمَسَامِعِ وَالْحَامِ  
الرَّعْلَاءُ : التي تُسَقُّ أذنها وتترك مُدْلَاةً لِكَرَمِهَا .

وكانوا يقولون في موضع الكفارة والأمنية، كقول الرجل إذا بلغت إِبِلُ كذا وكذا، وكذلك غَنِمِي ذُبِحَتْ عند الأوثان كذا وكذا عَتِيرَةً، والعَتِيرَةُ : من نُسِكَ الرَّجِيَّةُ، والجمع عَتَائِرُ، والعَتَائِرُ من الشاة، فإذا بلغت إِبِلُ أحدهم أو غَنِمَهُ ذلك العدد استعمل التأويل وقال : إِنَّمَا قُلْتُ :  
إِنِّي أَذْبَحُ كَذَا وَكَذَا شَاءً، والطباء : شاء، كما أَنَّ الْغَنَمَ شَاءً، بفعل ذلك القُرْبَانِ كُلِّهِ مِمَّا يَصِيدُ من الأطباء، فلذلك يقول الحارث بن حِزَّاةَ الشَّكْرِيُّ :

عَتَا بَاطِلًا شُدُوْحًا كَمَا تُعَدُّ<sup>(٥)</sup> \* سَرُّ عَنْ حُجْرَةِ الرَّيِّضِ الطَّبَّاءِ

بعد أن قال :

أَمْ عَلَيْنَا جُنَاحٌ كِنْدَةٍ أَنْ يَغْدُ<sup>(٦)</sup> \* نَمَّ غَازِيهِمْ وَمَنَا الْجَزَاءُ  
وكانوا إذا أوردوا البقر فلم تشرب، إمَّا لِكَدْرِ الْمَاءِ وإمَّا لِقَلَّةِ الْعَطَشِ، ضربوا الثَّوْرَ لِيَقْتَحِمَ الْمَاءَ لِأَنَّ الْبَقَرَ تَتَّبِعُهُ كَمَا تَتَّبِعُ الشَّوْلُ الْفَحْلَ، وكما تَتَّبِعُ أَثْنُ الْوَحْشِ الْجِمَارَ، فقال في ذلك عوف بن الخريز :

تَمَنَّتْ طَيِّئٌ جُهْلًا وَجُبْنَا \* وَقَدْ خَالَيْتُهُمْ فَأَبَوْا خِلَائِي  
هَجُونِي أَنْ هَجُوتُ جِبَالَ سَلَمَى \* كَضَرْبِ الثَّوْرِ لِلْبَقْرِ الظَّيَاءِ

(١) في اللسان مادة « فقا » « المعنى » . (٢) كذا في الأصل وفي اللسان « المجتبى »

بالحاء المهملة . (٣) السواف : مرض الابل . (٤) كذا في الأصل وفي اللسان مادة « ر » « نلها » .

وقال في ذلك أنس بن مدرّكة في قتله سُلَيْكَ بن السُّلَكَة :

إني وقتلي سُلَيْكاً ثمّ أعقله \* كالثور يُضْرَبُ لما عافيت البقرُ  
(١) (٢) (٣)  
أُفِتت للسرّ إذ تُغشى حليته \* وإذ يُسَدُّ على وجعائها الثفرُ

وقال الهيبان الفهمي :

كما ضُربَ العسوبُ أن عاف باقرُ \* وما ذنبه أن عافت الماء باقرُ

ولما كان الثور أمير البقر، وهي تطيعه كطاعة إناث النحل للعسوب سماه بأسم أمير النحل .

وكانوا يزعمون أن الحنّ هي التي تصدّ الثيران عن الماء حتى تُمسك البقر عن الشرب حتى تهلك ؛ وقال في ذلك الأعشى :

وإني وإن كلفتموني وربكم \* لأعلم من أمسى أحقّ وأحوبا  
لكالثور والحنّ يضرب ظهره \* وما ذنبه أن عافت الماء مشربا  
وما ذنبه أن عافت الماء باقرُ \* وما إن تعاف الماء إلا لتُضربا

كأنه قال : إذ كان يُضربُ أبدا لأنها عافت الماء، فكأنها إنما عافت الماء ليضرب ؛ وقال يحيى بن منصور الذّهليّ في ذلك :

لكالثور والحنّ يضرب وجهه \* وما ذنبه إن كانت الجنّ ظالمة

وقال نهشل بن جَرّى :

أُتْرِكُ عارضُ وبنو عدى \* وتغمر دارم وهم براء  
كدأب الثور يُضربُ بالهراوى \* إذا ما عافت البقرُ الظّاء  
وكيف تكلفُ الشّعري سُهَيْلا \* وبينهما الكواكبُ والسّماءُ

(١) في اللسان : « عصبنت » . (٢) في الأصل « وإن » والنصوب عن اللسان .

(٣) الثفر : السير الذي في مؤخر السرج .

وقال أبو نُؤَيْرَةَ بن حُصَيْنٍ حين أَخَذَهُ الْحَكَمُ بْنُ أَيُّوبَ ذَنْبَ الْعَطْرِيقِ :

أبا يوسُفَ لو كُنْتَ تعلم طاعتي \* ونُصِحتي إذا ما بَعَثَنِي بِالْمُحَلَّقِ  
ولا ساقَ سَرَّاقِ العُرَافَةِ صَالِحُ \* بَنِيَّ ولا كُفِّتُ ذَنْبَ الْعَطْرِيقِ

وقال خَدَاشُ بن زُهَيْرٍ حين أَخَذَ بِمَاءِ بَنِي مُحَارِبٍ :

أَكَلْتُ قَتْلَى مَعِيرٍ لَسْتُ مِنْهُمْ \* ولا دارهم دارى ولا نصرهم نصرى  
أَكَلْتُ قَتْلَى الْعِيصِ عِيصِ شَوَاحِطٍ \* وذلك أَمْرٌ لم تُشَفِّ له قِدرى

وقال الآخر :

إذا عَرَكْتَ عَجَلُ بنَا ذَنْبَ طِيٍّ \* عَرَكْنَا بَنِيَّ اللَّاتِ ذَنْبَ بَنِي عَجَلٍ

ولما وجد اليهودىُّ أَخَا حَنِيصِ الضَّبَابِيِّ في منزله فخصَّاه فمات، وأخذ حَنِيصُ بنى عيسَ  
بجناية اليهودىِّ قال قيسُ بن زهير : أتأخذنا بذنب غيرنا، وتسألنا العقل، والقاتلُ يهودىُّ  
من أهل تيماء؟ قال : والله لو قَتَلَهُ هَيْفَ الرِّيحِ لودَّيْتُمُوهُ، فقال قيسُ لبني عيسَ : الموتُ  
في بنى دُبَيَّانٍ خيرٌ لكم من الحياة في بنى عامر، ثم أنشأ يقول :

أَكَلْتُ ذَا الْخُصِيِّينَ إِنْ كَانَ ظَالِمًا \* وإِنْ كُنْتُ مَظْلُومًا وَإِنْ كُنْتُ شَاطِئًا  
خَصَّاهُ أَمْرٌ مِنْ أَهْلِ تَيْمَاءٍ طَائِنٍ \* ولا يَعْدَمُ الْإِنْسِيُّ وَالْجُنُّ طَائِنًا  
فَهَلَّا بَنَى دُبَيَّانَ أُمُّكَ هَابِلُ \* رَهَنْتَ هَيْفَ الرِّيحِ إِنْ كُنْتَ رَاهِنًا  
إِذَا قُلْتُ قَدْ أَفْلُتُ مِنْ شَرِّ حَنِيصٍ \* أَتَانِي بِأُخْرَى شَرُّهُ مُتَبَاظِنًا  
فَقَدْ جَعَلْتُ أَكْبَادَنَا تَجْتَوِيكُمْ \* كما تَجْتَوِي سُوقَ الْعِضَاهِ الْكَرَازِنَا

ولما قَتَلَ لَقْمَانَ بن عادَ ابنته وهى صُخْرُ بنت لَقْمَانَ قال حين قَتَلَهَا : أَلَسْتُ أَمْرَأَةً ؟  
وذلك أَنَّهُ تَرَوَّجَ عِدَّةُ نِسَاءٍ وَكُلُّهُنَّ خُنَّهُ في أَنْفُسِهِنَّ، فَلَمَّا قَتَلَ أَخْرَاجَهُ وَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ كَانَ  
أَوَّلَ مَنْ تَلَقَّاهُ صُخْرُ ابنته، فوثبَ عليها فقتلها، وقال وَأَنْتِ أَيْضًا أَمْرَأَةٌ، وَكَانَ قَدْ ابْتُلِيَ أَيْضًا  
بأنَّ أَخْتَهُ كَانَتْ مُحَقَّقَةً، وكذلك كَانَ زَوْجُهَا، فَقَالَتْ لِأَحَدَى نِسَاءِ لَقْمَانَ : هَذِهِ لَيْلَةُ طُهُرَى



وهي ليلتك، فدعيني أنتم في مضجعك، فإن لقمان رجلٌ مُنجِبٌ، فعسى أن يقع على فأنجِبَ،  
فوقع على أخته فحملت بُلقيم وفي ذلك قول التمر بن تَوَلَبَ :

لَقِيمُ بْنُ لَقْمَانَ مِنْ أُخْتِهِ \* فكَانَ ابْنُ أُخْتٍ لَهُ وَابْنَمَا  
لِيَالَى حُمُقٍ فَاسْتَحْصَنْتُ \* عَلَيْهِ فُغْرٌ بِهَا مُظْلِمَا  
فَاحْبَلَهَا رَجُلٌ مُحْكَمٌ<sup>(١)</sup> \* بِغَاثٍ بِهِ رَجُلَا مُحْكَمَا

فضربت العرب في ذلك المثل بقتل لقمان بنته صُحُرا فقال حُفَافُ بْنُ نَدْبَةَ فِي ذَلِكَ :  
وَعَبَّاسٌ يُدَبُّ لِي الْمَنَايَا \* وَمَا أَذْنَبْتُ إِلَّا ذَنْبَ صُحُورٍ

وقال في ذلك ابنُ أَدِينَةَ :

أَتَجَمَّعُ تَيْيَامًا بَلِيلِي إِذَا نَأَتْ \* وَهَجْرَانَهَا ظُلُمًا كَمَا ظَلِمَتْ صُحُورُ

وقال الحارث بن عباد :

قَرَّبًا مَرَبِطَ النِّعَامَةِ مَنَى \* لَقِحتُ حَرْبٌ وَائِلٍ عَنِ حَيَا  
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلْمُ اللَّهِ \* لَهُ وَإِنِّي بَجَرُّهَا الْيَوْمَ صَالِي

وقال الشاعر وأظنه ابنُ المَقْفَعِ :

فَلَا تَلِمِ الْمَرْءَ فِي شَأْنِهِ \* فَرَبٌّ مَلُومٌ وَلَمْ يُذْنِبِ

وقال آخر :

لَعَلَّ لَهُ عَذْرَا وَأَنْتَ تَلُومُ \* وَكَمْ لَائِمٌ قَدْ لَامَ وَهُوَ مُلِيمٌ

وقال بعض العرب في قتل بعض الملوك سِنَمَارَ الرُّومِيِّ : فَإِنَّهُ لَمَّا عَلَا الْخَوَرَنَقُ، وَرَأَى  
بُنْيَانًا لَمْ يَرِ مِثْلَهُ، وَرَأَى ذَلِكَ الْمُسْتَشْرِفَ، وَخَافَ إِنْ هُوَ اسْتَبَقَاهُ أَنْ يَمُوتَ فَيَبْنِي مِثْلَ ذَلِكَ  
الْبُنْيَانِ لِمَلِكٍ آخَرَ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُمِيَّ مِنْ فَوْقِ الْقَصْرِ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْكَلْبِيِّ فِي شَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
بَعْضِ الْمُلُوكِ :

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ \* جَزَاءُ سِنِّارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ  
 سِوَى رَضِّهِ الْبُنْيَانِ سَبْعِينَ حَجَّةً \* يُعَلِّي عَلَيْهِ بِالْقَرَامِيدِ وَالسَّكْبِ  
 فَلَمَّا رَأَى الْبُنْيَانَ تَمَّ سَحُوقُهُ \* وَأَضَّ كَمَثَلِ الطُّودِ ذِي الْبَاذِخِ الصَّغْبِ  
 فَظَنَّ سِنِّارًا بِهِ كُلَّ حَبْوَةٍ \* وَفَازَ لَدَيْهِ بِالْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ  
 فَقَالَ اقْذِفُوا بِالْعِلْجِ مِنْ رَأْسِ شَاهِقٍ \* فَذَاكَ لَعَمَرُ اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ الْخَطْبِ

وجاء المسلمون يَرَوِي خَلْفَ عَنْ سَلَفٍ، وَتَابِعُ عَنْ سَابِقٍ، وَأَحْرَعْنَ أَوَّلَ، أَنَّهُمْ  
 لَمْ يَخْتَلَفُوا فِي عَيْبِ قَوْلِ الْحَجَّاجِ : لَأَخْذُنَا، السِّمِّيَّ بِالسِّمَى وَالْوَلَّى بِالْوَلَى، وَالْجَارَ بِالْجَارِ،  
 وَلَمْ يَخْتَلَفُوا عَنْ لَعْنِ شَاعِرِهِمْ حَيْثُ يَقُولُ :

إِذَا أَخَذَ الْبَرِيءُ بِغَيْرِ جُرْمٍ \* تَجَنَّبَ مَا يُحَاذِرُهُ السَّقِيمُ

قال : وقيل لعمر بن عبيد إِنْ فَلَانَا لَمَّا قَدَّمَ رَجُلًا لِيَضْرِبَ عُنُقَهُ قَبِيلَ لَهُ : إِنَّهُ  
 مَجْنُونٌ، قَالَ : لَوْلَا أَنَّ الْمَجْنُونَ يَلِدُ عَاقِلًا لَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، قَالَ فَقَالَ عَمْرُو : وَمَا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ  
 إِلَّا بِالْحَقِّ .

ولما قالت التَّغْلِبِيَّةُ لِلْجَحَافِ بْنِ حَكِيمٍ فِي وَقْعَةِ الْيَشْرِ: فَضَّرَ اللَّهُ عِمَادَكَ، وَأَطَالَ سُهَادَكَ،  
 وَأَقَلَّ رِمَادَكَ، فَوَاللَّهِ إِنْ قَتَلْتُ إِلَّا نِسَاءً أَسَافِلَهُنَّ دُمِي، وَأَعَالِيَهُنَّ نَدَى، فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : لَوْلَا  
 أَنْ تَلِدَ هَذِهِ مِثْلَهَا لَخَلَّيْتُ سَبِيلَهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ فَقَالَ : إِنْ الْجَحَافُ يُجْدُوهُ مِنْ نَارِجَهْمَ .  
 قَالَ وَذَمَّ رَجُلٌ عِنْدَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسِ السَّكَّاءِ بِالسَّمَنِ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَحْنَفِ : رَبُّ  
 مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ ، فَهَذِهِ السَّيْرَةُ سَرَتْ فِينَا ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
 ابْنِ حَسَّانَ :

وَإِنْ أَمْرًا يَمْسِي وَيَصْبِحُ سَالِمًا \* مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ

وقلت : وما بَالُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالنَّظَرِ، وَأَصْحَابِ الْفِكْرِ وَالْعِبَرِ، وَأَرْبَابِ النَّحْلِ، وَالْعُلَمَاءِ  
 بِخَارِجِ الْمَلَلِ، وَوَرِثَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَعْوَانِ الْخُلَفَاءِ، يَكْتُبُونَ كُتُبَ الظُّرْفَاءِ وَالْمُلْحَاءِ، وَكُتُبَ  
 الْفُرَاغِ وَالْخُلَعَاءِ، وَكُتُبَ الْمَلَاهِي وَالْمُكَاهَاتِ، وَكُتُبَ أَصْحَابِ الْخُصُومَاتِ وَالْمِرَاءِ، وَكُتُبَ

أصحاب العصبية ، وحمية الجاهلية ، حتى كأنهم لا يحاسبون أنفسهم ، ولا يوازنون بين ما عليهم ولهم ، ولا يخافون تصفح العلماء ، ولا لائمة الأدباء وشنف الأكفاء ، ومساءة الجلُساء ؛ فهلاً أمسكتَ رحمك الله عن عيبتنا ، والطعن عليها ، وعن المشورة والموعظة ، وعن تخويف ما فيه سوء العاقبة الى أن تبلغ حال العلماء ، ومراتب الأكفاء .

### أقسام البيان

وبعد أن تكلم في تقسيم العالم الى ثلاثة أقسام ، وذكر أقسام الحيوان ، قال في أقسام البيان :

ووجدنا الحكمة على ضربين : شئٌ جعل حكمةً وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة ، وشئٌ جعل حكمةً وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة ، فاستوى بدن الشئ العاقل وغير العاقل في جهة الدلالة على أنه حكمة ، واختلفا من جهة أن أحدهما دليلٌ لا يستدلُّ ، والآخر دليلٌ يستدلُّ ، فكلُّ مُستدلٍّ دليلٌ ، وليس كلُّ دليلٍ مُستدلاً ، فشارك كلُّ الحيوان سوى الإنسان جميع الجهاد في الدلالة وفي عدم الاستدلال ، واجتمع للانسان بأن كان دليلاً مُستدلاً ، ثم جعل للمستدل سببٌ يدلُّ به على وجوه استدلاله ، ووجوه ما نتج له الاستدلال ، وسموا ذلك بيانا ؛ وجعل ذلك البيان على أربعة أقسام : لفظٍ وخطٍ وعقد وإشارة ، وجعل بيان الدليل الذي لا يستدلُّ تمكينه المُستدل من نفسه واقتياده كلَّ من فكر فيه الى معرفة ما استخزن من البرهان ، وحشي من الدلالة ، وأودع من عجيب الحكمة ؛ فالأجسام الخرس الصامتة ناطقة من جهة الدلالة ، ومُعربة من جهة صحة الشهادة ، على أن الذي فيها من التدبير والحكمة تلوحان لمن استخبرها ، وينطقان لمن استنطقهما كما يجيز الهزال وكود اللون عن سوء الحال ، وكما ينطق السمن والنضرة عن حسن الحال ، وقد قال الشاعر :

فعاجوا فأتوا بالذي أنت أهله    ولوسكنوا أننت عليك الحقائق

وقال آخر :

متى تك في عدو أو صديق    تخبرك العيون عن الغلوب

وقد قال العُكْلَى في صدق شبه الذئب ، وفي شدة حسه وأسترواحه :

يَسْتَخْبِرُ الرِّيحُ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ \* بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصِّفَا الْمَوْقِعِ

وقال عنترة وهو يصف نعيب غراب :

حَرِّقِ الْجَنَاحَ كَأَن لَّحْيَ رَأْسِهِ \* جَلَمَانِ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلِّعٌ

وقال الفضل بن عيسى بن أبان في قصصه : سل الأرض فقل : مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ ،  
وَعَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى ثِمَارَكَ ؛ فإن لم تجبك حوارا ، أجابتك اعتبارا ، فموضوع الجسم  
ونصهته دليل على ما فيه ، وداعية اليه ومنبهة عليه ، فالجماد الأبكم الأخرس من هذا الوجه  
قد شارك في البيان الإنسان الحَيَّ الناطق ؛ فمن جعل أقسام البيان خمسة فقد ذهب أيضا  
مذهبها له جواز في اللغة ، وشاهد في العقل ، فهذا أحد قسمي الحكمة ، وأحد معنيي  
ما آستخزنها الله تعالى من الوديعه .

القسمه الأخرى ما أودع صدورُ صنوف سائر الحيوان من ضروب المعارف ، وفطرها  
على غريب الهدايات ، ويخز حناجرها له بضرب النغم الموزونة ، والأصوات الملحنة ،  
والمخارج الشجية ، والأغاني المطربة ، فقد يقال : إن جميع أصواتها معدلة ، وموزونة  
موقعة ، ثم الذي سهل لها من الرفق العجيب في الصنعة مما ذلله الله تعالى لمناقيرها وأكفها ،  
وكيف فتح لها من باب المعرفة على قدر ماها لها من الآلة ، وكيف أعطى كثيرا منها من  
الحس اللطيف ، والصنعة البديعة عن غير تأديب وتثقيف ، وعن غير تقويم وتلقين ، وعن  
غير تدريج وتمرين ، فبلغت بعفوها ومقدار قُوى فطرتها من البديه والارتجال ، ومن  
الابتداء والاقتضاب ، ما لا يقدر عليه حدائق رجال الرأي ، وفلاسفة علماء البشر ببيد  
ولا آلة ، بل لا يبلغ ذلك من الناس أكلهم خصالا ، وأتمهم خلا لا ، من جهة الارتجال  
والاقتضاب ولا من جهة التعسف والاقتدار ، ولا من جهة التقديم فيه ، والتأني له ،  
والترتيب لمقدماته ، وتمكين الأسباب المعينة عليه فصار جهد الإنسان الثاقب الحس ،  
الجامع القوي ، المتصرف في الوجوه المتقدم في الأمور يعجز عن عفو كثير منها ، وينظر إذ انظر

الى ضروب ما يجيء منها كما أعطيت العنكبوت ، وكما أعطيت الشُرْفَةُ ، وكما علم النحل ، بل عرّف التَّنَوُّطُ من بديع المعرفة ، ومن غريب الصنعة في غير ذلك من أصناف الخلق ثم لم يوجد لهم العجز في أنفسهم في أكثر ذلك إلا عما قوى عليه الهمج والخشاش وصغار الحشرات ، ثم جعل الإنسان ذا العقل والتمكين ، والاستطاعة والتصريف ، وذا التكلف والتجربة ، وذا التآني والمنافسة ، وصاحب الادخار والمتفقد لشأن العاقبة متى أحسن شيئا كان كل شيء دونه في الغموض عليه أسهل ، وجعل سائر الحيوان وإن كان يُحَسِّنُ أحدها ما لا يُحَسِّنُ أحدهُ الناس متى أحسن شيئا عجيبا لم يمكنه أن يُحَسِّنَ ما هو أقرب منه في الظن ، وأسهل منه في الرأي ، بل لا يحسن ما هو أقرب منه في الحقيقة ، فلا الإنسان جعل نفسه كذلك ، ولا شيء من الحيوان اختار ذلك ، فأحسنت هذه الأجناس بلا تعلم ما يمتنع على الإنسان ، وإن تعلم فصار لا يحاوله اذ كان لا يطمع فيه ، ولا يحسدها اذ كان لا يأمل اللحاق بها ، ثم جعل تعالى وعز هاتين الحكمتين إزاء عيون الناظرين ، ونجاء أسماع المعتبرين ، ثم حث على التفكير والاعتبار ، وعلى الاعتاض والأزدجار ، وعلى التعرف والتبيين ، وعلى التوقف والتذكر ، بفعلها مذكّرة منبهة ، وجعل الفطر تنشيء الخواطر ، وتجول بأهلها في المذاهب ، ذلك رب العالمين ، سبحانه الله رب العالمين .

وهذا كتاب موعظة وتعريف ، وتفقه وتنبيه ، وأراك قد عيسته قبل أن تقف على حدوده ، وتنفكر في فصوله ، وتذكر آخره بأوله ، ومصادره بموارده ، وقد غلطك فيه بعض ما رأيت في أشائه من منزع لم تعرف معانيه ، ومن بطالة لم تدرك غورها ، ولم تدر لم آجتليت ولائ علة تكلفت ، وأى معنى أرينغ بها ، ولائ جد آحتمل ذلك الهزل ، ولائة رياضة تُجشمت تلك البطالة ، ولم تدر أن المزاح جد اذا آجتلب لأن يكون علة للجد ، وأن البطالة وقار وزمانة اذا تكلفت لتلك العاقبة ، ولما قال الخليل بن أحمد : لا يصل أحد من علم النحو الى ما يحتاج اليه حتى يتعلم ما لا يحتاج اليه ، قال أبو شمر : اذا كان لا يصل الى ما يحتاج اليه إلا بما لا يحتاج اليه فقد صار ما لا يحتاج اليه يحتاج اليه ، وذلك

مثل كتابنا هذا، لأننا إن حملنا جميع من يتكلف قراءة هذا الكتاب على مَرِّ الحق، وصُعوبة  
الحِد، وثقل المؤونة وحقيقة الوقار، لم يصبر عليه مع طوله إلا من قد تجرّد للعلم وفهم  
معناه، وذاق من ثمرته، وأستشعر من عزّه، ونال من سروره على حسب ما يورث الطول  
من الكد، والكثرة من السّامة، وما أكثر من يقاد إلى حظه بالسواجير، وبالسوق  
العنيف، وبالإخافة الشديدة .

### مدح الكتب

ثم ذكر فقرات حسناً في مدح الكتب فقال :

ثم لم أرك رضىً بالظن على كلّ كتاب لي بعينه، حتى تجاوزت ذلك، إلى أن عبت  
وضع الكتب، كيف دارت بها الحال، وكيف تصرف بها الوجوه، وقد كنت أعجب  
من عيبك البعض بلا علم، حتى عبت الكلّ بلا علم، ثمّ تجاوزت ذلك إلى التشنيع، ثم  
تجاوزت التشنيع إلى نصب الحرب، فعبت الكتاب ونعم الذخر والعسدة، ونعم الجليس  
والعمدة، ونعم النشوة والزهوة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس ساعة الوحدة، ونعم  
المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل، والكتاب وعاء مليّ  
علماء، وظرف حشّي ظرفاً، وإناء شجن مزاحاً وجداً، إن شئت كان أبين من سحبان  
واثل، وإن شئت كان أعمى من باقل، وإن شئت ضحكت من بواده، وإن شئت عجبت  
من غرائب فوائده، وإن شئت ألتذّك نوادره، وإن شئت شجّتك دواعظه، ومن لك  
بواعظ مله، وبزاجر مغر، وبنامك فاك، وبناطق أنرس، وبيارد حارب، وفي البارد الحار  
يقول الحسن بن هاني :

قُلْ لزمير إذا آتني شدا : أقال أو أكثر فانت همار  
سخت من شدة البرودة حتى صرت بمندي، كأنك النار  
لا يعجب السامعون من صفتي . كذلك الثلج بارد حار

وَمَنْ لَكَ بِطَبِيبٍ أَعْرَابِيٍّ ، وَبَرْوَمِيٍّ هِنْدِيٍّ ، وَبِفَارَسِيٍّ يُونَانِيٍّ ، وَبِقَسْدِيمٍ مَوْلَدٍ ،  
وَبِمَيْتٍ مُتَمَتِّعٍ ، وَمَنْ لَكَ بَشْيٍّ ، يَجْمَعُ لَكَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ ، وَالنَاقِصَ وَالْوَافِرَ ، وَالْخَفِيَّ وَالظَّاهِرَ ،  
وَالشَّاهِدَ وَالْغَائِبَ ، وَالرَّفِيعَ وَالْوَضِيعَ ، وَالغَنِّ وَالسَّمِينَ ، وَالشَّكْلَ وَخِلَافَهُ ، وَالْجِنْسَ وَضِدَّهُ .  
وبعد ، ففني رأيت بستاناً يُجْمَلُ فِي رُذْنٍ ، أَوْ رَوْضَةً تَتَقَلَّبُ فِي حِجْرٍ ، وَنَاطِقًا يَنْطِقُ عَنِ  
الْمَوْتِ ، وَيُتَرَجِّمُ كَلَامَ الْأَحْيَاءِ ؛ وَمَنْ لَكَ بِمُؤْنِسٍ لَا يَنَامُ إِلَّا بِنَوْمِكَ ، وَلَا يَنْطِقُ إِلَّا بِمَا  
تَهْوَى ، آمِنٌ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَكْتَمُ لِلسَّرِّ مِنْ صَاحِبِ السَّرِّ ، وَأَضْبَطُ لِلْوَدِيعَةِ مِنْ أَرْبَابِ  
الْوَدِيعَةِ ، وَاحْفَظْ لِمَا أَسْتَحْفَظُ مِنَ الْأَثْمِينِ ، وَمَنِ الْأَعْرَابِ الْمَعْرَبِينَ ، بَلْ مِنَ الصَّبِيَّانِ  
قَبْلَ اعْتِرَاضِ الْأَشْغَالِ ، وَمَنِ الْعُمَيَّانِ قَبْلَ التَّمَتُّعِ بِتَمَيِّزِ الْأَشْخَاصِ ، حِينَ الْعِنَايَةُ تَامَةٌ لَمْ تَنْقُصْ ،  
وَالْأَذْهَانُ فَارِغَةٌ لَمْ تُقَسِّمْ ، وَالْإِرَادَةُ وَافِرَةٌ لَمْ تَسْتَعِبْ ، وَالطِّينَةُ لَيِّنَةٌ فَهِيَ أَقْبَلُ مَا تَكُونُ لِلطَّابِعِ ،  
وَالْقَضِيبُ رَطْبٌ فَهُوَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنَ الْعُلُوقِ ، حِينَ هَذِهِ الْخِصَالُ لَمْ يَتَّيَلَّ جَدِيدُهَا ،  
وَلَمْ يُقَلَّ غَرَبُهَا ، وَلَمْ تَتَفَرَّقْ قُوَاهَا ، وَكَانَتْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

أَنَا نِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أُعْرِفَ الْهَوَى \* فَصَادَفَ قَلْبًا فَارِغًا فَتَمَكَّنَا  
وَقَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ :

لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشِبُّ صَبِيَّهُمْ \* بَيْنَ الْقَوَابِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُنْشَعُ  
هَذَا مَعَ قَوْلِهِمْ : التَّعَلُّمُ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ ؛ وَقَالَ جِرَانُ الْعَوْدِ :  
تُرْكَنُ بِرِحْلَةِ الرُّوحَاءِ حَتَّى \* تَتَكَرَّرَ الدِّيَارُ عَلَى الْبَصِيرِ  
كُوحِي فِي الْحَجَارَةِ أَوْ وُشُومٍ \* بِأَيْدِي الزُّومِ بَاقِيَةِ النُّوُورِ

النُّوُورُ : شَيْءٌ كَانَ يُعْمَلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِثْلَ الْخَضِرَةِ الْيَوْمِ .

وَقَالَ آخَرُهُ وَهُوَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ :

وَإِنِّ مَنِ أَذْبَتَهُ فِي الصَّبَا \* كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرَسِهِ  
حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا أَخْضَرَ \* بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُسَيْدِ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَلَعَلَّهَا : « بَنِيْلَى » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَمِيرَةٌ » وَهُوَ خَطَأٌ صَوَّاهُ مَا أَثْبَنَاهُ عَنِ الشُّعْرَاءِ وَالشُّعْرَاءِ لَانِ قَتِيْبَةِ .

وقال آخر :

يقوم من ميل الغلام المؤدب \* ولا ينفع التأديب والرأس أشيب

وقال آخر :

أدبت عرسي بعد ما هيرمت \* ومن العناء رياضة الهرم

وقد قال ذو الرمة لعيسى بن عمر : اكتب شعري فالكاتب أعجب الى من الحفظ ، إن الأعرابي ينسى الكلمة قد سهرت في طلبها ليلة ، فيضع في موضعها كلمة في وزنها ثم ينشدها الناس ، والكاتب لا ينسى ، ولا يُبدل كلاما بكلام ؛

وعبت الكاتب ولا أعلم جارا أبر ، ولا خليطا أنصف ، ولا رفيقا أطوع ، ولا معلما أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية ، ولا أقلّ جناية ، ولا أقلّ إملالا وإبراما ، ولا أقلّ خلافا وإجراما ، ولا أقلّ غيبة ، ولا أبعد من عضية ، ولا أكثر أعجوبة وتصرفا ، ولا أنلّ صلفا وتكلفا ، ولا أبعد من مرء ، ولا أترك شغب ، ولا أزهد في جدال ، ولا أكف عن قتال ، من كتاب ؛ ولا أعلم قرينا أحسن موثاة ، ولا أعجل مكافاة ، ولا أحضر معونة ، ولا أخف مؤونة ، ولا شجرة أطول عُمرًا ، ولا أجمع أمراء ، ولا أطيب ثمرة ، ولا أقرب مجنى ، ولا أسرع إدراكا ، ولا أوجد في كلّ إبان من كتاب ؛ ولا أعلم نتاجا في حداثة سنّه ، وقرب ميلاده ، ورخص ثمنه ، وإمكان موجوده ، يجمع من التداير العجيبة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأذهان اللطيفة ، ومن الحكم الرفيعة ، والمذاهب القديمة ، والتجارب الحكيمة ، ومن الأخبار عن القرون الماضية ، والبلاد المتراخية ، والأمثال السائرة ، والأهم البائدة ما يجمع لك الكتاب .

وقد قال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ وصف نفسه تبارك وتعالى جده بأن علم بالقلم ، كما وصف نفسه بالكرم ، واعتد ذلك في نعمة العظام ، وفي أياديهِ الحسام ، وقد قالت : التسلم أحد اللسانين ، وقالوا : كل من عرف فضل النعمة في بيان اللسان كان بفضل النعمة في بيان القلم



أعرف ؛ ثم جعل هذا الأمر قرآنا ، ثم جعله في أول التنزيل ، ومُستفتح الكتاب ، ثم أعلم — يرحمك الله تعالى — أن حاجة بعض الناس الى بعض صفة لازمة لطبائعهم ، وخلقة قائمة في جواهرهم ، وثابتة لا تزالهم ، ومحيطة بجماعتهم ، مشتملة على أدانيهم وأقصيهم ، وحاجتهم الى ما غاب عنهم ، مما يُعيشهم ويُحييهم ، ويأخذ بأرماقهم ، ويُصلح بالهم ، ويجمع شملهم ، والى التعاون على درك ذلك ، والتوازر عليه كحاجتهم الى التعاون على معرفة ما بحضرتهم ، والتوازر على ما يحتاجون من الارتفاق في أمورهم التي لم تغب عنهم ، الحاجة الغائب موصولة بحاجة الشاهد ، لاحتياج الأدنى الى معرفة الأقصى ، واختلال الأدنى الى معونة الأقصى ؛ معان متضمنة ، وأسباب متصلة ، وحبال متقيدة ، وجعل حاجتنا الى معرفة أخبار من كان قبلنا حاجة من كان قبلنا الى أخبار من كان قبلهم ، وحاجة من يكون بعدنا الى أخبارنا ، ولذلك تقدمت في الكتب البشارات بالرسول ، ولم يُستخر لهم جميع خلقه إلا وهم يحتاجون الى الارتفاق بجميع خلقه ، وجعل الحاجة حاجتين : إحداهما قوام وقوت ، والاخرى لذة وإمتاع ، وازدياد في الآلة ، وفي كل ما أجدل النفوس ، وجمع لهم العتاد ، وذلك المقدار من جميع الصنفين وفق لكثرة حاجاتهم وشهواتهم ، وعلى قدر اتساع معرفتهم ، وبعد غورهم ، وعلى قدر احتمال طبع البشرية ، وفطرة الإنسانية ، ثم لم يقطع الزيادة عنهم إلا لعجز خلقهم عن احتمالها ، ولم يجز أن يفرق بينهم وبين العجز إلا بعدم الأعيان ، اذا كان العجز صفة من صفات الخلق ، ونعتا من نعت العبيد ، ولم يخلق الله تعالى أحدا يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة ببعض من يُنخرله ، فأدناهم مُستخر لأقصاهم ، وأجلهم مُيسر لأدقهم ، وعلى ذلك أحوج الملوك الى السوق في باب ، وأحوج السوق الى الملوك في باب ، وكذلك الغنى والفقير ، والعبد وسيده .

ثم جعل الله تعالى كل شيء للإنسان خولا وفي يده مَدَالاً مُيسرا ، إما بالاختيال له ، والتلطيف في إراغته وأسمائه ، إما بالصلوة عليه والفتك به ، وإما أن يأتيه سهوا ورهوا ، وعلى أن الإنسان لولا حاجته إليها لما احتال لها ، ولما صال عليها ، إلا أن الحاجة تفرق

في الجنس والجهة، وفي الحظ والتقدير، ثم تعبد الإنسان بالفكر فيها، والنظر في أمورها؛ وبالأعتبار بما يرى، ووصل بين عقولهم، وبين معرفة تلك الحكم الشريفة، وتلك الحاجات اللازمة بالنظر والتفكير، والتنقب والتقدير، والتثبت، والتوقف، ووصل معارفهم بمواقع حاجاتهم اليها، وتشاعرهم بمواضع الحكم فيها بالبيان عنها، وهو البيان الذي جعله الله تعالى سببا فيما بينهم، ومعتبرا عن حقائق حاجاتهم، ومعتقدا مواضع سد الخلة، ودفع الشبهة، ومداواة الخيرة؛ ولأن أكثر الناس عن الناس أفهم منهم عن الأشباح المسائلة، والأجسام الجامدة، والأجرام الساكنة التي لا يتعرف ما فيها من دقائق الحكم وكنوز الأدب، وينابيع العلم، إلا بالعقل اللطيف الثاقب، وبالنظر التام النافذ، وبالأداة الكاملة، وبالأسباب الوافرة، والصبر على مكروه الفكر، والاحتباس من وجوه الخدع، والتحفظ من دواعي الهوى، ولأن الشكل أفهم عن شكله وأسكن اليه وأصب به، وذلك موجود في أجناس البهائم وضروب السباع، والصبي عن الصبي أفهم وله آلف، وإليه أنزع، وكذلك العالم والعالم، والجاهل والجاهل، وقال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا جَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ لأن الإنسان عن الإنسان أفهم، وطباعه بطباعه أنس، وعلى قدر ذلك يكون موقع ما يسمع منه؛ ثم لم يرض من البيان لهم بصنف واحد، بل جمع ذلك ولم يفرق، وكثر ولم يقلل، وأظهر ولم يخفي، بفعل أصناف البيان التي بها يتعارفون معانيهم، والترجمان الذي اليه يرجعون عند اختلافهم في أربعة أشياء وفي خصلة خامسة، وإن قصصت عن بلوغ هذه الأربعة في جهاتها، فقد تكمل بجنسه الذي وضع له، وصرف اليه.

وهذه الخصال الأربع: هي اللفظ والخط والإشارة والعقد، والخصلة الخامسة: ما أوجد من صحة الدلالة، وصدق الشهادة، ووضوح البرهان في الأجرام الجامدة الصامتة، والساكنة الثابتة، التي لا تنيس ولا تفهم، ولا تنس، وتتمثل إلا بداخل دخل عاينها، أو عند ممسك حقل عنها بعد تمييزه كان لها؛ ثم قسم الأقسام، ورتب المحسوسات، ووجه العمل

الموجودات ، بفعل اللفظ للسامع ، وجعل الإشارة للناظر ، وأشرك بين الناظر واللامس ، في معرفة العقد إلا بما فضل الله به نصيب الناظر في ذلك على نصيب اللامس ، وجعل الخط دليلا على ما غاب من حوائجه عنه ، وسببا موصولا بينه وبين أعوانه ، وجعله خازنا لما لا يأمن نسيانه مما قد أحصاه وحفظه ، وأتقنه وجمعه ، وتكلف الإحاطة به ، ولم يجعل للشام والذائق في ذلك نصيبا .

ولولا خطوط الهند لضاع من الحساب الكثير البسيط ، ولبطلت معرفة التضاعيف ، ولعمدوا الإحاطة بالباورات ، وباورات الباورات ، ولو أدركوا ذلك لما أدركوه إلا بعد أن تغلظ المؤونة ، وتنقص المنة ، ولصاروا الى حال معجزة وحُسور ، والى حال مضیعة وكلال حد ، مع التشاغل بأور لولا فقد هذه الآلة لكان أربح لهم ، وأرد عليهم أن يصيروا ذلك الشغل في أبواب منافع الدين والدنيا ، ونفع الحساب معلوم ، والخلة في موضع فقهه معروفة ، قال الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ثم قال : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانٍ ﴾ وبالبيان عرّف الناس القرآن ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ ﴾ فأجرى الحساب تجرى البيان وألحق البيان بالقرآن ، وحُسبان منازل القمر عرّفنا حالات المدة والجزء ، وكيف تكون الزيادة في الأهلة وأنصاف الشهور ، وكيف يكون التقصان في خلال ذلك ، وكيف تلك المراتب وتلك الأقدار .

ولولا الكتب المدونة ، والاخبار المخددة ، والحكم المخطوطة التي تحصر الحساب وغير الحساب ، لبطل أكثر العلم ، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ، ولما كان للناس مفرّج الى موضع استدكار ، ولو تم ذلك لحُرِمنا أكثر النفع ، اذ كنا قد عامنا ان مقدار حفظ الناس لعواجل حاجاتهم وأواجلها لا يبلغ من ذلك مبلغا مذكورا ، ولا يغني فيه غناء محمودا ، ولو تكلف عاقمة من يطلب العلم ، ويصطبغ الكتب ، ألا يزال حافظا لفهرس كُتبه لأعجزه ذلك ، ولكلف شططا ، ولشغله ذلك عن كثير مما هو أولى به ، ففهمك

لمعانى كلام الناس ينقطع قبل انقطاع فهم عين الصوت مجزءا ، وأبعد فهمك لصوت صاحبك ومعاملك ، والمعاون لك ما كان صياحا صرفا ، وصوتا مضمتا ، ونداء خالصا ، ولا يكون مع ذلك ألا وهو بعيد من المفاهمة ، وعطل من الدلالة ، بفعل الله جل وعز اللفظ لأقرب الحاجات ، والصوت لأنفس من ذلك قليلا ، والكتاب للنازح من الحاجات .

فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها رفع الحواجب ، وكسر الأجفان ، وتلى الشفاه ، وتحريك الأعناق ، وقبض جلدة الوجه ، وأبعدها أن تلوى بثوب على مقطع جبل تُجاه عين الناظر ، ثم ينقطع عملها ، ويدرس أثرها ، ويموت ذكرها ، وتصير بعد كل شيء فضّل عن آتئاء مدة الصوت ، ومنتهى الطرف في الحاجة ، الى التفاهم بالخطوط والكتب ؛ فأى نفع أعظم ، وأى مرفق أعون من الخط ، والحال فيه كما ذكرنا !

وليس للعقد حظ الإشارة في بعد الغاية ، ولا للإشارة حظ الخط في بعد الغاية ، فلذلك وضع الله عز وجل القلم في المكان الرفيع ، ونزه بذكره في المنصب الشريف حين قال : ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فأقسم بالقلم كما أقسم بما يُحطّ بالقلم إذ كان اللسان لا يتعاطى شأوه ، ولا يسبق غباره ، ولا يجرى في حلبته ، ولا يتكلف بعد غايته ، ولكن لما كانت حاجات الناس بالحضرة أكثر من حاجاتهم في سائر الأماكن ، وكانت الحاجة الى بيان اللسان حاجة دائمة راكدة ، وراينة نابتة ، وكانت الحاجة الى بيان القلم أمرا يكون في الغيبة وعند النائية ، ألا ما خصت به الدواوين ، فإن لسان القلم هناك أبسط ، وأثره أعم ، فلذلك قدّموا اللسان على القلم ، فاللسان الآن أتم هو في منافع البد والمرافق التي فيها ، والحاجات التي تبلغها ؛ فمن ذلك حظها وقسطها من منافع الإشارة ، ثم نصيبها في تقويم القلم ، ثم حظها في التصوير ، ثم حظها في الصناعات ، ثم حظها في العقد ، ثم حظها في الدفع عن النفس ، ثم حظها في إيصال الطعام والشراب الى الفم ، ثم التوضؤ والامتناع ، ثم انتقاد الدنانير والدراهم ، ثم لبس الثياب ، وفي الدفع عن النفس أصناف الرمي ، وأصناف الضرب ، وأصناف الطعن ، ثم الضرب التقن بالعود وتحريك الوتر ، ولولا ذلك لبطل الطرب كله عامته وكيفية

لا تكون كذلك ولها ضرب الطبل والدَّفْ وتحريك الصفاقتين ، وتحريكُ مخارق خروق المزامير ، وما في ذلك من الإطلاق والحبس ؛ ولو لم يكن في اليد إلا إمساك العنان والزمَامِ وانخراط ، لكان ذلك من أعظم الخطوط .

وقد اضطربوا في الحكم بين العقْد والإشارة ، ولولا أن مغزانا في هذا الكتاب سوى هذا الباب لقد كان هذا مما أحبُّ أن يعرفه إخواننا وخطاؤنا ، ولا ينبغي لنا أيضا أن نأخذ في هذا الباب من الكلام إلا بعد الفراغ مما هو أولى بنا منه ، إذ كنت لم تنازعني ، ولم تعب كُتبي من طريق فضل ما بين العقْد والإشارة ، ولا في تمييز ما بين اللفظ وبينهما ؛ وأتمنا قصْدنا بكلامنا الى الإخبار عن فضل الكتب .

والكتاب هو الذى قيّد على الناس كُتُبَ عِلْمِ الدين ، وحساب الدواوين ، مع خِفّة ثقله ، وصغر حجمه ، صامت ما أسكته ، وبلغ إذا استنطقته ، ومن لك بمساعره لا يتدّك في حال شُغلك ، ويدعوك في أوقات نشاطك ، ولا يحوجك الى التجميل له ، والتذم منه ؛ ومن لك بزائر أن شئت جعل زيارته غيباً ، ووروده نمسا ؛ وإن شئت لزمت لزوم ظلك ، فكان منك مكان بعضك .

والقلم مكثف بنفسه ولا يحتاج الى ما عند غيره ، ولا بد لبيان اللسان من أمور ، منها : إشارة اليد ، ولولا الإشارة لما فهموا عنك خاص الخاص ، اذا كان أخص الخاص قد يدخل في باب العام ، إلا أنه أدنى طبقاته ، وليس يكتفى خاص الخاص باللفظ عما آذاه ، كاستفاء عام العام ، والطبقات التي بينه وبين أخص الخاص .

والكتاب هو الجليس الذى لا يُطْرِك ، والصديق الذى لا يُغْرِك ، والرفيق الذى لا يُمْلِك ، والمستميع الذى لا يَسْتَرِيدك ، والجار الذى لا يَسْتَبْطِئك ، والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق ، ولا يعاملك بالمكر ، ولا يخذلك بالنفاق ، ولا يحتال لك بالكذب .

والكتاب هو الذى إن نظرت فيه أطال إمتاعك، وشحذ طبعك، وبسط لسانك، وجود بسانك، ونغم ألفاظك، وبيح نفسك، وعمر صدرك، ومنحك تعظيم العوام، وصداقة الملوك؛ وعرفت به فى شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال فى دهر، مع السلامة من الغرم، ومن كد الطلب، ومن الوقوف بباب المستكسب بالتعليم، وبالجلوس بين يدي من أنت أفضل منه خلقا، وأكرم عرقا، ومع السلامة من مجالسة البغضاء، ومقارنة الأغبياء .

والكتاب هو الذى يُطيعك بالليل كطاعته بالنهار، ويُطيعك فى السفر كطاعته فى الحضر، ولا يعتل بنوم، ولا يعتريه كلال السهر؛ وهو المعلم الذى إن أفقرت لم يحقرك، وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة، وإن عزلت لم يدع طاعتك، وإن هبت ريح أعاديك لم ينقلب عليك؛ ومتى كنت منه متعلقا بسبب، أو معتصما بأدنى حبل، لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس سوء؛ ولو لم يكن من فضله عليك، وإحسانه اليك، إلا منعه لك من الجلوس على بابك، والنظر الى المآزة بك، مع ما فى ذلك من التعرض للحقوق التى تلزم، ومن فضول النظر، ومن عادة الخوض فيما لا يعينك، ومن ملابسة صغار الناس، ومن حضور أفاظهم الساقطة، ومعانيهم الفاسدة، وأخلاقهم الرديئة، وجهالاتهم المذمومة، لكان فى ذلك السلامة ثم الغنيمة، وإحراز الأصل مع استفادة الفرع، ولو لم يكن فى ذلك إلا أن يشغلك عن سُخف المني، وعن اعتياد الراحة، وعن اللعب، وكل ما أشبه اللعب، لقد كان فى ذلك على صاحبه أسبغ النعمة، وأعظم المنّة؛ وقد علمنا أن أمثل ما يقطع به الفراغ نهارهم، وأصحاب الفكاهات ساعات ليالهم، هو الشئ الذى لا ترى له فيهم مع النيل أثرا فى ازدياد تجربة ولا فى عقل، ولا فى مروءة ولا فى صون عرض، ولا فى إصلاح دين، ولا فى تثير مال، ولا فى تربية صنعة، ولا فى ابتداء بآعام .

قال أبو عبيدة قال المهلب لبنيه فى وصيته : يا بني لا تقفوا فى الأسواق إلا على

زراد أو وراق .

وحدثني صديق لي قال : قرأت على شيخ شامي كتابا فيه مأثر غطفان ، فقال لي : ذهبت المكارم إلا من الكتب ؛ وسمعت الحسن اللؤلؤي يقول : عبرت أربعين عاما ما قلت ولا بت التكات إلا والكتاب موضوع على صدرى ؛ وقال ابن الجهم : اذا غشيتي النعاس في غير وقت نوم وبئس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة ، تناولت كتابا من كتب الحكم فأجد آهتزازي للفوائد ، والأريحية التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة ، والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة ، وعزّ التبين ، أشدّ إيقاظا من نهيق الحبير ، وهذه الهذم .

وقال ابن الجهم : اذا استحسنت الكتاب واستجدته ، ورجوت منه الفائدة ، ورأيت ذلك فيه ، فلو تروني وأنا ساعة بعد ساعة أبصركم بقي من ورقه مخافة استنفاده ، وأنقطاع المادة من قبله ، وإن كان المصحف في عظيم الحجم ، وكان الورق كثير العدد ، لرأيت كيف تمّ عيشي ، وكل سروري .

وذكر القيني كتابا لبعض القدماء فقال : لولا طوله ، وكثرة ورقه ، لمسخته ؛ قال ابن الجهم : لكنني ما رغبت فيه إلا الشيء الذي زهدك فيه ، وما قرأت كتابا قطّ كبيرا فأخلاني من فائدة ، وما أحصى كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كلها دخلت .

وقال القيني ذات يوم لأبي الجهم : ألا تتعجب من فلان ! نظرت في كتاب الإقليدس مع جارية سملوية في يوم واحد وساعة واحدة ، فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة ، على أنه حرّ مخير وتلك أمة مقصورة ، وهو أحرص على قراءة الكتب من سملوية على تعليم جاريته ؛ قال ابن الجهم : قد كنت أظن أنه لا يفهم منه شكلا واحدا ، وأراك تزعم أنه قد فرغ من مقالة ؛ قال القيني : وكيف ظننت به هذا الظن كله وهو رجل ذو لسان وأدب ؟ قال : لأني سمعته يقول لأبنته : كم أنفقت على كتاب كذا وكذا ؟ قال : أنفقت كذا وكذا ؛ قال : أتما رغبت في العلم أني ظننت أني أنفق قليلا وأكتسب كثيرا ، فأما اذ صرت أنفق الكثير وليس في يدي منه إلا المواعيد فأنى لا أريد

العلم بشيء . والإنسان لا يعلم حتى يَكْثُرَ سماعه ، ولا بُدَّ من أن تصير كُتُبُه أكثر من سماعه ، ولا يعلم ولا يجمع ولا يختلف حتى يكون الإتفاق عليه من ماله ألذَّ عنده من الإنفاق . من مال عدوه ؛ ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكُتُب ألذَّ عنده من عشاف القيان ، والمستهمّتين بالبنيان ، لم يبلغ في العلم مبلغاً رَضِيّاً . وليس ينتفع بإنفاقه حتى يؤثر لذة اتّخاذ الكتب إينار الأعرابي فرسه باللبن على عياله ، وحتى يؤمّل في العلم مالا يؤمّل الأعرابي في فرسه .

وقال إبراهيم بن السّندي مرّة : وِدِدْتُ أَنْ الزنادقة لم يكونوا حُرّصاء على المغالاة بالورق النقيّ الأبيض ، ولا على تحيّر الحبر الأسود البراق ، ولا على استجدادة الخطّ والإرغاب لمن يخطّ ، فإنّ لم أر كورق كتبهم ورقاً ، ولا كالخطوط التي فيها خطأ . وإني غير مت مالا عظيماً مع حبّي للمال وبغضّي للغرم ، لأنّ سخاء النفس بالإنفاق على الكتب دليل على تعظيم العلم ، وتعظيم العلم دليل على شرف النفس وعلى السلامة من سُكْرِ الآفات . وقلت لإبراهيم : إنّ إنفاق الزنادقة على الكتب كانفاق النصارى على البيع ، ولو كانت كتب الزنادقة كُتُبَ حِكْمَةٍ ، وكتبَ فلسفة ، وكانت مقاييس تبيين ، أو لو كانت كتبهم كتباً تعترف الناس أبواب الصناعات ، أو سبيل التكسب والتجارات ، أو كتب إرفاق ورياضات ، أو بعض ما يتعاطاه الناس من الفِطَن والأدب ، أو كان ذلك لا يُقَرَّب من غنى ، ولا يباعد من مأثم ، لكانوا ممن قد يجوز أن يُظنّ بهم تعظيم البيان والرغبة في التبيين ، ولكنهم ذهبوا فيها مذهب الديانة على طريق تعظيم الملة فأتوا بإنفاقهم في ذلك كانفاق المجوس على بيت النار ، وكانفاق النصارى على صلبان الذهب ، أو كانفاق الهند على سدنة البُدْ ؛ ولو كانوا العلم أرادوا لكان العلم لهم معرضاً ؛ وكتب الحكمة لهم مبدولة ، والطرق إليها سهلة معروفة ؛ فما بالهم لا يصنعون ذلك إلّا بكتب دياتهم كما يُزحرف النصارى بيوت عبادتهم ؛ ولو كان هذا المعنى مُستحسنًا عند المسلمين ، وكانوا يرون أنّ ذلك داعية إلى العبادة وباعثة على الخشوع ، لَبَغُوا في ذلك بعَمَلِهِمْ ما لا يباعه النصارى بغاية الجُهد .



وقد رأيتم مسجد دمشق حين استجاز هذه السبيل ملك من ملوكنا ، ومن رآه فقد علم أن أحدا لا يرومه ، وأن الروم لا تسخو أنفسهم به ؛ فلما قام عمر بن عبد العزيز جلّله بالجلال ، وغطاه بالكرايس<sup>(١)</sup> ، وطبخ سلاسل القناديل حتى ذهب عنها ذلك التلألؤ والبريق ، وذهب الى أن ذلك الصنيع بجانب لسنة الاسلام ، وأن ذلك الحسن الرائع والمحاسن الدقاق مذهلة للقلوب ، مشغلة دون الخشوع ، وأن البال لا يكون مجتمعا وهناك شيء يفترقه ويعترض عليه .

والذي يدلنا على ما قلنا أنه ليس في كتبهم مثل سائر ، ولا خبر طريف ، ولا صنعة أدب ، ولا حكمة غريزية ولا فلسفية ، ولا مسألة كلامية ، ولا تعريف صناعة ، ولا استخراج آلة ، ولا تعليم فلاحه ، ولا تدبير حرب ، ولا مقارعة عن دين ، ولا مناضلة عن نحلة ؛ وجلّه ذكر النور والظلمة ، وتناح الشياطين ، وتسافد العفاريت ، وذكر الصنديد والتهويل بعمود السبخ ، والاخبار عن شقلون وعن الهامة والهامة ، وهذر وعي ودعوى وخرافة وسخف وتكذب ، لا ترى فيه موعظة حسنة ، ولا حديثا مؤثقا ، ولا تدبير معاش ولا سياسة عامة ، ولا ترتيب خاصة ؛ فأى كتاب أجهل ، وأى تدبير أفسد من كتاب يوجب على الناس الطاعة والبُخوع بالديانة على جهة الاستبصار والمحبة ، وليس فيه صلاح معاش ، ولا تصحيح دين ، والناس لا يجيئون إلّا دينا أو دنيا .

فأما الدين فاقامة سُوقها وإحضار نفعها . وأما الدين فأقل ما يُطمع في استجابة العامة واستمالة الخاصة ، أن يصور في صورة مغلطة ، ويؤوه تمويه الدينار البهرج والدرهم الزائف الذى يغلط فيه الكثير ويعرف حقيقته القليل . فليس انفاقهم عليها من حيث ظننت . وكل دين يكون أظهر اختلافا وأكثر فسادا يحتاج من التزييع والتمويه ومن الاحتشاد له والتغليظ فيه الى أكثر من غيره .

(١) الكرايس جمع كرايس : ثوب من القطن الأبيض وقيل : الثوب الخشن ، فارسي معرب .

وقد علمت أن النصرانية أشد انتشاراً من اليهودية تعبدًا ، فعلى حسب ذلك يكون تزيدهم في توكيده ، واحتفالهم في إظهار تعظيمه .

وقال بعضهم : كنتُ عند بعض العلماء فكنتُ أكتبُ عنه بعضًا وأدع بعضًا ، فقال لي : اكتبُ كلَّ ما تسمع ، فإنَّ أخس ما تسمع خير من مكانه أبيض . وقال الخليل بنُ أحمد : تكثرُ من العلم لتعرف ، وتقلُّ منه لتحفظ . وقال أبو إسحاق : القليلُ والكثير للكتب ، والقليلُ وحده للصدر ، وأنشد قول ابن يسير :

أَمَا لَوْ أَعَى كُلُّ مَا أَسْمَعُ \* وَأَحْفَظُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَجْمَعُ  
وَلَمْ أَسْتَفِدْ غَيْرَ مَا قَدْ جَمَعْتُ لِقِيلِ هُوَ الْعَالِمُ الْمُفْنِعُ  
وَلَكِنْ نَفْسِي إِلَى كُلِّ نَوْ \* عٍ مِنَ الْعِلْمِ تَسْمَعُهُ تَنْزِعُ  
أَشَاهِدُ بِالْعِيَّ فِي مَجْلِسِي \* وَعِلْمِي فِي الْبَيْتِ مُسْتَوْدَعُ  
فَلَا أَنَا أَحْفَظُ مَا قَدْ جَمَعْتُ وَلَا أَنَا مِنْ جَمْعِهِ أَشْبَعُ  
وَمَنْ يَكُ فِي عِلْمِهِ هَكَذَا \* يَكُنْ دَهْرَهُ الْقَهْقَرَى يَرْجِعُ  
إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا \* بِجَمْعِكَ لِلْعِلْمِ لَا يَنْفَعُ

قال أبو إسحاق : كلف ابن يسير الكتب ما ليس عليه ، إن الكتب لا تُحصى الموقى ، ولا تُحَوَّلُ الأحمق عاقلًا ، ولا البليد ذكيًا ، وذلك أنَّ الطبيعة إذا كان فيها أدنى قبول فالكتب تُشَحِّدُ وَتَفْتِقُ وَتُرْهِفُ وَتَسْنِي ؛ ومن أراد أن يعلم كلَّ شيء فينبغي لأهله أن يداووه ، فإن ذلك أتمَّ تصوُّر له لشيء اعتراه . فمن كان عاقلًا ذكيًا حافظًا فليَقْصِدْ إلى شيئين أو ثلاثة أشياء : فلا يَتَزَعِ عن الدرس والمطارحة ، ولا يَدَّعِ أن يَمُرَّ على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ما قدر عليه من سائر الأصناف فيكون عالمًا بخواصِّ ويكون غير غفلٍ من سائر ما يجري فيه الناس ويخوضون فيه ؛ ومن كان مع الدرس لا يحفظ شيئًا إلا نسي أكثر منه فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعُد .

وحدثني موسى بن يحيى قال : ما كان في خزانة كتب يحيى وفي بيت مدرسه كتاب إلا وله فيه ثلاثُ نسخ .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه فرأيتَه ينظر في دفتر وجليسه فارغ اليد إلا اعتقدت أنه أعقل منه وأفضل .

قال أبو عمرو وقيل لنا يوماً : إن في دار فلان ناسا قد اشتملوا على سوءة ، وهم جلوس على نخميرة لهم وعندهم طنبور ، قال : فدَمَرنا عليهم في جماعة من رجال الحى ، فاذا فتى جالس في وسط الدار وإذا أصحابه حوله ، وإذا هم بيض اللحي ، وإذا هو يقرأ عليهم كتاب شعر ، فقال الذى كان سعى بهم : السوءة في ذلك البيت ، وإن دخلتموه عثرتم بها ، قال قلت : والله لا أكشف فتى أصحابه شيوخ وفي يده دفتر علم ولو كان في ثوبه دم يحيى بن زكرياء . قال وأنشد رجل يونس النحوى قوله :

أُستودِعَ العلمُ قِرطاساً فضيّعه \* فيئس مُستودِعُ العلمِ القراطيسُ

قال فقال يونس : قاتله الله ، ما أشد صبابته بالعلم وأحسن صيانتَه له ! إن علمك من روحك ، ومالك من بدنك ، فضعه منك بمكان الروح ، وضع مالك بمكان البدن .

وقيل لابن داحية وأخرج كتاب أبي الشمقمق وإذا هو في جلود كوفية ودفتين طائفتين وبخط عجيب ، فقيل له : لقد ضيع درهمه من تجود لشعر أبي الشمقمق ، قال : لا بجرم والله إن العلم ليعطيك على حساب ما تُعطونه ، ولو استطعت أن أودعه سُويدياء قلبي وأجعله مخطوطا على ناظري لفعلت .

ولقد دخلت على إسحاق بن سليمان في امرته ، فرأيت السباطين بين يديه والرجال مُثولاً كأن على رؤوسهم الطير ، ورأيت فرشته <sup>(٢)</sup> وزنته ، ثم دخلت عليه وهو معزول ، وإذا هو في بيت كتبه وحواليه الأسفاط والرفوف والقاطر والدفاتر والمساطر والمحابر ، فما رأيته قط أنخم ولا أنبل ولا أهيب ولا أجزل منه في ذلك اليوم ، إلا أنه جمع مع المهابة المحبة ، ومع القمامة الخلاوة ، ومع السودد الحكمة .

(١) كذا في الأصل ، ولعلها زائدة . (٢) الفرشة : الهيئة .

وقال ابن داحية : كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس ، ونزل مقبرة من المقابر ، وكان لا يكاد يرى إلّا وفي يده كتاب يقرؤه ، فسُئل عن ذلك وعن نزوله المقبرة ، فقال : لم أر أوعظ من قبر ، ولا أمتع من كتاب ، ولا أسلم من الوحدة ؛ فقليل له : فقد جاء في الوحدة ما قد جاء ، قال : ما أفسدها للجاهل وأصلحها للعاقل !

وضروب من الخطوط بعد ذلك تدلّ على قدر منفعة الخط ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال الله عز وجل : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ وقال : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ وقال : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ وقال : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝ ﴾

### الترغيب في اصطناع الكتب

( وبعد أن تكلم عن الخط في الأرض عند التفكير وما قيل في ذلك من الأشعار ، وذكر الخط ومقدار الحاجة إليه ، وتاريخ الشعر قبل الإسلام ، وبيان أن فضيلته مقصورة على العرب ، استطرد القول بالترغيب في اصطناع الكتب ) فقال :

« إنا على من شكر المعرفة بمغاوى الناس ومراسيدهم ومضارهم ومنافعهم ، أن يحتمل ثقل مؤوتهم في معرفتهم ، وأن يتوخى إرشادهم وأن جهلوا فضل ما يسدى إليهم . ولن يصاب العلم بمثل بذله ، ولن تستبقى النعمة فيه بمثل نشره . على أن قراءة الكتب أبلغ في إرشادهم من تلاقيهم ، إذ كان مع التلاقي يشتد التصنع ، ويكثر التظالم ، وتفرط العصبيّة ، وتقوى الحميّة ، وعند المواجهة والمقابلة يشتد حب الغلبة ، وشهوة المباهاة والرياسة مع الاستحياء من الرجوع ، والألفة من الخضوع ؛ وعن جميع ذلك تحدث الضغائن ويظهر التباين ؛ فإذا كانت القلوب على هذه الصفة وعلى هذه الهيئة ، امتنعت من التعرف ، وعميت عن موضع الدلالة ؛ وليست للكتب علة تمنع من درك البغيّة ، وإصابة الحجّة ، لأن المتوحد بدرسها والمتفرد

بفهم معانيها ، لا يباهي نفسه ، ولا يغالب عقله ، وقد عدم من له يباهي ، ومن أجله يغالب ، والكتاب قد يفضل صاحبه ويتقدم مؤلفه ، ويرجح قلمه على لسانه بأمور :

منها ، أن الكتاب يُقرأ بكل مكان ، ويظهر ما فيه على كل لسان ، ويوجد مع كل زمان على تفاوت ما بين الأعصار ، وتباعد ما بين الأمصار ، وذلك أمر يستحيل في واضع الكتاب ، والمنازع بالمسألة والجواب ، ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان مجلس صاحبه ، ومبلغ صوته ، وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ، ويفنى العقل ويبقى أثره . ولولا ما تسمت لنا الأوائل في كتبها ، وخلدت من عجيب حكمتها ، ودونت من أنواع سيرها ، حتى شاهدنا بها ما غاب عنا ، وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا ، فجمعنا الى قليلنا كثيرهم ، وأدركنا ما لم نكن ندركه إلا بهم ، لقد خسر حظنا من الحكمة ، وضعف سبيلنا الى المعرفة ، ولو أخلصنا الى قدر قوتنا ، ومبلغ خواطرنا ، ومنتهى تجربتنا لما ندركه حواسنا وتشاهده نفوسنا ، لقد قلت المعرفة ، وقصرت الهمة ، وانتقضت المنّة ، وعاد الرأي عقيما ، والخطر فاسدا ، ولكل الحد ، وتبدل العقل . وأكثر من كتبهم نفعاً ، وأشرف منها خطراً ، وأحسن موقعاً ، كتب الله تعالى التي فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كل عبرة ، وتعريف كل سيئة وحسنة . وما زالت كتب الله تعالى في الألواح والصحف والمهارق والمصاحف ، فقد قال الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ وقال : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ويقال لأهل التوراة والإنجيل : أهل الكتاب . وينبغي أن يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل من كان قبلنا فينا . على أننا قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا ، كما أت من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا ، فيما ينتظر العالم بإظهار ما عنده ، وما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه ، وقد أمكن القول ، وصلح الدهر ، وهوى نجم التقيّة ، وهبت ريح العلماء ، وكسد العي والجهل ، وقامت سوق البيان والعلم . والإنسان ليس يجد في كل حال إنسانا

(١) المهارق جمع هراق . وهو ثوب حرير أبيض يسق بالصمغ ويصفل ثم يكسب فيه ، فارسي معرب .

يُدرّسه ومُقوماً يُثقفه ، والصبر على إِفْهام الرِّضِّ شديداً ، وصرف النفس عن مُغالبة العالم أشد منه هما .

والمُتعلّم يجد في كلّ مكان الكتاب عتيداً ، وبما يحتاج اليه قائماً . وما أكثر من فُتْرٍ في التعلّم أيامَ نحول ذكره وأيام حدائثِ سنّته . ولولا جِياذ الكتب وحسنُها ، ومُبينُها ومُختصرُها ، ثم تحرّكت همّ هؤلاء لِطلب العلم ، ونازعت الى حب الأدب ، وأنفت من حال الجهل وأن تكون في غِمار الحشو لدّخل على هؤلاء من الضرر والمضرة والجهل وسوء الحال ما عسى ألاّ يمكن الإخبار عن مُتداره إلا بالكلام الكثير .

ولذلك قال عمر رضى الله تعالى عنه : تفقّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا . وقد تجد الرجل يطلب الآثار وتأويل القرآن ويحالس الفقهاء خمسين سنّة ، ولا يعدّ فقيها ولا يجعل قاضياً ، وما هو إلا أن ينظر في كتب أبي حنيفة وأشباه أبي حنيفة ، ويحفظ كتب الشروط في مقدار سنة أو سنتين حتّى تمرّ ببابه فتُظنّ أنّه باب بعض العمال ، وبالحرى ألاّ يمرّ عليه من الأيام إلاّ اليسير حتّى يصير حاكماً على مصير من الأمصار ، أو بلدةٍ من البلدان .

وينبغي لمن كتب كتاباً ألاّ يكتبه إلا على أنّ الناس كلّهم له أعداء ، وكلّهم عالم بالأمور ، وكلّهم مُتفرّغ له ؛ ثم لا يرضى بذلك حتّى يدع كتابه يغبّ ويختمر ، ولا يثق بالرأى الفطير ؛ فإن لا بداء الكتاب فتنةً وعُجْباً ، فإذا سكنت الطبيعة وهذات الحركة ، وتراجعت الأخلاط ، وعادت النفس وافرةً ، أعاد النظر فيه وتوقّف عند فصوله توقّف من يكون وزن طمعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب ، ويتفهّم معنى قول الشاعر :

إنّ الحديثَ تغرّ القومُ حلوثه . حتّى يكونَ لهم عيٌّ وإِنْ تَنَارَ

ويقف عند قولهم في المثل : ”كلُّ عُجْرٍ في الخلاء يُدرّ“ ، فيخاف أن يعتريه ما يعتري من أجرى فرسه وحده ، أو خلا بقلبه عند فقد خصمه وأهل المزية من أهل صناعته . وليعلم أنّ صاحبَ القلم يعتريه ما يعتري المؤدّب عند ضربه وعقابه ؛ فإكثّر من بعزم على

عشرة أسواط فيضرب مائة، لأنه ابتداء الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون أن الصواب في الإقلال، فلما ضرب تحرك دمه فأشاع فيه الحرارة وزاد في غضبه، فأراه الغضب أن الرأي في الإكثار؛ وكذلك صاحب القلم، فما أكثر من يتدنى الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة. والحفظ مع الإقلال أمكن، وهو مع الإكثار أبعد.

واعلم أن العاقل إن لم يكن بالمشبع فكثيراً ما يغتر من ولده ويحسن في عينه منه القبيح في عين غيره، فليعلم أن لفظه أقرب إليه نسباً من ابنه، وحركته أمس به رحماً من ولده؛ لأن حركته شيء أحدثه من نفسه وبذاته، ومن عين جوهره فصالت، ومن نفسه كانت، وانما الولد كالخطئة يمتخطها، كالنخامة يقذفها، ولا سواء إخراجك من نفسك شيئاً لم يكن منك، واطهارك حركة لم تكن حتى كانت منك، ولذلك نجد فتنة الرجل بشعره وفتنة بكلامه وكتبه، فوق فتنة بجميع نعمته.

وليس الكتاب إلى شيء أحوج منه إلى إلهام معانيه حتى لا يحتاج السامع بما فيه إلى الروية فيه. ويحتاج من اللفظ إلى مقدار يرتفع به عن ألفاظ السفلة والحشوة، ويحطه عن غريب الأعراب، ووحشي الكلام. وليس له أن يهدبه جدّاً وينقحه ويصفيه ويؤرقه حتى لا ينطق إلا باللبّ والسرّ، وباللفظ الذي قد حذف فضوله وتعرّق زوائده، حتى عاد خالصاً لا شوب فيه؛ فإنه إن فعل ذلك لم يفهم عنه إلا بأن يجتهد لهم إلهاماً وتكراراً، لأن الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام، وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم إلا بأن تعطس عليها وتؤخذ بها؛ ألا ترى أن كتاب المنطق الذي قد وسم بهذا الاسم لو قرأته على جميع خطباء الأمصار وبلغاء الأعراب لما فهموا أكثره، وفي كتاب إقليدس، كلام يدور وهو عربي وقد صفي، ولو سمعه بعض الخطباء لما فهمه، إلا بأن يفهمه من يريد تعليمه؛ لأنه يحتاج إلى أن يكون قد عرف جهة الأمر، وتعود اللفظ المنطوق الذي استخرج من جميع الكلام.

وقد قال معاوية بن أبي سفيان رضى الله تعالى عنهما لصُحَّارِ الْعَبْدِي : ما الإيجاز ؟ قال أنْ تَجِيبَ فلا تُبْطِئَ ، وتَقُولَ فلا تُخْطِئَ ؛ قال معاوية : أو كذاك تقول . قال صُحَّارٌ : أَقْلِي يا أمير المؤمنين ، لا تُخْطِئَ ولا تُبْطِئَ . فلو أن سائلا سألَكَ عن الإيجاز فقلت : لا تُخْطِئَ ولا تُبْطِئَ وبحضرتك خالد ابن صفوان لما عَرَفَ بالبديهة وعند أول وهلة أن قولك لا تُخْطِئُ مُضْمَنٌ بالقول ، وقولك لا تُبْطِئُ مُضْمَنٌ بالجواب . وهذا حديث — كما ترى — قد ارتضوه ورووه ؛ ولو أن قائلا قال لبعضنا : ما الإيجاز ؟ لظننت أنه كان سيقول الاختصار والإيجاز ، ليس يعني به قِلَّةُ عدد الحروف واللفظ . وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يَسَعُ بطن طُومار فقد أوجز ، وكذلك الإطالة . وإنما ينبغي أن يحذف بقدر ما لا يكون سببا لإغلاقه ولا يُرَدَّد وهو يُكْتَفَى في الإِفْهَام بشرطه ، فما فَضَّلَ عن المقدار فهو الخطل .

وقلت لأبي الحسن الأَخْفَش : أنت أعلم الناس بالنحو ، فلمَ لا تجعل كتبَكَ مَفْهُومَةً كَالْهَأْ؟ وما بالنأ نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ، وما بالك تُقَدِّمُ بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ قال : أنا رجل لم أضع كتبِي هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذى تدعونى إليه قَلَّتْ حاجتُهُم إلى فيه ، وأتمَّ غايَتِي المَنَالَةُ ، فإذا أضع بعضها هذا الوضع المفهوم لتدعُوهُم حلاوة ما فيهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا ، وأنا قد كَسَبْتُ في هذا التدبير إذ كنتُ إلى التَكْسِبِ ذَهَبْتُ ، ولكن ما بالُ إبراهيم النظام وفلان وفلان يكتبون الكتب لله بزعمهم ، ثم يأخذها مثلى في موافقته وحسن نظره وشدة عنايته ، فلا يفهم أكثرها ؟

وأقول لو أن يوسف السَّعْتِي كتب هذه الشروط أيام جاس سَلَمَانَ بن ربيعة شهرين للقاء فلم يتقدم اليه رجلان والقلوب سليمة والحقوق على أهلها موقرة ، لكان ذلك خَطَلًا ولَعُوا ، ولو كتب في دهرنا شروط دهر سَلَمَانَ لكان ذلك غَرَارَةً ونَقْصًا ،



وجَهلاً بالسياسة وما يَصْلُح لكلِّ دهرٍ؛ ووجدنا الناس إذا خَطَبُوا في صَلَاح بين العشائر أطلالوا، وإذا أَشَدُّوا الشعر بين السَّهَاطِين في مدح الملوك أطلالوا؛ فلا إطلالة مَوْضِعٌ وليس ذلك بِخَطَل، ولا إقلال مَوْضِعٌ وليس ذلك مِن عَجْز.

ولو لا أَنِّي أَتَكَلَّ على أَنَّكَ لَا تَمَلُّ باب القول في البعير حتَّى تَخْرُجَ الى الفيل، وفي الذَّرة حتَّى تَخْرُجَ الى البَعُوضَة، وفي العقرب حتَّى تَخْرُجَ الى الحَيَّة، وفي الرَّجُل حتَّى تَخْرُجَ الى المرأة، وفي الذَّبَّان والنَّحْل حتَّى تَخْرُجَ الى الغَرَبان والعِقبان، وفي الكَلْب حتَّى تَخْرُجَ الى الديك، وفي اللَّذْب حتَّى تَخْرُجَ الى الضَّبُع، وفي الظُّلْف حتَّى تَخْرُجَ الى الحافِر، وفي الحافِر حتَّى تَخْرُجَ الى الخُفِّ، وفي الخُفِّ حتَّى تَخْرُجَ الى البُرْث، وفي البُرْث حتَّى تَخْرُجَ الى الخُلب؛ وكذلك القول في الطير وعامة الأصناف، لَرَأَيْتَ أَنَّ ذلك يُوجب المَلال، ويُعقِب الفترة المانعة من البلوغ في الفهم، وتَعَرَّفَ ما يُحتاج منه الى التَّعرُّف، فرَأَيْتَ أَنَّ جُملة الكُتَّاب وإن كُثِر عدد ورقه، أَنَّ ذلك ليس مِمَّا تَمَلُّ من كثرة قراءته أبداً وتَعَتَّد على فيه بالإطلالة، لِأَنَّهُ وإن كان كُتَّاباً واحداً فَانَّهُ كُتِّبَ كَثيرة، وكلِّ مصحف منها أُمَّ عَلَى حِدَة. فَإِنَّ أَرَادَ قراءة الجميع لم يَطُلْ عليه الباب الأوَّل حتَّى يَهْجُمَ على الثاني، ولا الثاني حتَّى يَهْجُمَ على الثالث، فهو أبداً مُسْتَفِيدٌ وَمُسْتَطَرِّفٌ، وبعضه يَكُونُ جَماعاً لبعض، ولا يزال نشاطُه زائداً، ومَتَى خَرَجَ من آي القرآن صار الى أثر، ومَتَى خَرَجَ من أثر صار الى خبر، ثم يَخْرُجُ من الخبر الى شعر، وَمِنَ الشعر الى نَوادر، ومن النَوادر الى حَكَمٍ عَقْلِيَّةٍ ومَقاييسِ سِدَادٍ، ثُمَّ لَا يَتْرِكُ هذا الباب فلعله أَنْ يَكُونُ أَثَقُلَ، والمَلالُ اليه أَسْرَعُ، حتَّى يَقْضَى به الى مَزْحٍ وفُكاهةٍ والى سُخْفٍ وَخُرَافَةٍ. وَلَسْتُ أَرَاهُ سَخِفاً إِذْ كُنْتُ إِتِّمًا اسْتَعْمَلْتُ سِيَرَةَ الحُكَماءِ ومَأْدُبَةَ العُلَماءِ، ورَأَيْنا الله تَبَارَكَ وتعالى إِذَا خَاطَبَ العرب والأعراب أَخْرَجَ الكلامَ مُخْرَجَ الإِشارةِ والوَحْيِ والحَدْفِ، وَإِذَا خَاطَبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْحَى عَنْهُمْ جَعَلَهُ بِسُوطَا وزاد في الكلام. فَاصُوبِ العملَ أَتِّباعِ آثارِ العُلَماءِ والاحتِذاءِ

على مثال القدماء ، والأخذ بما عليه الجماعة . وقال ابن يسير في صفة الكتب في كلمة له :

أَقْبَلْتُ أَهْرَبَ لَا أَلُو مُبَاعَدَةً \* فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ فَلَمْ يُخْصِصْ أَلْهَرَبُ  
 يَقْصُرُ أَوْسٍ فَمَا وَالَتْ خَنَادِقُهُ \* إِلَى النَّوَارِيسِ فَلَمَّا خُورَ فَالْخَرِبُ  
 فَأَيُّمَا مَوْئِلٍ مِنْهَا أَعْتَصِمْتُ بِهِ \* فَمِنْ وَرَائِي حَيْثُمَا مِنْهُمْ الطَّلَبُ  
 لَمْ رَأَيْتُ بَأَنِّي غَيْرُ مُعْجِزِهِمْ \* فَوَنَّا وَلَا هَرَبًا قَرِيبُ أَحْتَجِبُ  
 وَصِرْتُ فِي الْبَيْتِ مَسْرُورًا بِهِ جَذَلًا \* جَارًا لِبُوءَةِ لَا شَكْوَى وَلَا شَعْبُ  
 فَرَدًّا تُحَدِّثُنِي الْمَوْتَى وَتُنْطِقُ لِي \* عَنْ عِلْمٍ مَا غَابَ عَنِّي مِنْهُمْ الْكُتُبُ  
 هُمْ مُؤَسِّسُونَ وَالْأَلْفُ غَنِيَتْ بِهِمْ \* فَلَيْسَ لِي فِي أَنْبَاسٍ غَيْرِهِمْ أَرْبُ  
 لِلَّهِ مِنْ جُلَسَاءٍ لَا جُلِيسَهُمْ \* وَلَا عَشِيرَهُمْوُ لِلشُّوْءِ مُرْتَقِبُ  
 لَا بَادِرَاتٍ الْأَذَى يَخْشَى رَفِيقَهُمْ \* وَلَا يُلَاقِيهِ مِنْهُمْ مَنْطِقُ ذَرِبُ  
 أَبْقَوْا لَنَا حِكْمًا تَبْقَى مَنَافِعُهَا \* أُخْرَى اللَّيَالِي عَلَى الْأَيَّامِ وَأَنْتَعَبُوا  
 فَأَيُّمَا أَدَبٍ مِنْهُمْ مَدَدَتْ يَدِي \* يَوْمًا إِلَيْهِ فَدَانٍ مِنْ يَدِي كُتُبُ  
 إِنْ شِئْتُ مِنْ مُحْكَمِ الْأَثَارِ يَرْفَعُهَا \* إِلَى النَّبِيِّ ثِقَاتٌ بِرَّةٌ تُجِبُ  
 أَوْ شِئْتُ مِنْ عَرَبٍ عِلْمًا بِأَوَّلِهَا \* فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْبَتْنِي بِهِ الْعَرَبُ  
 أَوْ شِئْتُ مِنْ سِيرِ الْأَمْلَاقِ مِنْ عَجَمٍ \* تُنْجِي وَتُخْرِجُ كَيْفَ الرَّأْيِ وَالْأَدَبُ  
 حَتَّى كَأَنِّي قَدْ شَاهَدْتُ عَصْرَهُمْوُ \* وَقَدْ مَضَتْ دُونَهُ مِنْ دَهْرِهِمْ حَقَبُ  
 يَا قَائِلًا قَصَرْتُ فِي الْعِلْمِ نَهْيَهُ \* أَمْسَى إِلَى الْجَهْلِ فِيمَا قَالَ يَنْتَسِبُ  
 إِنَّ الْأَوَائِلَ قَدْ بَانُوا بَعْلَهُمْ \* خَالَفَ قَوْلِكَ قَدْ آتَوْا وَقَدْ ذَهَبُوا  
 مَا مَاتَ مِنَّا أَمْرٌوُ أَبْقَى لَنَا أَدَبًا \* يَكُونُ مِنْهُ إِذَا مَا مَاتَ يُكْتَسَبُ

وقال أبو وجرة وهو يصف صحيفة كتب له فيها بستان وسقا :

راحت بستان وسقا في حقيبتها \* ما حملت حملها الأدنى ولا السددا  
ولا رأيت قلوفا قبلها حملت \* ستين وسقا ولا جابت بها بلدا

وقال الرازي :

تعلمن أن الدواة والقلم \* تبقى ويفنى حادث الدهر الغم

يقول كتابك الذي تكتبه على يبق فتأخذني به وتذهب غنمي فيما يذهب . ومما يدل على نفع الكتاب أنه لولا الكتاب لم يحز أن يعلم أهل الرقة والموصل وبغداد واسط ما كان بالبصرة وحدث بالكوفة في بياض يوم ، فتكون الحادثة بالكوفة غدوة فيعلمها أهل البصرة قبل المساء .

وذلك مشهور في الحمام الهدي : اذا جعلت بردا قال الله جل وعز ، وذكر سليمان ومملكه الذي لم يؤت أحدا مثله ، فقال : « وَفَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ » إلى قوله : « أَوْ لَا ذُبْحَنَهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ » . فلم يلبث أن قال الهدهد : « وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ » . قال سليمان : « أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ » وقد كان عنده من يبلغ الرسالة على تمامها من عفریت ومن بعض من عنده علم من الكتاب فرأى أن الكتاب أبهى وأنبأ وأكرم وأنغم من الرسالة عن ظهر لسان وإن أحاط بجميع ما في الكتاب . وقالت ملكة سبأ : « يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ إِلَهٍ أَلْقَى إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ » فهذا مما يدل على قدر اختيار الكتب وقد يريد بعض الحيلة الكبار وبعض الأدباء والحكماء أن يدعوا بعض من يجرى مجراه في سلطان أو أدب إلى مأذبة أو ندام أو خروج إلى متنه أو بعض ما يشبه ذلك ، فلو شاء أن يبلغه الرسول إرادته ومعناه لأصاب من يحسن الأداء ويصدق في الإبلاغ فيرى أن الكتاب في ذلك أسرى وأنه وأبلغ ولو شاء النبي صلى الله عليه وسلم ألا يكتب الكتب إلى كسرى وقیصر والنجاشي

والمُقَوِّس وإلى بنى الجَلَنْدَى وإلى العَبَاهِلَة من جَمِير وإلى هَوْدَة بن علي وإلى الملوك العظاء والسادة الثَّجَبَاء لفعل ولوجد المُبَلِّغ المعصوم من الخطأ والتبديل، ولكنه عليه السلام علم أن الكتاب أشبه بتلك الحال، وأليق بتلك المراتب، وأبلغ في تعظيم ما حواه الكتاب، ولو شاء الله أن يجعل البشارات على الألسنة بالمرسلين ولم يودعها الكتب لفعل ولكنه تعالى وعزّ علم أن ذلك أتم وأكمل، وأجمع وأنبئ؛ وقد يكتب بعض من له مرتبة في سلطان أو ديانة إلى بعض من يشاكلة أو يجرى مجراه فلا يرضى بالكتاب حتى يخرجه ويختمه، وربما لم يرض بذلك حتى يعنونه ويعظمه.

قال الله جل وعز: ﴿أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي كُتُبِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ فذكر كُتُبُ موسى الموجودة وكُتُبُ إبراهيم البائدة المعسومة ليُعرف الناس مقدار النفع والمصلحة في الكتب. قالوا: وكانت فلاسفة اليونانية تَوَرَّثَ البنايت العينية وتوزت البين الدني؛ وكانت تصل العجز بالكفاية والمؤونة بالكلفة وكانت تقول: لا تَوَرَّثُوا الآبَن من المال إلا ما يكون عَوْنًا له على طلب المال، وأغذوه بحلاوة العلم وأطبعوه على تعظيم الحكمة ليصير جمع العلم أغلب عليه من جمع المال، وليرى أنه العتاة والعتاد، وأنه أكرم مُستفاد، وكانوا يقولون: لا تَوَرَّثُوا الآبَن من المال إلا ما يَسُدُّ الخلة، ويكون له عونا على درك الفضول. إن كان لا بد من الفضول، فإنه إن كان فاسدا زادت تلك الفضول في فساد، وإن كان صالحا كان فيما أورثته من العلم، وبقيتم له من الكفاية ما يَكْسِبُه الحال، فإن الحال أفضل من المال، ولأن المال لم يزل تابعا للحال، وقد لا يتبع الحال المال، وصاحب الفضول بعرض فساد وعلى شفا إضاعة مع تمام الحنكة واجتماع القوة؛ فما ظنكم بها مع غمارة الحداثة وسوء الاعتبار وقلة التجربة! وكانوا يقولون: خير ميراث ما كسبك الأركان الأربعة، وأحاط بأصول المنفعة وعجل لك حلاوة المحبة، وبقي لك الأحذوثة الحسنة، وأعطاك عاجل الخير وآجله، وظاهره وباطنه؛ وليس يجمع ذلك إلا ذمام الكتب النفيسة المشتملة على ينابيع العلم، والجامعة لكنوز الأدب ومعرفة الصناعات وفوائد الإرفاق؛

وحجج الدين الذي بصحته وعند وضوح برهانه تسكن النفوس وتلج الصدور، ويعود القلب معمورا، والعز راسخا، والأصل فسيحا، وهذه الكتب هي التي تزيد في العقل وتشحذه، وتدويه وتصلحه، وتهذب وتنفى الخبث عنه، وتفيدك العلم وتصادق بينك وبين الحق، وتعودك الأخذ بالثقة وتجلب الحال وتكسب المال. ووراثه الكتب الشريفة والأبواب الرفيعة منبهة للورث وكثر عند الوارث، إلا أنه كثر لا يجب فيه الزكاة ولا حق السلطان، وإذا كانت الكنوز جامدة ينقصها ما أخذ منها كان ذلك الكثر مائعا يزيده ما أخذ منه، ولا يزال بها المورث مذكورا في الحكماء ومثوها باسمه في الأسماء، وإماما متبوعا، وعالما منصوبا، ولا يزال الوارث محفوظا، ومن أجله محبوبا ممنوعا، ولا تزال تلك المحبة نامية ما كانت تلك الفوائد قائمة ولن تزال فوائدها موجودة ما كانت الدار دار حاجة، ولن يزال من تعظيمها في القلوب أثر ما كان من فوائدها على الناس أثر.

وقالوا: متى ورثته كتابا وأودعته عالما فقد ورثته ما يغل ولا يستغل، وقد ورثته الضيعة التي لا تحتاج إلى إثارة، ولا إلى سقي، ولا إلى إسجال بايغار، ولا إلى شرط ولا تحتاج إلى أكار ولا إلى أن يثار، وليس عليها عشر ولا للسلطان عليها نخرج، وسواء أفدته عالما أو ورثته آلة علم، وسواء دفعك إليه الكفاية أو ما يجلب الكفاية، وأما تجرى الأمور وتصرف الأفعال على قدر الإمكان، فمن لم يقدر إلا على دفع السبب لم يجب عليه إحضار المسبب، فكتب الآباء تحييب للأحياء، ونحيا لذكر الموتى.

وقالوا: ومتى كان الأب جامعا بارعا وكانت موارثه كتباً بارعة، وآدابا جامعة، كان الولد أجدر أن يرى التعلم حظا وأجدر أن يسرع التعليم إليه ويرى تركه خطأ، وأجدر أن يجري من الأدب على طريق قد أنجح له، ومنهاج قد وطئ له، وأجدر أن يسرى إليه عرق من نجله وسقى من غرسه، وأجدر أن يجعل بدل الطلب للكتب النظر في الكتب، فلا يأتي عليه من الأيام مقدار الشغل بجمع الكتب، والاختلاف في سماع العلم، إلا وقد بلغ بالكفاية غاية الحاجة وإما تُفسد الكفاية من تمت آدابه، وتوافقت إليه أسبابه، فآقا

الحدّث الغريب، والمنقوص الفقير. نخير موارثه الكفاية الى أن يبلغ التمام، ويكمل للطلب. نخير ميراث ورث كسب وعلم، ونخير المورثين من أوّث ما يجمع ولا يُفَرِّق، ويُصَرِّح ولا يُعْمى، ويُعطى ولا يأخذ، ويجود بالكلّ دون البعض، ويدع لك الكثر الذي ليس للسلطان فيه حق، والركاز الذي ليس للفقراء فيه نصيب، والنعمة التي ليس للحاسد فيها حيلة، ولا للصوص فيها رغبة، وليس للخصم عليك فيه حجة، ولا على الجار فيه مؤونة.

وأما ديمقراط فإنه قال: ينبغي أن يعرف أنه لا بد من أن يكون لكلّ كتاب علم وضعه أحد من الحكماء ثمانية أوجه، منها الهمة والمنفعة، والنسبة والصحة، والصنف والتأليف، والإسناد والتدبير، فأولها أن تكون لصاحبه همة، وأن يكون فيها وضع منفعة، وأن يكون له نسبة ينسب إليها، وأن يكون صحيحاً، وأن يكون على صنف من أصناف الكتب معروفاته، وأن يكون مؤتلفاً من أجزاء خمسة، وأن يكون مُسنداً الى وجه من وجوه الحكمة، وأن يكون له تدبير موصوف. فذكر أن أبقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه في هذا الكتاب وهو كتابه الذي يُسمّى «أفوريسموا» تفسيره: كتاب الفصول. وقولك وما بلغ من قدر الكلب مع لوم أصله، وخُبث طبعه، وسقوط قدره، ومهانة نفسه، ومع قلة خيره وكثرة شرّه، واجتماع الأثم كلّها على استسقاطه واستسفالته، ومع ضربهم المثل في ذلك كلّ به، ومع حاله التي يُعرف بها من العجز عن صولة السباع، واقتدارها، ومن تمنعها وتشرفها وتوحشها، وقلة إسماعها، وعن مسالة البهائم وموادعتها، والتمكين من إقامة مصلحتها، والانتفاع بها، إذ لم يكن في طبعها دفع السباع عن أنفسها، ولا الاحتياال لمعاشها، ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخوفة. ولأنّ الكلب ليس بسبع تام ولا بهيمة تاقية حتى كأنه من الخلق المركّب، والطبائع الملققة، والأخلاق المجتلبة، كالبغل المتلون في أخلاقه الكثير العيوب المتولدة عن مزاجه، وشرّ الطبائع. ما تجاذبته الأعراق المتضادة والأخلاق المتفاوتة، والعناصر المتباعدة، كالراعي من الحمام الذي ذهب عنه هداية الحمام، وشكل هديره وسرعة طيرانه، وبطل عنه غمر الورشان، وقوة جناحه، وشدة عصبه، وحسن

صوته، وشجا حلقه، وشكل لحونه وشدة إطرابه، وأحتماله لوقع البنادق، وجرح الخالب .  
وفي الراعي أنه مسرول مُثقل، وحدث له عظم بدن وثقل وزن لم يكن لأبيه ولا لأمه .  
وكذلك البغل خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ويعيش نتاجهما ويبقى بقاءهما،  
وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم، ولا يبقى للبغلة ولد وليس بعاقرة؛ فلو كان البغل عقيماً  
والبغلة عاقراً لكان ذلك أزيد في قوتها وأتم لشأنتها، فمع البغل من الشبق والنعظ ما ليس  
مع أبيه، ومع البغلة من الشوس وطلب السفاد ما ليس مع أمها؛ وذلك كله قدح في القوة  
وتقص في البنية، ونرج غرمولها أعظم من غراميل أعمامه وأخواله، فترك شيهما ونزع  
إلى شيء ليس له في الأرض أصل، ونرج أطول عُمرًا من أبيه وأصبر على الأثقال من  
أبيه؛ أو كابن المذكرة من النساء، والمؤنث من الرجال، فإنه يكون أخصب نتاجاً من البغل  
وأفسد أعراقاً من السَّمْع، وأكثر عيوباً من العسبار، ومن كل خلق خُلِق إذا تركب من  
ضد، ومن كل شجرة مُطعمَةٌ بخلاف؛ وليس يعترى مثل ذلك الخلايبي من الدجاج،  
ولا الورداني من الحمام؛ وكلّ ضَعْف دخل على الحلقة، وكلّ رقة عرّضت للحيوان، فعلى  
قدر جنسه وعلى وزن مقداره وتمكّنه يظهر العجز والعيب . وزعم الأصمعي أنه لم يسبق  
الحلبة فرس: أهضم قط . وقال محمد بن سلام لم يسبق الحلبة أبلق قط ولا بقاء .

والهداية في الحمام والقوة على بعد الغاية إنما هي للخصّة من الخضر . وزعموا أن  
النّيات كلّها ضعف ونقص، والشّية : كلّ لون دخل على لون . وقال الله جلّ وعزّ: ﴿قَالَ إِنَّهُ  
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَامَةً لَّاشِيَةِ فِيهَا﴾ . وزعم عثمان  
ابن الحكم أن ابن المذكرة من المؤنث يأخذ أسوأ خصال أبيه وأردأ خصال أمه فتجتمع

(١) السمع بكسر السين وإسكان الميم وبالعين المهملة : ولد الذئب من الضبع وهو سبع مركب فيه شدة الضبع  
وقوتها وجرأة الذئب وخفته (راجع حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٣٢) - (٢) العسبار بكسر العين وبالسّين  
السّاكنة والأثنى عسبارة : ولد الضبع من الذئب وجهه عسبار (راجع حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ١٣٩) .  
(٣) الخلايبي : الولد بين أبيض وأسود، والدّيك بين دجاجتين هندية وفارسية . (٤) الورداني  
بالراء المهملة طائر منولد بين الورشان والحمام وله غرابة لون وظرافة قد .

فيه عظام الدواهي وأعيان المساوي، وأنه اذا خرج كذلك لم يُنجع فيه أدب ولا يطمع في علاجه طيب، وأنه يرى في دور ثقيف فتي اجتمعت فيه هذه الحصال، فما كان في الأرض يوم إلا وهم يتحدثون عنه بشيء يصغر في جنبه أكبر ذنب كان ينسب اليه . وزعمت أن الكلب في ذلك كالحنثي الذي هو لا ذكر ولا أنثى، أو كالخصي الذي لما قطع منه ما صار به الذكر فلاح خرج من حد كمال الذكر بفقدان الذكر، ولم يكل لأن يصير أنثى للغريزة الأصلية وبقية الجوهرية، وزعمت أنه يصير كالنبيذ الذي يفسده إفراط الحر، فيخرجه من حد الخل، ولا يدخله في حد النبيذ . وقال مرداس بن خذام :

سَقِينَا عَقَالًا بِالتَّوِيَةِ شَرِبَةً \* فَمَالَتْ بُلْبُ الكَاهِلِيَّ عِقَالِ  
فَقُلْتُ اصْطَبَحْتُهَا يَا عِقَالُ فَإِنَّمَا \* هِيَ الْخَمْرُ خَلَّتْهَا بِخِيَالِ  
رَمَيْتُ بِأَمِّ الْخَلِّ حَبَّةً قَلِيلَةً \* فَلَمْ يَنْتَعِشْ مِنْهَا ثَلَاثَ لَيَالِ  
بِفَعْلِ الْخَمْرِ أَمَّ الْخَلِّ قَدْ يَتَوَلَّدُ عَنْهَا ، وَقَدْ يَتَوَلَّدُ عَنِ الْخَلِّ إِذَا كَانَ نَحْمَرًا مَرَّةً الْخَمْرُ .

وقال سعيد بن وهب

هَلَّا وَأَنْتَ بِمَاءِ وَجْهِكَ تُشْتَمَى \* رُودُ الشَّبَابِ قَلِيلُ شَعْرِ الْعَارِضِ  
فَالْآنَ حِينَ بَدَتْ بِخَذْلِكَ لِحْيَةً \* ذَهَبَتْ بِمِلْحِكَ مَلءَ كَفِّ الْقَارِضِ  
مِثْلَ السَّلَافَةِ عَادَ نَحْمَرُ عَصِيرَهَا \* بَعْدَ اللَّذَازَةِ خَلَّ نَحْمَرُ حَامِضِ

ويصير أيضا كالشعر الوسط والغناء الوسط ، والنادرة الفاترة التي لم تخرج من الحر الى البرد فتضحك السن ولم تخرج من البرد الى الحر فتضحك السن .



## باب الرسائل

### ١ - الفصول المنتخبة من الرسائل المختارة في كل فن<sup>(١)</sup>

#### كتب رجل الى صديق له :

إن آباءك شادوا أكارمهم بالفضائل التي كانت فيهم ، وإنك قد كنت أخذت في مَدْرَجَتِهِمْ فَأَوْفَيْتَ عَلَى غَايَتِهِمْ ، ثُمَّ اخْتَلَجْتَ الْهَوَى بِبَعْضِ جَدِيلَتِكَ وَجُودِكَ ، مِنْ لِبَاسِ<sup>(٢)</sup> فَضْلِكَ الَّذِي كُنْتَ تَطُولُ بِهِ عَلَى أَكْفَائِكَ ، وَتَمْلِكُ بِهِ أَعْنَةَ كَافَّةِ جُنْدِكَ ، وَأَلْقَيْتَ مَالَكَ عَلَى شَرِّ عَوَاقِبِهِ عَلَيْكَ لَا لَكَ إِنْ زِلْتَ مَكَارِهِ بَوَادِرِهِ عَنْكَ .

فصل - قيل : إن مروءة الرجل في نفسه تَسْبُ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ، فإنه إذا فعل الخير عُرف له ، وَبَقِيَ فِي الْأَعْقَابِ وَالْأَصْحَابِ ، وَلَقِيَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ .

فصل - إن حَقَّ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْظُرُوا فِي دِينِهِمْ بِالنَّصِيحَةِ لِأَيِّمَتِهِمْ ، فَإِنَّ الْأُئِمَّةَ إِذَا صَلَحُوا بُدِّلَ الْهَوَى بِالتَّقْوَى فِي قُلُوبِهِمْ ، وَمَاتَتْ سُورَةُ الْغَضَبِ فِيهِمْ لِأَحْلَامِهِمْ ، وَسَكَنَتِ الْعَاصِمَةُ إِلَى عَدْلِهِمْ وَذَاتُ الْإِنْصَافِ لَهُمْ . وَإِذَا كَانَ لِلْحَسَنِ مِنَ الْحَقِّ مَا يَقْنَعُهُ ، وَلِلظَالِمِ مِنَ النِّكَيرِ مَا يَقْمَعُهُ ، بِذَلِكَ الْحَسَنُ الْحَقَّ عَلَيْهِ رَغْبَةً ، وَذَلِكَ الْمُسِيءُ بِالْحَقِّ عَلَيْهِ رَهْبَةً . فَأَقُولُ مَا أَمَرَكُ بِهِ رَجَاءُ اللَّهِ وَتَقْوَاهُ . فَأَمَّا رَجَاؤُهُ فَإِنْ تُحْسِنَ بِهِ فِي الصُّنْعِ إِذَا أُطْلِعَتْهُ ، وَيَكُونُ لَكَ وِقَايَةٌ إِذَا آثَرَتْهُ مَطْمَئِنًا . وَأَمَّا تَقْوَاهُ فَإِنْ تَكُونُ لَهُ فِيمَا أَمَرَكَ بِهِ وَنَهَاكَ عَنْهُ مُرَاقِبًا ، فَإِنَّ تَقِيَّةَ الْمُؤْمِنِ تَزِيدُ فِي أَنْشِرَاحِ صَدْرِهِ ، وَإِنْ شَدَّتْ خَوْفُهُ تَرَدَّدَ هَوَاهُ عَلَى عَقْلِهِ .

(١) نفلا عن اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور .

(٢) الجديلة : الناصبة والحالة والطريقة .

فصل — تنبه اذا نهبت، وأذكر اذا ذكرت، وانتفع فقد وعطت، وأسمع فقد أوديت، نبهك الوعيد، وحذرك الزاجر، وأمرك ونهاك الكتاب، ونعتك آثار الموت، ودعاك الى الجنة مليء جواد، فالخذ الخد، فقبل المهجرة يريح المدليج .

فصل — ما نظرت في معروف عند أحد، فوجدته قُصر عن أمله وكان يمكنني أن يكون أكثر منه، إلا عددته سيئة لي عنده، لآني ذوقته ما أحب، ثم منعته إياه، وكأني قصدت لإشخاص قلبه . ولا نظرت في معروف عند أحد فوجدته قد تنهى عند تنهى أمله وكان يمكنني أن يكون أكثر منه، إلا رأيتني في ذلك واثراً لنفسى، لأنه كفى عيباً لها وإزرأ بها، أن أفنع ... فضل تتخذه بمثل ما أفنع رجلاً من فضل يتخذه عليه .

فصل — ما أنت بمن يعلم من جهل به، ولا تحس منه بادرة زلة، ولا يقابل بين أمرين إلا عرف خيرهما فأثره، وشرهما فاجتنبه. وقد رأيت ما ساقط اليك الطاعة من حظ العاجلة، فلا تتعرض لزوال ما أنت فيه، فتخسر الحظين، وتندم في الدارين؛ ففسد رأيت من عائد الحق كيف صرعه الله وبسط يده وليه على سفك دمه، وإحلال النعمة به، فصار بعد أن كان في الأمانة مثلاً، وجميع الخلق غاية وأملاً، فكرة في الاعتبار، وعظمة للأبصار. فلا يبعد الله إلا من ظلم وختر، وذهب عن الحق وأدبر. وأنت اليوم تحكم في أمرك، مخير في رأيك، تدعى الى حظك بالحظ الجزيل بتدلل. فاهتبل ما قد هدف لك وهو يمكن ليدك، فإنك إن أهملت وتراخيت، لم يكن بالحق ووليّه وحشة اليك، ومضت أحكام الله في نصرها وتأبيدها على أذلالها، وصيفرت يرك بما لا يشرف لك بمثله، وأخطرت بدمك وأسألته أخبث مسيل وأضلّ سبيل، حيث لا تبكي عليك السماء والأرض .

(١) بياض في الأصل . ولعله : أن أفنع نفسى بفضل أتخذه بمثل . أفنع رجلاً الخ .

(٢) على أذلالها : على وجوها وطرقها .

فصل - الناس رجالان : عالمٌ لا غنىَ به عن الازدياد، وجاهلٌ به أعظم الحاجة الى التعلم ، وليس في كل حال يكون العالم لما يَيدُهُه من الأمور مُعَدًّا ، ولا المتعلم على ما يستفيد منه قادرا وفيًا .

فصل - إن أنت عطَّلتنا من أمورك ، وأعقبت ظهورنا من أثقالك ومؤونتك ، وتركتنا أغفالا في ولايتك من تهيبك وتحريكك ، فقد أنزلتنا منزلة من لا خير عنده ، وجعلت نفسك أسوة من لا مُعين له ، وكفى بذلك ظلما .

فصل - إن إعلامي إياك ... غير محدّد شيئا ، ولكنه أقرب من الجميل <sup>(١)</sup> في معرفة عذر المعتذر ، وأحمل للأمة على المسيء المقصّر .

فصل - الذي آتمدنا عليه من رأيك ، ونثق به من جميل نظرك ، قد خلطني بأهل صنائعك ، والخاصة من ثقاتك ، وبسّط أملى فيك الى غاية خير يُرتجى ، أو جزيل حظ يؤمل .

فصل - ليس يسوغ لأحد في الأمير أمل ، ولا يتوجه اليه منه رغبة ، ولا يلزمه في قضاء حقه ، ودنانة مؤنته إلّا وفضله مستغرق لها <sup>(٢)</sup> .

فصل - من أحمد الأمور وأجمل المذاهب ، ما كان آخره موصولا بأوله ، ومؤدّيا بدؤه الى حَمْد عاقبته ؛ لحافظ على الأمور التي حَسُن فيها عند أمير المؤمنين أثرُك ، مستفلا فيها لكثير ما يكون منك ، مُعْتَدّا بها في النعم عندك ، والإحسان الواصل اليك ، فيما يوفقك الله له منها ويخصّصك به من الفضل في اختيارها ، وأمير المؤمنين يستحفظه الله لك ، ويستمتع به في النعمة فيك .

فصل - قد كان يجب أن تجعلنا بمتابعة النعم علينا في خاصّة الشاكرين لفضلك ، ولا تجعلنا بتواتر الإساءات إلينا في عاقبة الشاكرين لك .

(١) بياض في الأصل . ولعل الكلمة المتروكة «بحاجتي» . والظاهر أن كلمة «محدّد» محرقة عن كلمة «مجد» .

(٢) كذا بالأصل .

**فصل -** عَليّ بنِ الله عليه أخلاقُ الأمير أكرمه الله ، وجعل عليه رأيه في بسط العدل على رعيته ، وبَثَّ الفضل على مُتَمِسِّبِي فضله ، يبعثني على الكتاب في مثل ما كتبتُ إليه فيه ، من ظُلامة مظلوم يستعيد فيها بعدله ، وحاجة ملهوف يرجع فيها الى فضله ؛ فأجمعُ الى ما أُنيس من الثواب في ذلك مُوافقةً رأى الأمير ، وإذ كاره ما يجب أن يذكر به ؛ فزاد الله الأمير من نعمه ، وأوزعه من الشكر عليها ما يُوجب له لتابعها عنده ، وترادفها له .

**فصل -** أنت والحمد لله ممن احتمل الصنعة ، وقيل الأدب ، وصدق الخيلة وخلص على المحنة وحسن الظن ؛ فاستقامت طريقته وقدمه جميل مذهبه وآثاره ، وبحث على قصد السبيل طاعته ، واشتدت على السرية والعلانية مُناصحته ؛ فأصبح أمير المؤمنين لا يتناهى في برِّك وتكرّمك ، إلّا رآك مُستحقاً لها ولمّا فوقها ، ولا يرفعك الى درجة إلّا رآك أهلاً لأشرف منها ، صنعا من الله لك بما وفقك له من طاعته ، ووهب لك من جميل مراتبه ، والمكان منه والأثرة عنده .

**فصل -** فضلُ مشاركتنا إياك في محبوب الأمور ومكروها يحملنا في السرور بالنعمة عندك - بخددها الله لك - ويوجب الشكر بما يكون لحقها قاضيا ، وللازيد فيها موجبا .

**سعيد بن حميد -** شُغْلُكَ يقطعنا عن مطالبتك بالحق في جوابات كُتِبنا اليك ، وصدقُ مودتنا لك يمنعنا من النقصى في الحجّة عليك ، ومن يكأُك الى رأيك فإنه لا يفي بك إلّا لك ، صلة إخوانك والتعاهد لهم من برِّك ، بما يُشبه فضلك والنعمة عليهم فيك .

وفلان بنى وبينه مودة أقدمه بها على الأخوة ؛ لأنك تعلم قرب ما بين المودة والقرابة ، وقد بلّوته على الحالات كلّها ، فلم يزدني آخباره إلّا اختيارا له ؛ ولا أعلم بالعسكر جليلا إلّا وهو لي صديق ، يشكر بشكره ويوجب على نفسه المنة فيما أتى اليه ؛ فأما من بين إخوانه فلست أعيل عن قضاء حقّه ، ولا أتأخّر عن معروف أسلدى اليه ؛ فإن رأيت أن

تُجَاهِلُ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ بِنَفْسِهِ وَسَلَفِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ سُوقَ الْأَحْرَارِ أَنْفَقَ مِنْهَا عِنْدَكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ، أَبَقِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَقْبَابِكُمْ وَرَحِمَ مَاضِيَكُمْ .

**فصل —** إِنَّ أَحَدًا لَيْسَ بِمُسْتَخْلَصٍ شَيْئًا مِنْ غَضَارَةِ عَيْشٍ إِلَّا مِنْ بَيْنِ خِلَالِ مَكَارِهِ ، فَمَنْ أَنْتَظَرَ بِعَاجِلِ الدَّرَكِ أَجَلَ الْأَسْتِقْصَاءِ سَلَبَتْهُ الْأَيَّامُ فُرْصَتَهُ ، لِأَنَّ مِنْ صِنَاعَتِهَا السَّلْبَ ، وَمِنْ شَرْطِ الزَّمَانِ الْإِفَاتَةَ .

**فصل —** إِنَّ الْأَمِيرَ قَدْ جَلَّ فَضْلُهُ عَنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ وَصْفٌ ، أَوْ يَأْتِيَ عَلَى تَعْدَادِهِ اجْتِهَادٌ ، فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَكْثَرَ مِنَ الشُّكْرِ لَكَانَ الْأَمِيرُ يَسْتَحِقُّهُ عَلَيْنَا ، وَيَسْتَوْجِبُهُ مِنَّا .

**فصل —** قَدْ أَصْبَحَ الْمُخْتَلِفُونَ مَجْتَمِعِينَ عَلَى تَقْرِيطِهِ وَمُدْحِهِ ، حَتَّى إِنَّ الْعَدُوَّ يَقُولُ أَضْطَرَارًا مَا يَقُولُهُ الْوَلِيُّ اخْتِيَارًا ، وَالْبَعِيدُ يَثِيقُ مِنْ إِنْعَامِهِ عَلَيْنَا بِمَا يَثِيقُ بِهِ الْقَرِيبُ خَاصًّا .

**فصل —** الْمَائِلُونَ إِلَيْهِ بَيْنَ نَعَمٍ مُكْتَنِفَةٍ مِنْ تَالِدٍ بِهِ يَسْتَدِيمُونَهُ ، وَطَارِفٍ مِنْهُ يَسْتَعِيدُونَهُ ، وَهَوَاهِبٍ مُتَجَدِّدَةٍ ، وَفَوَائِدٍ مُتَرَادِفَةٍ ، هِيَ مَبْسُوطَةٌ بِهِ إِلَى بَرَكَةِ أَيَّامِهِ ، وَعُلُوُّ حِفْظِ<sup>(١)</sup> مَنْ أَتَّصَلَ بِهِ ، فَزَادَهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَزَادَ أَوْلِيَائَهُ بِهِ وَبِرَكَّةِ دَوْلَتِهِ .

**فصل —** اعْتَمَدْتُ أَخًا لَا يُدَيِّمُ إِخَاؤُهُ ، وَلَا تُشْكِرُ أَحْوَالُهُ ، عَلَى بَعْدِ الدَّارِ وَقُرْبِهَا ، وَأَنْصَالَ الْمَكْتَابَةَ وَأَنْقَطَاعَهَا ، تَجِدُهُ مُتَصَرِّفًا مَعَكَ فِي الْخُطُوبِ الَّتِي يَطْرُقُ بِهَا الزَّمَانُ ، وَيَدَا لَكَ فِي الْأُمُورِ الَّتِي يُتَمَحَّنُ فِيهَا الْإِخْوَانُ .

**فصل —** أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مَا تَطُولُ بِهِ فِيهِ مِنَ الْجَلَالَةِ فِي الْقُلُوبِ وَالْعْيُونِ عِنْدَ الْوَلِيِّ وَالْعَدُوِّ مَوْصُولًا بِالْإِنْسَاءِ فِي مَدَّتِهِ ، وَالْإِدَامَةِ لِعِزِّهِ وَسَلَامَتِهِ ، وَالْأَعْلَاءَ لِيَدِهِ وَكَلِمَتِهِ .

أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ — عِنْدِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، فَإِنْ كُنَّا مِنْ شَأْنِكَ فَقَدْ آذَنَّاكَ .

فِي صِفَةِ حَرْبٍ — كَانَتْ لَكُمْ الْكَرَّةُ ، وَعَلَيْهِمُ الدَّبْرَةُ ، فَهَلُمُوا حِمْلَةً كَاذِبَةً ، أَتَبَعْنَاهَا بِأُخْرَى صَادِقَةً .

(١) فِي الْأَصْلِ : « حِفْظُهُ » وَالسِّيَاقُ يَقْضِي مَا أُثْبِتَ .

فصل في هدية — قد أهديتُ اليك من فنون كلامي وعيون مقالِي، دفترًا ظريف المعاني، شريف المباني، صحيح الألفاظ؛ يَلدُّ بأفواه الناطقين، ويَلين على أسماع الصامتين .

فصل في شفاعَة — لفلان قبلك حاجة، ليس يحتاج فيها إلى معدلتك ونصفتك المبسوطتين لمن لا يتوسَّل بخَطِّطِكَ ومعرفتكَ، ولكنه يريد ما في ذلك العسَدل والإنصاف من الرفق والإحسان المدخورين للخاصَّة والإخوان .

فصل لرجل تميمي — ضَعُف حالي يدعوني إلى كثرة الطلَب، ومَعْرِقِي بجمل رأيك تحجزني عن الإلحاح عليك، خوفًا أن أكون جاهلاً بعنايتك، وحسن نظرك، والكرم يستحي بعضه لبعض، ويبعث بعضه بعضًا، ودين حيلته الغير على العقود، فبعثه كرمه للنهوض، أودعاه هواه إلى المنع، بخاءه عقله على البذل؛ وحالي جائحة لدى فضلك ونعمة الله عليك من سدَّ خائنها، ومداداة علتها بجهاك الواسع، ورفدك النافع .

أحمد بن يوسف — قد بدلت لنا من نفسك أعزَّ مَبْدُول وأنفسه، والمودة التي كلما يُحمد من صاحبها، فهو لها نافع . وثقتنا بك واستنامتنا إلى ناحيتك، على أحسن ما أكَد الله بيننا وبينك . وإن كان مدى اللقاء بيننا لم يَطُلْ فأثَّل منه ما يراءه أهل الوفاء والمخالصة، ويقصِّر في المحافظة عليه وعلى أكثر منه، من دُخِلَتْ نيَّته، وصَعُفَتْ خُلتُه .

فصل — قد أصبحت للخاصَّة عُدة، وللعامة عَصمة، وللأنام ثقة في مناصحتك .

فصل في الصفيح لأبي علي — إن الذي فرط منك، وإن تجاوزَ مني ما أرضاه لك، لم يبلغ ما يُغضبني عليك؛ وحيث انتهى ما يخالفني من قولك وفعلك، فإن وراءه تنمُّدًا مني لإساءتك وصَفْحًا عن زلتك؛ فإن تأمَّنَّا لا تُخُنْكَ، وإن يسؤُ ظنُّكَ فإنما نحتاج إلى إصلاحه منك .

أحمد بن يوسف — إلى إبراهيم بن المهدي في هدية استقلَّها :

بلغني استقلالُك لما أَلطقتُك، والذي نحن عليه من الأنس بهل علينا قِلَّة الحشد لك في البر، فأهدينا هدية من لا يَحْتَشِم إلى من لا يَغْتَنِم .

كتب عَقَّال بن شُبَّة - الى خالد بن عبد الله في شفاعته :

إنَّ الله انتخبك من جوهرة كرم ومنبت شرف، وقسم لك خطراً شهرته العرب وتحدثت به الحاضرة والبادية، وأعان خطرك بقدره مبسوطه، ومنزلة ملحوظه؛ بغميع أكفائك من جماهير العرب، يعرف فضلك، ويسره ما خار الله لك، وليس كلهم أداله الزمان ولا ساعده الحظ؛ وأنت أحق من تعطف على أهل البيوتات، وعادلهم بما يبق له ذكروه ويحسن به نشره، مثلك . وقد وجهت اليك فلانا، وهو من دنية قرايجي، وذوى الهيئة من أسرقى، وعرف معروفك؛ وأجبت أن تلبسه نعمتك وتصرفه الى وقد أودعني وإياه ما تجده باقياً على النثر، جميلاً في الغيب .

### فصل في التوديع

استودع الله الأمير بأحسن ودّاعه، وأسأله أن يجعله في كنفه وحرزه، فقد أكرم المشوى، وأحسن الابتغاء؛ فأطال الله له البقاء، وأدام عليه النعماء .

### في الصفح

بلغني كتابك، تذكر كتابي اليك بوضعي عنك مؤجدي، وردني لك الى أحسن ما عهدت من منزلتك عندي؛ وقد حلت منّا المحل الذي خلطناك فيه بأنفسنا، وأدخلناك منه مداخل أهل ثقتنا؛ ولست تؤتى من جهالة بما أنت فيه، ولبعض ما أنت عليه من التجارب تستفاد بمثلها العبر، ويُنْتَفَع بها في عطف الأمور .

### جواب في فتح

كتب سالم بن هشام الى يوسف بن عمر حين قتل زيد بن علي رحمة الله عليه :

قد بلغ أمير المؤمنين كتابك بما أبلى الله في مئذره السوء، وأنه لما عضتهم الحرب، وآلمهم الحديد، عادوا بالمسجد الجامع، قد أكذب الله ظنونهم، وخدّل تحرجهم، وقتل إمام ضلالتهم؛ وحفظ لأمر المؤمنين ما ضيعوا من حقه، وحاط له ما أباحوا من الغدر فيه؛ وقد رأى أمير المؤمنين أن يجعل من شكر الله على نعمه، الصفح عنهم، وتغمّد حرمهم

وَأَنْ يَعْصِيَهُمْ مِنْ عَدْلِهِ ، بِمَا يَرِدُّ بِهِ الْجَاهِلُ عَنْ جِهَلِهِ ، وَالْغَوِيُّ عَنْ غَوَايَتِهِ ؛ وَيَعْلَمُونَ مَكَانَهُ مِنْ اللَّهِ ، وَاسْتِجَابَتَهُ لِعَزِّهِ وَنَصْرِهِ ؛ وَأَنَّهُ الْخَلِيفَةُ الْمُتَّقِي ، وَالْإِمَامُ الْمُتَأَلِّفُ ؛ وَأَنَّهُ يُقَدِّمُ الْعَفْوَ فِي الطَّاعَةِ ، عَلَى الْجَحَّةِ فِي الْعُقُوبَةِ ، وَالْحِسْبَةَ فِي الْإِسْتِصْلَاحِ ، عَلَى الْقُوَّةِ فِي التَّأْيِيدِ ؛ فَامْسِكْ عَنْهُمْ بِيَدِكَ ؛ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَهَبَ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ ، وَرَجَا بِهِ مَا لَيْسَ ضَائِعًا عِنْدَهُ مِنْ ثَوَابِهِ .

### فِي الصَّفْحِ عَنِ الْجَفَاءِ

لَوْ كَانَ مِنْ نَازِعٍ إِلَى الْغَدْرِ ، قَلْدَنَاهُ عِنَانُ الْهَجْرِ ، لَمْ يَكُنْ أَقْرَبَ مِنَّا إِلَى الذَّنْبِ ، وَنَحْنُ نَرُدُّ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَنَأْخُذُ لِنَفْسِكَ مِنْكَ ، حَتَّى يَكُونَ تَرْكًا لِيَاكَ ، وَعِذْرُنَا فِيهِ وَافِرًا .

فصل — الحمد لله على البلية التي طال أمدُها ، وبعد ما بين طرفيها .

آخِر — أَقْتَفَرْتُ فِي التَّثَبُّتِ أَنَا ذُو الْحِجَى ، وَقَدِّمْتَ الْمَقْدَمَ مِنَ الْأَنَاةِ عَلَى الْعَجَلَةِ ، وَأَطَعْتَ فِي أَمْرِكَ النِّظْرَةَ ، وَاتَّهَيْتَ إِلَى الْعُدْرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ ، فَمَلَكْتَ مَا مَلَكَكَ ، وَحَكَمْتَ عَلَى الَّذِي حَكَمَ عَلَيْكَ ، فَأَخَذْتَ مِثْلَ الَّذِي أُعْطِيتَ .

فصل — بدء أسباب الأمور دليل على عواقب الأمل فيها ، والخيرة بعسالة الله عز وجل .

### فصل اعتذار

لَوْ كَانَ النَّاسُ يَقْضُونَ الْحَقُوقَ الَّتِي تَحِبُّ عَلَيْهِمْ ، وَيَحَافِظُونَ عَلَى الْأُمُورِ الَّتِي تَلْزِمُهُمْ ، لَقُلَّتِ الْأَلَمَةُ ، وَخُلِصَتِ الْمَوَدَّةُ ، وَارْتَفَعَتِ أَسْبَابُ الْعِتَابِ ؛ وَلَكِنَّهُمْ عَجْزَةٌ مَنْقُوصُونَ ، يَضْعُفُونَ عَنِ الْعِلْمِ ، بِأَكْثَرِ مَا تَدْرِكُهُ عَقُولُهُمْ ، وَتَعَوُّقُهُمْ عَنْ ذَلِكَ أَشْغَالٌ لَا يَنْبَغُ بِهَا الْعِذْرُ ، وَلَا تَسْتَحِقُّ الْإِثَارَ ؛ وَلَمْ أَزَلْ عَاتِبًا عَلَى نَفْسِي فِيمَا ضَيَّعْتُ مِنْ مَكَاتِبِكَ ، مَعَ مَعْرِفَتِي بِفَضْلِكَ ، وَمَوْقِعِ ذَلِكَ عِنْدَكَ ، وَمَا اعْتَذَرْتُ إِلَيْكَ ، سَوْءَ ظَنِّ بَكَ ، وَلَا خُفَافَةَ لِلْإِثْمِ بَكَ ؛ وَإِنِّي فَعَلْتُ مَا ظَلَمْتُ ؛ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَكْفِيكَ الْمُؤَوَّنَةَ ، فِيمَا عَسَيْتُ أَنْ تَنْقَبِضَ عَنْهُ مِنْ مَقَايِسِي وَمَعَاتِبِي ؛ وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تَقْبَلَ الْعِذْرَ ، وَتَعِينَ عَلَى مُسْتَقْبَلِ الْبَرِّ .



فصل - أنت في زمان إن لم تغالط أهله ، وتختلهم على ما في أيديهم ، وتصبر على مكاره الأمور بعد المطالبة ، لم تصل إلى شيء ، ولم تجد أحدا ما على فضل منك وإن عرفه فيك ، ولم يفتنه من محاسنك شيء ، إلا رأى في مساوئ غيرك عوضا منه ؛ فكان بذلك أثلج ، واليه أسكن ؛ فعليك بالصبر ، فإن غايته إلى خير ، وأقل ما فيه أن صاحبه لا يلوم نفسه ، ولا يلومه أحد ، ولعا يظفر أو يدل .

### إلى المأمون من عامل .

قل من يسارع إلى بذل الحق من نفسه ، إذا كان الحق مضرا به ، وقل من يدع الاستعانة بالباطل ، إذا كان فيه صلاح معاشه ، وسبب مكتسبه ؛ وإذا تفرق الحق في أيدي جماعة فطولبت به ، تشابهت في الكره لبذله ، وتعاونت على دفعه ومنعه ، بالحيل والشبه قولا وفعلا ؛ واحتاج المبتلى باستخراج ذلك الحق من أيديها ، إلى استعمال مجاهدتها ومصابرتها على الحيلة في مدافعتها .

### ابن الكلبي

كان خبر ما أبلاك الله في فلان بعد أمانه ما عزمت عليه من الأمان ، خبرا عظما . كانه من أمير المؤمنين ، وحسن موقعه من الدين ؛ ثم ردف خبرك بإذعانه عند ما عضه من بأسك ، ومسه من مؤلم إيقاعك للاستسلام ، وطلب عقد الأمان ؛ وإنك بذلت له ما طلب لا لرهبة بقيت في ناحيتك ، إلا الاحتذاء على مثال أمير المؤمنين وأدبه ؛ فكان إياؤه ما عرضت عليه في أول أمره ذخيرة حظ فيما كشفت عنه البلوى من محمود أترك ، واجتمع لك في ذلك حظان : الظفر آنرا ، والدرك لما حاولته أولا ، فلا زلت على نصيبك من الحظ ، مؤيدا بالنصر والمعونة ، والحمد لله على ما حقق من الظن ... من هذه النعمة على يديك وبسعيك .

(١) بياض في الأصل . ولعل الكلمة المتروكة « وآتى » .

## ابراهيم بن اسماعيل بن داود الى ذى الرياستين

وصل الى كتابك بخط يدك المباركة ، فلم أرق قليلا أجمع ، ولا إيجازا أكفا من إطناب ، ولا اختصارا أبلغ في معرفة وفهم منه ؛ وما رأيت كتابا على وجازته ، أحاط بما أحاط ، وضربت ظني في فلان فعظم ذلك سرورى ، وقد يُستعطف الظالم ، ويُستعجب المتعجب ؛ وفي رفقك وعلمك بالأمور ما يصلح الفاسد ، ويُدلل الصعب ، ويُقيل المدبر ؛ ولا يمنعك جور من جار عليك ، من الاعتقاد في الحجة عليه ، والأخذ بالثقة في أمره ، فإن الله عز وجل لم يجعل عليك في ذلك منقصة ولا غضاضة ، بل فيه الإعذار والإنذار والاستبصار ، وقضاء حاجة النفس ، مع التأدية الى السلامة ، والأمن من الندامة .

فصل — أنا في حال عافية ، تتجاوز الى حال نعمة ، والحمد لله حتى يرضى ، فقد أَرْضَى ؛ فاقا ما أشرت به ، وخبرت من إمضاء رأيك فيه ، والإسك عنه ، فثلك جعل لمن نصحه شركاء في كل أمره ، ولم يجعل رأيه قرضا لبعضه أن يتعدى<sup>(١)</sup> ، وذكرت أدب فلائنة ، وعندنا لفلائنة الطمع المستقبل مع الإنعام المتقدم ، مع أنه لا شيء لها عندنا قل ولا جل ، ولو كان ما استحللنا حبسه صفة كَفْ ، ولا تغميض طرف ؛ وذكرت أنه لا يستغنى مثلنا عن مثلها ، وأبدال الله كثيرة عتيده ، وما بان علينا فقد أحد ممن كان قبلها في دارنا ، فحال بيننا وبينه حائل ، ولا اختلنا له مع نظر الله تبارك وتعالى وأخلافه ؛ وبعد هذا فأحسن الله جزاءك ، وحاط لي فيك ما أحب منك ، وكفاك المهمل وكفانيه بك ، فما تقوم نفس لو كانت لي أخرى مقامك في نصيحتي ويرى ، والاهتمام لي ، بما أنا عنه ساهية لاهية من أمرى ، لا أعدمنيك الله ولا النصيحة منك .

فصل — قال أبو جعفر الكرمانى للحسن بن سهل ووعده شيئا فأبطأ عليه :  
أنا أعيرف تكامل الثقة فيك ، ورجاحة الفضل بك ؛ وأعلم أن فعلك يُرْبِي على قولك ، وأن إنجازك أكثر من وعدك ؛ فقدم لي من كرهك ، ما أثمره إلى أن ياحقه المتأخر

(١) بياض في الأصل . وما وضعنا . يناسب المقام .

عنه ، وإلا فُدِّلني على ما أقول اذا سألني مَنْ بعثته على شركك ، عما بلغه من الحظ على نيتك .  
فقال الحسن : تقول ما يَنْبَغِي ، فقال : فافعل ما يَنْبَغِي أَقْلَهُ .

### عمرو بن مسعدة

وصل الى كتابك ، على ظمإٍ مِنِّي اليه ، وتَطَلَّعَ شديد ، وبعدَ عهد بعيد ، ولوم مِنِّي على ما مسستني به ، من جفائك ، على كثرة ما تابعتُ من الكتب ، وعَدِمْتُ من الجواب ، فكان أول ما سبق اليّ من كتابك السرور بالنظر اليه أنسا بما تجدد لي من رأيك ، في المواصلات بالمكتبة ، ثم تضاعف المسرة ، بخبر السلامة ، وعلم الحال في الهيئة ؛ ورأيك بما تظاهرت من الاحتجاج ، في ترك الكتاب ، سالكا سبيل التخلُّص مما أنا مُحَلَّصٌ منه ، بالإغضاء عن إلزامك المجبة ، في ترك الابتداء والإجابة ؛ وذكَرتُ شغلك بوجوه من الأشغال كثيرة متظاهرة ممكنة ، لا أُجسِّمُك متابعة الكتب ، ولا أحمل عليك المشاكلة بالجواب ؛ ويُقْنَعُنِي منك في كل شهر كتاب ، ولن [تُلْزَمَ] <sup>(١)</sup> من نفسك في البرِّ قليلا ، إلا ألزمتُ نفسي عنه كثيرا ، وإن كنتُ لا أستكثر شيئا منك ؛ أدام الله مودَّتَكَ وثَبَّتْ إِيَّاءَكَ ، وأَسْتَمَحَ لي منك ؛ فرأيك في متابعة الكتب ومحادثتي فيها بخبرك مُوَفَّقًا إن شاء الله .

### عيسى بن واضح الى الفضل بن الربيع

قد أكَدَّ الله من حُرْمَتِي بك ، ووصل من الشَّعْبِ بِنِي وبِيكَ ما جعله ذخيرة ليوم الحاجة ، وُعْدَةٌ عند مِلْمِ النازلة .

### جبل بن يزيد

أما بعد فإن مَنْ صَحِبَ الدنيا لم يَخْلُ من تصرُّفِ أحوالها ، وكثرة معارِضِ بَغَائِعِها ، في احترام الأنفس في خواصِّها ، ومواقع البلايا بين ذلك فيما يَهْدُها ، ويفر من الأشياء عليها ؛ وكان ذلك لا سبيل الى دفعه ، ولا حيلة يُسْتَعان بها عند نزوله ، إلا الرضا عن الله عزَّ وجلَّ فيما قضى ، والتسليم لأمره في كلِّ ما آتَى ، والسكون الى الأسوة التي نهج الله سبيلها ، وخفَّفَ

(١) السياق يقتضي وضع هذه الكلمة ، وهي متروكة في الاصل .

بها مواقع المصيبات على أهلها؛ ثم الرجاء بعد ذلك لحسن ثواب الله، [وقد] جعله الله لمن لزم أمره وأجشم نفسه مكروهها في مواطن الصبر على المصيبة، والشكر في حال العافية .

### وله في المطر

قد كنتُ كُتبتُ الى أمير المؤمنين أعلمه المطرة التي أصابتنا، وما أنزل الله بها من رحمته ثم عادت لنا بعدها من الله عائدة رحمة، يولي مطر أنزله الله بأحسن ما رأينا من المطر وأبلا جوداً، لا يفتر غزيره ولا يرعى جوده، إلا الى ديمة عن ديمة، يتراخى اليها يسيراً ريثما تعود، فأقامت علينا سماءه مستهلة بذلك وكذلك الى غروب الشمس؛ ثم انقطع مطرها بسكون من الريح، وتور من القر، وفضل من الله عظيم، ينشر به رحمته، ويسط به رزقه، فأسبغ النعمة، وأوسع البركة، وأبقى بحمد الله معارف الخصب والحى، والله محمود على آلائه ومشكور على بلائه، وما أنزل الله من سقياه ورحمته، بعد الذي أقبلت به السنة البرية والقحط وعدم الإمطار، وشدة ما بلغ الناس من القنوط وسوء الظنون .

### وله الى بعض إخوانه

أما بعد، فإن أعظم الأمور فيما بين الناس حقاً أمران: منهما الإخاء في الدين، فهو سبب وصية الله بين عباده بالألفة والمحبة التي أنفطعت بها قرائن القلوب من بعضهم الى بعض، فاتصلت بحبائلهم مرائر حبيلها، وتقطعت فيما بينهم عاطفات وصلها؛ ومنهما مجاملة بحيل الأعداء، وحفظ ما يحق لأهل حسن البلاء؛ ثم الصنائع بعد ذلك في مواقعها فضائل بقدر ما جرت به أسبابها ولطفها .

فصل — الصناعات لبست يزيدها الأخلاق الجميلة، ويزيد في أسبابها أواصر المودة؛ وقد جعلك الله في صناعتك مفقداً، وفي مودتك منفصلاً؛ فلا زالت عنك نعم الله، ولا برحت سكا لإخوانك، وأنسا وموضعاً لما تستهيجون من معروفك، ويستهبون من يدبرك .

فصل - إنَّ لك من قلبي لموضعا معمورا بالموَدَّة والثَّقَّة ، والاسترسال  
والأَنَسَة ، فلا تُخْرِج فلانا من سعة بحيل برك ، الى عَقْبِي استحقاقه .

### آخر

قد طالبت الصباة اليك ، وللدهر عَقْبٌ عائدة بالنعف والصنع ، ولا سِيَّما لمن كان على  
مثل شاكتك في أدبك وفضلك وإنصافك لإخوانك وبرك بهم ، وما توجه به على نفسك  
لهم مما يُقَصِّرون عن شأوك فيه .

### الكلبي

كان أسلافنا تقارضوا ديونا من الصفاء يَسْتَأْذِنُها كلَّ عَقْب من صاحبه ، وقد أورثونا  
موَدَّة لا نَعِجْزُ عن اكتساب مثلها .

### ابن أعين كاتب الخيزران

ليس يكون منك شيء وإن حسن ، إلا وحسن ظني بك يَبْلُغُه ، فاستمَّ أحسن ما كان  
منك ، يتم لك أحسن ما يُحِبُّ مني . ولا يَمْنَعُكَ الاكتفاء بحالك اليوم من طلب الزيادة  
في غد ، فإنه لقل شيء لا يزيد إلا نقص ، والزمان يحقِّق الكثير ، كما يربو على الزيادة القليل .

### ابن الكلبي

أنت من أطول بمكانه وأثقي بحميل رأيه ، وأعتمد على رِفْده ، وأرجو دَرَك كلِّ فضيلة  
به ، ومما أحب علمه مَقَرَّ نعم الله عز وجل لديك .

### علي بن عبيدة الى ابن الكلبي

وصل الله أيام عمري باتباع موافقتك ، ولولا موعد أخذ علي ، لأطعتك فيما أمرت به ،  
مُتَّبِعاً مع إجابتك سرور نفسي برؤيتك في السلامة .

أما بعد ، إني أصبحت وقد استفرغ الأمير مني كلَّ موَدَّة ونصيحة ، ومبلغ جهد  
وطاقة فيما عرفت له فيه . موافقة .

**فصل —** فَإِنَّ الَّذِي شَعَبَ اللَّهُ بَيْنَنَا مِنَ التَّوَاصِلِ وَالتَّكَاتِبِ ، يَدْعُونِي إِلَى مُتَابَعَةِ الْكِتَابِ إِلَيْكَ فِي تَعَهْدِ حَقِّكَ ، وَإِنْ كَانَ الْخَبَرُ عَنْ ظَاهِرِ الْحَالِ قَالِمًا يُغْنِي ، فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْأَنْسِ وَالْمَوْقِعِ فِي الْكِتَابِ مَا لَيْسَ لِمُسْتَعْرِضَاتِ الْأَخْبَارِ .

**فصل —** قَدْ كُنْتُ أَعْلَمْتُ الْأَمِيرَ انْقِطَاعَ بَنِي فَلَانٍ إِلَى فَلَانٍ ، بِأَهْوَائِهِمْ وَبَصَائِرِهِمْ وَشِرَاءِ مَا قَبْلَهُ بغيره ، وَمَا كَانَ وَصَلَ إِلَيْنَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي حَمَلُوا لِأَصْرِهَا ، وَبَقِيَ لَنَا أَجْرُهَا وَذِكْرُهَا وَنَافِلَتُهَا وَسَابِقَتُهَا ، فَتَحْنُ عِدَّةَ الْأَمِيرِ وَخَبَايَاهُ وَذَخَائِرُهُ ، وَمَنْ يَأْمَلُ يَوْمَهُ وَغَدَهُ ، وَلَا مُتَخَطِّى لَهُ عَنْهُ وَلَا مُقْتَصِرٌ دُونَهُ .

### عُمَارَةٌ

بَلْغَنِي كِتَابُكَ يَصِفُ كَذَا . فَإِنْ رَأَيْتَ أَلَّا تَعْتَمِدَ عَلَى مَا لَصِقْتَ [ بِهِ ] مِنْ عَذْرِكَ ، وَأَطَعْتَ فِيهِ الْهَوَى مِنْ قَبُولِ عَفْوِكَ ، وَتَجَعَلْنِي أَحَدَ مَنْ يُسَرِّ بِسُرُورِكَ ، وَتُشْرِكُهُ فِي مَهْمَاتِ أُمُورِكَ ، فَإِنِّي أَحُدُهُمْ وَأَوْسَطُهُمْ عِنَايَةً بِمَا عَنَّاكَ وَتَوَسَّطَ مَا عَمَّاكَ ، فَعَلْتُ .

**فصل —** وَالْدَنُؤُ مِنْ دَارِكَ إِذِ الدَّارُ جَامِعَةٌ وَالْحَبْلُ مُتَّصِلٌ ، إِذْ نَحْنُ فِي الْإِسْتِيفَاءِ بِالْخَبْرِ وَالْعِلْمِ بِدُخْلَةِ الْحَالِ ، بِمَنْزِلَةٍ مِنْ كَأَنَّهُ يُعَانِي مَنْ يَشْتَاقُ إِلَيْهِ وَيَصْبُو بِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، حَتَّى نَأْتِ النَّوَى ، وَأَنْتَ فِي اللَّقَاءِ وَالْإِنْظَارِ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ مَنْ لَا يُشْكُ فِي صَفَاءِ غِيْبِهِ ، وَصَدَقَ إِخَائُهُ .

**فصل —** مُشَارَكْتَنَا إِيَّاكَ فِي مَحْبُوبِ الْأُمُورِ وَمَكْرُوهِهَا يَحْتَلِنَا مَحَلَّكَ فِي السَّرُورِ بِالنِّعْمَةِ يَجِدُّدُهَا اللَّهُ لَكَ ، وَيُوجِبُ مِنَ الشُّكْرِ عَلَيْنَا مِثْلَ الَّذِي يُوجِبُ عَلَيْكَ . فَوَصَّلَ اللَّهُ كُلَّ نِعْمَةٍ يَهْبِئُهَا لَكَ مِنَ الشُّكْرِ بِمَا يَكُونُ لِحَقِّهَا قَاضِيًا ، وَلِلزَّيْدِ فِيهَا مُوجِبًا .

### سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ

كَتَبْتُ عَلَى شُغْلٍ فِي قِطْعٍ مِنَ الْقِرْطَاسِ ، وَلَمْ يَقْطَعْ بِي حَسَنُ الظَّنِّ بِكَ فِي قَبُولِكَ الْعُذْرِ ، وَتَحْسِينِكَ مَا أَنْتَ أَهْلٌ لِتَحْسِينِهِ ، فَإِنَّكَ تَقْبَلُ دُونَ حَقِّكَ ، وَتَهَبُ الذَّنْبَ فِيهِ ، فَيَكُونُ شُكْرُكَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « ... وَسَرَاهُ مَاقْبَلُهُ ... » : (٢) فِي الْأَصْلِ « نَالِيهَا ... » وَهُوَ لَا يُؤَدِّي الْفَرْضَ الْمُرَادَ .

جاريا على سبيلين ، كلاهما يُبين لك عن فضلك ، ويوجب لك مالا يَقْصُرُ معه إلا مغبونُ  
الحظ خسيسُ النصيب .

فصل — وقد ظهر من أمير المؤمنين في فلان بعد وفاته ، ما هو أعدل شاهدٍ على  
حسن مُنْقَلَبِهِ ، وردَّ اليك من رأيه وتفقدته ما أرجو أن يكون فيه أعظمُ العَوَض . والله  
أسأل أن يتولَّى لك أمورك في السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، والشكر وحسن العزاء .

### جبل بن يزيد الى بعض إخوانه

تمَّ الله علينا وعليك النعم ، وأَجَزَلُ لنا ولك محاسن صالح القِسَم . إن الله تبارك وتعالى  
أجرى بيننا وبينك لطيف مَوَدَّة ، وخاصَّ أخوة ، غيرَ أنَّ المعرفة قد تُجحد بعد الخبرة ،  
والثقة إنما تعرف بعد التجربة ، وقد أحببتُ أن يعلمَ من قبلك الذي أحدث الله لك من  
حال دولتك ، وأن يُعَلِّمَ هل أبقتُ لنا منك النعمة سعةً ، أم تركتُ لنا منك صَفْحَةً نعرف  
بها عهدك ونأملُ بها وصلك ؟ فإن أصحاب السلطان ، بحال بَلَوَى في التغيُّر والانتقال ،  
إلا من نالته من الله تبارك وتعالى عصمة . فإن كنتَ على ما رجونا من الوفاء وحسين  
الحفظ للمودة والإخاء ، فمثلُك لم يرض لنفسه إلا بأجمل الأخلاق وأوفقها للسداد . وإن  
حجزك عن ذلك ما تأتى به الأقدارُ في مُتَصَرِّف الليل والنهار ، نَعذرُك بما نَعذرُ به أهل  
السلطان ، اذا غيَّرتهم الحال ، وتكرت شمائلهم بين الإخوان .

### وله الى بعض إخوانه أيضا :

إعلم أني اليك مشوق ، وأن صلة الإخوان كرمٌ ، وخير الصَّلات ما لم يكن لها وجه  
إلا الرجاء والحفظ وتجديد المودة وتصحيح الإخاء ؛ فإن الذي يكتب إخوانه على حال  
الرغبة يكفى القائل كتابه حيث شاء ، إن أحب مال به الى الصِّحة ، وإن شاء وضعه  
للرغبة ، والرغبة أملكهما به . والذي يكتب إخوانه على حال الضرورة ، فقد يستقطع الصِّلة  
(١)

(٢) في الأصل : « ما عليك » .

(١) في الأصل : وأحرلنا ... » .

(٣) في الأصل : « وأملكها ... » .

عند الحَدَثِ مخافةُ الملامةِ <sup>(١)</sup> من الناس على القطيعةِ الشَّعاءِ المشهورةِ لإخوانه ؛ فإنَّ الذي لا مَوَدَّةَ له قد يصل ذلك في تلك القطيعة بأهل البلاء .

والكِتَابُ على مثل حالنا وحالك اليوم شاهدٌ على أن ذلك ليس إِلَّا حِجَّةَ الإخاء والشوقِ الى المحادثةِ بِالكِتَابِ ، حين لا يلومك اللائمون لمتزلةِ البلاءِ تلك اللائمةُ على التقصير ، ولا يُوضعُ منك الرغبةُ في الإطماع . إِيَّاكَ أن تعتَلَّ بالأشغال أن كنت في خاصة نفسك ، فإن أداء الحق وصِلَةَ الإخوان أعظمُ الخاصَّةِ بك خاصة . وانما أمرنا في كل هذا كأمرِك في الذي يَسْتغْنِي مِن خاصَّتِكَ تلك التي لنا ، فإن لنا ما لك ، وهذه التي لنا لك ؛ أليس ماسترنا سَرَك وما سلبناه حظا لك ، فهذه كذلك وذلك كهذي . والله يوفِّقنا وإِيَّاكَ . وأنت أبا يوسف .

هكذا حال ما بيننا وبينك ما وصفتُ لأبي سعيد ، غير أنه سألنا أمرا لم يسألناه قطُّ ، فله فضل السبق علينا في المسألة ، ولنا فضلُ المتزلة عليك في اللائمة . ولن أدعَكَ والفعل ، دون أن تَشْفَعَه بالعمل الذي هو صلة القول . وسلام عليك ورحمة الله ، وقضى الله عز وجل بالحسنى لنا ولك .

**فصل —** أتاني كتابُكَ ، فأُنعِمْتُ أن يَسْرِي بسلامتك ، وما حاق فيه كرمُ بَرِّكَ ، ولطيفُ عِنايتِكَ ، ما لم أَفْقِدْ في حالة من حالاتك ، فكان الكِتَابُ مُصَدِّقا لما سلف ، مُبَشِّرا بما يَسْتَأْنِفُ ، مُدَكِّرا منك عهدا موصو <sup>(٢)</sup> مثاله طرفي وقلبي ، مُلصِّقا ذكْرُه بلساني وقلبي . فلا عِدِمَتِكَ ، بل أمتعني الله بك فأطال ، وكثرتي ببقائك .

**فصل —** أتاني كتابك فطامن قلبي وطرفي ، بعد ما كان شاخصا اليه ، مُتَشَوِّقا الى رؤيته ، ثم ملائني سرورا ما رأيتُ فيه من آثارِ بَرِّكَ وكرمِ تَفَقُّدِكَ . وأفضل ما عندي منك قَبْلَه ، مما إنْ ذكْرْتُهُ ، فللاستراحة الى الذكْر ، وإنْ أَمْسَكْتُ ، فللعجز عن الشكر . فأما الضميرُ فبني على الإقرار بفضلك ، والنيةُ خالصةٌ بِشُكْرِكَ . وقليل ذلك لك ، فأعطاك الله فأطاب ، ووهب فأجزل .

(١) في الاصل : « مخافة السلامة من الناس ... » . (٢) في الاصل بياض . (٣) في الاصل : « فالاستراحة ... » .



**فصل —** وصل الى كتابك نُحِيلُ لى حين نظرت الى أثر يدك بحجرى قلبك فى بطن صحيفتك ، أنك مائل بين عيني : أنظر الى شخصك وأسمع من لفظك ، فابتعث ذلك منى طربا شائقا ، وصبا به هيجت الأحران وذكرت الإخوان . وكنت من إخوانى الذين أنخر بسلامتهم للود الذى أحرى الله بيننا وبينك ، فتواصلنا بجمرتهم ، وتعاطفنا بوصله .

**فصل —** إن الله جعل عاقبة كل نعمة وإن عظمت ، تبعا لأوقها ، وجعل الشكر عليها سببا لتامها وموجبا لأحسن الزيادة منها .

**فصل فى شكر —** فإن الله جعلك للخير مَعِدًا ، وللفضل مَوْضِعًا ، فيما حملته نفسك من ثقل أعباء المروءة ، وحملتها عليه من عظام المكارم ، حتى صرت بما أنعم الله به عليك ، مُنْتَهَى كُلِّ أَمَلٍ وَغَايَةَ كُلِّ رَغْبَةٍ . ثم أَلْبَسْتَ النِّعْمَةَ لِبَاسَ التَّوَّاضِعِ ، وناسبت فى الأخلاق مَنْ سَبَقَتْ بِهِ عَلَيْكَ الْأُمُورُ ، حتى كأنهم فى النعمة لك شركاء . وتحنَّنت على الأقربين والمتقربين من الإخوان والأكفاء ، حتى كأنهم لك وَلَدٌ ، وأجبرت نفسك حين ساعدك الدهر ، على طبيعة التقرب الى العامة ؛ فكلمهم يُدَلِّى اليك بدأو رغبته ، ويمتاحت منك مَتَّاحَةٌ فَضْلٌ ؛ فلا عِدِمْتُ إِلَّا تَزَالُ تُنْعِشُ سَقَطَةً ، وتُقِيلُ عَثْرَةً ، وتُسَدُّ خَلًّا ، وتُنِيلُ أَهْلًا ؛ ولا عِدِمَ مَنْ شَهِدَ ذَلِكَ مِنْكَ ، أَنْ يَسْتَتِمَّ هَذِهِ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وعلى نفسه ؛ فإن من سعادة العامة أَنْ يَجْعَلَ سَازَهَا عِنْدَ خِيَارِهَا . ومن البلاء العظيم عليها المَوْجِعُ لَهَا ، أَنْ يُحْصَ شَرَارُهَا بِمَوْضِعِ رَغْبَاتِهَا .

فاسلم كلاك الله بهذه النعمة ، غير مُنْقَصٍ بِهَا ، ولا مُكَدَّرٍ عَلَيْكَ صَفْوُهَا ، حتى تُسَلِّمَ النِّعْمَةَ الْعَاجِلَةَ الى النِّعْمَةِ الْبَاقِيَةِ ؛ فَإِنَّا وَإِنْ عَلِمْنَا أَنَّ مِنْ شَأْنِ الدَّهْرِ الْغَدْرَانِ فى العواقب فقد عَلِمْنَا أَنَّكَ فِيمَا أَهْدَى اللَّهُ إِلَيْكَ مِنَ النِّعْمَةِ ، قَدْ أَذِيَتْ حَقَّ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ ثُمَّ حَقَّ إِخْوَانُكَ فِيهَا ، فَكَنتُ أَنْحَرَمَنْ نَالَ فَضْلَكَ ، كرما فى السناء ، ورضا فى الآثَرِ ، غيرَ مُتَطَاوِلٍ لِمَا نَأْمَلُ ، ولا مُتَضَعِّضٍ لِمَا تَحْذَرُ ؛ فَإِنَّا نَجْزِي شُكْرَ الْمَاضِي مِنْكَ ، وَرَجَاءَ الْبَاقِي ،

(١) فى الأصل : "ولا مكدر عليها صفوها ..."

فَرَى تَضَيِّعًا مِنَّا فِي عَقْدِ الرَّأْيِ ، وَإِزْرَاءَ بَنَّا فِي وَثَائِقِ الْأُمُورِ ، أَلَّا تَمْنَحَكَ مِنْ أَنْفُسِنَا مَوَدَّةَ الْوَلَدِ وَرَقَّةَ الْوَالِدِ . وَإِذَا أَعْطَاكَ أَمْرٌ ثَمَرَةَ فَوَادِهِ ، فَقَدْ فَرَّغَ إِلَيْكَ مِنْ جَمِيعِ حَقِّكَ ، لِأَنَّ ذَاتَ يَدِ أَمْرٍ فِي الْبَذْلِ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ فِي الشُّكْرِ . وَكَفَى لِأَمْرٍ مِنْ أَمْرٍ أَنْ يَسْتَوِي عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَدَّعَ لْغَيْرِهِ فِيهِ فَضْلًا . وَكَفَى بِكَ لَنَا مِنْ غَيْرِكَ . وَكَثِيرٌ مِنَّا أَنْ نَقْوَى عَلَى أَدَاءِ أَدْنَى صَنْوَفِ حَقِّكَ ، غَيْرَ أَنْ أَوْثَقَ أُمُورُنَا فِيكَ عِنْدَ أَنْفُسِنَا أَلَّا نَسَامَ النَّظَرَ إِلَى فِنَائِكَ بِهَيِّجِينَ بِكَ إِنْ بَرَزْتَ ، وَعَازِرِينَ لَكَ إِنْ شُغِلْتَ .

**فصل —** إِنْ الْهَدَى وَالضَّلَالَةُ يَقْتَسِمَانِ دُولَ الْأَزْمَنَةِ ، لِغَيْرِ كَرَامَةِ لِلْبَاطِلِ ، وَلَا هَوَانٍ لِلْحَقِّ . وَأَهْلُ الْحَقِّ كَيْفَ تَصَرَّفَتْ أَحْوَالُهُمْ فِي كَرَامَةِ مِنَ اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ ، وَنِعْمَةٍ بَيْنَ دَوْلَةٍ تَكُونُ لَهُمْ ، يَقُومُونَ لِلَّهِ فِيهَا بِحَقِّهِ وَيُظْهِرُونَ هِدَاةَ وَدِينِهِ ، وَدَوْلَةٌ تَكُونُ لِلْبَاطِلِ ، يَكُونُونَ فِيهَا كُفُوفًا لِلْخَيْرَاتِ ، وَمَعْدِنًا لِلْحَسَنَاتِ ، يَسْتَكِنُّ الْحَقُّ فِي صُدُورِهِمْ ، وَيَأْوِي الْبَرُّ وَالصَّدَقُ إِلَيْهِمْ ، فَهُمْ بَيْنَ يَوْمَيَّ صَبْرٍ وَشُكْرِ ، لَيْسَ أَحَدُهُمَا دُونَ صَاحِبِهِ فِي الْفَضْلِ .

وَأَهْلُ الْبَاطِلِ كَيْفَ تَصَرَّفَتْ أُمُورُهُمْ بَيْنَ تُخْطِ اللَّهُ وَعَقُوبَتِهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ فِي الْبَاطِلِ فَرْجًا لِأَهْلِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ كَانَتْ إِمْلَاءً وَاسْتِدْرَاجًا ، وَكَانُوا فِيهَا عَلَى مَدْرَجَةِ هَلَكَةٍ وَسَبِيلِ نِقْمَةٍ ؛ وَإِنْ كَانَتْ الدَّوْلَةُ لِأَهْلِ الْحَقِّ ، كَانُوا فِيهَا بَيْنَ ذُلٍّ وَضَيْمٍ ، وَخَوْفٍ وَجَزَعٍ ، وَقَدْ سَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَطَالِعُ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ . فَقَى أَىَّ يَوْمِيهِمْ مَسْتَرَا حَهُمْ : أَيُّومَ دَوْلَتِهِمْ ، وَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ النِّعْمَةَ وَلَا يَقْطَعُونَ أَسْبَابَ النِّقْمَةِ ؟ أَمْ يَوْمَ عُلُوِّ الْحَقِّ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى الْحِنَةِ وَلَا يُصْرُونَ مِنَ الْعَمَى ؟ وَأَهْلُ الْحَقِّ بَيْنَ حَالِيْ غِبْطَةٍ وَحَسْبَةٍ ، وَأَهْلُ الْبَاطِلِ بَيْنَ حَالِيْ إِمْلَاءٍ وَنِقْمَةٍ .

**فصل في صفة الجند —** إِنْ الْغَالِبَ عَلَى أَهْوَاءِ جَمَاعَةٍ مِنْ فِتْنَامِ أَوْلِيَاءِ الْأَمِيرِ وَجُنْدِهِ إِعْظَامُ الْأَمِيرِ وَمَعْرِفَةُ فَضْلِهِ ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِحُبَّتِهِ وَمُنَاصَحَتِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَمُعَادَاةُ عَدُوِّهِ ، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ يَعْتَدُونَهَا وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِهَا ، وَيَتَوَسَّلُونَ إِلَى الْأَمِيرِ بِغَزْوِ قَوْمٍ خَالِفُوا .

**فصل —** حل بين فلان وبين التشربد بهم والاجتياح لهم ، فإن ذلك أَرْضَى لربك ، وأجمع للألفة ، وأقوم لعمود الخلافة الذى سَدَّدَ الله دعائم الإسلام وأَسَّسَ الدين به . وأَعْلَمُ أَنَّ مَنْ حَاطَ الله دِينَهُ ، وَرَمَتْ عَنْ قُوَّةِ الْجَمَاعَةِ ، وَعَادَى أَهْلَ النِّقْضِ لَهَا ، ابْتَعَثَهُ اللهُ آمِنًا مِنْ هَوْلِ الْحِسَابِ وَضِيقِ الْحَشْرِ ، وَاللهُ بِنَصْرِهِ أَحَقُّ وَأَوْلَى . وَكَنَّ اللهُ بِمَحِثِ افْتِرَاضِ عَلَيْكَ ، فَإِنَّهُ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ ﴾ .

كتب جعفر بن محمد بن الأشعث إلى رجل لم يكاتبه  
لست بما صرّفت إلى من معروفك بأسر منى ، بما أهديت إلى من قضاء الحق عنك ،  
وقلة ذوى الحرمة بك ، لأنك قد تصل من لا يثق ولا يأنس إلا بمن يعتمد عليه .

كتب الفضل بن يحيى إلى رجل يُشاوره فى أمر حَدَثَ  
ليس كل امرئ وإن كان ذا عزيمة فى رأيه ، وأصالته فى عقله ، بمستغنى عن مكاشفة  
أهل الرأى ؛ لتوزيع الله عز وجل ، أقسام الفضل فى خلفه ، وإشراكه إياهم ، فى عطائاه ؛  
فرائك فى كذا .

ركب ابراهيم بن المهدي إلى أحمد بن يوسف ، فكتب أحمد

إلى إسحاق بن ابراهيم الموصلى

عندى من أنا عبده ، ومُجْتَنّا عليك ، إعلامنا إياك .

توسّل

توسّل رجل إلى رجل بمحمّد بن عبد الملك وأدعى قرابته منه ، وبلغ ذلك محمّداً فكتب  
إلى المتوسّل إليه :

بلغنى أَنَّ رجلاً ادّعى قرابتي ، وأورد عليك كتاباً ذكر أَنَّهُ مِنِّى ، وما أنكر أن ينتفع بى  
من توسّل بنسبى ، إلا أَنَّهُ مَنْ ادّعى قرابته ، ولا قرابة له ، كان استعمال الشفاعة فى أمره أَوْلَى .

كتب طاهر بن الحسين الى الفضل بن سهل

أسعدك الله بحاربتك ، التي بذلت فيها مجهجتك ، ومهجع من هو موصول بك منا .

محمد بن الجهم

وليس في جميع الناس أعدى لك : من صديق مؤمل ، أو حميم راجح ، إن منعتكما شتماك<sup>(١)</sup> و بهتاك ، وإن أعتبهما لاهيه اغتلاك .

محمد بن مسعر

قال : كنت أنا ويحيى بن أكرم عند سُفيان ، فبكى سُفيان ، فقال له يحيى : ما يُبكيك يا أبا محمد؟ قال :

بعد مُجالستي من جالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم آبتليت بمجالستكم ؛ فقال له يحيى : فُصيبة من جالست منهم بمجالستهم إياك بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من مُصيبتك بنا ؛ فقال : يا غلام ، أظنّ السلطان سيحتاج اليك .

دخل ميمون بن مهران على بعض خلفاء بني أمية — وأحسبه عمر بن عبد العزيز — فقال له وقد قعد في أخريات مجلسه : عطني ، فقال له : إنك لمن خير أهلِكَ إن وقيت ثلاثاً ، قال : ماهن ؟ قال : السلطان وقدرته ، والشباب وغرته ، والمسال وفتنه ، فقال : أنت أولى بمكانى متى فارتفع اليّ ؛ فأجلسه معه على سريره .

ابن وهب في الاعتذار

لو لم نَعذرك لم نَعذر أنفسنا بقطيعتك ، فكن لنا في لائمة نفسك ، كما تكالِك في عذرك .

وفي مثله

ليس في الإساءة فضلٌ عن الاعتذار ، وفي عائدتك فضل عن إساءتنا ، فن أين يسقط بين فضلك والاعتذار !

(١) هكذا وردت في الأصل .

## آخر

فلان من حملة المعروف، يكثر عندهم قليله في شكرهم، ويقل لهم كثيره في عظيم

حقوقهم .

فصل — لئن عميتُ عن الرأي فيك، لقد أبصرتك بك .

فصل — تغيب فأشتاق، ونلتقي فلا أشتى .

## ٢ — فصول من رسائل مختارة في كل فن

وهي مثل مما كتب به الكتاب في أبواب لا نظير لها

فن ذلك ما كتبت به في التحميد لله عز وجل في أوائل الفتوح وأواخرها وأوائل  
الكتب التي فيها تجميد الله عز وجل .

## التحميد الأول

الحمد لله القادر القاهر، المتوحد بالسلطان والربوبية، والمتفرد بالبقاء والقدرة، والمتجبر  
بالكبرياء والعظمة، ذي الجلال والإكرام، والإفضال والإنعام، والعز والبرهان، والأسماء  
الحسنى، والمثل الأعلى، الأول بلا غاية، والآخِر بلا نهاية، الذي لا يحيط به وصف  
الواصفين، ولا تبلغ مدى عظمتِه أوهاُم المتوهمين، ولا تدركه الأبصار، وهو يدرك  
الأبصار، وهو اللطيف الخبير، لا يؤوده حفظ كبير، ولا يعزب عنه علم صغير، يعلم خائنة  
الأعين وما تخفي الصدور، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حية في ظلمات الأرض  
ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

## التحميد الثاني

الحمد لله الذي خلق الأشياء على غير مثال ولا رسوم، وأنشأها على غير حدود، ودبر  
الأمر بلا مشير، وقضى في الدهور بلا ظهير، وسمك السماء بقدرته، وبنهاها على إرادته،  
وأسكنها ملائكته الذين أصطفاهم لمجاورته، وجبلهم على طاعته، ونزههم عن معصيته،

وجعلهم حملة عرشه ، وسُكَّانَ سَمَآوَاتِهِ ، ورسَلَهُ إِلَى أَنْبِيَآئِهِ ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ؛  
وَدَحَا الْأَرْضَ وَبَسَطَهَا لِكُلِّ خَلْقِهِ ، وَقَسَمَ بَيْنَهُمُ الْأَرْزَاقَ ، وَقَدَّرَ لَهُمُ الْأَقْوَاتَ ، فَهُمْ  
فِي قَبْضَتِهِ يَتَقَلَّبُونَ وَعَلَى أَقْصِيَّتِهِ يَتَجَرَّونَ ، حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ .

### وصدر تَحْمِيدٍ مفرد

الحمد لله العليّ مكانته ، المنير برهانه ، التامة كلماته ، الشافية آياته ؛ والحمد لله وليّ أوليائه  
وعدوّ أعدائه .

### وصدر تَحْمِيدٍ

الحمد لله الغالب الذي لَا يُغْلَبُ ، والمُقْتَدِرُ الذي لَا يُعَانُ ، والمُنِجِزُ وعدّه ، والمُؤَيِّدُ  
أوليآئه ، والخاتم بالفَلَجِ<sup>(١)</sup> والظهور لهم ، والمُدْبِلُ من أعدائه ، ومُحِيطُ دَائِرَةِ السُّوءِ بهم .

### ولكاتب خَزِيمَةُ بن خازم في فتح الصَّنَارِيَّةِ تَحْمِيدٌ مختار

أما بعد ، فالحمد لله ذِي الْمَلَكُوتِ وَالْقُدْرَةِ ، وَالْجَبَرُوتِ وَالْعِزَّةِ ، وَالسَّاطَانَ وَالْقُوَّةِ ؛ أَهْلُ  
الْحَمْدِ كُلُّهَا ، وَمُدَبِّرُ الْأُمُورِ وَوَلِيَّهَا ، وَخَالِقُ الْخَلَائِقِ وَبَارِئُهَا ، وَمِمْتِنُهَا وَمُحْيِيهَا ، وَبَاعِثُهَا وَوَارِثُهَا ؛  
الَّذِي أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا نَفَذَ مِنْ مَشِيئَتِهِ ، وَسَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ ، وَثَبَتَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ  
عِنْدَهُ إِعْرَازَ دِينِهِ ، وَإِظْهَارَ حَقِّهِ ، وَإِعْلَاءَ كَلِمَتِهِ ، وَإِبْلَاجَ حُجَّتِهِ ، وَإِزْهَاقَ بَاطِلِ أَعْدَائِهِ ؛  
الصَّارِفِينَ عَنْ طَاعَتِهِ ، وَالْجَاهِدِينَ لِرَبِّ بَيْتِهِ ، الْمَكْدُبِينَ بِكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ ؛ بَلَغَ بِذَلِكَ أَمْرَهُ ،  
وَنَطَقَ بِهِ كِتَابُهُ ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ تَبَارَكَ اسْمُهُ فِي الْمُنَزَّلِ مِنْ فَرْقَانِهِ : ﴿ بَلْ تَقْدِفُ عَلَى الْبَاطِلِ  
فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ .

### وتَحْمِيدٌ لِأَحْمَدَ بن يَوْسُفَ إِلَى الْوَلَاةِ عَنْ الْخَلِيفَةِ

أما بعد ، فالحمد لله ذِي الْمَنِّ الظَّاهِرَةِ ، وَالْحُجِّجِ الْقَاهِرَةِ ؛ الَّذِي قَطَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ  
الْمُعَذِّرَةِ ، وَرَادَفَ عَلَيْهِمُ الْبَيِّنَةَ ، وَمُهَلَّمَةَ النَّظَرَةِ ؛ وَجَعَلَ مَا أَنَاهُمْ مِنْ حِظْوِظِ الدُّنْيَا بِالْقَسَمِ

(١) الفلج : الغلب والظفر ، يقال فلج فلان على خصمه ، أي غلب وظفر .

المكتوب، وما دَنَر لهم من ثواب الآخرة بالتَّجَحُّج المطلوب؛ فهم في العاجلة شركاء في النعمة، وفي الآجلة شقَى في الرحمة؛ يختص بها أهلها المتفعين بما ضرب لهم من الأمثال، وتصريف الحال بعد الحال؛ المبادرين بأعمالهم إلى انقضاء مَدَدِ آجالهم، قبل حلول ما يُتَوَقَّع، وفوت ما لا يُرْتَجِع.

وتحميد لإبراهيم بن العباس في فتح اسحاق بن اسماعيل  
الحمد لله مُعَزِّ الحَقِّ ومُدِيلِهِ، وقَامِعِ الباطل ومُزِيلِهِ، الطالبِ فلا يفوته مَن طلب، والغالب فلا يُعْجِزُهُ مَن غلب؛ مُؤَيِّدِ خليفته وعبيده، وناصرِ أوليائه وحزبه؛ الذين أقام بهم دعوتَهُ، وأعلى بهم كلمتَهُ، وأظهر بهم دينَهُ، وأدال بهم حقَّهُ، وجاهد بهم أعداءَهُ، وأنار بهم سبيلَهُ؛ حمداً يَتَقَبَّلُهُ ويرضاه، ويُوجِبُ أَفْضَلَ عَوَاقِبِ نصره، وسوايغِ نِعَمَاتِهِ.

### التحميد الثاني

الحمد لله الغالبِ ذى القُدْرَةِ، والقاهرِ ذى العِزَّةِ؛ الذى لم يقابل بالحقِّ باطلاً في موطنٍ من مواطنِ التَّحَاكُمِ بين عباده، إلَّا جعل أولياءَ الحقِّ منهم حِزْبَهُ وجُنْدَهُ، وجعل الباطلَ بهم فلا منكوبا، ودَحِيضاً زَهُوقاً؛ إنْ نهَضَ به أولياؤه كانت مراصدُ عواقبه مُفَرِّقَةً ما جُمِعَ، ومُبْتَرَّةً ما أُعِدَّ، وقائِدةً بأشياعه إلى مَصْرَعِ الظالمين، حتَّى يكون الحقُّ الطالبَ الأعزَّ، والباطلُ المطلوبَ الأذلَّ؛ وأولياءَ الحقِّ الأعْلَى يداً وأيدا، وأشْياعُ الضلالِ الأخسرين أعمالاً وكيدا؛ قضاءً الله وسُنَّتَهُ، وعادةً الله وإرادتَهُ، في الفِئَةِ المنصورة أن تعزَّ فلا تُرام، وأن يُمكنَ لها في الأرض كما مَكَّنَ للذين من قبلها؛ وفي الفِئَةِ الناكبين عنه، أن تَزَلَّ فتكونَ كلمَتُها السُّفلى، وكلمة الله هي العليا، والله عزَّيزٌ حكيمٌ.

### وتحميد له مبتدأ مقام بين يَدَي خليفته

أما بعد، فالحمد لله الأول بلا أَيْدٍ يُحْصَى، والآخِر بلا أَمَدٍ يَفْنَى؛ الظاهرِ خلقة بعزَّتِهِ، العزيزِ في سلطانه بعظمتِهِ، القَرْدُ في وحدانيَّتِهِ بقدرتِهِ، المدبِّرُ في ملكه بجبروته؛ الذى نأى عن الأشياء أن يكون فيها مَحْوِيًّا، واتصل بها فلم يكُ من علمها حليًّا، وهو فيها غيرُ مُسْتَكِنٍ،

ومعها غيرُ مُنمَّسٍ في لجج البحار، ومفاوز القفار، وشواخج الجبال، وكُثبان الرمال؛ مع كلِّ خَلْقٍ، وفي كلِّ أَفْقٍ، وعلى كلِّ شَرَفٍ ومكان، وفي كلِّ وقت وأوان؛ موجود إذا طُلِبَ، وقريبٌ حيثُ نُدِبَ؛ عالمٌ خَفَيَّاتِ الغيوب، وخَطَرَاتِ القلوب، وما في السموات وما في الأرض، ما يكون من نَجْوَى ثلاثةِ الالهو رابعهم، ولا خمسةِ الالهو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثرَ الالهو معهم؛ وما تسقط من ورقةٍ ألا يعلمها ولا حبةٍ في ظلمات الأرض ولا رَطْبٍ ولا يابسٍ ألا في كتاب مبين .

### وتحميد ثلث يتلو الأول

الحمد لله المُنْتَعَالِي عن تشبيه الجاهِلين، وتحديدِ الواصفين، وتكليفِ الناصتين؛ يُوصَفُ لا بِالْعَرَضِ وَالطَّوْلِ، وَيُنْتَعَتُ بغيرِ الشَّيْخِ المَثْنُولِ، وَيُحَدِّدُ لا بِالْخَلْقِ المَعْدُودِ، وَالْجِسْمِ المَوْجُودِ؛ بَلْ يُنْتَاهِي من وصفه، إلى ما دَلَّ عليه من صُنْعِهِ، وَيُوقَفُ عليه من نَعْتِهِ، على ما أَخْبَرَ به عن نفسه؛ وكيف يُوصَفُ مَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ، وَيُحَدِّدُ مَنْ لَمْ يَحْدِهِ بَلَدٌ؛ أَوْ يُشَبَّهَ بِغَيْرِ ذِي أَعْضَاءٍ، أَوْ يُكَيَّفَ بِغَيْرِ ذِي أَجْزَاءٍ؛ لَوُرِّيَ لَوْصَفَ، وَلَوْ وُصِفَ لَمَثَلُ، وَلَوْ مَثَلُ لَكَانَ لَهُ نَظِيرٌ؛ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، لَا تُحِجُّهُ الْأَقْطَارُ، وَلَا يَحْوِيهِ قَرَارٌ؛ وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ؛ لَا يَوْصَفُ أَوْلَادُهُ، وَلَا يُدْرِكُ أَنْحَارُهُ، وَلَا يُعْرَفُ مُنْتَهَاهُ؛ عَظُمَ أَنْ يَحْصِرَهُ وَهْمٌ، وَجَلَّ أَنْ يُدْرِكَهُ فَهْمٌ، وَامْتَنَعَ مَنْ أَنْ يَخَالَهُ عِلْمٌ، وَلَا يُغَيِّرُهُ لَيْلٌ وَلَا يَوْمٌ؛ وَلَا نَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ، وَيسِعُ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ .

### وتحميد ثلث

الحمد لله الذي أَلْهَمَنَا مِنَ الْإِقْرَارِ بربوبيته، وَالْإِيمَانِ بوحْدانيته، وَأَنَّهُ غَيْرُ ذِي صَاحِبَةٍ يَسْكُنُ إِلَيْهَا مِنْ وَحْشَةٍ، وَلَا وَلَدٍ يَتَكَثَّرُ بِهِ مِنْ ضَعْفِ قَلَّةٍ، وَلَا شَرِيكَ يَعْاُونُهُ مِنْ عِزِّ قُدْرَةٍ، وَلَا ظَهِيرٍ يَكَانِفُهُ لِمَلَالِ قَتَرَةٍ؛ مَا جَعَلَ لَنَا بِهِ أَوْتَى الْأَسْبَابِ لَدَيْهِ، وَأَرْجَى الْوَسَائِلِ



اليه ؛ إذ كان من أنكر ما دللنا الإقرار به يصير يجحد ما أئعننا الاعتراف فيه ، الى أليم عقوبته بالمعصية التي استحكمت السخطة على أهلها ، وحلت النعمة بمن فارقها ؛ ثم جعلنا تبع إشراف كثير على أنفسنا في مشيئة منه ، بسط اليها آملنا وأحسن عليها أطمانا بكرم عفوه ، وعظيم حلمه ، وسعة رحمته ، التي وعد أهل الإيمان بها ؛ إذ صار من فارقهم في ذلك بما استهوت عليهم ، بترينه لهم شياطينهم ، ورائت على أفئدتهم ... وما ظلمته قراؤهم الى الناس من كل طمع يُجدي وخبر يُجبي ؛ جزاء بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد حبط عمله ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

### وتحميد يتلو الثالث في هذا المقام

الحمد لله الذي ابتدع لا من شيء ما أنشأ ، وابتدأ على غير مثال ما ابتدأ ؛ فجعل كثيرا من لطائف تقديره ، وصنوف تدبيره ، وتصاريف أموره ؛ حُججا واضحة ، وآيات بيّنة ، وعبرا شافية ؛ تشهد له بعزة القدرة ، ونفاذ الحول والقوة ؛ فخلق مدبرا بلا مشورة أحد ، سبعا دحاهق على الماء على غير سناد ؛ مبسوطات في تكاثف أجزاءهن ، على معين ماء مسخر من تحتهن ، بحر خلاهن أنهارا ، وقدر فيهن من المعاش أقواتا ، وجعل لهن من الجبال أوتادا ، ثم استوى الى السماء وهي دُخان ، فقال لها وللارض آتينا طوعا أو كرها قالتا آتينا طائعين . ففطر من الدخان في خفته على الهواء سبعا ، جعل بينهن من الجو تسعا ، سبع سموات طباقا مرفعات ، بلا دعائم قبلها ولا علاقات ، يُسكنهن بقدره أن يرتفعن فوق ما حبسهن عليه ، وأن يهوين الى قرار دون ما رفعهن اليه ؛ فأتقن صنعها ، وأوحى في كل سماء أمرها ، وزين السماء الدنيا بالمصابيح النيرة ، والشهب الثاقبة ، والنجوم الواضحة ؛ وسخر الشمس والقمر علبا للهتدين ، وسراجا للبصيرين ، ورجوما للشياطين ، وأوقاتا لاختلاف السنين ، ومعرفة لكل حين ؛ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل

سابق النهار وكلُّ في فلك يسبحون ؛ فقضاهنَّ سبع سموات في يومين ، ولو شاء خلقها في أسرع من طرف العين ؛ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ؛ بلا مُعانة لقول ، ولا ضَعْف من حَوْل ؛ ثم أسكنهنَّ من خلقه ملائكةً اصطفاهم لعبادته ، واجتباهم لتبليغ رسالته ، معصومين من أن يُشركوا بالله ، ما لم ينزل به سلطانا ، وأن يقولوا على الله إفاكا وبُهتاناً ؛ يُسَبِّحونه بالليل والنهار لا يفترُّون ولا يسأمون من عبادته ، ولا يستحسرون عن طاعته ؛ يحافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يُؤمرون .

### وتحييد في فتح لابن العباس

أما بعد ، فالحمد لله الذي حمد نفسه ، وفرض حمده على خلقه ، وأعزَّ دينه وأكرم بطاعته أوليائه ، وأكرم طاعته بأوليائه ، بفعل جنده منهم المنصورين ، وحزبه منهم الغالين ؛ نهج بهم سبيله ، وأقام بهم حُجَّتَه ، وجاهد بهم أعداءه ، وأظهر بهم حَقَّه ، وقمع بهم الباطل وأهله ؛ وأعلى كلمتهم ، وآيد نصرهم ، وآلف لهم وبهم ، ومكَّن لهم في الأرض ، بفعلهم أئمة وجعلهم الوارثين .

والحمد لله المعزِّ لدينه ، المُظهر لحقه ، الناصر لخلفائه ، المُمكن لحزبه ، المُنتقم بهم ممن صدف عنه ، مؤيدا دينه بالنصر ، ليُظهره على الأديان ، وحَقَّه بالعز ، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ وجنوده بالفلج فهم الأعلون إن استنصر بهم ، والأعزُّون إن كادهم ؛ والأقربون منه إخلاصا وعملا ؛ حمدا يُوازي نعمه ، ويمتري بمثله فواضله ومزيده .

### وله في فتح ابن البعيث لما ظفر به

أما بعد ، فالحمد لله ناصر أنبيائه وخلفائه ، وهادي أوليائه ، وأولياء الحق وحزب الهدى ؛ الذين أقام بهم سُبُل الرِّشاد ، ونصَّب بهم مناهج الدين ، فأظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

## وله صدر كتاب الخميس في تحميد الله وتمجيده

أما بعد ، فالحمد لله الذي جلت نعمه ، وتظاهرت مَنَنُهُ ، وثابتت أياديه ، وعم إحسانُهُ ، إليه كلُّ شيءٍ وخالفه ، وبارئهِ ومصورهِ ، والكائن قَبْلَهُ ، والباقي بَعْدَهُ ، كما قال في كتابه : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ . العالی فی مشیتته والقاهر فوق عباده ، المتعالی عن شَبَه خَلْقِهِ ، ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير ، خالق العباد بقُدْرته ، وهادهم برحمته ، وأوضح لهم السبيل الى معرفته بما نصب لهم من دلائله ، وأراهم من عِبره ، وصرفهم فيه من صنعه ، كما قال جل جلاله : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ .

وذلك كله من خلقه إليهم بتمثيله ما مثل لهم من الدلائل التي نصبها لهم ، والأعلام التي جعلها إزاء قلوبهم ، وأسماعهم وأبصارهم ، ويسر لهم خواطرهم وفكرهم ، والهيئة التي هيأهم لها ليقع الأمر والنهي عليهم ، فلا يكلفهم فوق طاقتهم ، ولا يُجشِمهم ما يقصُر عنه وسعهم ، نظرا منه تبارك وتعالى إليهم ورحمة بهم ؛ ليؤمنوا به ويعبدوه ، فيستحقوا به رحمته ورضوانه ، والخلود في النعيم المقيم ، والظلّ المديد ، والعيش الدائم ؛ كما قال تعالى ذكره : ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ . وكان من نظره وأفقه بهم أن بعث فيهم أنبياءه ورسله ، يدعونهم الى طاعته ، ويبينون لهم هُداة ، ويوضحون لهم سبيله ، ويهدونهم الى رحمته ، ويعيدونهم نوابه ، وينذرونهم عقابه ، ويبسطون لهم توبته ، ويخدرونهم سُخْطه ، ويبينون لهم سنته وشرائعه ، ويكشفون لهم مَواعظه ، ويعلمونهم كتابه وحكمته ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ لِيَمْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . وكان من رأفته بهم ، ونظره لهم ، أن بعثهم إليهم بالحنج الظاهرة ، والأعلام البينة ، والشواهد الناطقة ، التي أظهر بها صدقهم ، وأقام بها برهانهم ، وأوضح

بها دليالهم ، وأتابهم عمل سواهم ، ليكون أدعى لهم الى تصديقهم ، والقبول عنهم ، وأؤكد للحجة على من أبى ذلك منهم .

وتحميد أحمد بن يوسف في صدر رسالة الخميس التي كانت تقرأ بخراسان

أما بعد ، فالحمد لله القادر القاهر ، الباعث الوارث ، ذى العز والسلطان ، والنور والبرهان ؛ فاطر السماء والأرض وما بينهما ، والمتقدم بالمرتب والطول على أهلها ؛ قبل استحقاقهم لمثوبته ، بالمحافظة على شرائع طاعته ، الذى جعل ما أودع عباده من نعمته ، دليلا هاديا لهم الى معرفته ، بما أفادهم من الألباب ، التى يفهمون بها فصل الخطاب ؛ حتى آفتنوا علم موارد الاختبار ، وثقفوا مصادر الاعتبار ، وحكموا على ما بطن بما ظهر ، وعلى ما غاب بما حضر ؛ واستدلوا بما أراهم من بالغ حكمته ، ومُتَقَنِّ صناعته ، وحاجة مُتَرَايِلِ خلقه ومُتَوَاصِلِهِ ، الى القوام بما يُلَمُّهُ ويُصَالِحُهُ ، على أن له بارئا هو أنشأه وابتدأه ، ويسر بعضه لبعض ، فكان من أقرب وجودهم ، ما يباشرون به من أنفسهم ؛ فى تصرف أحوالهم ، وفنون انتقالها ، وما يُظْهِرون عليه من العجز عن التأنى لما تكاملت به قواهم ، وتمت به أدواتهم ، مع أثر التدبير والتقدير فيهم ، حتى صاروا الى الخلقة المُحَكَّمَةِ ، والصورة المُعْجَبَةِ ، ليس لهم فى شئ منها تَلَطُّفٌ يَتِمِّمُونَهُ ، ولا مَقْصِدٌ يَعْتَمِدُونَهُ من أنفسهم ؛ فإنه قال تعالى ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبَّكَ أَكْرَمَ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَىْ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَبَّكَ ﴾ . وما يتفكرون فيه من خلق السماء ، وما يحيرى فيها من الشمس والقمر ، والنجوم مُسَخَّرَاتٍ على مسير لا يشب العالم إلا به ، من تصارييف الأزمنة ، التى بها صلاحُ الحرث والنسل ، وإحياء الأرض ، وإفاح النبات والأشجار ، وتعاور الليل والنهار ، ومَوَاقِفُ الشهور والأيام ؛ والسنين التى تُحْصَى بها الأوقات ؛ ثم ما يوجد من دليل التركيب ، فى طبقات السقف المرفوع ، والمهاد الموضوع ، باختلاف أجزائه والتتامها ، وتخرق الانهار ، وإرساء الجبال ، ومن التثام الشاهد على ما أخبر الله به من إنشائه الخلق وحدوثه بعد أن لم يكن ، مُتَرَقِّيا فى السماء ، وشبانه الى أجله فى البقاء ، ثم تحاره مُقْضِيا الى آخر القاء ؛ ولم يكن له

مُفْتَحُ عدد ، ولا مُنْقَطِعُ أمد ، وما ازداد بنشوء ، ولا تُحَيِّفُهُ تُقْصَانُ ، ولا تَفَاوَتْ على الأَزمان ؛ لأنَّ مالا حد له ولا نِهاية ، غير مُمَكِّنِ الاحْتِمَالِ لِلنَّقْصِ وَالزِّيَادَةِ ؛ ثُمَّ أَجْرَى فيما ذكر من خلق الله وخلق الإنسان الى ذكر ما تَفَضَّلَ الله به على عباده الأنبياء ، وما اختصهم به من مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الى ذكر الخُلُقَاءِ أَوَّلًا ، ثُمَّ الى ذكر المأمون ودولته .

### وتحميد للعباس في مقام له بين يَدَيِ المأمون

الحمد لله على نعمه علينا ، وإحسانه إلينا ، بالأرض المَبْسُوطَةِ ، والسماءِ المَرْفُوعَةِ ، والرياحِ المُسَخَّرَةِ ، والأمطارِ النازلة ، والأوقات القائمة ، والمنافع الداعية ؛ والدين المبين ، والأدب القويم ؛ حمداً يكون اليه صاعدا ، ولَدَيهِ نايما ، وَلِلمَّكُونَةِ ماثلا ؛ والحمد لله حمداً يُثَبِّتُ رِضْوَانَهُ ، وَيُورِثُ إِحْسَانَهُ ، وَيُوجِبُ مَزِيدَهُ ؛ فهو المنعم المحمود ، والمُتَطَوِّلُ المشكور ؛ لا إله إلا هو لا شريك له ، كما شهد الله وملائكته قائما بالقِسْطِ لا إله إلا هو العزيزُ الحكيمُ .

### وتحميد لعبد الحميد في أبي العلاء الحروري

الحمد لله الناصر لدينه ، وأوليائه وخُلَفَائِهِ ، المُظْهِرِ للحق وأهله ، والمُذِلِّ لأعدائه وأهله ؛ البِدْعَةُ والضلالة ؛ الذي لم يجمع بين حق وباطل ، وأهل طاعةٍ ومَعْصِيَةٍ ، إِلَّا جعل النُّصْرَةَ والفَاجَ والعاقبةَ لأهل حقه وطاعته ، وجعل الخِزْيَ والدَّيْلَةَ والصَّغارَ ، على أهل الباطل والخلاف والمَعْصِيَةِ ؛ حمداً يَتَقَبَّلُهُ ويرضاه ، ويوجب به لأُمير المؤمنين وأهل طاعته الزيادةَ التي وعدَ مَنْ شَكَرَهُ ؛ والحمد لله على ما يَتَسَوَّلِي من إعزاز أمير المؤمنين ونَصْرِهِ وإفلاجه وإظهارِ حَقِّهِ ، على ما وقع بأعدائه وأهل مَعْصِيَتِهِ والخلافِ عليه من سَطَوَاتِهِ ونَقَمَاتِهِ وبأسه ، فيما وليَ أمير المؤمنين من مُوالاتِهِ من والاه ، وعداوة مَنْ بَغَى عليه وعاداه ؛ لا يَكْلَهُ في شيء من الأمور الى نفسه ، ولا الى حوله وقُوَّتِهِ ومَكِيدَتِهِ ، فَإِنَّهُ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ لأُمير المؤمنين إلا به .

## وتحميد في آخر فتح

الحمد لله المعز لدينه ، المظهر لحقه ، الناصر لأوليائه ، المنتقم من أعدائه أهل الكفر ؛  
المنزل بهم من بأسه ، ونقمته وجوائحه ؛ الذي لم يجمع بين أهل حقه ، وباطل عدوه ، في موطن  
من مواطن التحاكم ، إلا جعل فيه لأوليائه الظفر ، وأفرغ عليهم الصبر ، ومنحهم النصر ؛  
وجعل الدائرة وسوء العاقبة على عدوه ، وأهل الكفر ؛ حمدا كثيرا يرضاه من الشكر ،  
ويحسن به المزيد .

## وتحميد في فتح الى أمير لقمامة

الحمد لله الفتاح العليم ، الذي خص الأمير بأفضل الكرامة وأتم النعمة ؛ وأحسن الولاية ،  
وأعظم الكفاية ؛ وحفظ ما استرعاه ، وأعز أوليائه ، وقمع بالمدلة أعداءه ، وجعل حسن  
العاقبة له ولأهل طاعته ، ودائرة السوء على أهل معاندته ؛ حمدا يحسن به القضاء ،  
وتزيد به النعماء .

## وصدر تحميد لغسان بن عبد الحميد في خطبة موجزة

الحمد لله الذي لا يدرك خيراً إلا برحمته ، ولا ينال الفضل إلا بنعمته ؛ ولي التسديد  
للغسان ، والعصمة من السيئات .

## تحميد لعبد الحميد في فتح

الحمد لله العليّ مكانه ، المنير برهانه ، العزيز سلطانه ، النابت كلماته ، الشافية آياته ، النافذ  
قضاؤه ، الصادق وعده ؛ الذي قدر على خلقه بملكه ، وعز في سمواته بعظمته ، ودبر الأمور  
بعلمه ، وقدرها بحلمه ، على ما يشاء من عزه ؛ مبتدعاً لها بإنشائه إياها ؛ وقدرته عليها ،  
واستصغاره عظيمها ، نافذة إرادته فيها ، لا تجرى إلا على تقديره ، ولا تنتهي إلا إلى تأجيله ،  
ولا تقع إلا على سبق من حتمه ، على كل ذلك بلطفه وقدرته ، وتصريف وحيه ؛ لا معدل  
لها عنه ، ولا سبيل لها غيره ، ولا علم أحد بخفائها ومعادها إلا هو ؛ فإنه يقول في كتابه  
الصادق : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ... ﴾ إلى آخر الآية .

## وتحميد ثالث

الحمد لله الذى علا بالْحُبُّ التى آسَتر بها عن جميع خَلْقِهِ ، وآسَغنَى بها عنهم لما تَوَحَّدَ به دونهم من عبادة الذين فطَرهم على المعرفة ، رَءُوفاً عليهم بِنَهْهِ وَمُتَطَوِّلاً وهو فيما يُمَضَى من أقداره ، مفصلاً لهم بابتدائه خَلْقَهُم فى أحسن تقويم ، وإعطائه إياهم عاجل كل خير مقسوم ، وتسخيرهم لهم جميع ما فى السموات والأرض ، وبَسْطِهِ لهم فى معاشهم أوسع الرزق ، وإسباغهم عليهم فيها أفضَل النعم التى لَطُفَت فبطنت ، وعُظِّمَت فظهرت ، وليست فعمّت ، وانتشرت بخلَّت ، وكثُرَت فلا يحصيا عاد ، وجُرَّت فلا يؤدَّى حق ما أفترض منها شاكر ، فإنه يقول : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

والحمد لله الذى لم يَتَّصِر بهم فى إكرامه وتفضيله إياهم على عاجل ، فإنه مُضْمِحِل زائل مما أعطاهم إياه ولم يكلفهم فى معرفة خالقهم تبارك وتعالى ، ومُتَوَلَّى النعم عليهم ، والاحسان اليهم ، والارتياش لهم ؛ ولا فى مُبْتَنَى سبيل طاعته ، وأداء حقه ، وشكر نِعْمَتِهِ ، واستيجاب غِبْطَةِ أَلْعَادِ اليه الى أن يَعُوْا ذلك بعقولهم ، والنظر فيه بألبابهم ، والتصريف له على أهوائهم ؛ فإنه لو أُلْجَأَ ذلك اليهم ، وأُفْرِدَهم فيه الى أنفسهم ، ووكلهم فيما أمرهم به الى مقدراتهم ، لحارت عنه منهم الأبصار ، ولتاهت فيه منهم العقول ، ولأضلَّهم عن قصده العَمَى ، ولمال بهم الى غيره الهوى ، ولا استحكم عليهم شرك الردى ؛ ولكنه بعث فيها أنبياء الهادين ، يدعونهم الى الصراط المستقيم ، بنوره المُضَى ، ودينه القويم ، وآياته البينة ، وكُتِبَهِ الفارقة التى بين فيها محابه ومكروهه ، وطاعته ومعصيته ، وثواب الفريقين فى ذلك من عباده ليحذروا ما حذرهم فيه من سُخْطِهِ ، ونزل بهم فيه من نِقْمَتِهِ ؛ وليسارعوا فيما جعل لأهله به الى أفضل المثوبة ، وأحسن العاقبة فى الدنيا والآخرة ، وكشَفَ لهم الجهالة ، وهدى من الضلالة ، وبصرهم سبيل الحق ، وبين لهم معالم الإسلام ، ليرجع جائز ، ويقصد زائع ، ويعرف جاهل ، وليعبدَ الربَّ بما وحَّدَ به نفسه ، وليستبين العلم ، وليستضىء الحق ، وليبتغى من الله الثواب بلزوم دينه الذى شرع ، وأداء فرائضه التى فَرَضَ ، وإيثار طاعته التى أوجب ، وليكون لله

الحجة البالغة على عباده فيما تركوا من ذلك وسفّوها بعد استبانتهم لهم ، واستفاضته فيهم وإعذاره اليهم ، فانه يقول : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنْ هَٰكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مِنْ حَىٰ عَنْ بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . ويقول ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى ﴾ .

### لأنس بن أبي شَيْخ

الحمد لله الذى بالقلوب معرفته ، وبالعقول محجته ، الذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم أمينا فوق له ، ومبلغا فأدى عنه فتح به المنكر ، وتألف به المدير ، وثبت به المستبصر ، الى أن توفاه على منهاج طاعته ، وشرعية دينه ، ثم أورثكم عهده وخصكم بكلمة التقوى ، وجعلكم الأمة الوسطى .

### ولعبد الحميد فى فتح

يُعَظِّمُ فِيهِ أَمْرَ الْإِسْلَامِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أما بعد ، فالحمد لله الذى أصطفى الإسلام ديننا رضى شرائعه ، وبين أحكامه ونور هُدهاه ، ثم كنفه بالعز المؤيد ، وأيده بالظفر القاهر ، وآزره بالسعادة المنتجة ، وجعل من قام به داعيا اليه من جُنْدِهِ الْغَالِبِينَ ، وأنصاره الْمُسْلِمِينَ ، كلما قهر بهم مهونا أورم رباعتهم المأمولة ، وأموالهم المثرية ، ودارهم الفسيحة ، ودولتهم المطولة ، امرا حتمه على نفسه ، ثم جعل من عاندهم وآبى غير سبيلهم مسلما قد استهوته ذلة الكفر بظلمها ، وحيرة إباءها ، يحوارها ، وتيه الشقاء بمغاويه ، وكلما ازدادوا لدعوة الحق إباء ، ازداد الحق اليهم آزلافا ، وعليهم عكوكا ، وفيهم إقامة ، الى أن يحل بهم عز الغلبة ، ونجاة المتجاوز ، راغبين فيما شوقهم اليه ، محافظين على مآذبيهم له ، قد بذلوا فى طاعة الله دماءهم ، وقبِلوا المعرض عليهم فى مبايعة ربهم لهم بأنفسهم الجنة . محمود صبرهم ، مسهل بهم عزهم ، الى خير الدنيا والآخرة .

والحمد لله الذى أكرم محمدا صلى الله عليه وسلم بما حفظ له من أمور أمته ؛ أن اختار لمواريث نبوته ما أصار الى أمير المؤمنين من تطويقه ما حمل بحسن نهوض به وشح عليه ، ومنافسة فيه ، أن فعل وفعل . والحمد لله الذى تتم وعده لرسوله وخليفته فى أمة نبيه مسددا



له فيما أعتزم عليه . والحمد لله المعزّ لدينه ، المتولّى نصر أمته بنبيّه المتخلّى من عاداهم وناوَاهم ، حمداً يزيد به من رضى شُكْرِهِ ، وحمداً يعلو حمدَ الحامدين من أوليائه الذين تكاملت عليهم نعمُهُ فلا توصف ، وجلّت أياديهِ فلا تُحصى ، الذى سَحَّلْنَا ما لا قوة بنا على شكره إلا بعونه ، وبأنّه يستعينُ أمير المؤمنين على ذلك ، واليه يرغب ، إنه على كل شىء قدير .

### ولعبد الحميد أيضاً

أما بعد ، فالحمد لله الذى اصطفى الإسلام لنفسه ، وأرتضاه ديناً للملائكته ، وأهل طاعته من عباده ، وجعله رحمةً وكرامةً ونجاةً وسعادةً لمن هدى به من خلقه ، وأكرمهم وفضلهم وجعلهم بما أنعم عليهم منه أولياءه المقربين ، وحزبه الغالبين ، وجنده المنصورين ، وتوكل لهم بالظهور والفلج ، وقضى لهم بالعلو والتكين ، وجعل من خالفه وعزّب عنه وابتنى سبيل غيره أعداءه الأَقْلين ، وأولياء الشيطان الأَخْسرين ، وأهل الضلالة الأسفلين ، مع ما عليهم فى دنياهم من الذل والصغار ، وما تجلّ لهم فيها من الخذلان والانتقام ، إلى ما أعدّ لهم فى آخرتهم من الخزي والهوان المقيم ، والعذاب الأليم ، إنه عزيزٌ ذو انتقام .

### وفى ذكر الإسلام وأهله وما فضلهم الله تعالى به

أما بعد ، فالحمد لله الذى عظم الإسلام تعظيماً ، وفضله تفضيلاً ، فلم يبق ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا إمام لأهل حق مهتدٍ إلا دانّ به ، واتصل الى ولاية الله بما هداه له منه ، وليس فى دين الله الذى ارتضى ، وخيرته من أهل الإسلام الذين اصطفى ، تغاشم ولا تظالم ، ولا تحاسد ، ولا تقاطع ولا تدابر ، ولكنهم كما وصفهم الله عزّ وجلّ بالثبات والتراحم ، والتواد والتناصر ، قلوبهم متفقة ، وأهواؤهم مؤلفة ، وأيديهم على أهل معصيته مبسوطة ، أعوانا على الحق ، وإخوانا فى الدين ، أَلْفَ الله بينهم ، وجعل الإسلام نسبهم ، فقال فى كتابه : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ... ﴾ الى آخر الآية . فهذه صفة الله أهل دينه فيما بينهم ، وكذلك كان أسلاف الحق قبلهم ، فى تواد وتبازهم ، وتواصلهم وتعاونهم ، وبذلك دانّ أهل السماء ، فلم يختلفوا فيه ، ولم يرغبوا عنه ، ولم يحتذوا مثالا غيره ، وبه يدين

لله الباقيون من خلقه، المتمسكون بحقه الى يوم القيامة، سنة مسنونة، وشريعة متبوعة، لا يتبعون بها بدلاً، ولا يريدون عنها حولا، فأهل طاعة الله أهل سلامة في دنياهم، وإخوان كما قال الله عز وجل في آخرتهم، لم تنقطع الولاية فيما بينهم، لانقطاع الدنيا عنهم، ولكن الله وصلها بالآخرة لهم، فجمعهم في داره وجواره، كما ألفت في الدنيا بين قلوبهم، وعصم بالإسلام ألفتهم.

### تحميد

الحمد لله المُنِيب على حمده وهو ابتداءؤه، والمنعم بشكره وعليه جزاؤه، والمُنِيب بالإيمان وهو عطاؤه.

### وَأَقَامَهُ

الحمد لله الذي أكرم الإسلام وفضله، وشرفه وعظمه، وأعلى منزلته، وجعل أهله القائمين به، والحامدين عليه، وأولياءه وحزبه الذين قضى لهم بالتمكين، والظهور على الدين كله ولو كره المشركون.

### ولزيد بن علي رحمة الله عليه خطبة

الحمد لله الواصل النعم بالشكر، والشكر بالزيد، حمد من يعلم أن الحمد فريضة واجبة، وأن تركه خطيئة مهيكة، وأؤمن بالله إيماناً نفى إخلاصه الشرك، وبقينه الشك، وأتوكل عليه توكل الوائق به ثقة أهل الرجاء، ومفرع أهل التوكل.

### تحميد في الإسلام

الحمد لله الذي اختار الإسلام ديناً لنفسه، وأنبيائه ورسله، وشرفه وعظمه، وأناره، وأظهره، ونزهه وأعزه ومنعه، ولم يقبل غيره، ولم يجعل حُسن الجزاء إلا لأهله، الذين كتب لمن أسعده بالوليعة فيه منهم الرضوان والمنقرة والرافة، وعلى من خالفه وابتغى غير سبيله الحسرة والندامة، والدلائل والآثار في الآخرة والأولى، والمئات والمئات، إذ يقول الله عز وجل: «وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَإِنْ يُقْبَلْ مِنْهُ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ»

والحمد لله الذى اجتبى محمداً صلى الله عليه وسلم بما اصطفاه من نبوته ، واختاره له من رسالته ،  
وحباه بفضيلته ، وأجتهه من أفضل عمار العرب ، وأشرفها منصبا ، وأعرقها حسبا ،  
وأكرمها نسباً ، وأوراها زناداً ، وأرفعها عماداً ، فبعثه بالنور ساطعاً ، وبالحق صادعاً ، وبالهدى  
أمراً ، وعن الكفر زاجراً ، وعلى النبين مهيمناً ، وإلى سبيل ربّه داعياً ، وبالكتاب عاملاً ،  
فبلغ عن الله الرسالة ، وهدى من الضلالة ، وانتاش من الهدى ، وأنجى معالم الدين وأدى  
فرائضه ، وبين شرائعه ، وأوضح سننه ، ونصح لأئمة ، وجاهد فى سبيل الله حق جهاده  
حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وسلم .

### تحميد لأبي عبيد الله

الحمد لله الذى شرع لآظهار حقه وإنفاذ سابق قضائه فيمن ذرأ وبراً من عباده ،  
بإدخال من أراد أن يدخل فى رحمته ، وإنجاز ما حق له من العبادة على خلقه ، بابتدائه  
خلقهم ، ومظاهرتهم الآلاء عليهم ، وإحسانه البلاء عندهم ، وإبلاغه فى الحجج إلى عامتهم ،  
دينياً رضيهم لنفسه وملائكته الذين أسكن سماواته ورسله ، فآتمن على وجه من لم يرض  
إلا به ، ولم يقبل إلا إياه ، ثم كان ما أعز به نفسه ، وأظهر به نوره ، وأراد أن يسأله  
عباده ، تحقيقاً لما سبق به عالمه ، وإنفاذاً لما بحت به مقاديره ، أن بعث لى شرع من  
دينه ، وأصطفى لتسبيحه وتقديسه من ملائكته المقربين ، من ارتضى واختار من أنبيائه  
ورسله المحبتين ، لتبليغ رسالته وإظهار حقه ، وأسئلاً<sup>(١)</sup> من أراد سعادته من خلقه بالرحمة  
التي أطلعت عليهم وعظمهم ، ليعبد مخلصاً له ، محموداً بما استحمد به إلى خلقه ، مشهوداً له  
بما أشهد به من كلمة الحق ، فكان منهم التبليغ لى أرسلوا به ، والنصيحة لمن أرسلوا إليه ،  
غير مختلفين فيما بعثوا له ، ولا متفرقين فيما استعملوا فيه ، يدعوهم آخر إلى ما دعاهم إليه  
أول ، فيصدق بذلك بعضهم بعضاً ، ويهدون إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فضمت  
رسل الله وأنبياءه على ذلك سالكين منهاج الحق وسبيله ، والدعاء إلى الله عز وجل وإلى

(١) الاستئلاء : الاقتاذ .

طاعته ، هادين مهديين غير مبخوسين شيئا مما كانوا أهلّه في المنزلة عند الله ، والقربة منه ،  
والوسيلة إليه ، هم ومن آمن بهم وعززهم ، وأتبع النور الذي أنزل معهم ، حتى تقضت  
بهم الأعمار ، وتقطعت بهم الآثار ، وتخربت بهم الأجال .

### وكذا لأبي عبيد الله

الحمد لله الذي جعل الإسلام رحمةً قدمها لعباده قبل خلقه إياهم ، واستبجأهم إياها  
منه ، فاصطفاه لنفسه وشرعه لهم ديناً يدينون به ، ثم جعل تحديده وحيه ومتابعة رُسله رحمةً  
تلافهم بها بعد تقديمها ، ومِنَّةً ظاهرها عليهم قبل استبجأهم لها ، تطوُّلاً على العباد بالنعماء ،  
وإعذاراً إليهم بالحجج ، وتقديمةً بالوعد ، وإنذاراً إليهم عواقب سخطه في المعاد .

والحمد لله الذي ابتعث محمداً صلى الله عليه وسلم بهداه وشرائع حقّه على فترة من الرسل ،  
وطُموس من معالم الحق ، ودروس من سبل الهدى ، عند الوقت الذي بلغ في سابق علمه  
ومقاديره ، أن يجتبي لدينه الأصفياء ، ويختار له الأولياء ، الظاهرين بحقه ، القاهرين لمن  
ابتغى سبيلاً غير سبيله ، فعظم حرمة ، ووسّع حوزته ، وصدّع بأمره ، وجاهد عن حقه  
في حومات الضلالة وظلمات الكفر ، بالحق المبين ، والسراج المنير ، ثم جعله مصدقاً لمن  
سبقه من الرسل ومُجدداً لما بُعثوا له وهدى ورحمةً ، ثم جعل لدينه وظائف وظيفها على  
أهلّه ، وشرائع شرعها لهم لا يَنكُلُ دينهم إلا بها ، وجعل أداءها إليه ، واعتصامهم بها إماماً  
لدينه ، ونظاماً لنوره ، وقواماً لحقه ، واستيجاباً لما وعد عليه من ثوابه ، وأماناً لما أوعده من  
خالفه من عقابه ، فليس يسع أهل الإيمان بالله الذين أكرمهم به وأجزل لهم فضله وأجره ،  
وجعل لهم عزّه وعُلُوّه ، واختار لهم الغاية والعاقبة على من فارقه في معرفتها ، وأداؤها  
بما يُستكمل به حدودها ، ومما لها من كذا وكذا .

### إبراهيم بن المهدي — صدر رسالة له في الخميس

الحمد لله الذي اختار الإسلام ديناً لنفسه ، ورَضِيَ أن يَبْذُرَهُ من سمواته من الملائكة  
المقرّين ، ومن في أرضه من النبيين والمرسلين ، ومن آمن بالنور الذي هداهم له من الثقلين ،

واختار لرسائله في سابق علمه ، والذكر الحكيم عنده ، محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه كتابه وجعل طاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم موصولةً بكذا فقال : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ .

### تحميد

الحمد لله المتكبر في جبروته المتعزّز بسلطانه ، المتعالى في سمواته ، المحتجب عن خلقه ، فلا تُدرّكه في الدنيا أبصار الناظرين ، ولا تُحيط به أوهام المتوهمين ، ولا تبلغه صفات الواصفين ، الذى لا يؤوده عظيم ، ولا يفوته مطلوب ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم .

### تحميد آخر

الحمد لله الحكيم العدل ، الذى فصل بين الحق والباطل ، فنفذ قضاؤه في خلقه ، وحكم فيهم بحكمه على إرادته ، يقضى بالنصر والتأييد ، والعز والفلاح ، والتمكين للحق وأهله ، وبالذل والوقيم والخزى والصغار للباطل وأهله ، وجعل ذلك من فضله وحكمه عادةً جاريةً باقيةً ، وسنةً ماضيةً ، لا رادّ فيما قضى منه لقضائه .

والحمد لله الذى اختص محمداً صلى الله عليه بكراماته ، واصطنعه لرسالاته ، وأنزل عليه كتابه العزيز الذى لا يأتسه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، بما أحلّ وحرم ، ورضى وسخط ، وأمر به ونهى عنه ، وجعله خاتم النبیین والمُهمّين عليهم ، وكتابته الذى أنزل ، آخر الكتب المصدق بها النبي صلى الله عليه وسلم .

### تحميد في الإسلام وما آمن به على أهله من مبعث النبي

#### صلى الله عليه وسلم ، وهو في صدر الجهاد

أما بعد ، فإنّ لدين الله الذى ارتضاه لنفسه ، ولین اصطفاه من خلقه ، واجتباها من عباده وجعله معلماً بين الهدى والضلالة ، وفرقاً بين الحق والباطل ، وحاجزاً بين الكفر والإيمان ، وظائف وظفها على أهلها ، وشرائع شرعها لهم ؛ فجعل أداؤها إليه ومعرفتها له ، وحفاظتهم عليها ،

واعتصامهم بها قواما لدينه ، ونظاما لنوره وثباتا لحقه ، واستيجابا لما وعد من ثوابه ، وأمنا لما أوعده من عقابه ؛ فليس يسع أهل الإيمان بالله والإقامة على حقه من المسلمين الذين ستمهم المسلمين بالإسلام ، وأحرز لهم فضله وعزه ، وأصار لهم الغلبة على من خالفهم وفارقهم بما ركنوا إليه من الصدود عن سبيله ، والتكذيب بكتبه ورسوله ، ودلتهم فيه قرباؤهم ، وقادتهم إليه أهواؤهم ، من اللل الضالة ، والأديان المجموعة ، التي لم ينزل بها من الله سلطان ، ولا كتاب ولا برهان ، إلا معرفتها وأداؤها بما يستكمل من حدودها ومعالها .

### تحميد في الجهاد وما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم

أما بعد ، فإن الله خلق الخلائق بقدرته ، وقدر الأمور بعلمه ، وأنفذ على ما مضى من مشيئته ، من غير أن يكون له ظهير في ملكه ، أو معين على ما يرى من عجائب خلقه ، واحتذاء منه على سابق من صنعة غيره ، فوحد نفسه بما تفرد به دون غيره من خلقه ، ليُعبد مُخلصا مبرا من الأنداد ، إتماما لنوره ، وتعزيزا لتوحيده ، وتأييدا لدينه ، وإعلاء لمن اعتصم به ، وإفلالا لمن خالفه وعاد عنه وعبد غيره ، وإحقاقا لكلمته ، فإنه يقول : ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ الآية ؛ بذلك أنزل كتبه ، وأرسل رُسُلَه ، وأحجج بهم وبما أنزل إليهم على من مضى من القرون السالفة ، والأُمم الخالية ، يدعو آخرهم إلى ما سبق إليه أولهم ، من عبادته وتوحيده ، لا يسئوحتون من قلة ، ولا يؤتون من كثرة ؛ يعزهم الله بقوته ، ويؤيدهم بيمينه ، وينصرهم وينصرهم إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بما خصهم به ، وجعله مبدقا لهم ، ومهيما عليهم ، وخاتم البين بعدهم ؛ يميضي لأمر الله ، ويجهده من لم يجبه إلى الدخول في دين الله ، فأظهره الله وأثار حقه ، وأرهم عدوه ، وأنجز له ما وعده وأتم بذلك النعمة عليه وعلى من اتبعه ، فإنه يقول : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ﴾ .

### تحميد في فتح

الحمد لله الفتح العظيم ، الرحمن الرحيم ، العزيز الحكيم ، الذي أعز الإسلام بقدرته ، وأيده بنصره ، فلم يلبد فيه مأبدا ، ويسم في تنبت الكلمة وشق العصا ساع ، ويوضع

في الكفر والمعصية مَوْضِعٌ ، ويمتنع من قضاائه وإرادته مُمْتَنِعٌ إِلَّا أَذَلَّهُ اللهُ وَقَصَمَهُ ، وَأَضْرَعَ خَدَّهُ ، وَأَتَعَسَ جَدَّهُ ، وَضَلَّلَ سَعْيَهُ ، وَعَجَّلَ بَوَارَهُ وَاسْتَنْصَالَهُ ؛ حَمْدًا دَائِمًا لَا انْقِطَاعَ لَهُ ، وَلَا نِفَادَ لِمُدَّتِهِ .

### تحميد ثامن

والحمد لله الذي اختار الإسلام وشرفه ، وكرمه وطهره ، وأظهره وأعزّه ، وفطر عليه ملائكته ، وبعث به أنبياء ورُسُلَه ، واختار له خيرته من خلقه محمدًا صلى الله عليه ، فبعثه برسالته ، وأكرمّه بوحيه ، وأصطفاه على خلقه ؛ يُبَشِّرُ بِالْجَنَّةِ مَنْ أَطَاعَهُ ، وَيُنْذِرُ بِالنَّارِ مَنْ عَصَاهُ ؛ وَجَعَلَهُ دِينَهُ الْقِيمَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ دِينًا غَيْرَهُ وَلَا يُثِيبُ أَحَدًا إِلَّا عَلَيْهِ .

### تحميد في فتح

الحمد لله العزيز في ملكوته القاهر فوق بريته ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وأنفذ فيهم إرادته ومشيئته ، وقدر كل شيء وأتقنه وأحكمه ، وأحاط علمًا به ؛ فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين .

### صدر تحميد في فتح

الحمد لله الذي ابتدع الخلق لا من شيء ، وجعل الليل والنهار كهفًا ومُسْتَجَنًا لكل حي ؛ بِقُدْرَتِهِ تَجَرَّتِ الْجَارِحَاتُ ، وَجَرَّتْ لِمَوَاقِفِهَا الْأَنْهَارُ ؛ فَدَارَ وَتَطَارَدَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .

والحمد لله الذي فات بعظمته أبصار المرتئين ، وعلا بجده عن خطرات الحاسبين ، واحتجب بأستار جبروته عن مواقع فكر المحصلين المتعمقين ؛ فَلَمْ تَحْوِ الْكَيْفِيَّةُ ، وَلَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ أَدَوَاتُ التَّحْصِيلِ وَالْكَفِيَّةُ ، وَلَا أَدْرَكَ هَاجِسَ تَبْعِيضٍ وَلَا كُلِّيَّةٍ ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى زِيَادَةٍ فِي حِينٍ ، وَلَا إِلَى تَقْصِيرٍ فِي شُهُورٍ وَلَا سِنِينَ ، فَكُلُّ أَمْرِهِ — عِزَّ جَلَالِهِ — تَمَامٌ وَدَوَامٌ ، وَكُلُّ صِفَاتِ صَنْعِهِ أَعْتَدَالٌ وَكَمَالٌ ؛ وَكُلُّ مَا دُونَهُ يَحْتَكِمُ فِيهِ الْقَنَاءَ وَالزَّوَالَ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ .

والحمد لله الذى عرفنا ربوبية إلهامنا ، ونهيج لنا سبل طاعته منّا وإكراماً ، وتعبداً  
بفرضه تقويماً وتعليماً وأمتناناً؛ فقامت علينا وعلى الخلق حُجَّتُهُ ، بالصّادع بأمره ، والمُبلِّغ  
لرسالته ، والمُجاهد فيه حقّ جهاده ، محمد صلى الله عليه وسلم . والحمد لله الذى أعزّ دينه ، وأظهر  
تَمَكُّينه ، ونصرَ وليّه ، وخدّل عدوّه ، وأوقع بأسه ونقمته بحلّ الفرية ، وجرثومة الضلالة ،  
ومَنّاخ الشرك ، ومَرَكز الكفر؛ بعد طول الإملاء ، والاعتداء فى سَفْكِ الدماء ، والمُثْلَةِ  
بالأَسْرَى ، وقِلَّةِ المُرَاقَبَةِ والأَرعواء .

### تحميد

الحمد لله حمداً يكون رضاه منتهاه ، والمزِيدُ من فضله جزاءه . والحمد لله حمداً يُلْهِمُ  
حمداً الحامدين ، وشكرُ الشّاكرين . والحمد لله الذى لا تُحْصَى نِعَمُهُ ، ولا تُجْزَى آلاؤُهُ ، ولا  
يُكَافَأُ بِلَاؤُهُ ، ولا يُبْلَغُ شُكْرُهُ إِلَّا بِمَنِّهِ وتوفيقه ؛ حمداً يَرْضاه ، ويتقبّله ، ويزكو لديه ، ويوجب  
ما تأذن للشّاكرين مِنْ يَدِهِ .

### تحميد على فتح

أما بعد ، فالحمد لله الواحد القهار ، العزيز الجبار ، ذى المَنِّ والإِنعام ، والجلال والإكرام ؛  
الذى أَصْطَفَى الإسلامَ دِيناً ، وَأَصْطَفَى لَهُ مِنْ عِبَادِهِ أَهْلاً هَدَاهُمْ لَهُ ، وَأَكْرَمَهُمْ بِهِ وَبَيَّنَّ  
لَهُمْ مَا يَتَوَنَّنُونَ ، ولم يتركهم فى رَيْبٍ مِنْ أَمْرِهِمْ ، ولا شُبْهَةٍ مِنْ دِينِهِمْ ؛ فله الحُجَّةُ البالغة لِيَهْلِكَ  
مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتِنَا ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْتِنَا ، وإِنَّ اللهَ لَأَسْمِيعٌ عَلِيمٌ .

والحمد لله الذى ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم النبوة ، وأتتجبه لتبليغ الرسالة ، وبعثه إلى  
خَلْقِهِ كافّة ، فَبَلَّغَ رسالته ، وصَدَعَ بأمره ، وقام فيما بعثه له بحَقِّهِ ، ثم أنجز له وعده ، وأتمّ له  
كَلِمَتَهُ ، وأظهر دين الإسلام به على الدِّينِ كُلِّهِ ولو كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .

### تحميد فى فتح

أما بعد ، فالحمد لله الأول الآخر ، الظاهر الباطن ، الولي الحميد ، القوى العزيز ؛  
الذى لا يَقْدِرُ العبادُ قدره ، ولا يُحْصَوْنَ نِعَمُهُ ، ولا يَبْاخُونَ شُكْرَهُ ؛ المحيط بكلّ شَيْءٍ ، علماً ،



وَأُحْصِيَ كُلُّ شَيْءٍ عِدْدًا ؛ فَلَا يُعْجِزُهُ كَبِيرٌ ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ صَغِيرٌ ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

### تحميد

الحمد لله المتوحد بالخلق والأمر ، قادرا قاهرا أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء  
عددا ، وملاؤه عظمة ، ووسعه عدلا ، وأتقنه صنعا . والحمد لله الذي أعزّ بالحق من أطاعه ،  
وأذلّ بالباطل من عصاه ، وجعل الطاعة والجماعة حرزا حريزا ، وموتلا مئينا ؛ فلم يجمع بين  
أهل كفر وإيمان ، وطاعة وعصيان ، إلّا توحد بالصنع لأهل طاعته ، وأنجح سعيهم ،  
وأعلى كلمتهم ، وأفالج مجتهمهم ، وأنزل بأهل الكفر المعاندين عنه ، الرادين لأمره الدلة  
والصغار في عاجلهم وآجلهم ، حمدا يكون ليزيده موجبا ، ولحقه مؤديا .

### تحميد في فتح لسعيد بن حميد عن وصيف

أما بعد ، فالحمد لله الحميد المجيد ، الفعال لما يريد ؛ الذي خلق الخلق بقدرته ،  
وأَمْضَاهُ عَلَى مَشِيئَتِهِ ، وَدَبَّرَهُ بِعِلْمِهِ ، وَأَظْهَرَ فِيهِ آثَارَ حِكْمَتِهِ الَّتِي تَدْعُو الْعُقُولَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ ،  
وَتَشْهَدُ لَذَوِي الْأَلْبَابِ بِرُبُوبِيَّتِهِ ، وَتَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي مَلِكِهِ فَيُنَازِعَهُ ،  
وَلَا مَعِينٌ عَلَى مَخْلُقٍ فَتُلْزِمُهُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ؛ فَلَيْسَ يَتَصَرَّفُ عِبَادَهُ فِي حَالٍ إِلَّا كَانَتْ دَلِيلًا  
عَلَيْهِ ، وَلَا تَقَعُ الْأَبْصَارُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا كَانَ شَاهِدًا لَهُ ، بِمَا رَسَمَ فِيهِ مِنْ آثَارِ صُنْعِهِ ، وَأَبَانَ فِيهِ  
مِنْ دَلَائِلِ تَدْبِيرِهِ ، إِعْذَارًا بِحُجَّتِهِ ، وَتَطَوُّلًا بِنِعْمَتِهِ ، وَهَدَايَةً إِلَى حَقِّهِ ، وَإِرْشَادًا إِلَى سَبِيلِ  
طَاعَتِهِ ، وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ؛ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

والحمد لله العزيز القهار ، الملك الجبار ، الذي أصطفى الإسلام وأختره ، وأرتضاه  
وطهره ، وأعلاه وأظهره ؛ فجعله حجة أهله على مَنْ شاقهم ، ووسيلة لهم إلى النصر على مَنْ  
عَدَّ فِي حَقِّهِمْ ، وَأَبْتَغَى غَيْرَ سَبِيلِهِمْ ؛ وَبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ يَدْعُونَ إِلَى حَقِّهِ ، وَيَهْدُونَ إِلَى سَبِيلِهِ ،

بالآيات التي يبينون بها عن المخلوقين، ويوجبون بها الحجّة على المخالفين؛ حتى انتهت كرامة الله إلى خاتم أنبيائه، وحامل كتابه، ومفتاح رحمته صلى الله عليه وسلم؛ على حين فترة من الرسل، واختلاف من الملل، ودثور من اعلام الحق، واستعلاء من الباطل؛ والناس عاندون عن سبيل ربهم، يتسافكون دماءهم، ويحلّون ما حرّم الله عليهم، ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم؛ وأيده بالبرهان الواضح، والحجج القواطع، والآيات الشواهد؛ وأنزل عليه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؛ وجعل فيه أوضح الدليل على رسالته، وأعدل الشواهد على نبوته؛ إذ عجز المخلوقون عن أن يأتوا بمثله على مرّ الأيام، وكثرة الأعداء والمنازعين؛ يتحدّاهم به في المواسم، ويقصّدُهم بحجّته في المحافل؛ ولا يزدادون عنه إلّا حسورا وعجزا، ولا تزداد حجّة الله عليهم إلّا تظاهرا وعلوا؛ ثمّ أيده بالنصر بأنصار ألف بينهم بطاعته، وجمعهم على حقه، ولمّ شعّهم بنصرة دينه، بعد الشقاق المتصل بينهم، والحرب المفروقة لجماعتهم؛ كما قال عزّ وجلّ: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ نَصْرَهُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾. وقدم إليه وعده بالنصرة والتمكين، فجعله بشرى للمؤمنين، وحجّة على الكافرين، ودليلا على ما بعثه به من الدين؛ فهزم بالقليل من عددهم الكثير من أعدائهم، وغلب بضعائهم أهل القوة ممّن ناوَاهم؛ فقلّ به حدّهم، وفُضّ جموعهم، وأفتتح حصونهم، وحرّز معاقلهم؛ وأظهر بحجّته ونصره عليهم، وأنجز سابق وعده لهم وفيهم، والله لا يخالف الميعاد.

### تحميد لابن المقفع

الحمد لله ذي العظمة القاهرة، والآلاء الظاهرة؛ الذي لا يُعجزه شيء، ولا يمتنع منه، ولا يُدفع قضاؤه ولا أمره؛ ﴿وَأَمَّا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. والحمد لله الذي خلق الخلق بعلمه، ودبر الأمور بحكمه، وأنفذ فيما آختر وأصطفى منها عزّمه؛ بقدرته منه عليها، ومملكة منه لها، لا معقب لحكمه، ولا شريك له في شيء من الأمور؛ يخلق ما يشاء ويختار؛ ما كان للناس الخيرة في شيء، من أمورهم، سبّحان الله وبعالي عما يشركون.

والحمد لله الذى جعل صَفْوَةَ ما آخِثَار من الأمور دينَه الذى آرتضى لنفسه ولَمَن أراد كرامته مِن عبادِه ، فقام به ملائكتُه المقربون ، يُعَظِّمون جلاله ، ويُقدِّسون أسماءه ، ويذكرون آلاءه ، لا يَسْتَحْسِرُونَ عن عبادته ولا يَسْتَكْبِرُونَ ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ، وقام به مَن آخِثَار من أنبيائه وخُلَفَائِهِ وأُولِيائِهِ فى أرضه ، يُطِيعُونَ أَمْرَهُ ، وَيُذَبُّونَ عن تَحَارِمِهِ ، وَيُصَدِّقُونَ بَوْعَهُ ، وَيُوفُونَ بعهده ، وَيَأْخُذُونَ بِحَقِّهِ ، وَيُجَاهِدُونَ عَدُوَّهُ ، وَكَانَ لَهُم عند ما وعدَهُم مِن تصديقهِ قولُهُم وإِفْلَاجُهُ حُجَّتُهُمْ ، وإِعْزَازُهُ دِينَهُمْ ، وإِظْهَارُهُ حَقَّهُمْ ، وَتَمْكِينُهُ لَهُمْ ، وَكَانَ لَعْدُوه وَعَدُوهُم عند ما أوعدهم من نَحْزِيهِ ، وإِحْلَالِهِ بِأَسْمِهِمْ ، وَأَنْتِقَامِهِ مِنْهُمْ ، وَغَضَبِهِ عَلَيْهِمْ ، مَضَى عَلَى ذَلِكَ أَمْرُهُ ، وَنَفَذَ فِيهِ قَضَاؤُهُ فِيمَا مَضَى ، وَهُوَ مُمِيزُهُ وَمُنْفِذُهُ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا بَقِيَ ، لِيَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، وَلِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُطْلَلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ .

والحمد لله الذى لَا يَقْضَى فى الأُمُور وَلَا يُدَبَّرُهَا غَيْرُهُ ، ابْتَدَأَهَا بِعِلْمِهِ ، وَأَمْضَاهَا بِقُدْرَتِهِ ، وَهُوَ وَلِيُّهَا وَمُنْتَهَاهَا ، وَوَلَّى الْخَيْرَةَ فِيهَا ، وَالْإِمْضَاءَ لِمَا أَحَبَّ أَنْ يَمْضَى مِنْهَا ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سِوَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

والحمد لله الفَتَاحُ الْعَلِيمُ ، الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، ذِي الْمَنِّ وَالطُّولِ ، وَالْقُدْرَةُ وَالْحَوْلُ ، الذى لَا تُمُكُّ لِمَا فَتَحَ لِأُولِيائِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلَا دَافِعَ لِمَا أَنْزَلَ بِأَعْدَائِهِ مِنْ نَقْمَتِهِ ، وَلَا رَادَّ لِأَمْرِهِ فى ذَلِكَ وَقَضَائِهِ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ .

والحمد لله الْمُتَيْبِ بِمَجْدِهِ وَمِنْهُ ابْتَدَأُوهُ ، وَالْمُنْعِمِ بِشُكْرِهِ وَعَلَيْهِ جَزَاؤُهُ ، وَالْمُنْفَى بِالْإِيمَانِ وَهُوَ عَطَاؤُهُ .

### لَا خَيْرَ

الحمد لله الذى يَتَطَوَّلُ بِالنِّعَمِ مُبْتَدِئًا ، وَيُعْطَى الْخَيْرَ مِنْ شِئَاءٍ وَيُثِيبُ عَلَيْهِ .

## تحميد لغسان بن عبد الحميد

كاتب جعفر بن سليمان في المطر :

الحمد لله الذي نشر رحمته في بلاده ، وبسط سَعَتَهُ على عبادِهِ ، الذي لا يزال العبادُ منه في رزقٍ يَنْقُصُونَهُ ، وفضلٍ يَنْتَظِرُونَهُ ، لا يَنْقُضُهُ ما قَبْلَهُ ، ولا يَنْقُضِي ما بَعْدَهُ .

## لأحمد بن يوسف في فتح السند

الحمد لله وَلِيَّ الحمد ، وأهلِ الثناء والمجد ، خالقِ الخلق ، ومُدَبِّرِ الأمر ؛ المسبغ على عبادِهِ والمُوجِبِ عليهم حُجَّتِهِ ؛ فليسوا يرجون إلا سَعَةً فَضْلِهِ ، ولا يَحْذَرُونَ إلا ما أَجْرَحُوا مِنْ مَعْصِيَتِهِ ؛ لما سبق من جَزِيلِ إحسانِهِ ، وتَظَاهَرِ من أَمْتِنَانِهِ ، وتَقَدَّمَ به الإِعْذارُ والإِنْذارُ ، اللذان لا يَسْتَحِيفُ بما عَظُمَ مِنْهُمَا إلا مَنْ آسَحَوْذَ عليه الشيطان ، وآسَتَوَلَّى عليه الخلدان ، وقاده الحَيْنَ الى مواردِ الهَلَكَةِ .

## التحميد الثاني

الحمد لله الذي أصطفى الإسلام ديناً فطَّهَرَهُ وأَسْنَاهُ ، وأَظْهَرَهُ وأَعْلَاهُ ؛ وزَيَّنَهُ بِكُلِّ حَسَنَةٍ ، ونَفَى عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ ، وجَعَلَهُ الى مَدْخُورِ كَرَامَتِهِ سَبِيلاً واصِلاً ، وسَبِيلاً نَهْجاً ، وبعث به محمداً صلى الله عليه وسلم ليَهْدِيَ مَنْ كانَ حَيًّا ، ويَحِقِّ القَوْلَ على الكافرين .

## تقريضه في الخليفة

الحمد لله الذي أصطفَى أمير المؤمنين لخِلافَتِهِ ، وتَلَفَّى الأُمَّةَ بِسُلْطَانِهِ ، فجَعَلَهُ القائمَ فيهِم بِقِسْطِهِ ، وأُتْسِفِرَغَ في أَلْتَماسِ مَصْلَحَتِهِمْ هَمَّهُ .

## لأحمد بن يوسف

عن ذى الرياستين الى ابراهيم بن إسماعيل بن داود صدر فتح :

أما بعد ، فالحمد لله الذى حَفِظَ مِنْ دِينِهِ ما ضَيَّعَ الملحدون ، ورَأَبَ مِنْهُ ما [فَرَقَتْهُ] <sup>(١)</sup> الصَّدْعَةُ ؛ وأعاد من حبلِهِ ما حاولوا نَقْضَهُ ، حتَّى أعاد لعبادِهِ أحسنَ أَلْفَتِهِمْ ، وردَّ اليهِم أَجْمَلَ

(١) بياض في الأصل . وما أثبتناه يناسب المقام .

عَوْدِهِمْ ، من الاستشلاء بعد التردى فى حُجْمِ المعاطب ، والاستنقاذ بعد التوريط فى المهالك ؛  
 وَبَلَغَ خَلِيفَتُهُ الْقَائِمُ بِحَقِّهِ ، الْمُؤْتَمِّ بِكِتَابِهِ ، الذَائِدُ عَنْ حَرِيمِ الدِّينِ ، وَمِيرَاثِ النَّبِيِّينَ ، أَجْزَلَ  
 مَا بَلَغَ لُخْلَفَاءُ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ ، مِنْ إِعْلَاءِ الْكَلِمَةِ ، وَغَلَبَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَالْفَوْزِ بِالْعَاقِبَةِ الَّتِي  
 وَعَدَهَا الْمُتَّقِينَ ، وَفَرَّغَهَا لِمَا أَشْعَرَ قَلْبَهُ ، وَشَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ ، مِنْ إِهْضَاءِ حُكْمِ الْفِرَاقِ الْمَوْجِبَةِ ،  
 وَاقْتِفَاءِ السَّنَنِ الْهَادِيَةِ ، حَيْثُ سَلَكَ بِهِ مِنَ الْمَنَاجِحِ ؛ حَمْدًا يَوَازِي نِعَمَهُ ، وَيَبْلُغُ أَدَاءَ شُكْرِهِ ،  
 وَيُوجِبُ مَزِيدَهُ .

والحمد لله على ما خصصنا به من إعلاء الدرجة ، وإسناء الرتبة ، فى مشايعة أمير المؤمنين  
 — أَيَّدَهُ اللَّهُ — وَالْمُجَاهِدَةِ عَنْ حَقِّهِ ، وَالْوَفَاءِ لِلَّهِ بِمَا عَقَدَهُ لَهُ ؛ لَا نَزِيدَ بِمَا كَانَ مِنَّا إِلَّا وَجْهَهُ ،  
 وَلَا نَسْئَى فِيهِ إِلَّا لِرِضَاهُ ؛ حَمْدًا لَا يُحْصَى عَدَدُهُ ، وَلَا يَنْقُطِعُ أَمْدُهُ .

### تحميد لأبى عبيد الله

أَمَّا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْأَلَاءِ وَالْقُدْرَةِ ، وَالطُّوْلِ وَالْعِزَّةِ ؛ الَّذِي أَصْبَحَ الْإِسْلَامُ دِينًا  
 لِنَفْسِهِ ، وَمَلَائِكَتُهُ وَأَنْبِيَائُهُ وَمَنْ كَرَّمَ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ ؛ فَبَعَثَ بِهِ عَبْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتِصَاصًا  
 لَهُ فِي ذَلِكَ بِكَرَامَاتِهِ ، وَأَصْطَفَاءَ لَهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ ؛ فَأَعَزَّهُ وَمَنَعَهُ ، وَكَفَاهُ وَحَاطَهُ ، وَتَوَكَّلَ لِأَهْلِهِ  
 بِالْعِلْمِ وَالتَّمَكُّنِ ، وَالظُّهُورِ وَالتَّأْيِيدِ ؛ فَلَمْ يُلْحَدْ فِيهِ مَلْحِدٌ ، وَلَمْ يَزِغْ عَنْ قَبُولِ حَقِّهِ زَائِعٌ ، بَعْدَ  
 إِعْذَارِ اللَّهِ إِلَيْهِ ، وَإِعَادَةِ الْحُجَّةِ لِلَّهِ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَنْزَلَ بِهِ مِنَ الذَّلِّ وَالصَّغَارِ وَالْاجْتِيَاكِحِ وَالِاسْتِغْثَالِ  
 مَا يَجْعَلُ لَهُ فِيهِ قَعًا بِحَمْدٍ كَثِيرٍ دَائِمًا مُرَضِيًا لَهُ ، مُؤْمِنًا مِنْ غَيْرِهِ ، وَاجِبًا لِأَفْضَلِ مَزِيدِ ثَوَابِهِ .

### تحميد لسعيد بن حميد فى فتح

أَمَّا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنْعِمِ فَلَا يَبْلُغُ أَحَدٌ شُكْرَ نِعْمَتِهِ ، وَالْقَادِرِ فَلَا يُعَارِضُ فِي قُدْرَتِهِ ،  
 وَالْعَزِيزِ فَلَا يُغَالِبُ فِي أَمْرِهِ ، وَالْحَكِيمِ الْعَدْلُ فَلَا يُرَدُّ حُكْمُهُ ، وَالنَّاصِرِ فَلَا يَكُونُ نَصْرُهُ إِلَّا لِلْحَقِّ  
 وَأَهْلِهِ ، وَالْمَالِكِ لِكُلِّ شَيْءٍ فَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ عَنْ سُلْطَانِهِ ، وَالْهَادِي إِلَى سَبِيلِ رَحْمَتِهِ فَلَا  
 يَضِلُّ مِنْ انْقَادِ لَطَاعَتِهِ ، وَالْمُقَدِّمِ إِعْذَارَهُ لِيُظَاهِرَ بِهِ حُجَّتَهُ ؛ الَّذِي جَعَلَ دِينَهُ لِعِبَادِهِ رَحْمَةً ،  
 وَخِلَافَتَهُ عَصَمَةً ، وَطَاعَةَ خُلَفَائِهِ فَرَضًا وَاجِبًا عَلَى كَافَّةِ الْأُمَمِ ؛ فَيُفْهِمُ الْمُتَحَفِّظُونَ فِي أَرْضِهِ

على ما بعث به رُسُلُه ، وأُمنّاؤد على خلقه فيما دعاهم إليه من دينه ، والحاملون لهم على مناهج حَقِّه ، لئلا تُشْعَب بهم الطرق المخالفة لسبيله ، والهادون لهم إلى صراطه ليجمعهم على الجادة التي نَدَب إليها عباده ؛ بهم حُمِيَ الدين من البُغاة الطاغين ، وحُفِظَت معالم الحق من الغواية المخالفين ، مُتَجَنِّين على الأُمم بكتاب الله عز وجل الذي استعملهم به ، ورُعاةً للأُمم بحق الله الذي آخَرهم له ؛ إن جادلوا كانت حُجَّةُ الله معهم ، وإن حاربوا فالنصر لهم ، وإن جاهدوا كان في طاعة الله نصرهم ، وإن بغاهم عدُو كان نِكاية الله حائلةً دونهم ، ومَعْقِلًا لهم ، وإن كادهم كائد فالله في عونهم ؛ نصيبهم الله لإعزاز دينه ، فمن عاداهم فإثمًا عادى الذين عزَّ بهم وحُرس بهم حَقُّه ، ومن ناوأهم فإثمًا طعن على الحق الذي تكلَّوه حراسُهم ، جيوشُهم بالرعب منصوره ، وكُتائبُهم بسلطان الله من عدوهم محوطة ، وأيديهم بذبِّها عن دين الله عالية ، وأشياعُهم بتناصرهم غالبةٌ ، وأحزابُ أعدائهم ببغيتهم مقموعةٌ ، ومُجتَهم عند الله وخَلْقُه داحضةٌ ، ووسائلهم إلى النصر مردودةٌ ، وأحكامُ الله بخذلانهم واقعةٌ ، وأقدارُه بإسلامهم إلى أوليائه جاريةٌ ، وعادتهُ فيهم وفي الأُمم السالفة والقرون الخالصة ماضيةٌ ، ليكون أهل الحق على ثِقَةٍ من إنجاز سابق الوعد ، وأعداؤه محجوجين بما قَدَّم إليهم من الإنذار ، مُعَجَّلَةٌ لهم نِقْمَةُ الله بأيدي أوليائه ، مُعَدَّةٌ لهم العذاب عند رَدِّهم إليه خزيًا موصولًا بنواصيهم في دُنْيَاهُمْ ؛ وعذابُ الآخرة من ورائهم وما الله بظلام للعبيد . وصلى الله على نبيِّه أمينه المصطفى ، ورسوله المرتضى ، والمنقذ من الضلالة والعمى ، صلاةً ناميةً بركائنها ، دائمةً اتصاؤها ، وسلم تسليمًا .

والحمد لله تواضعًا لعظمته ، والحمد لله إقرارًا بربوبيته ، والحمد لله اعترافًا بقصور أقدسي  
منازل الشكر عن أدنى منزلةٍ من منازل كرامته .

فِيما يُقَرَّظُ بِهِ الْخَلِيفَةُ

والحمد لله الذي حاز لأُمير المؤمنين وراثته ، وساق إليه خلافتَه ، بالحاجة منها إليه ، والرغبة منه عنها ، واستخلص من خَلْقِه مَنْ جعله نَبيِّرا للهِدَايَةِ ، وعَدَّةً لا تَوازِلُ ؛ فإِذَا

(١) أفضت الخلافة إليه حيسر أمامه أحاجلته ، وكشف قناعه لمُحاربتة ؛ فالحمد لله الذى اختص أمير المؤمنين بخلافته ، وأرتضاه لولاية أمرِ أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والقيام بحقه ، والذب عن حُرُماته ؛ وحاط له ما أسترعاه من ذلك ، وقلّده بحسن الولاية والكفاية ، وتوكل له بالحفظ والتأييد ، والنصر والغلبة والظهور على مَنْ عَنَدَ عن طاعته ، وصدف عن حقه ، وآبَتَى غير سبيله ؛ كرامة من الله تطول بها عليه ، ومِنَّة منه توحد بها له .

والحمد لله الذى جعل نية أمير المؤمنين عزيمته ، وفكره ورويته ، منذ أفضى الله بالخلافة إليه ، وجعله القائم بإرث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأستحفظه من عباده وبلاده فيما فيه عز الدين ، ونظام أمر المسلمين وترهينُ الشكر ، وإذلالُ الأعداء ، وإشجاؤهم ووقئهم ، وتحصين البيضة ، وإشخانُ الثغور ، ولمُ المنتشر ، وضمّ الأطراف ؛ لا يفتأه عن ذلك فائئ ، ولا يدهسه عن تفقد كبير أمره وصغيره ومقابلته ذاهل ؛ يستقل كثير ما يُنْفِق من الأموال في سدّ الثغور ، وتحصينها وحراستها ، لما يرجو فيه من جسيم الخط ، وجزِيل الذخر ، وكثير الأجر ؛ تقربا الى الله وأحتسابا له في جنب ثوابه ، وكريم مآبه ؛ حتى رَأى به الصُدع ، ورتق به الفتق ، وأتمن به السبل ، وأقام به العوج ، وأفلج به الحُجج ، وأعلى به الدرج ، وأزق به الباطل ، وأحيا به الحق ، وأشام به سيوف أهل الضلالة والفتنة ؛ لا تأخذه في القيام بحق الله والانتصار لدينه ، والانتصاح لأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والذب عن حوزتهم ، والرمي من ورائهم ، ودفع بائقة أهل الشقاق والنفاق والخلاف والمعصية عنهم فترة ولا سامة ؛ توفيقا من الله ، وتسييدا لحُرُمته ، وتأيدا لعزمه ، إذ كان لله شاكرا ، ولدينه ناصرا ، وبحقه قائما ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله وحده ، عليه يتوكل وعليه يتوكل المتوكلون .

والحمد لله الذى لم يزل منذ أفضى الى أمير المؤمنين بخلافته ، وحيّاه بكرامته ، يَخْتَصِمه بالخيرة في كل ما أمض ، من أمره ، ويتولاه بالتوفيق في كل ما أبرم من تدبيره ، ويَجِل عنه

(١) هكذا وردت في الأصل . ولم نوفق الى تحقيقها .

أُعباء ما حَمَلَهُ ، وَيُعِينُهُ بِتَأْيِيدِهِ عَلَى مَا قَلَّدَهُ ، وَيَحْوَطُهُ بِجَمِيلِ الصَّنْعِ فِيَا وَلَاهُ وَأَسْتَحْفَظُهُ ، وَيُلْهِمُهُ جِهَادَ عَدُوِّهِ ، وَيُجَبِّوهُ بِنَصْرِهِ ؛ حَمْدًا قَاضِيًا لِحَقِّ نِعْمَتِهِ ، مُوجِبًا أَفْضَلَ مَزِيدِهِ .

والحمد لله الذى أَوْرَثَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَوَارِيثَ نُبُوَّتِهِ ، وَصَيَّرَ إِلَيْهِ مَقَالِيدَ خَلْقِهِ ، وَأَوْجَبَ ذَلِكَ لَهُ بِالْقَرَابَةِ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْوَرَاثَةِ لَوَرَاثَتِهِ مِنْ عُصْبَتِهِ وَأَوَّلَى النَّاسِ بِهِ ؛ ثُمَّ أَعَزَّنَا نَصْرَهُ ، وَأَعْلَى كَلِمَتِهِ ، وَأَفْلَحَ حُجَّتَهُ ، وَأَظْهَرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، وَمَنْ حَادَّهُ وَعَانَدَهُ مِنَ النَّاكِثِينَ وَالْمَارِقِينَ ، وَالْبَاغِينَ وَالْمُلْحِدِينَ ، فَأَتَعَسَّ جَدُودَهُمْ وَفَعَلَ وَفَعَلَ .

والحمد لله الذى عَرَّفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْذَ اسْتَخْلَفَهُ فِي أَرْضِهِ ، وَأَتَمَّنَهُ عَلَى خَلْقِهِ ، مِنْ عَظِيمِ نِعْمَةٍ ، وَلَطِيفِ صُنْعِهِ ، وَجَمِيلِ بِلَائِهِ ، وَأَعَزَّازِ نَصْرِهِ ، وَاعْلَاءِ يَدِهِ وَكَلِمَتِهِ ، وَإِفْلَاحِ حُجَّتِهِ عَلَى مَنْ ضَادَّهُ وَحَادَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ بَعْظِيمُ طَوْلِهِ وَمَنْتَهُ أَرْتَضَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِدِينِهِ ، وَأَصْطَبْنَعُهُ لَخَلْقِهِ ؛ فَنَلَاهُ سُرْبَالَهَا ، وَرَدَّاهُ بِهَاءِهَا وَجَمَالِهَا ، فَاسْتَعْمَلَهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِيهَا ؛ فَأَيَّدَهُ بِقُوَّتِهِ ، وَأَعَزَّنَاهُ بِنَصْرِهِ ، وَحَاطَهُ بِكَفَايَتِهِ ، وَتَوَلَّى الصَّنْعَ لَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ؛ فَلَمْ يَكِدْهُ كَانِدٌ ، وَيُعَانِدُهُ مُعَانِدٌ ، وَيَمْرُقُ عَنْ طَاعَتِهِ الْوَاجِبَةِ مَارِقٌ ، وَيُلْحِدُ فِي إِمَامَتِهِ مُلْحِدٌ ، مِمَّنْ يُعَالِنُ بِمَعْصِيَةِ وَشِقَاقٍ ، أَوْ يَنْطَوِي عَلَى غِلٍّ وَنِفَاقٍ ، إِلَّا أَوْهَنَ اللَّهُ كَيْدَهُ ، وَأَتَعَسَّ جَمْدَهُ ، وَعَاجَلَ الْمُبَادَى بَعْدَاوَتَهُ ، الشَّاهِرَ عَلَى الدِّينِ وَالْمَسَاهِينَ سَيْفِهِ ، بِاصْطِلَامِ يَوَارٍ ، وَأَمَكْنَ مِنْهُ بِذُلَّةٍ وَصَغَارٍ ، وَقَتَلَ الْمُسْتَرِّغِيهِ ، الْمُنْطَوِيَّ عَلَى غَلٍّ بِغَيْطِهِ وَغَمَّةٍ ، وَأَمَاتَهُ بِدَائِهِ وَحَسْرَتِهِ ؛ إِنْجَازًا مِنْهُ جَلِّ ثَنَائِهِ لَوَعْدِهِ ، وَإِتْمَامًا لِكَلِمَتِهِ فِيَا وَعَدَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ .

أَسْتَخْلَافِهِمْ فِي أَرْضِهِ ، وَالتَّمَكُّنِ فِي دِينِهِ ؛ وَلَهُ الْحَمْدُ دَائِمًا ، وَالشُّكْرُ خَالصًا ، كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَكَأَيِّنْ أَنْ يُحْمَدَ وَيُسْكَرَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

والحمد لله الذى لَمْ يُبَيِّقْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَدُوًّا مِنَ النَّاكِثِينَ وَالْجَاهِلِينَ ، وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، حَافِلًا نَقْضًا لِإِمَامَتِهِ الَّتِي صَيَّرَهَا اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَقَلَّدَهُ إِيَّاهَا ؛ أَوْ صَاوِلَ جَيْشًا مِنْ جِيُوشِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِلْإِمَامَةِ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَخَارَمِهِ ، وَإِفْلَاقَ سَنَدِهِ وَهَيْلِهِ ، إِلَّا أَحْلَلَ بِهِ النِّقْمَةَ ، وَأَصَارَهُ إِلَى الصَّغَارِ وَالذُّلَّةِ ، وَالْبَوَارِ وَالْمَلَاكَةِ ، وَعَجَّلَهُ إِلَى نَارِهِ وَعَذَابِهِ .



والحمد لله الذي لم يزل يتولى أمير المؤمنين بحياطته ، ويتوحد له من إعزاز نصره وإعلاء كلمته ، وإفلاج حُجَّتِه ، وتأبيد أوليائه وأنصار حَقِّه ؛ وأنزل البأس والنقمة والمثلثات والسطوة بمن عانده ، والدَّبَّ عن حريم المسلمين وأهلِه ؛ بما يُبين به عن مكانه منه ، ومنزلته عنده ؛ حميدا ربنا بذلك كما هو أهلُه ومستحقُّه ، مشكورا بعظيم منته فيه وطوله ، مسئولا لتسام أحسن عائلته وماضى سنته ؛ فإن الله المحمود على نعمه ، المشكور بآلائه ، لم يزل ما يتوحد به لأمر المؤمنين بسلطانه من التعزيز ، وفي أوليائه من التأبيد بنصره ، عادة يتبين بها برهانه ، ويُفلج بها حُجَّتِه ، ويدل بها على كرامته عليه ، ويُخبر بها عن منزلته عنده ؛ ويجعل ما نزل بأعدائه المتولين عنه ، الراغبين إلى غيره ، الملحدن في حقه ، عظة لمن قسا قلبه ، وران عليه سوء عمله ، ليكون ما يُعطيه من البسط في مُلكه ، والتمهيد فيما خوله له ، ويُوفِّقه من السطوة بعدوه ، والتشكيل بمن خالفه ، حُجَّتَيْن متظاهرتين ، وعبرتين بعين ؛ فيعتصم<sup>(١)</sup> معتصم ، وينجو ناج ، وليشجب [شاجب]<sup>(٢)</sup> ويهلك هالك ، وقد مضت من الله المشيئة ، ووضح منه الإعذار ، وكان الله بعباده عليا ، وبأعمالهم خيرا .

والحمد لله الذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته : وجعله وارث وحيه ، وقَّيمَه بكتابِه في عبادِه ، وأكرم هذه الأمة التي جعلها خير أمة أُخرجت للناس به ؛ فهو الميمون في تدبيره المنجِّح حويلُه ، الميمونُ النَّدِيَّة ، المُوفقُ الرَّأْي والسياسة ؛ فإن الله عز وجل خالق الخلائق بقدرته ، واختارهم بعلمه ، فاختر أمير المؤمنين لخلافته ، وأصطنعه للقيام في العباد والبلاد بأمره وقسطه ، وألهمه إقامة أحكامه وفرائضه ، والعمل بحقه وعدله ، وأبلى أهل الشرك به ، وأخرها إلى أيام دولته ، وحظرها عمن كان قبله ؛ حتى حازله أبحرها ، وأبقى له سناءها ونذركها ، ونشر عنه أُحدوثها وسماها ؛ وفتح عليه البلدان القاصية ، والمدائن المتناثية ، التي لم تكن تُرام من أهلها ، ولا يُطمع في زوالها ؛ وذلت له الملوك القديم عتوها وعنادها ، والأئمة المستصعبُ مراسها وجهادها ، الحامية في آباد الدهور حماها ؛ فأنفذ فيهم مكيدته ، وأنجح

(١) كذا في الأصل ، ولعلها بالفتن . (٢) كذا في الأصل ، ولعلها وليشجب .

سعيه، ورماهم بالتخويف، وملاً قلوبهم رعباً منه؛ فأذعن مدعئوهم بطاعته، وأنقادوا لأمره، وصاروا يداً وأعواناً لأولياته على أعدائه.

أما بعد، فإن أعظم النعم قدراً، وأجلها أمراً، وأسرّها موقعاً، وأوجبها شكراً، ما عَمَّ الإسلام والمسلمين نفعها، وعادت عليهم عائدتها، وجعل الله فيه عزّ الدين، وذُلّ المشركين؛ وقد جعل الله ذلك في خلافة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه بمنه وبركاته، وما أخلص الله من نيته وطاعته، وتأدية حقه فيما استحفظه من أمر دينه وعباده، وفرغ له نفسه، وأنصب فيه بدنه، وأسهر فيه ليله، من حياطة حريم الإسلام، والزيادة في حدودها متصلاً متتابعاً، والنعم متظاهرة ومتوافرة، فسهل الصعب، وذلل له العزيز، وقصم عُتاة الأعداء ومتكبريهم، والمستعصين والمستصعبين منهم، في آباد الدهور على من رامهم، وفتح عليهم حصون مدائنهم؛ ومتمتع قلاعهم، وأنفذ مكيدته فيهم؛ فبين مقتول ومأسور، وشريد طريد عن محلته، وموضع عزّه ومنعته، مُستسلم مُعطٍ قيادته باخع بطاعته؛ وكذا فإن الله بمنه وطوله قد أوصل لأمر المؤمنين من صنعه له فيما قلده من خلافة، وحياطته إياها فيما يحوطه من دينه، وعرفه من كفايته فيما قام به من حقه، وأيده من نصره فيما جاهد عنه في سبيله، ما قد جعل النعمة به عامة، والشكر به لازماً، وإِنَّ به واجبة، والصنع عظيماً؛ فالحمد لله على نعمه في ذلك كثيراً.

والحمد لله الذي جعل اجتهد أمير المؤمنين ومقام أمره وتديره، في آناء الليل ونهاره، فيما فيه صلاح عباده، وإعزاز دينه وإقامة حقه.

### تكميل

الحمد لله الذي لمّا أفترض من الطاعة لولاية الأمر من خلفائه جعل أوائلها ناطقة عن فضل وأواخرها، وبوادئها تحيرة عن حميد عواقبها، ومواردّها مبشرة بالعلو في مصادرها، بما يعقبه أهلها من السعادة في الماضين من أوليائها القائمين بحجتها، وعاد من الشقوة على متارفي المعصية الملتحدين إليها؛ حين أقبلت بهم هودى الفتن، وكشفت لهم تواليها عن البوار.

والملكه ؛ مُعتذرين حين لا عذر ولا حُجّة ، طالبين للمُহারِبِ بعد أن كانت منازلُ السلامة بهم مُطمئنّة ، وخائفين وقد كانت سُبُلُ الأمن لهم واضحة ؛ قد جعلتهم النّعمة الواقعة بهم أمثالا سائرّة ، وفزقت بينهم وبين النّعم الشاملة ، وحصلت السعادة لمن آتعت بهم باقيةً ، سنة من الله فيهم ماضيةً ، وعادة جاريةً ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا .

والحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لخلافته فخرس به دينه من البُغاة الناكِلين عنه ، واختصّه بأعلاء رُتب كرامته ، وأفترض طاعته على عباده ، وجعلها بمواقفها في دينه نظاما لسائر فرائضه ، فتاركها مُفارق لعصمة حقّه ، خارج من جملة الأُمّة التي سبقت لها رحمته ؛ يستنصر أشياع الباطل والله خاذله ، ويُغالب الحقّ والله غالبه ، ويطلب مالا سبيل له إليه والله طالبه ؛ حتى يُخلّجه أجله عن أمّله ، وأقدارُ الله فيه عن تقديره ، ونفوذُ قضاء الله فيه عن نفوذ حيله ؛ فضلا من الله على أوليائه وقضاء منه عدّلا في أعدائه ، والله ذو الفضل العظيم .

والحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لرعاية عباده ، وحفظ بلائِهِ ، وتنفيذ أحكامِهِ ، وإقامة حدودِهِ ؛ بجمع به الألفه ، وكفّ به بوائق الفتنه ، وأصلح به أمور الأُمّة ، وسكّن به الدهماء ، ودفع به عظيم البلاء ، وأنهذ به من الجُهد والآواء ؛ وجدّد لرعيّته العبر الشافية ، والعِظة الناهية ، وجعل همّه السعى لرّبه ، وطلب الحقّ الذي أوجبه له من خلافة ، ليؤدّي فرضه في الأمانة التي حمّاه ؛ فيوجب له بذلك مالا يزول ولا يتقطع من ثوابه ، فأعمل رأيّه في الرأفة بمن ولّاه أمره ، والحياطة له ، والعناية بصالحهم ؛ فأعطاه لين الموعظة في وقت التّأني ، والنفوذ لإقامة الحُفّة والبيّنة ، وشِدّة السطوة على من غمط النعمة وعند به الإصرار عن التّزوع والقيّئة ؛ ممّا من الله وتفضلا ، وإحسانا وتطوّلا ، والله ذو فضل عظيم .

ويسأل الله أمير المؤمنين مُبتدئا ومُعقبا ، وأوّلا وآخرآ ، وقبيل كلّ مسألة ، وأمام كلّ رغبة ، ومُقدّمة كلّ طليبة ؛ أن يُصلي على صفوته من عباده ، وخيرته ونخاتمِ أنبيائه ورُسله ، مُجدِّ عبده ورسوله ، أفضّل صلواته ، ويُبارك أكثر بركاته ، وأن يُديم له كرامته ، ويُجرى عنده أجمل عاداته ، ويُتمّم له ما اختص به من إحسانه ؛ حتى يملأ الأرض عدّلا وقسطا ،

والإسلام تأبيدا وعِزًّا ، والشُّرك ذُلًّا وقَسْعًا ؛ إِنَّهُ وَلَّى كُلَّ نِعْمَةٍ ، ومنتهى كُلِّ رَغْبَةٍ ، وغاية كُلِّ حَاجَةٍ .

ولم يزل أمير المؤمنين منذ الوقت الذى أفضى الله اليه بخلافته ، وأكرمه برّد حَقِّهِ من إرث نُبُوته ، يتلقى عظيم النعمة فى ذلك بالإخلاص للنِّية والطَّوِيَّة فى الصِّفح عن كُلِّ زَلَّة ، والإقالة لكلِّ عَثْرَةٍ ، والتَّعَمُّد للهْفُوَّة وقبول الفَيْئَةِ ، والإِنَابَةُ من عَظُم جُرْمِهِ ، وجَلَّ ذَنْبُهُ ، وظَنَّ أَن لا توبَةَ لَهُ ؛ وكلَّمَا جَدَّدَ اللهُ لَهُ نِعْمَةً ، جَدَّدَ لَهُ فى ذلك نِيَّةً حَسَنَةً ، شَكَرَ اللهُ عِزًّا وجَلَّ عَلَى مَا ابْتَدَأَهُ بِهِ ، وارْتَمَانًا لِنِعْمَةٍ عِنْدَهُ ، واستِرَادَةً من جَمِيل مَوَاهِبِهِ ، وتَقْدِيمَ الْإِهْتِمَامِ بِمَا فِيهِ صَلَاح رَعِيَّتِهِ ، وأَسْتِقَامَةَ أُمُورِهَا ، وَحَيَاطُهَا وَالذَّبَّ عَنْهَا ، وَكَفَّ الْأَذَى وَالْمَكْرُوهَ عَنِ الدَّانِي وَالْقَاصِي مِنْهَا ؛ وَتَخَلَّصَ إِلَى ذَلِكَ بِكُلِّ مَا يَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ وَيَجْتَهِدُ فِيهِ ، وَيَعْمَلُ لِكثْرَةِ أَوْقَاتِ دَهْرِهِ فى كُلِّ مَا بَلَغَهُ مَحَبَّتُهُ نَظَرًا لَهَا ، وَحَدَبًا عَلَى كَافَّتِهَا ، وَإِشْفَاقًا مِنْ سُوءِ حَالِهَا ؛ إِذْ كَانَ لَهَا وَالِدًا بَرًّا ، وَرَاعِيًا كَالِثًا ، وَنَظَرًا لَطِيفًا ؛ وَيَسْتَعْمَلُ كُلَّ مَا يَرْجُو اتِّلَافَهَا ، وَالْإِبْقَاءَ عَلَى أَحْوَالِهَا ، وَالسَّلَامَةَ لَهَا فى دِينِهَا وَدُنْيَاهَا ؛ وَيَنْصَبُ لذلك لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ ، وَيُذَيِّبُ فِيهِ نَفْسَهُ ، وَيَجْعَلُهُ شُغْلَهُ دُونَ غَيْرِهِ .

والحمد لله الذى أَصْطَفَى أمير المؤمنين بخلافته ، وأكرمه بإرث نُبُوته ، وجعل خلافته خِلافةً يُمْنًا وَبِرْكََةً ، وَاطْفِئَ وَسْعَادَةً ؛ انْتِشَاشَ بِهَا أَوْلِيَائِهِ مِنْ مَوَارِدِ الْمَلَكَةِ فَرَفَعَ مَنَازِلَهُمْ ، وَشَرَفَ دَرَجَتَهُمْ ، وَأَعْلَى كَلِمَتِهِمْ ، وَأَذَلَّ بِهَا أَعْدَاءَهُمْ ، وَجَدَّ دَوَابِرَهُمْ ، وَرَدَّ دَائِرَةَ السُّوءِ عَلَيْهِمْ ؛ وَجَبَّاهُ مَرْيَّةَ نَصْرِهِ وَتَمَكِّيْنَهُ ، وَإِعْزَازَهُ وَتَأْيِيدَهُ ، وَإِظْهَارَهُ عَلَى مَنْ نَاوَاهُ وَعِنْدَ عَنِ حَقِّهِ ، وَصَدَفَ عَنِ طَاعَتِهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا اخْتَارَ أمير المؤمنين لخلافته فَأَيَّدَهُ بِهَا ، وَجَعَلَ الْحَقَّ نِيَّتَهُ ، وَإِعْزَازَ الدِّينِ بُغْيَتَهُ ، وَجَاهِدَةَ أَعْدَاءِ اللَّهِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَبَرًّا وَبَحْرًا نَهْجَتَهُ وَإِرَادَتَهُ ؛ ثُمَّ يَسِرُّهُ فى ذَلِكَ لِمَا أَحْسَنَ بِهِ عَمَلُهُ ، عَلَى مَنْ أَسْتَعْتَفَ نَفْظُهُ وَقَلْبُهُ ، فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

والحمد لله الذي كان لسابق علمه وسالف قضائه ، الذي لا يستطيع الناس ردّه ، ولا منعه ولا صرفه ، ما ولى أمير المؤمنين من خلافته ، وما أبتعثه له من النصر لدينه ، والطلب لحقه ، والجهاد لأعدائه ؛ وأحسن في ذلك عونه فيه وبلاءه ، وأيده في نفسه ، لم ينقصه خذلان خاذل ، ولا مخالفة من خالف ، ولم يزد أمره في شيء من ذلك إلا تماما وإحكاما ؛ حتى أظهر حقه ، وأفليح مجتبه ، ومحق باطل أعدائه ، وأدحض حججهم ؛ وجعل أهل طاعته حزبه الغالبين ، وجنّده المنصورين ؛ وجعل عدوه وعدوكم حزب الشيطان الخاسرين ، وأولياءه الأذليين ؛ بغير حول من أمير المؤمنين في شيء مما ولّاه وأبلاه ، ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

### لأبي عبيد الله

والحمد لله الذي أكرم أمير المؤمنين بما أصاب اليه من الخلافة وإرث النبوة ، وجعله القائم بأمر عباده وبلايه ، والنجي لسننه ، والذاب عن دينه وحقه ، والمُنَاصِبَ لأهل الشرك والنجود به ؛ ثم نصره وأظهر فضل أيامه ودولته ، ومكّن له في بلاد عدوه ، وجعل كلمته العليا وأنصاره الغالبين ، ومنّ نواؤه من أهل الخلاف الأذليين المقهورين ؛ وعرفه من نعمته في ذلك وميته وجميل صنعه وعاداته ، أحسن ما عود أحدا من أوليائه الذائبين عن الإسلام وأهله ؛ حمدا متابعا لا انقطاع له ولا أنصرام ، دون بلوغ حقه ، وقد كان كذا وكذا .

### ما يكتب به في المخالفين في وقت الهزيمة

نكصوا على أديبارهم منكوبين مهزومين ، قد ضرب الله وجوههم ، وقت في أعضادهم ، ومنح الأولياء أكتافهم ؛ فقتلوهم في كل فج ، وعلى رأس كل تلعة ومهرب ومسلك ؛ أباد الله خضرَاءهم وغضراءهم ، وحصد شوكتهم ، وفلّ حلتهم ، وأبأخ نيران ضلالتهم وكفرهم ، وشفى منهم الصدور ، وأدرك منهم الإخن ؛ ونقل المسامين أموالهم وذرائعهم ، وجعلهم لهم خولا وعبيدا ، وأورثهم أرضهم وديارهم ، وأحلّ الله بهم من البأس والنعمة والجائحة

والظهور والغلبة جزاء من الله لمن أخذ إلى المعصية وأبغى غير سبيله المسلوكة . وكذلك يفعل الله بالقوم الظالمين ، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ، إن الله لا يخلف الميعاد . ثم أنزل الله عز وجل من صار إلى الأمصار منهم هرباً ، وأعتصم بالحصون ، وتعوذ بالجلال ، ولأنه بالقلاع ، ولجأ إلى الأودية ، من صيأصيمهم ، وأمكن من نواصيمهم ، وأستخرجهم من أوزارهم ومعاقلهم ومتعوذهم ، وأخذ أسيراً ذليلاً منكوباً خائفاً قد نخب الوجل قلبه وملا الرعب صدره ، متوقفاً أن ينزل الله به من النقمات والمثلثات مالا مردد له عن مثله من القوم الظالمين ، وفشت في الكفرة الجراحات ، وعضت السيوف ، وشرعت فيهم القنا ، وهزتهم نار الحرب ، وغالم النزال ، ومارسهم الأبطال ، وأستحتر فيهم القتل ، فصبر لهم الأولياء أحسن صبر ، فلم يطيقوا بالموت مراماً ولا على الحرب مُتَمَاماً .

### في صفة الخالعين

الناصبين لدين الله ، المكذبين بآياته ، الجاحدين رسله ، الجاعلين معه إلهاً ، لا إله إلا هو ، لطول مدتهم ، وشدة شوكتهم ، وصعوبة مرامهم ، وقطعهم السبل وأتباعهم المحارم وسفكهم الدماء التي أوجب الله على من سفكها بغير حِلِّها وأقترف وأحتمل وزرها ، أليم العذاب وشديد العقاب ، فأبوا إلا تمادياً في ضلالتهم ، وعُتُوا في طغيانهم ، وثبوتاً على عصيانهم ، ومقاماً على كفرهم ، لأحداثه السالفة ، وغوائله المتقدمة ، وبوائقه المشجية ، فوقف مميلاً بين ثكل التقدم وحقيقة الأصطلام في التأخر ، دعاهم إلى الفئنة والمراجعة والإجابة وقبول الأمان والدخول في الطاعة ، أستظهاها بالجمعة عليهم ، ورجاء لصنع الله فيهم . فلما بلغهم نزول فيمن معي ، جمع أصحابه ، وضَمَّ جنده ، وتحرز في معسكره ، وخندق على منزله ، وأحترس بجهده ، فأقت معسكرى ، وأنا مع ذلك في كل يوم أوجه رُسلى وأدعوه إلى حظه ، من طاعة أمير المؤمنين والدخول في أمانه ، وأعلمه أن له نظراء ممن غمط الطاعة ، وسفه الجماعة ، وقد ركضوا في الفتنة عـرهم وسعوا فيه دهرهم ، فانتشر خبرهم ، وكثر تبعهم ، وكبر وزرهم ، وثقل وقهرهم ، ثم أذعنوا لطلاعتهم ، وأستعملوا

ناهضين من عَثَرَتِهِمْ ، ومَشْعَشِينَ مِنْ زَلَّتِهِمْ ، فُغْفِرَتْ ذُنُوبُهُمْ ، وَقُبِلَتْ تَوْبَتُهُمْ ، وَفُسِّحَ لَهُمْ فِي أَمَانِهِمْ ، وَشُرُفَتْ مَنْزِلَتُهُمْ ، وَأَسْتَبْدَلُوا بِالْخَوْفِ أَمْنًا ، وَبِالذِّلِّ عِزًّا ، فَأَبَى بِهِ مِيلَ الْهَوَى ، وَغَلَبَتِ الشَّقْوَةُ ، وَمَسْتَعْلَى الْغَوَايَةُ ، وَالْقَدَرُ الْمَحَارِبُ ، وَالْقَضَاءُ الْمَحْتَوَمُ . وَتَقَدَّمْتُ فِي مُوَافَقَتِهِمْ وَتَرْغِيبِهِمْ ، وَالْأَخْذُ بِالْمَخْنَقِ مِنْهُمْ ، مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ ، وَلَا تَنَاوُلِ سِلَاحٍ ، وَلَا تَنَاوُشٍ صِيَالٍ <sup>(١)</sup> ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ التَّوْبَةَ ، وَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِنَابَةِ ، وَأَعْطَيْتُهُمُ الْأَمَانَ ، وَأَعْلَمْتُهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ قَبِلُوا حِمْدَتَهُمْ وَأَخَذَتْ نَارُ الْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا تِمَادِيَا فِي غَيْبِهِمْ وَنُكُوصًا عَلَى شِقَائِهِمْ ، وَلَيْتُ مُنَاجَرَتَهُمْ وَعَرَفْتُ مِنْ اللَّهِ الْخَيْرَ فِي مُحَارَبَتِهِمْ ، وَأَسْتَعْنَتْهُ عَلَيْهِمْ وَأَسْتَكْفَيْتُهُ أَمْرَهُمْ ، وَرَجَوْتُ حَسَنَ عَادَتِهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْتَالِهِمْ . ثُمَّ وَجَّهْتُ الْأَوْلِيَاءَ فَنَفَذُوا نَحْوَ عَسْكَرِهِمْ لَيْلًا وَهُمْ مُتَفَرِّقُونَ فِي رِحَالِهِمْ ، مُعْتَرُونَ فِي أَوْطَانِهِمْ ، قَدْ أَمِنُوا خَدَعَ الْحُرُوبِ وَمَكْرَهَا وَمَكِيدَتَهَا ، وَوَقَعَتِ الْبَيِّنَاتُ وَهَوَّلَهَا ، إِلَّا طَائِفَةً مِنْهُمْ أَهْلَ عِدَدٍ وَعُدَّةٍ ، وَبِأَسَافٍ فِي أَنْفُسِهِمْ وَقُوَّةٍ ، اتَّخَذُوا الْإِسْلَامَ جَمَلًا ، وَسَرَّوْا نَحْوَنَا يَرْجُونَ زِيَارَتَنَا وَيَأْمَلُونَ غَفْلَتَنَا ، فَوَقَفَ جُنْدُنَا بِمَكَانِهِمْ آخِذِينَ أَهْبَتِهِمْ ، مَتَمَسِّكِينَ بِالطَّاعَةِ فِيمَا بِهِ إِهْرَاسُهُمْ فَاسْرَعْتُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ طَائِفَةً فَدَفَعُوهُمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَنَالُوهُمْ بِجَوَاحِرٍ مَعَ قَتْلِ مَنْهُمْ عِنْدَ تَنَاوُشِهِمْ ، ثُمَّ نَكَصُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ ، وَرَجَعُوا الْقَهْقَرَى عَلَى أَعْقَابِهِمْ إِلَى الْبَاقِينَ مِنْ سَرِيَّتِهِمْ ، فَاسْتَجَاشُوهُمْ فَاجَاهَمُ بِالْمُكَانَفَةِ وَالْمُؤَاوِزَةِ ، وَأَقْبَلُوا بِحِجَّتِهِمْ وَحَنَقِهِمْ حَتَّى حَمَلُوا حَمَلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَضَاقَ الْفَضَاءُ وَطَارَتْ أَفْئِدَةُ جُنْدِنَا رُعبًا مِنْ حَمَلَتِهِمْ ، وَبَلَّغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ مِنْهُمْ ، إِلَّا طَائِفَةً قَلِيلَةً مِنْ لَوَاقِحِ الْحَرْبِ وَمَوَاضِي رَوَاسِيهَا وَأَشْبَالِ لِبْدَتِهَا ، تَزِينُوا بِالطَّاعَةِ فَأَمَوْا حَسَنَ الْعَاقِبَةِ ، وَنَصَرُوا الدِّينَ ، فَوَثَّقُوا بِالْتَّمَكِينِ ، أَسْتَدْبَوْا إِلَيْهِمْ ، وَوَقَفُوا لَهُمْ ، وَازْدَادُوا بِصِيرَةٍ فِي أَمْرِهِمْ ، وَنَفَازًا وَجِدْدًا فِي آجَتِهَادِهِمْ وَمَجَاهَدَتِهِمْ ، فَتَنَبَّهُوا قَائِمِينَ بِالْقِسْطِ فِي أَحْوَالِهِمْ ، قَائِلِينَ بِالْعَدْلِ فِي أَمَلَاتِهِمْ ، يَسْأَلُونَهُمُ الْكَرَّةَ بَعْدَ الْكَرَّةِ ، وَيَعِدُّونَهُمُ الْغَلْبَةَ ، وَيُمْنُونَهُمُ السَّلَامَةَ ، وَيَضْمُنُونَهُمُ الْغَنِيمَةَ ، فَنَفَعُوا إِلَيْهِمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى الْحَقِّ لِلَّهِ عِزِّ وَجَلِّ عَلَيْهِمْ ، فَشَانَعُوا سَاعَةَ الْبَقْيِ

(١) الصيال مصدر مال على قرنه : سلا عليه .

بعد تراميمهم إرشاقاً . بالسهام فلما رأى أعداء الله جدّهم ، وعرفوا صدقهم ، وخافوا حدّهم ،  
نكصوا على أعقابهم ، يريدون اللّحاق بمعسكرهم ، وتحزّك أصحابنا في طلبهم ، ورجّوا سوء  
الصباح لهم ، فأمعنوا في أثرهم ، فلما أحسوا الفساق أعطوهم الضمة وآووا إلى ديارهم  
لا يلوى قريب على قريب ، ولا ذو رحم على حبيب ؛ ونالهم الثّقيّ فدمرتهم ، وعصّت  
هأمة السيوف فكلمتهم ، وحيل بينهم وبين الدخول من باب عسكرهم ، فأخذوا في غير طريقه  
منهزمين ، قد فلّ الله حدّهم ، وقلل كثيرتهم ، وقتل عاتتهم ، ورجع أصحابنا إلى معسكر أعدائهم  
بعد التشريد والتفرق بجماعتهم ، فأحاطوا بهم في آخر ليالتهم ، فلما رأوا غفلتهم ، وأمّنوا  
غيرتهم ، وأنتهزوا مكان الفرصة منهم أحاطوا بهم وهم نائمون ، قاتلون غافلون متفرقون ،  
فوضعوا السلاح فيهم ، ضرباً بالسيوف ، وطعناً بالرهاح ، وضرباً بالأعمدة ، وذبحاً بالشفار ،  
لا يشعرون من جرحوا ، ولا يتيقنون من كلبوا ، غير مدفوعين ولا ممنوعين ، حتى أثنت  
السيوف ، وتحطمت الثّقيّ وأنذقت الأعمدة ، وكثت الشّفار ، وبقيت منهم عدّة يسيرة  
وشريذة قليلة ممن لم ينله القتل ، فأخذوا أسرى ، وأوثقوا حديداً ، وكبّلوا قيوداً ، وكان  
أول رأس أتاني بخبره بشيرهم وأسرع به إلى ذو المعرفة منهم رأس<sup>(٢)</sup> عدوّ الله المسارق  
الباغي ، الشاقّ لعصا المسادين ، ملأني ربّاس ضالّاتهم ، وفائد جهالتهم ، واستغوى  
جماعتهم ، فعرفته بجليته ونعته وصفته في عدد كثير من رعوس قوّاده وأهل الفتنة وأئمة  
البدعة ، فلم يلبثوا إلا ريثما صدعوا في كل جبل ونجاء منهزمين هارين ، لا يستطعون لما  
أناهم من عذاب الله دفعوا ولا هربوا ولا قوّه ، ولا يلبثون إلا ريثما مضمّوا ، فاستلمت  
بهم نظائهم ، وفارقهم وجوههم وأعلامهم ، فأخذهم أسراً أسراً مدد بهم الذّهاب ، وملا  
فلوهم الرعب وتحزّمتهم الوقائع ، ونخبهم الطرائف ، وثبتهم الفتى ، وغاب الله عن وجل  
لأهbir المؤمنين على حصنه الذي كان مناف عزمه ، وروحه ، ونفّسه ، في أسسه ، وثبت مع عاتقه ،  
ومادّة قوّته ، ففقدوا عساكرهم ، وأقتبوا من تحتهم ياقاً ، ولم أنزلهم ، فسيرهم إلى ديارهم .

(١) في الأصل : « بخبرهم » . (٢) في الأصل « برأس » ، أو الله .



أذلة خاسرين ، ففتزقوا لا نظام لهم ولا جامع لشتاتهم . فلما استحز القتل فيهم ، وقشت الحراحات في عامتهم ، وطحتهم الحرب بكلكلها ، وألما وقع حديد أنيابها ومساعرها ، قذف الله الرعب في قلوبهم وزلزل بهم أقدامهم ، فولوا منهزمين مغلولين ، وركب المسامون أكافهم ، يقتلونهم في رؤوس جبالهم ، وخلال غياضهم ، وبطون أوديتهم ، ومقاصي نلاعهم ، وفي كل ناحية من نواحيهم ، حتى عجز الليل دونهم ، وأعجزوهم هربا في معاقلهم .

### وفي العصاة

حتى إذا ظن أن قد عزّ بضلاله ، وتحصن بمعاقله ، وآسنكل قواه ، وكثف تدبيره ، ولبأ إلى مانع منه ودافع عنه ، عطفت عليه عواطف الحق بأوليائه الحق وأنصاره ، ناقضين ما أبرم ، ومتداولين ما سدد ، ومتوغلين إلى غيه ببصائرهم ، وإلى باطله بحقهم ، فاستترل عن موضع عزه قسرا ، وأمكن الله أوليائه أسرا ، سنة الله فيمن عتسد عن سبيله ، وألحد في دينه ، ومرق عن الطاعة وثائقها ، وأستبدل بالحق ومنهاجه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ، ولن تجد من دونه ملتحدا ولا نصيرا ، حتى إذا تراءى الجمعان تبرأ الشيطان من حزبه ، وأرهق الله باطلهم بحقه ، وجعل الفالج والظفر لأولى الحزبين به ، بذلك جرت سنة الله في الماضين من خلقه ، وذلك ما وعد من تمسك بأمره وطاعته .

### وفي مدح قواد الجيوش وصفة الأولياء في أحوالهم

لما بآ من طاعته ، وأختبر من نصيحته ، ويمن نقيته ، وشدة شكيمة ، وصحة عزيمته ، وصدق نيته ، وثقل وطأته على أعداء الله وأعداء الدين والمسلمين ، وعلمه بمراوضة الحرب وممارستها ، ومكايدة الأعداء ومواقفتهم فيها ، فشمر تشمير أهل الحسبة وحسن الظن بالله من غير ونية ولا فترة ولا بقاء جد ولا اجتهد ، راجيا أن يُنجح الله سعيه ، ويفلج حجبته ، ويظهره على عدوه من الاستقلال الذي حمله ، والاضطلاع بما أسند إليه ، والامتنال لسيرته ، والالتناء إلى أمره ، والقبول لأدبه ، والخفوف بما يستنضه له من حروبه وأموره مثل الذي جعل عند فلان : يفضلهم بطوله ، ويطولهم بحاسنه ، ويتقدمهم بحسن بلائه وغنائه ،

ومواقفه ومساعدته، لم يختبره أمير المؤمنين في جميع خصاله إلا وجده عند الاختبار والتحصيل سالكا لمنهجهم، قابلا لأمره، متبعا لأثره، ساميا بهيمته إلى أقصى الغايات وأعلى الدرجات، حتى صار عند أمير المؤمنين مقدما في القدر والرتبة، مخصوصا بالامتزاة والرفعة، يرى ذلك قليلا في كثير ما وجب بطاعته ونصيحته، فبارك الله عليه وليا ظهيرا . فأقدموا متوكئين على الله مسامحين لأمره صابرين على ما نالهم من اللاأواء والجهد والتعب وكلب الشتاء وحرارة القيظ، وصعوبة المرام من أعداء الله الكفرة، يرجون نصر الله وتنجيز ما وعد الصابرين والمجاهدين في سبيله من الظفر والنصر والغلبة على عدوهم، توحد به من نصرهم وإعزازهم أن كان الله عز وجل تكفل لأوليائه بالنصر والعز والخطة، وجعل حسن العاقبة لهم، وكبت من حادهم وأخذ إلى المعصية والكفر والأسر، ليكونوا بذلك عظة ونكالا لمن أمهله الله منهم، ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، والله عزيز حكيم، أعظمهم غنا، وأحسنهم بلاء، وأشدهم صولة، وأقساهم نكاية، وأمنهم سريرة، وأمضاهم عزيزية، وأربطهم جاشا، وأصدقهم بأسا، وأملأهم للأقران، وأرعاهم لوائق الإيمان، وأشدتهم تحديا على السلطان، فأزره بهم، وحصن أطراف خلافته بأيديهم، فكفوه المهمل وقاموا بدونه بالعلم، غير مستطيلين بغنا، ولا متعرضين لطلب جزاء، قد تعبدتهم الوفاء، وغنوا بقربة الولاء، فإن الله جعل آباءه أعلاما في الطاعة يهدون إليها وأوليائه قادة إلى سبيل النصيحة يتمسك المناصحون بأنارهم فيها، باقيا على كثر الأيام ذكر مساعيتهم، وزائدة على تصرف الأيام حقوقهم، وبأديا للعيون حميد أفعالهم، لا تنصرم الأخبار عن سالف لهم إلا وصلوه بمحادث، ولا يتقدم لهم من بلائهم أول إلا أتبعه آخر. ففلان يجري في أمره على منهاج قد أوضحوه له، ويسلك في الطاعة طريقا قد سهلوا له مذهبهم، ويتمسك بعرا وثيقة قد رأى آثارها على من تقدمه، والله محمود . ولم يزل الله يعرف أمير المؤمنين في كل ما أسنده إلى فلان من أعماله وقلة من أموره، المبالغة في قضاء الحق عليه ويمن الثبينة فيما يتولاه، والاجتهاد في كل ما قربه من الله وخليفته . وأمير المؤمنين يمد الله على ما يختص به

به من نعمته ، وإياه يستعين على قضاء حقه ، إنه سميع قريب . فإن كتابك ورد على أمير المؤمنين بما لم يزل يتطلع اليه منك ويؤمله عندك ، ويرجو أن يوفقك الله فيه لرشدك ، ويؤثرك منه بحظك ، للذي كان يبلغه ويتبى اليه من خبرك ، في أحوالك وتصرفك في خصال الخير ، وتتقك في درجتها ، مساميا لاهل الفضل في مراتبهم ، متزينا بصالح أفعال الملوك في قصد سيرتهم ، وحسن طريقتهم ، ولين أكافهم . فحقق الله ظنه بك ، وأجاب دعاءك لك ، وبلغ بك أمنيته ، وأعطاه فيك رغبته . وكنت فيما هديت له باتقيادك إليه راغبا ، ودخولك فيه محتسبا ، مستوليا على أسنى الأمور مؤونة ، وأفضلها ذخيرة ، وأعلاها درجة ، وخيرها عاقبة ، وأعمها سلامة ، وأمنعها كهفا ، وأبقاها شرفا ، وأعدلها حكما ، وأطولها سلما ، مستحقا بذلك على الله عز وجل زيادة الملك فيها ، وهاء الثروة ، وأنبساط القدرة ، وآتساع المملكة ، وظهور الغلبة وعز التمكين ، والنصرة في الدار التي حُيت فيها بقليل ما ترجو أن تصير اليه من ثواب الله عز وجل وحسن مجازاته بالنعيم المقيم في دار الأمد ، ومحل الأبد ، بما لا يباغحه إحصاء ، ولا يكون له انتهاء ، وملاؤه فرحا وأتباعا ، وسرورا وجدلا ، ورجاء لك من الله عز وجل حسن عونه وتوفيقه أن يغلب لك على حظك ، وأن يأخذ إلى تقواه بقلبك ويجعل فيما عنده رغبته ، وإلى ذلك سموك وهمتك . وليس ينفك أمير المؤمنين مقتفرا فيك أثرا يحمد ، ومتصفا بخبر يبهجه ، ومستحدثا نعمة من الله عز وجل يرجو اتصالها وآتساقها لديه بك ، حتى يتناهى إلى الدرجة العليا ، والغاية القصوى ، فيما [يتبعه] <sup>(١)</sup> من أجنثات أرومة الفسفة وقطع دابرهم . وبالله الثقة والحول والقوة ، متعزفا من الله فيما فارقه من جهاد عدوه أتم مصادق وعد القاميين بحقه ، الصابرين في جنبه ، وأحسن ما أبلى ، ذائدا عن حريم ، ومحصنا لبيضة ، ومدافعا عن ملة ، فشمر شاريا لله نفسه ، طارحا عنه لباس الغفلة ، متجافيا عن مهاد الوطأة ، وليس "دخله الخلة" والوحشة على من كنت قريبا منه ، ولا يمتنع لأmir المؤمنين طارف أنت فيه ، ولا أمر يعين عليه ويتسك بسبب من اسبابه .

(١) يياض في الأصل والسياق يقتضى ما أئبتناه .

## وصف الأولياء في الكتب

وصار أهل السُّمُو إلى الدرجة العليا، والاعتصام بالعروة الوثقى، من أولياء أمير المؤمنين وشيعته، مُنْشَرَحَةً صدورهم بمكانفته، مُنْبَسِطَةً أيديهم بمعاونته، وقسيم لأمر المؤمنين من أولياء دينه وأنصاره، قَوْمٌ آزرهم بالنصر، وَكَنَفَهُم باليقين، وألف بصائرهم على الحق، وأيدهم بمؤيدات النجوى، فلما أصرهم أطاعوا أمره، ولما فرضوا في ذات الله طاعته، فرض الله نصرهم وتمكينهم، فجاهد مجاهدتهم مُسْتَبْصِرًا مُحْتَسِبًا، وقام قائمهم بالحق عليه مُحْصِيًا مُحْتَمِدًا، وقادتهم طلائع الدين ودواعيه أرسالا قُدَمَا، فاتَّبَعُوا سبيله لا ناقلين عن إقدام، ولا مُتَوَقِّفين عن آرتياب، ولا مُتَهَيِّين، مع دخائلهم وبصائرهم، عدوا ولا عنادا، طالين بشار الدين بُغَاثَةً، وبطوائل الإسلام عِدَاةً : من صنوف أُمَم الكفر ومردة النفاق وأئمة المُلْحَدين، متقلِّدين للحق ونُصْرته، ولئن تَمَّ الحَقُّ بهم ومضى، ولين مع الحق من نَكَث عنه بالسُّتْم وأيديهم، حتى فتح الله عز وجل لأمر المؤمنين معاقل الشُّرك وأئمة، وأناخ الباطل وأركانه، وأعلام البِدَع وأتباعها، فَضْلًا من الله وَنِعْمَةً، والله عليمٌ حكيم، إن هزرتهم قطعوا قطع الحُسام، وإن أجريتهم في عِظيمة وقعوا وقع الجياد، وإن استغنيت ودام الغناء لك عن جميع العالمين، كانوا رصداً لك فوق أعناق الحاسدين .

## ما يُقَرَّظ به أمير المؤمنين في أواخر الكتب

ليعرفوا موقع نعم الله عند أمير المؤمنين - يحوطه به في أوليائه، من النصر والتمكين، وعلى أعدائه من الِوَقْمِ<sup>(١)</sup> والتوهين، ويشكر الله على النعمة في ذلك، إن الشكر مُحْصَنٌ للنعم، وأمان من الغير، اِتِّمَلُوا مواقع النعمة عليهم، فيما يجمع الله بأمر المؤمنين من كلمتهم، ويحوط من حريمهم، ويحبل من بأسه ونقمته بمن حصد عن سبيله وحاول تشيت جماعتهم وتوهين حقهم، ويقابلون ذلك بما تُرْتَبِط به نعمه، ويُستَدْرَ هزئُهُ .

(١) الوقم : القهر والذلة .

## سعيد بن حميد

ليشكروا الله على ما منح خليفته من هؤلاء المُرَاقِ الخارجين من جماعة المسلمين، فإن الشكر أمان من الغير ومادة للزيد .

## ٣ - التحاميد في أواخر الكتب

## تحميد لسعيد بن نصر في آخر كتاب فتح له

الحمد لله المعز لدينه، المظهر لحقه، المؤيد لأوليائه، الصانع للإسلام وأهله، الناصر لخليفته، الحافظ لما آستحفظه، المتوحد بالنعمة عليه فيما حمه .

## تحميد لإبراهيم بن العباس في آخر كتاب فتح

فالحمد لله المزيل لما يمهّد المبطلون، ويمكر به الماكرون، ويكيد به الملحدون، تمكيناً لعبده وخليفته، وذباً عن دينه وحقه، وإظهاراً لأوليائه وحزبه، وإمضاءً لعزائمه وقدرته، منعماً قادراً، ومُثلياً ممهلاً، عدلاً إذا استدرج، متفضلاً إذا أنعم، حمداً يُستترلُ به نصره، ويُبلغ به رضوانه، ويُمتَرى بمثله فواضل مزيده .

## تحميد في فتح لإبراهيم بن العباس

والحمد لله بجميع محامده التي حُمد بها، على جميع آلائه وجميل بلائه، فيما ولى به خليفته، ونصر به دينه، وأقام به حقه، وأعزّ به وليه، وقمع به من ألحد عن سبيله، حمداً يؤدى حق نعته، ويوجب به أفضل مزيده بمنه وطوله .

## تحميد لأبي عبيد الله في آخر كتاب

فالحمد لله على ما يحدث لأمر المؤمنين في دولته وسلطانه، ولعامة المسلمين من صنعته وكراماته، في جسيم الأمور ولطيفها، وخاصها وعامها، بما يجعله للنعمة تاماً، وعلى ما يحل بعده من بأسه وقوارعه، ويوقع بهم من جوائحه وآستئصاله، ما يكون لموعدده إنجازاً، حمداً يبلغ رضاه ويستوجب مزيده .

## تمجيد آخر

الحمد لله الذى تمّ لأمر المؤمنين نعمته ، وأكمل دعوته ، وجعل العاقبة فيه لمن اختاره لخلافته ، وردّ اليه من شدّ عنه من رعيته ، وأقى أمير المؤمنين بصنعه على حدّ نيته وقدر أمنيته ، ولم يُفْل رأيه ولم يُخْلَف ظنه ، حمدا كثيرا دائما بما يزكو عنده فيقبله ، ويرفع اليه فيبلغ رضاه ، حمدا يكون لأسبغ نعمه جزاء ، ولأفضل إحسانه كفاء ، وللزيد من فضله وإحسانه موجبا ، وإلى أعلى الدرجات عنده مؤثّيا ، وللخلود فى جنته وسيلة وسببا .

آخر :

الحمد لله الذى جمع لأمر المؤمنين ما حباّه بمزية نصره وتمكينه وإعزازة وتأبيده ، وإظهاره على من ناواه وصدّ عن حقه ، وصدّف عن طاعته ، ووفّقه لأختصاص فلان بما وكلّه اليه وعصبه به من أعباء أموره وجلائل أعماله ، وأجرى بفلان وعلى يديه وبركته وسعادة جنته ويمن طائره ، من نتائج الفتوح ، وتواتر النصر ، وإقبال الصنع ، وإعلاء الحق وإنارته ، وإزالة الباطل وإبادته ، حمدا يؤدّى حقه ، ويرى عزه ، ويمير من أحسن<sup>(١)</sup> مزيده ، بكرمه وجوده .

آخر :

الحمد لله الذى أكرم أمير المؤمنين بالخلافة ، وخصّه بالإمامة ، وقلّده من أمور عبادته وبلاده ما تولاه بكفائته وكلاءته وتأبيده وحياطته ، حمدا يوجب المزيد من فضله .

## ولإبراهيم بن العباس

الحمد لله الذى أنجز وعده ، ونصر عبده ، وأيدّ جنده ، وجعل فتوح أمير المؤمنين شرقا وغربا مشفوعة بين إقامة حق وإدالة باطل وإزالة عائد وإبادة عائد وإقالة مستقيل . ويسأل الله أمير المؤمنين ، مسألة العبد سيده ومولاه رغبة اليه متذللا له أن يصلّى أفضل صلواته عنده على أكرم أنبيائه .

(١) سقطت فى الأصل كلمات فائتتا ما يفوم مقامها .

### دعاء أمير المؤمنين في الكتب والدعاء له

وأمير المؤمنين يسأل الله ربه ووليه ، أن يكتفه فيما حباه وأستحفظه عليه بأفضل تأييده وأعز نصره ، وأن يهب له مع كل نعمة يجدها له حارساً من شكرها ، يتابع به أفضل مزيده ، فإن النعمة منه ، والشكر بتوفيقه ، والمزيد لمن شكره .

وأمير المؤمنين يسأل الله ربه وربكم ووليّ النعم عليه وعليكم ، أن يلهمه وإياكم أداء حقه وشكر نعمته وحده عليها ، ويطوّقه وإياكم أفضل الأعمال وأرضاها عنده وأشدّها استيجاباً لما وعد الشاكرين من مزيده ؛ إنه سميع قريب .

وأمير المؤمنين يسأل الله الذي ولّاه خلافته وأعلاه بها ، أن يطوّقه ما حمّله ، ويلهمه العدل بين رعيته ، ويلهمهم نصيحته وطاعته ، ويصلح أمرهم به في ولايته وخلافته . ويرغب إلى الله الذي أيّده بنصره ومكن له بغير حول منه ولا قوة ، أن يلهمه وإياكم شكره وذكره وخشيته ، ويشمله وإياكم بطاعته ومرضاته ومحبته ، وأن يعترفه وإياكم الزيادة في نعمه والنصر على عدوّه والتمكين في بلاده ؛ إنه ذو فضل عظيم .

والى الله يرغب أمير المؤمنين في إعانته على نيته وتبليغه منتهى سؤله وغاية همته وإعزاز دينه وإذلال من صدّ عن سبيله ؛ إنه سميع قريب . وأمير المؤمنين يسأل الله الذي دلّ على الدعاء تطوّلاً وتكتملاً بالإجابة حتماً ، فقال : ﴿ اُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ أن يجمع على رضاه ألفتكم وأن يصل على الطاعة حبلكم ، وأن يمتنعكم بأحسن ما عودكم من مثنه ، ويوزعكم عليها من شكره ما يواصل لكم به مزيده ، وأن يكفيكم كيد الكائدين ، وحسد الباغين ؛ ويحفظ أمير المؤمنين فيكم ، أفضل ما حفظ به إمام هدى في أوليائه وشيعته ؛ ويحمل عنه ثقل ما حمّله من أمركم ؛ وبالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوي من جزائكم بالحسن ، وحمّلكم على الطريقة المثلى ، وبه يرضى لكم ناصراً وولياً ، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً .

ويسأل الله أمير المؤمنين ، أن يُحسّن على صلاح نيته وعونه ، وأن يتولّاه فيما أسرعاه ، ولايته جامعة ، لصلاح ما قلّده ، إنه سميع قريب .

ويسأل الله أمير المؤمنين الذي بيده مفاتيح مقاديره وفواضله ، أن يُصَلِّيَ أفضل صلواته على أفضل أنبيائه ، وأن يجعل ما اذخره لأمر المؤمنين الى دولته وخلافته ، وحباه به من وسائل الخير عنده ، أن يجمع الى أحسن توفيقه لما يرضى من شكره وحسن معونته على ما أصلح له ربه ، فإنه شاكر يحب من شكره ويوجب لمن وفق لشكره مزيدا بمنه وطوله وفضله وإنعامه ، إنه جواد كريم .

ويسأل الله أمير المؤمنين مبتدئا ومُعَقِّبًا وأَوَّلًا وآخِرًا ، وقبل كل مسألة ، وأمام كل رغبة ومُقَدِّمَةً كل طَلْبَةٍ ، أن يصَلِّيَ على صفوته من عباده وخير خلقه وخاتم أنبيائه ورسوله ، محمد عبده ورسوله ، أفضل صلواته ، وبيارك عليه أكثر بركاته ؛ وأن يديم له كرامته ، ويَجْرِي عنده على أجمل عاداته ، وأن يتم له ما اختصه به من إحسانه ، حتى يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، والإسلام تأييداً وعزاً ، والشرك ذلاً وقَعاً ، إنه ولي نعمته ومُتَمِّهِ كل رغبة ، وغاية كل حاجة ، وهو على كل شيء قدير .

وأمر المؤمنين يقول : الحمد لله طاعة لأمره ، واعتصاما من الفتنة بشكره ، واستدامة<sup>(١)</sup> لنعمه المتزايدة عنده ، إنه سميع قريب .

وأمر المؤمنين ، يسأل الله السامع كلام من جهر ، والعالم بغيب من أسر ، المطلع على ضمائر العباد ووسوستهم ، والمستنقذ من يشاء برحمته ، والمُتَمِّت على من يشاء بقدرته ، أن يجمع على الحق أهواءكم وينصركم على أعدائكم ويُصْلِحَ ذات بينكم ولا يَكَلِّمَ في موطن من مواطن اللقاء ، والتحاكم والتناجز ، إلى أنفسكم ، ويكفيكم ويكفي بكم إنه سميع قريب .

### الدعاء لأمر المؤمنين في أواخر الكتب

ونسأل الله أن يَهَيِّئَ أمير المؤمنين ما صنع له ، ويُعِينَهُ على شكر ما أولاه ، إنه ولي ذلك وإنا اليه راغبون والسلام .

(١) في الأصل المنازل ، وما أُنْبِتَاهُ صحيح .



وله :

ونسأل الله أن يَهِنَّا أمير المؤمنين الكراماتُ التي يُتابعها ، والنعمُ التي يَظهرها عليه ،  
والفتوحَ التي جعلها في خِلافته ، وولايته ودولته ، ويَهَبُ له من المعرفة بحقه في ذلك والشكر  
له بحسن بلائه فيه ، ما يبلغ أعظم رغبة وأقصى أمنية ، من ذخائر الخير وفضيلة الأجر  
وحسن الثواب في الدنيا والآخرة .

أسأل الله لأmir المؤمنين في غابر أموره ، أحسنَ ما عوّده في سالفها ، من السلامة التي  
حرسه بها من المكاره ، والعزّ الذي قهر له به الأعداء ، والنصر الذي مكّن له في البلاد ،  
والهدى الذي وهب له به المحبة ، والرفق الذي أدّر له به الحلب ، والاستصلاح الذي  
آتت له به الرغبة ، حتى يكونَ بها أعطاه من ذلك ، وما هو مُستقبل به ، أبعد خلفائه  
ذكرا ، وأبقاهم في العدل أثرا ، وأطوّلهم في العمر مُدّة ، وأحسنهم في المعاد مُنْقَلَبًا .

أسأل الله لأmir المؤمنين نعمة لا تزول ، وكرامة لا تنفد ، وعزّا لا يضام ، ونصرا  
لا يغلب ، وكفايةً ينظم بها جميع الصلاح ، حتى لا يكون بأوّل من ذلك أسعد منه بآخر ،  
ولا بماض أسر منه بمستقبل .

أسأل الله لأmir المؤمنين في عاقبة كلّ نعمة أفضل ما وهب له في عاجلها ، حتى يجعل  
كلّ نعمة أنعم بها عليه ، وكرامة حازها له ، موصولةً بالتمام ، محوطةً بالحفظ ، مكثورةً من الغير ،  
ممدودةً الى طول غايات البقاء ، لا يشوب صفوها كدر ، ولا سلامتها غير ، ولا سرورها  
تنغيص ، وهنّا الله أمير المؤمنين الظفر ، وأدام له عادة النصر والتمكين الموضح ، ومُجْتَمِعُهُ  
المُدْحَضَةُ لمحبة أعدائه ، والغلبة المظهرة لحقه ، المجتاحة لمن خالفه ، ثم لا يرحم نعمة الله  
راهنة بمثله في الأولياء نصرا ، وفي الأعداء إباحة ، وفي الناكثين تنكيلا .

سر الله أمير المؤمنين بما أهدى له من كفايته ، وحاطه به من منعته ، وأيده به من  
نصره ، وجعله وما استعراه من دينه وسُلْطانه ، في كنفه الذي لا يُستباح وتحت يده المانعة  
وجناحه المحفوظ .

أدام الله لأُمير المؤمنين السرور بما يُقْدَى به عيون أعدائه في تمكينه ونوھينهم، ونَصْرِهِ  
وخذْلانهم، وإعزازهم والمجاهدة لهم؛ ولا زالت نعمة الله تزيده في قوة الظفر، وعزّة النصر،  
وتفدٍ من آفاق الأرض بالبشارات والفتوح، حتّى تملأ له ما بين طرفي مُلكه أمنا وعزرا،  
ويملاً به قلوب أعدائه خوفا ورعبا، ويعدّهم على خلافه سطوة وتجيلا .

### أحمد بن يوسف

وهنا الله أمير المؤمنين نعمة، وملاّهُ كرامته، وأولى له فتوحه، وأدام إعزازَه، وتولّى  
حياطته وكفايته، فيما دنا منه وما غاب عنه، وأطال بقاءه والامتناع به .

### مختار ما كتب من باب التهاني في كلّ فن

#### تهنئة خليفة بظفر

الحمد لله الذى جمع لأُمير المؤمنين مع الغلبة الحجّة، ومع الظفر المعدّرة، وجمع لعدوّه  
مع الذل السطوة، ومع دُحوض الحجّة النّكال؛ فلم يجمعه والناكثين موطن من مواطن  
الصبر، إلّا جعل الحجّة عليهم فيه، ولسان العذر فيه معه، ويَد الظهور فيه له؛ ثم وهب له  
عند الظفر من الشكر، وعند الفلج من التواضع، وعند القدرة من العفو، ما جعله مُستوجبا  
لما أصفاه به، مُعترفا بأن العذر مُنقطع ممن نكبه، وأن مُستراد الحجّة ومطلب السلامة،  
في التمسك بطاعته ومناصحته، والمجاهدة دونه .

وفي مثله :

أدام الله لأُمير المؤمنين السرور بما يُقْدَى به عيون أعدائه .

وكتب ابراهيم بن المهديّ الى المعتصم يهنّئه بخروجه عن أرض الروم

#### بعد فتح عمورية

الحمد لله الذى تمّ لأُمير المؤمنين غزوته، فأذلّ بها رقاب المشركين وشفّى بها صدور  
قوم مؤمنين؛ ثمّ سهّل الله له الأوبة سالما غانما، وكذا وكذا؛ وليهنّئه ما كتب الله له، مما

أحصاء فلا ينسأه، ليقيفه به موقفا يرضاه، فإنه عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ الآية، فطوى الله لأمر المؤمنين نازح البعد برًا وبحرا، ووقاه وصب السفر سهلا ووعرا، وحاطه بحراسته كالثأ، ودافع عنه بحفظه راعيا، حتى يؤديه الى المحل من داره، والوطن من قراره، وجزاه عن الإسلام خاصة، وعن رعيته كافة، بتخييره مستخلفا عليهم، وقائما مقامه فيهم هرون ابن أمير المؤمنين؛ فقد استخلفه رقيقا شفيقا، حليما وقورا، يقظان ساكنا، لم يشدب عليه أمر، ولم ينتشر عليه طرف، ولم يضع معه سبيل، ولم يسخط وليا مكانفا، ولا عدوا مخالفا، بلا سيف أشعره، ولا سور أقرع به؛ فثل جزاء أمير المؤمنين في تخيره لإياه، بجزاه الله على ما حفظ من وصاته، على محمود مقامه، إنه مجيب الداعي.

وكتب أحمد بن يوسف الى عبد الله بن طاهر

يهنئه بظفر

بلغني - فتح الله عليك - خروج ابن السري اليك، فالحمد لله الناصر لدينه المعز لوليّه وخليفته على عبادته، المذل لمن ضد عن حقه ورغب عن طاعته؛ ونسأل الله أن يظهر النعم ويفتح بلدان الشرك به؛ والحمد لله على ما والاك من صد طعنات لوجهك، فإننا نتذاكر سيرتك في حربك وسلمك، ونكثر التعجب لما وفقت له، من وضع الشدة واللين بموضعهما، ولا نعلم سائر جند ولا رعية عدل بينهم عدلك، ولا عفا بعد القدرة عن آسفه وأضعفه عفوك.

تهنئة خليفة بجح

أصلح الله أمير المؤمنين وأراه من الزيادة في نعمة، ما يكون تماما لما ابتدأ به من فضله؛ والحمد لله على ما خص به أمير المؤمنين من كرامته، وأعطاه من الفضل في نيته، وجعله يستعين على دينه، بما بسط له في دنيائه، ويحمل على بدنه النصيب فيما يتقرب به اليه؛ فيجفوا عن دعتيه على لينها، ويشخص عن طمأنينته على فضلها، بإشارا لآخرته، وأداء لحق ربه؛ بادر له بذلك ليكرمه به، ثم يستعمل فيه نفسه، تقربا اليه، فيسعد به بالإذن

في ذلك حين كان من الله له ، وبالعَمَل فيه حين كان لله منه ؛ فيكون قبوله الخير حين يعرضه له ، دليلاً على قبوله الخير عنه حين يعمل لربه ؛ وكان من ذلك ما أذن الله لأُمير المؤمنين في زيارة نبيه صلى الله عليه وسلم العام ، وموافاة مشاعره العظام ، في وقتها من الأيام ، التي لا توافي إلا معها . ولا تكون مناسكة إلا فيها ؛ فكتب الله له في ذلك الآثار الصالحة والأعمال المبرورة ، فدخل في الإحرام له بتعظيم حقه ، وخرج منه بقضاء نسكه ، أجزأه الله عليه في آتدائه ، ثم آتمه له باستيفائه .

### ولمحمد بن مكرم تهنئة لحاج

بَلَّغَكَ اللهُ الرِّضَا فِي أَمَلِكَ مِنْ تُبْحِ كُلِّ حَاجَةٍ وَإِبْلَاغَ كُلِّ أُمْنِيَّةٍ ، وَتَقَبُّلَ كُلِّ دَعْوَةٍ خَصَّصْتَ بِهَا نَفْسَكَ أَوْ عَمِمْتَ بِهَا أَحَدًا مِنْ أَهْلِكَ ، فِي مَجَامِعِ وَفُودِهِ ، وَمُعْتَرِلِ قَرَارِهِ ، فَكُنْتَ شَافِعَ مَنْ شَهِدَكَ ، وَوَافِدَ مَنْ غَابَ عَنْكَ ، يَسْتَفْتِحُ بِدَعَائِكَ ، وَيُرْجَى بِرُكَّةِ مُحَضَّرِكَ ، وَالْقُرْبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِفَضْلِ جَاهِكَ .

### تهنئة بولاية

نرى ما أحدث الله لك من الولاية ، لنا خاصا وإلينا واصلا .  
آخر :

وَلَمْ تَخْطِئِ النِّعْمَةَ إِذْ أَصَابَتْكَ ، وَلَمْ تَتَّعِدْنِي إِذْ دَخَلْتُ بِكَ ، وَلَمْ أَخْلُ مِنْ لَازِمِ شُكْرِهَا ، وَمَا يُنْفَلِّكُ اللَّهُ مِنْهَا ، إِذْ قُلَّتْهَا ، اعْتَدَادًا بِكُلِّ مَا طَوَّقْتُ مِنَ الْمِنَّةِ ، وَإِيجَابًا عَلَى نَفْسِي مَا حَلَّتْ مِنَ الشُّكْرِ .

### ولسعيد بن حميد الى بعض إخوانه

سَرَّكَ اللهُ بِتَتَابُعِ نِعَمِهِ ، وَتَرَادُفِ إِحْسَانِهِ ، وَزَادَكَ مِنْ فَوَاضِلِ أَقْسَامِهِ . بلغني — أكرمك الله — ما وهب الله لك من سلطانك ، فقوأك الله على ما استرعاك . ورزقك الشكر على ما أولاك .

وفي مثل ذلك :

أَكْبَلُ الله لك السعادة ، وزادك في الكرامة ، وخصَّصك بدوام النعمة . بلغني ما وهب الله لك من سلطانك ، فسُررت به ، وسألتُ الله إتمام نِعَمه عليك فيه بتأييدك ، وتوفيقك للعدل في سيرتك ، وغرس المحبة لك في قلوب رعيّتك ، وأن يُعينك عليه ، ويرزقك السلامة في الدين والدنيا .

وله في مثله :

أَنَا أَهْنِي بِكَ العمل الذي وُئيتَ به ، ولا أهنئك به ، لأنَّ الله أصاره الى مَنْ يُورده موارد الصواب ، ويصدره مصادر الحجّة ، ويصوّنه من كل خَلَل وتقصير ، ويُضيه بالرأى الأصيل ، والمعرفة الكاملة ، قرن الله لك كل نعمة بشكرها ، وأوجب لك بطوّله المزيد منها ، وأوزعك من المعرفة بها ما يصونها من الفتن ، ويحوطها من النقص .

آخر :

قد وُئيتَ من العمل ما أسأل الله عزّ وجل أن يرزقك بركة بدئه وعاقبته ، ويُعطيك الرضا ممن وُئيتَ له وعليه .

آخر :

هَنَّاكَ الله هذه النعمة المقبلة ، الدالّ أولها على تمامها ، واوزعك شكرها .

آخر :

أسعدك الله بهذه الولاية وجعلها مباركة ، تنتقل بظلّ السلامة منها ، ونيل الكفاية فيها الى أملك بنهايته ورجائك بغايته ، ورزقك السلامة ممن وُئيتَ له وعليه .

آخر :

سرّك الله بما جدّد لك من هذه المنزلة ، وفنّعك بهذه الولاية ، وأرضى عنك من وُئيتَ له ومن وُئيتَ عليه .

وكتب محمد بن مكرم الى أحمد بن دينار :

نحن من السرور أيها الأمير بما قد استفاض من جميل أثرك فيما تلي من أعمالك ،  
وزمك إياها بحزمك وعزمك ، وأنتياشك أهلها من جور من وليهم قبلك ، وسرورهم بتطاؤل  
أيامك والكون في ظل يدك وجناحك ، في إعانة من تخصه ونعمه نعمتك ، وتحول به  
الحول حيث حالت بك ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لك ، ولم يردد علينا آمالنا فيك  
منكوسة ، كما ردها على غيرنا في غيرك . ولوددت أن أباك كان عين آثارك هذه ومناقبك ،  
وإن كان الافتراق لم يقع بينكما حتى علم أنك خلفه ، وألقى اليك بأمره ومعاقده ثقته ،  
وجعلك موضع اختصاصه وأثرته ، وصرف ذلك عنك كان لا يستحقه ، وذم سالف رأيه  
فيك وفيه وحيد آخره ، ثم نعمة اتصلت لك بما قبلها ، انتظمت بها أمورك فاعتدلت ،  
وتلاحمت عليها وآسقت ، ما منحت في كاتبك ، ومستقر ثقتك ، وحامل أعبائك ، من  
الكفاية والنصيحة ، ووضعه عن قلبك مؤونة التهمة والقص لأثره ، وإدخاله راحة الطائفة  
إليه وروح الثقة به ، لا كما ابتلي أخوك ، فإنه صحبه نخلط عليه أمره ، وأفتنى أسرارها الى  
صاحب بريده ، فأنفل ذلك بينهم ، وقطع جبالهم ، حتى هجنت آثاره مع حسنها ووضوحها ،  
وصيفرت يده من حظ عمله ، ولزمه الذم من أهله ، فهذه كتبه إلى ، في أطراح نصيحة له  
كانت فيه ، ويسألني أن أخص إليه كاتباً يتحمل ثقله ، ويفتح له ما أرتجيه من أمره . وهذا  
من سعادة جدك ، ويمن طائرک ، وإقبال الأمور اليك ، وسعيها على طريق موافقتك ،  
وهنيئاً هنالك الله نعمه خاصها وعامها ، وأوزعك شكرها ، وأوجب لك بالشكر أحسن المزيد فيها .

تهنئة بعزل

كتب رجل الى مالك بن طوق لما عزل عن عمله :

أصبحت والله فاضحاً متعباً : أما فاضحاً فللكل وإل قبلك بحسن سيرتك ، وأما متعباً  
فللكل وإل بعدك أن يلاحظك .

(١) انتياشك أهلها : استفادهم .

## فصل

سواء علينا أوليت أم صُرفت ، إنا لنشهد بك الولاية ، بما بَسَطَ الله من يدك ببذل العُرف ، ونهنتك بالعرف بما يلحقك من ثناء ما أسلفت من الجميل ؛ ولا نخاف عليك أن تفارق عملا وأنت محل له ، ولا أن تصحبه وليس به فاقَةٌ اليك . فهناك الله النعمة ، وأعانك على الشكر ، وأيدك بالمزيد .

## تهنئة بعزل عامل عن عمله

باغنى صَرْفُكَ ، نَحَارَ الله لك ، وهَنَّاكَ لطيف نظره وجميل إحسانه ، فإنى أرى الرجل عند خروجه من العمل سالماً نقياً من مآثمه ودَنَسِهِ ، أَوَّلَى بالتهنئة منه عند دخوله فيه ، وأرى الدعاء له عند بدء تَلَبُّسِهِ به بالخلاص منه معصوماً بريئاً من تَبَعَاتِهِ ورواجع آثامه ، أَوَّلَى بِنِ عُنَى به وأحبَّ صلاحه ، ولذلك قدَّمْتُ تهنيتك .

## ولسعيد بن حميد في مثله الى بعض إخوانه :

حَفِظَكَ الله بحفظه ، وأسبغَ عليك كرامته ، وأدامَ اليك إحسانه . إِنْ سرورى بصرفك ، أَكْثَرُ من سرور أهلِ عَمَلِكَ بما خُصُّوا به من ولايتك . وقد كنتَ — أعزَّكَ الله — فيما يُربُّا بك عنه ، بما أنت عليه فى قَدْرِكَ وأَسْتَهْلَاكَ ؛ وَلَكِنَّا رَجَوْنَا أَنْ يَكُونَ سبباً لك الى ما تَسْتَحِقُّ ، فِطْبُنَا نَفْساً بالذى رَجَوْنَا . فالحمد لله الذى سَلَّمَكَ منه ، ونَسَّأله تَمَامَ نِعَمِهِ عليك وعلينا فيك ، بتبليغك أَمَلَكْ وآمَلْنَا فيك ، وشفاع ما كان من ولايتك بأعظم الدرجات وأشرف المراتب ؛ ثم خَصَّكَ الله بجميل الصنع ، وبلغك غاية المؤمنين . إِنْ من سعادة الوالى — حَفِظَكَ الله — وأعظم ما يُخَصُّ به فى عمله وولايته السلامة من بوائق الإثم ، ونوائب الدنيا وشرها ، والعاقبة مما يُخَافُ منها ؛ وقد خَصَّكَ الله منها بَمَنِّهِ وطَوَّلَهُ ما نرجو أن يكون سبباً لك الى نَيْلِ ما تَسْتَحِقُّ من المراتب . والله نَسألُ إِيْزَاعَكَ شُكْرَ ما مَنَّ به عليك ، وتبليغك غاية أَمَلِكْ فى جميع أمورك ، برحمته وفضله .

آخر :

ما أحسن ما كَشَفْتَ عنك الولاية، وأجمل ما أبرز منك العمل ، قد كَسَبَكَ الله حمدَ ولايتك وعَزَلَ عنك لائمتما ، بما آندشر عنك من عدلك ، وظَهَرَ من معروفك ، فاذا ساءك هذا فليَسْرُك .

وكتب محمد بن مكرم الى ابراهيم بن المدبر :

الحمد لله رب العالمين حمداً يَجُوزُ حمدَ الحامدين ، الذى جعل قضاءه خيرة لك ؛ فإن زادك نعمة وفَّقَكَ لشكرها ، وإن أمتحنك ببلوى من نَفَث حاسد أو كَيْد كائد ، أثار برهانك وأفلح مُجْتَهِدك وجمع بين وليك وعدوك فى الشهادة لك ؛ وإن ثَقَلَ أمرا عن يدك ، فربما يَرْجِعُهُ اليك مَخْتَلًا لفقدك . هذا الى ما جعل عندك من خواص النعم التى إن ذكرناها فأطنبنا أو تَجَوَّزنا فقصرنا ، كان غايتنا الى الحُسُور دون مَدَى غايتك . وقد زادك الله بهذا الحادث فضلا عظيما ؛ لما ظهر من وَلَّهِ العامة اليك وتطلُّعها الى ما كانت فيه : من لين إنصافك وكريم أخلاقك ، ووَحْشَةِ الخاصَّة لما قَدَدْتَ من حُسن مُعاملتك وكثير تفضُّلك . وأيقنَ أهلُ الرأى والتأمل لصفحات الأمور ، أن كلَّ ما خَرَجَ عنك فعائد اليك ومتصل به غيره ، حتى تستقرَّ فى يدك عُرا الأمور ومعاقدها ، وتُفْتَحَ برأيك وتُدِيرَك أبوابها ومغالقُها ، فَلْيَهِنِكَ أن كلَّ ما زاد غيرك نقصا زادك فضلا ، وكلَّ ما نقص من الرجال وحطَّها ألحق بك شرفا . فزادك الله وزادنا منك ، وجعلنا من يَقبَلُهُ رأيك ، ويقدمه اختيارُك ، وَيَقَعُ من الأمور بموافقتك ، ويجرى منها على سبيل طاعتك .

وكتب سعيد بن حميد الى بعض إخوانه :

جعلنى الله من السوء والمكروه فداءك ، وأطال فى الخير والسرور بقاءك ، وأتم نِعَمَهُ عليك ، وأحسنَ منها مَنَيدَكَ ، وبلغاك أقصى أهْنَيْتِكَ ، وقَدَمْنِي أَمَامَكَ ، وقد بلغنى ما اختار الله لك ، فسررتُ من حيث يغتم لك مَنْ لا يعرف قدر النعمة عليك ، ولا يراك بعين استحقاقك .



ولئن ساءنى ما ساء إخوانك من عزك ، لقد سرّنى ما يسّر الله لك . والحمد لله الذى جعل  
انصرافك محمودا ، وقضى لك فى عاقبتك الحُسنى ، وأقول :

لِيَهْنِكَ أَنَّ أَصْبَحْتَ مُجْتَمَعَ الْحَمْدِ \* وَرَاعَى الْمَعَالَى وَالْحَمَى عَنْ الْحَبِيدِ  
وَأَنَّكَ صُنْتَ الْأَمْرَ فِيمَا وَلِيْتَهُ \* فَفَرَّقْتَ مَا بَيْنَ الْغَوَايَةِ وَالرُّشْدِ  
فَلَا يَحْسَبُ الْبَاغُونَ عَزْلَكَ مَغْنَمًا \* فَإِنَّ إِلَى الْإِصْدَارِ عَاقِبَةَ الْوَرْدِ  
وَمَا كُنْتُ إِلَّا السِّيفَ جُرِّدًا لِلْوَعَى \* فَأَحْمَدُ فِيهَا ثُمَّ رُدَّ إِلَى الْغَمْدِ

وقد قال الأول :

فَمَنْ يَكُنْ بِوُرُودِ الْعَزْلِ مُكْتَتِبًا \* فَإِنِّى بِوُرُودِ الْعَزْلِ مُسْرُورُ  
بَعْدَ الْوَلَايَةِ عَزْلٌ يَسْتَبِينُ بِهِ \* طَوْلُ الْوَلَاةِ وَبَعْدَ الْعَزْلِ تَأْمِيرُ

أما ما عندى مع تصوّر العاقبة لك فى نفسى ، فيمَسِّنِ فى أمرك فى حال المحنة  
ما يخصُّنى منه فى وقت تجدد النعمة . وبحسب ضميرك الشاهد على ما عندى ما أجده لك  
فى نفسى . فلا زلت فى نعيم متتابعة متجددة ، ولا عِدِمَتِ الثروة والزيادة ؛ وبلغك الله أقصى  
أملك ، وأمل أخيك لك ، وكَبَتِ أعداءك ، وجعلنى وِقاءك المقدم عنك . أحب أن  
تشرح لى صورة الأمر لإلام تأدّت ، وكيف كان الابتداء ؛ فإنى لا أشك أنها حيلة  
ونية من عزّ الصاحب الجليل القدر ؛ ولها عاقبة منه إن شاء الله محمودة ، ونفصى من ذلك  
الى ما تسكن اليه نفسى ، إن شاء الله .

### تهنئة بتزويج وبناء بأهل

بطائر اليمين فليكن هذا البناء ، وبأسباب السعادة فليتنصل عقد هذا الاجتماع ، وبكل ذكاء  
الولد ، وثروة العدد ، فلتجرك الأقدار ، وفى أطول غايات البقاء فلتندم هذه الغبطة والسرور .

### تهنئة بتزويج

بلغنى تزوجك من فلانة ، فبالرفاء والبنين ، تهنئة السلف الصالحين ، ومبلغ سنة المجتهدين  
المتبحرين ، ونقول على يمين الطائر ، وسعادة الجد ، ونماء العدد ، وآفاق الهوى ، وطيب

المناسمة ، وأجتماع السَّمَل ، وثبات الرِّيع ، وَتَمَلَّى النِّعَم . أسأل الله الذى قضىها أن يجعلها لك سَكَنًا ويجعلك لها شَجَنًا ، وأن يُؤَنِّثَ حَمَامَهَا الى آتِهَا نَفْسُكَ عنها ، وجعلك جائزًا تُرْبَهَا ، وَوَلَّيْتَ المال وهناءة العيش وملاهاة الغوانى بعدها .

### تهنئة لغسان بن عبد الحميد بتزويج

قد بلغنى جَمْعُ الأمير أهْلِهِ على الحال التى جمعهم عليها من نعمة الله عليه . فالحمد لله على كل ما يرى الأمير فيما له فيه نعمة . فأسأل الله أن يجعل الطائر فى ذلك مَبْنُونًا ، والسَّمَل مجتمعا ، والبركة عظيمة ، والأُمُور سليمة ؛ وكذلك فقد عَظَّمَ الله القَسَمَ منسه لزوجها ، جعل الأمير سَكَنًا لها ، وأجرى المودة والرحمة بينهما ، فإنه يقول عز وجل : ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ . فلما كان الأمير هو المنظور اليه ، وهى المنظور اليها ، آخترها الأمير لنفسه وآختر نفسه لها ، وأراد الله عز وجل أن يزيدها مع فضلها فى نفسها فضلا باختيار الأمير إياها ، وباختصاص الله لها بالأمير دون غيرها ؛ فكان ذلك فضلا من الله زينه بفضله ، وكرامة من الله وصل بعضها ببعض . فترغب الى الله عز وجل فى أن يزد الأمير فى كل سعة مبسوطة ، ونعمة مقسومة ، ويعطيه فى ذلك شكرا يكون لرضاه مُوجِبًا ، كما أعطاه فضلا كان الشكر له به واجبا ؛ ثم يَمَلَّى الأمير ذلك بأحسن ما مَلَّى أحدا من خلقه كرامة اصططنها عنده .

### تهنئة بمولود

كتب العباس بن الحسن الطالبي الى المأمون يهنئه بمولود له :

قد كان أجذلنى ما أحدث الله لأمير المؤمنين من الموهبة التى ليس ، وإن كان أولى بها من غيره ، بأعظم فيها حظا من رَعِيَّتِهِ . فعمر الله لك يا أمير المؤمنين قلوبهم بنور الحكمة وأبصارهم حتى يَشُدَّ بهم عَصْدُكَ ، وَيُسَدَّ بهم ثَمَاتُكَ ، وَيُبَلِّغَهُم الغاية المأمول لهم بأوغها بعدك ، غير مُقَعَّد بك مهل ، ولا مُحَلَّ لك أجل ، ولا مُكَذَّبك أمل ، ولا مُنْقَطعة أيامك ، حتى تُخْتَرَمَ أَنْفُسُنَا بِقَبْلِكَ .

وكتب أحمد بن يوسف الى بعض إخوانه يهنئه بمولود له :

بارك الله في مولودك الذي أتاك، وهناك نعمته بعطيته ، وملاك كرامته بفائدته ،  
وأدام سرورك بزيادته ، وجعله باراً تقياً، ميمونا مباركا زكيا، ممدودا له في البقاء، مُبَلِّغا غاية  
الأمل ، مشدودا به عَضْدُك، مُكَثِّرا به وَلَدُك، مُداما به سرورك، مدفوعا به الآفات عنك،  
مشفوعا بأكثر العدد، من طيب الولد .

وله في مثل ذلك :

هَناكَ الله هذه الفائدة التي أفادكها، وبارك الله في الهبة التي رزقكها، وشفعها بإخوة  
متواترين ، يَسْرُونَك في حياتك ويَحْلِفُونَك في عَقَبِكَ .

تهنئة بمولود

كتب رجل الى رجل يهنئه بمولود :

جُعِلَتْ فِداءك . للبقاء مولودك ، في السناء نباته ، وفي الإيمان شبابه ، وعلى البركة ميلاده .

تهنئة بمولود

كتب الحسن بن سهل الى ذى الرياستين :

إنه ليس من نعم الله ، وفوائد قِسْمِهِ — وإن خُصَّ موقعها ووجب شكرها — نعمةٌ تُعَدِّلُ  
النعمة في الولد، لنمائها في العدد، وزيادتها في قوة العضد، وما يُتَعَجَّلُ به من عظيم بهجتها،  
ويُرْجى من باقى ذكرها في الخُلُوف والأعقاب، ولاحق بركتها في الدعاء والاستغفار. وإِنَّ  
الله قد أفادك وأتالك غلاما سَرِيًّا، سَمِيَّته فلانا، فكان ميلاده عند فتح الله على أمير المؤمنين .  
فرجوتَ أن تكون موافاته بالنصر الذى أظهرنا الله به على عدو الدين والمسلمين من دلائل  
بركته ويُمْنِهِ ، وشواهد سعادته والسعادة به . فبارك الله لأمر المؤمنين في طارف نعمه  
وتالدها ، وَشَفَعَ له قديم منته مجادشها ، ورزقه ذكورا طيبين مهذَّبين ، يأنس بهم رُبْعُهُ ،  
ويتصل بهم نجاحه ، ويجعلهم ذرية زاكية ، وبقية صالحة .

آخر :

بلغنى الذى وهب الله لك ، فجعله الله ذخرا سنيا ، وعقبا كريما .

عَمْرُو بن مَسْعَدَةَ الى الحسن بن سهل

أما بعد ، فإن هبة الله لك هبةٌ لأُمير المؤمنين ، وزيادته إياك فى عدده لمحلك عنده ومكانك فى دولتك من دولته . وقد بلغ أُمير المؤمنين أن الله وهب لك غلاما سريا ، فبارك الله لك فيه ، وجعله بارزا تقيا ، مباركا سعيدا زكيا .

تهنئة بمولود

الحمد لله الذى رضى منا بيسير القول عند عظيم النعمة ، حمداً نستوجب به بقاء هذه الموهبة للنماء والفائدة ؛ فإن نعمة الله وإن كانت لم تزل متتابعة ، فقد كان ما يقبض الأمل منا ذكر أنفراد الأمير بنفسه وقلة نسله ، وما لا يؤمن من انقطاع الذكر بفوات الأجل ، ومن دُور الأنام ، بواقع الجمّام ، وقد أصبحنا من الله من يدين فى فُسحة المهل ، ومده مواقع الأجل ، لمن أراد فيه موضع أملنا فى حسن الخلافة من الأمير وإحياء ذكره .

تهنئة بمولود

سرورك سرور يحضنى منه ما يحضك ، وتلبسنى فيه النعمة ما تلبسك ، والحمد لله على النعمة فيك وعندك .

كتب أحمد بن يوسف الى بعض إخوانه يهنئه بمولود :

أما بعد ، فقد بلغنى من متجدد نعم الله عز وجل عليك ، وإحسانه اليك فيما رزقك من الهبة ما أشتد جدلى به ، وسألت الله أن يشفعه بأمثاله ؛ ولذلك أقول :

قد شُفِعَ الواحد بالوافد \* وأُرْغِمَ الأنفُ من الحاسدِ

أبا حُسين قَرَّ عيًّا بما ، أُعْطِيَتْهُ من هبةِ المساجدِ

قد قلتُ لما بُشِّرني به \* بُورك في المولود للوالدِ  
إنَّا لنرجو وافداً مثله \* والطائرُ الميمونُ لا وافدٍ

وله الى بعض إخوانه يهنئه بمولود :

أما بعد، فإنه ليس من أمر يجعل الله لك فيه سرورا وفرحا، إلا كنتُ به بهجاً، أعتدُ فيه بالنعمة من الله الذي أوجب عليّ من حَقِّك وعرفني من جميل رأيك . فزادك الله خيراً، وأدام إحسانه اليك . وقد بلغني أنَّ الله وهبَ لك غلاماً سرياً، أكمل لك صورته، وأتمَّ خلقه، وأحسن البلاء فيه عندك، فاشتدَّ سروري بذلك، وأكثر حمد الله عليه . فبارك الله فيه، وجعله باراً تقياً، يَشُدَّ عَضْدَكَ، وَيُكثِّر عَدَدَكَ، وَيُقِرَّ عينك .

وكتب إسحاق بن يحيى الى بعض إخوانه يهنئه بابتنة له :

رُبَّ مكروهٍ أعقب مَسْرَةً، ومحبوبٍ أعقب مَعْرَةً . وخالقُ المنفعة والمضرة، أعلمُ بمواضع الخِيرة .

كتب ابن المقفع الى صديق له ولدت له جارية :

بارك الله لك في الأبنة المستفادة، وجعلها لكم زينا، وأجرى لكم بها خيراً، فلا تكرهها، فإنهنَّ الأُمّهات والأخوات، والعَمَّات والخالات، ومنهنَّ الباقيات الصالحات، وربَّ غلامٍ ساءَ أهله بعد مَسَرَّتْهم، وربَّ جارية فرَّحت أهلها بعد مَسَاءَتْهم .

وكتب عبد الحميد بن يحيى الى أخ له في مولود ولد له وهو أول

مولود كان :

أما بعد، فإن مما أعتز من مواهب الله، نعمة خُصِّصْتُ بمزيتها، وأصطفيتُ بخصيصتها، كانت أسرتي من هبة الله ولداً سمَّيته فلاناً، وأملتُ ببقائه بعدى حياة وذكري، وحُسن خلاقتي في حُرْمَتِي، وإشراكه إياي في دعائه، شافعا الى ربه عند خلواته في صلاته وحبِّه، وكلِّ موطن من موطن طاعته، فاذا نظرتُ الى شخصه تحوَّك به وجدى وظهر به

سرورى ، وتعطف عليهِ منه أنه الولد ، وتولت عني به وحشة الوحدة ، فأنا به جدل في مغيبي ومشهدى ، أحاول مس جسده بيدي في الظلم ، وتارة أعانقه وأرشفه ، ليس يعدله عندى عظيما الفوائد ، ولا منفسات الرغائب . سرتنى به واهبته لى على حين ساحتى ، فشده به أزرى ، وحملنى من شكره فيه ما قد أدنى بتقل حمل النعم السالفة الى به ، المقرونة سراًؤها في العجب بقدر ما يدركنى به من رقة الشفقة عليه ، مخافة مجاذبة المنايا إياه ، ووجلا من عواطف الأيام عليهِ . فأسأل الله الذى أمتن علينا بحسن صنعه فى الأرحام ، وتأديته بالزكاء ، وحرسه بالعافية ، أن يرزقنا شكر ما حملنا فيه وفى غيره ، وأن يجعل ما يهب لنا من سلامته والمدة فى عمره موصولا بالزيادة ، معروفا بالعافية ، محوطا من المكروه ، فإنه المنان بالمواهب والواهب بالمنى ، لا شريك له . حملنى على الكتاب اليك لعلم ما سررت به علمى بحالك فيه وشرتك إياى فى كل نعمة أسداها الى ولّى النعم . وأهل الشكر أولى بالمزيد من الله جل ذكره . والسلام عليك .

### تهنئة بنقلة الى دار جديدة

تناهى الى نُقلتك الى الدار التى أرجو أن يجعلها الله نُقلة المكروه عنك ، ونُقلة السرور اليك ، ودوام نعمة الله عليك . جعلها الله لك أيمن دار وأعظمها بركة ، ووصل نعمه فينا عندك ونعمه عندنا فيك .

### تهنئة لمحمد بن مكرم الى نصرانى أسلم

أنا أقول الحمد لله الذى وفقك لشكره ، وعرفك هدايته ، فطهر من الارتباب قلبك ، ومن الافتراء عليه لسانك . وما زالت مخايلك مُمثلة لنا جميل ما وهب الله لك ، حتى كأنك لم تزل بالإسلام مؤسوفاً ، وإن كنت على غيره مقبياً . وكنا مؤملين لما صرت اليه ، مشفقين لك مما كنت عليه ، واذكاد إشفاقنا يستعلى رجاءنا ، أنت السعادة بما لم تزل الأنفس تعد منك . فأسأل الله الذى تورك فى رأيك وأضاء لك سبيل رشدك ، أن يصالح العمل ، وأن يؤتيك فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ويقيك عذاب النار .

## باب المنظوم

١ - أبو نواس<sup>(١)</sup>

كان أبو نواس ينادم ولد المهدى ويلازمهم فلم يُلَفَّ مع أحدٍ من الناس غيرهم ،  
ثم نادى القاسم بن الرشيد ولقى منه أشياء كرهها وكُرِهَتْ له ، ففارقه .

(١) هو أبو علي الحسن بن هاني\* ، الشاعر المتفنن ، الجاذب الماجن ، صاحب الصيت الطائر ، والشعر السائر ،  
ورأس المحدثين بعد بشار . وهو فارسي الأصل . ولد بقرية من كورة خوزستان سنة ١٤٥ هـ ونشأ يتيمًا فقدمت به  
أمه البصرة بعد سنتين من مولده ، فعلم العربية ورغب في الأدب ، فلم تلبأ أمه بحاله وأسلمته الى عطار بالبصرة ،  
فكث عنه لا يفتر عن معانة الشعر والاختلاف الى الأدباء والمجان ، الى أن صادفه عند العطار والبة بن الحباب  
الشاعر الماجن الكوفي في إحدى قدماته الى البصرة ، فأعجب كل منهما بالآخر ، فأخرجه والبة معه الى الكوفة ،  
فبقى معه ومع ندمائه من خلعاء الكوفة وتخرج عليهم في الشعر وفاقهم جميعا . وقدم بغداد وقد أربت سسنه على  
الثلاثين ، فاتفصل ببعض الأمراء ومدحهم ، وبلغ خبره الرشيد فأذن له في مدحه ، فدحه بقصائد طائفة وحبسه مرة  
على هجومه مضر .

وكان يقصد بعض عمال الولايات ويمدحهم ومنهم الحصب عامل مصر ، ثم انقطع الى مدح محمد الأمين ،  
وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيره فسيجته ، ولم يلبث بعد خروجه من السجن أن مات ببغداد .  
وكان أبو نواس جميل الصورة ، فكه المحضر ، كثير الدعاية ، حاضر البديهة ، متينا في اللغة والشعر والأدب ،  
متعصبا لليمانية على المضرية . وأجمع أكثر علماء الشعر ونقده وفحول الشعراء على أن أبا نواس أشعر المحدثين بعد بشار  
وأكثرهم تفننا وأرضنهم قولاً وأبدعهم خيالاً مع دقة لفظ وبديع معنى ، وأنه شاعر مطبوع برز في كل فن من  
فنون الشعر .

وامتاز عن كل الشعراء بقصائده الخمر يات ومقطعاته المجونيات ، وكان شعره لقاح الفساد والقذوة السيئة ، لنقله  
الغزل من أوصاف المؤنث الى الذكر والخروج بذلك عن مألوف العرب وآدابهم إذ لم يكن ذلك معروفاً قبله وقبل  
شيطانه والبه . وزاد على ذلك انفراده بالإبداع في وصف الخمر ، فكان نموذج سوء لمن تأخر ، فافتتن بشعره الشبان  
في زمانه وبعده وحاكوه وغلب عليهم هذا المذهب حتى صار الشاعر لا يعد ظريفاً إلا اذا مزج شعره بشيء من  
ذلك وإن لم يقع في محظوراته .

وصفه عبد الله الجوازقي قال : كان أظرف الناس منطقا ، وأغزرهم أدبا ، وأقدرهم على الكلام ، وأسرعهم  
جوابا ، وأكثرهم حياء ، وكان أبيض اللون ، جميل الوجه ، مليح النغمة والاشارة ، ملتف الأعضاء بين الطويل  
والقصير ، مسنون الوجه ، قائم الأنف ، حسن العينين والمضحك ، حلو الصورة ، لطيف الكف والأطراف ، وكان  
فصيح اللسان ، جيد البيان ، عذب الالفاظ ، حلو الشائل ، كثير النوادر ، وأعلم الناس كيف تكلمت العرب ، =

ثم جلس أبو نواس الى الناشئ الراوية فقرأ عليه شعر ذى الرمة، فأقبل الناشئ على أبيه هائى وقال له : إن عاش ابنك هذا وقال الشعر ليقولنه بلسان شتوم .  
ثم اتصل بوالبة بن الحباب الأسدي ، لفيه بدار الجاشي الأسدي والى الأهواز  
للنصور، فقال له والبة: إني أرى فيك نخايل فلاح، وأرى أنك لا تضعيها، وسنقول الشعر  
وتعلو فيه، فأصحبني حتى أخرجك؟ فقال : ومن أنت؟ قال : أبو أسامة؟ قال : والبة؟ قال :  
نعم؟ قال : أنا والله جعلت فداك في طلبك، وقد أردت الخروج الى الكوفة والى بغداد من  
أجلك؟ قال : ولماذا؟ قال : تهوؤ لثقتك ولأبيات سمعتها لك؟ قال : وما هي؟ فأشده :

ولها ولا ذنب لها      حب كأطراف الزماج  
جرحت فؤادي بالمسوى      فالقلب مجروح النواحي  
سل الخليفة صارما      هو للفساد وللصلاح  
أجداه كف أبي الوليد يدا      مباربة الرياح  
ألقى بجانب خصره \*      أمضى من الأجل المتاح  
وكانما دثر الهبا      عليه أنفاس الرياح

فضى معه، ثم سأل أن يخرج الى البادية مع وفد بني أسد ليعلم العربية والغريب، فأخرجه  
مع قوم منهم، فأقام بالبادية سنة، ثم قدم فمارى والبة ورجع الى بغداد .

وكان أبو نواس متكلماً جيداً راوية غالا، رقى الطبع ثابت الفهم فى الكلام اللطيف .

ويدل على معرفته بالكلام أشياء من شعره، منها قوله :

وذات خد مورد      بضبة المديرد  
نأقل العين منها      محاسنا لس تنقد

== رواية لا شعراء ، علامة بالأشعار ، كأن كلامه شعر . وروى . توفى - ١٩٩ هـ . وقد ترجمته وأخبره  
وأشعاره فى كتاب خاص باسم « أحوال أبو نواس » لأبى مطهر طبع - ١٩٢٤ والآن فى ( ج ١٨ ص ٢ )  
و ( ج ٦ ص ١١٠ ، ١٧٠ ، ١٨٦ ) و ( ج ١٦ ص ١٤٨ ) و ( ج ١٨ ص ١٣٥ ) وطبع  
الادباء ( ص ٩٦ ) والشعر والشعراء ( ص ٥٠١ ) والمهملات ( ص ١٦٠ ) والادباء ( ج ٣ ص ٣١٧ ) .



فبعضه قد تنهى \* وبعضه يتوَلَدُ

والحسن في كل شيء \* منها مُعَاد مُرَدَّد

ومنها قوله :

يا عاقِدَ القلب عني \* هلا تذكّرتَ حلًّا

تركتَ غيِّي قليلاً \* من القليل أَقلًّا

يكاد لا يتجزّى \* أَقلُّ في اللفظ مِن لا

ومنها قوله في امرأة أسمها حُسْن :

ان اسم حُسْن لوجهها صفةٌ \* ولا أرى ذا في غيرها جُمعاً

فهى اذا سُمِّيت فقد وُصِفَتْ \* فيجمعُ الاسمَ معنيينَ معاً

ومن قوله فيما يتعلق بالحكمة :

قل لهُير اذا حدا رَشَدًا \* أَقلُّ أو أَكثَرُ فانت مِهْذارُ

سُخِّنَتْ من شدة البرودة حتى صرَتْ عندى كأنك النارُ

لا يعجب السامعون من صفقى \* كذلك الثلجُ باردٌ حارُ

هذا شيء أخذهُ أبو نواس من مذهب حكماء الهند، فانهم يقولون : إن الشيء إذا أفرط

في البرودة انقلب حاراً، وقالوا : إن الصَّنْدَل يحكّ منه اليسير فيبرد، فإذا أَكثَر منه سخن .

قالوا : كان أبو نواس دعياً يخلط في دعوته . فن ذلك قوله يهجو عربَ البصرة :

ألا كل بصرى يرى أنما العُلا \* مَكَّةٌ سُحْقُ لُحْنٍ جَرِينٍ<sup>(١)</sup>

فان تغرُسُوا نخلاً فان غرَأَسْنَا \* ضرابٌ وطعنٌ في النحورِ سَخِينُ

فان أك بصرياً فان مُهاجِرَى \* دِمَشْقُ وَلَكِنْ الحَدِيثُ فَنُونُ

مجاوِرُ قوم ليس بينى وبينهم \* أوأصرُ إلا دعوةٌ وظنونُ

اذا مادعا باسمي العريف أجبتُه \* الى دعوةٍ مما على تَهُونُ

(١) المكّة : الغراس الكثيرة . والسحق : الطويلة ، يريد البخل . والجرين هنا : موضع تجفيف التمر .

ثم هجا اليمن في هذه القصيدة بقوله :

لأزُدْ عُثْمَانَ بِالْمُهَلَّبِ زَوْدًا \* إِذَا أَفْتَحَرَ الْأَقْوَامُ ثُمَّ تَلَيْنُ  
وَبَكَرْتُ أَنْ النَّبْوَةَ أَنْزَلْتُ \* عَلَى مِسْمَعٍ فِي الرَّحْمِ وَهُوَ جَنِينُ  
وَقَالَتْ تَمِيمٌ لَا نَرَى أَنْ وَاحِدًا \* كَأَحْنَفْنَا حَتَّى الْمَمَاتِ يَكُونُ  
فَمَا لَمْتُ قَيْسًا بَعْدَهَا فِي قُتَيْبَةٍ \* وَنَخِرَ بِهِ إِنْ الصَّخَارُ فَنَوْتُ  
وَإِنَّمَا نَشَأُ أَبُو نَوَاسٍ بِالْبَصْرَةِ وَلَيْسَ لَهُ بِدَمَشْقٍ قَبْلُ وَلَا بَعْدُ .

ومما هجا به اليمن أيضا قوله طاشم بن حديج :

وردنا على هاشم مصره فبَارَتْ تَجَارَتَنَا عِنْدَهُ

يقول فيها :

رَأَيْتُكَ عِنْدَ حَضُورِ الْخَلْوَا \* ن تَنَادِيَا عَلَى الْعَبْدِ وَالْعَبِيدِ  
وَتَحَدُّ حَتَّى يَخَافَ الْجَلِيدُ \* س شَذَاكَ عَلَيْهِ مِنْ الْخَلْدِ  
وَتَخْتَمُ ذَاكَ بِفَخْرِ عَلَيْهِ \* يَكْنُدُهُ فَاسْلَخَ عَلَى كُنْدِهِ  
فَإِنْ حُدِيحًا لَهُ هَجْرَةٌ \* وَلَكِنَّمَا زَمَنَ الرَّدَّهِ  
وَمَا كَانَ إِيمَانَكُمْ بِالرَّسُولِ \* سَوَى قَتْلِكُمْ صَهْرَهُ بَعْدَهُ  
تُعَذِّبُونَهَا فِي مَسَاعِيكُمْ \* كَعَذِّبُوا الْأَهْلَةَ مَعْتَدَهُ  
وَمَا كَانَ قَاتِلُهُ فِي الرِّجَالِ \* بِجَلِّ لَطَاهِرٍ وَلَا بِرَشْدِهِ  
فَلَوْ شِئِدْتُهُ قَرِيضُ الْبَطَا \* ح لَمَّا تَحْتَنَنْتَ نَارَكُمْ جِلْدِهِ<sup>(١)</sup>

وقوله أيضا :

مَا مِنْكَ سَلَمَى وَلَا أَطْلَالُ الدَّرْسِ وَلَا نَوَاطِقُ مِنْ طَيْرٍ وَلَا خُرْسِ  
يَا هَاشِمُ بْنُ حَدِيحٍ لَوْ عَدَدْتَ أَبَا  
إِذْ أَصْبَحَ الْمَلِكُ النِّعَانُ وَإِفْدَهُ  
وَمَنْ قَتَلَهُ أَسْرَى نَسَبَهُ حُسْ

(١) المحسن : قتل الجله من اليمن .

فابتاعهم بإخاء الدهر ما عمروا \* فلم ينل مثلها من مثلهم أنس  
 أورحت مثل حوى في مكارمه \* هيات منك حوى حين يلتمس  
 أو كالسموعل اذ طاف الهام به \* في جحفل لحب الأصوات يرتجس  
 فاختر كلاً ولم يغير بدمته \* إذ قيل أشرف تر الأوداج تنبجس  
 ما زاد ذاك على تيه خصاصته \* وكيف يعدل غير السوء الغرس  
 وقوله :

يا هاشم بن حديج ليس نحر كم \* بقتل صهر رسول الله بالسدد  
 أدرجت في إهاب العير جثته \* فبئس ما قدمت أيدكم لغدد  
 إن تقتلوا ابن أبي بكر فقد قتلت \* حجراً بدارة ملحوي بنو أسد  
 وطرّدوكم الى الأجيال من أجأ \* طرد النعام اذا ما تاه في البلد  
 وقد أصاب شراحيلاً أبو حنيس \* يوم الكلاب فما دافعتم بيد  
 ويوم قلم لزيد وهو يقتلكم \* قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد  
 وكل كندية قالت لجارتها \* والدمع ينهل من مثنى ومنفريد  
 ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية \* عن ثاره وصفات النوء والوتد

وقد رنى أبو نواس خلفاً الأحمر بعد موته بقصائد من شعره، منها قصيدته التي أولها  
 قوله :

لو كان حي وائلاً من التلف<sup>(١)</sup> \* لو ألت شغواء في أعلى شعف  
 أتم فريخ أحرزته في لحف<sup>(٢)</sup> \* مزغب الألفاد لم يا كل بكف  
 كأنه مستقعد من الحرف \* هاتيك أو عصماء في أعلى شرف  
 تروغ في الطباقي والترع<sup>(٣)</sup> الألف \* أودى جماع العلم مذ أودى خلف

(١) وائلاً : ناجياً . ورائت : بلات . والشغواء : العقاب . والشعف : رموس الجبال .

(٢) اللحف : الغار في الجبل . ومزغب : صار ذا زغب ، والزغب صغار الريش . والألفاد جمع لند بالضم

وهو لحمة في الحلق . (٣) الطباقي والززع : نوعان من الشجر .

من لا يَعُدَّ العِلْمَ إلا ما عَرَفَ \* قَلِيلٌ مِّنَ الْعَالَمِ <sup>(١)</sup> الخُصْفُ  
كَمَا مَتَى نَشَأُ مِنْهُ نَعْتَرِفُ \* رَوَايَةٌ لَا تُجَنَّبُ مِنَ الصَّحَفِ  
ومنها قوله يرثيه :

لَا تَلُ الْعُصْمُ فِي الْهَضَابِ وَلَا . شَغْوَاءُ تَغْدُو فَوْخِينَ فِي حَلْفِ  
يُكْنِهَا الْجَوْ فِي النَّهَارِ وَيُؤْ . وَيَا سَوَادُ الدُّجَى إِلَى شَرْفِ  
تَحْنُو بِجُوشُوشِهَا عَلَى ضَرِمِ \* كَقَعْدَةِ الْمُنْحَى مِنَ الْخَرْفِ <sup>(٢)</sup>  
وَلَا شَجُوبَ بَاتَتْ نُورَقُهُ النَّشْرُ مِنْهَا بِوَابِلِ قِصْفِ <sup>(٣)</sup>  
دَانٍ عَلَى الْأَرْضِ وَالْوَصِيدِ وَفِي \* بِهِ أَمِينُ الْإِيَادِ ذِي هَدَفِ <sup>(٤)</sup>  
دِيدَنُهُ ذَلِكَ طَوْلَ بَلْبَتِهِ . حَتَّى إِذَا أَنْجَابَ حَاجِبُ السَّافِ  
غَدَا كَوَقْفِ الْمَلُوكِ يَنْهَفُ السُّدُودُ <sup>(٥)</sup> مِنْ مَنِيذِهِ وَالْكَفِ  
كَأَنَّ شَذْرًا وَهَتْ مَعَاقِدُهُ \* يَبِينُ صَلَاةَ فَلَعَبِ الشَّيْفِ  
وَأَخْدَرِي صُلبِ النَّوَاهِقِ صَلَاحِ أَمِينِ الْقُصُوصِ وَالْوُطْفِ  
مَنْفَرْدٍ فِي الْفَلَاةِ نُوسَعُهُ \* رِيًّا وَهَذَا يُخْلِيهِ مِنْ عَلْفِ  
مَا تَرَكَ الْمَوْتَ مِنْ أُولَى سَبَحًا . بَادَتْ بِنَلِكِ الْفَلَالِ وَالشَّعَفِ  
لَمَّا رَأَيْتُ الْمُنُوتَ أَخَذَهُ . كُلَّ مُسَدِّدٍ وَكُلَّ ذِي ضَعَفِ  
بَتْ أَعَزَّى النَّوَادِ عَنْ خَلْفِ . وَبَاتَ دَمْعِي إِلَّا بِفَضِّ نِكْفِ  
أَنْسَى الرِّزَايَا مَبْتًى يَجْعَتُ لَهُ \* أَهْمِي رَهِينَ السُّرَابِ فِي جَدَفِ

(١) القليل : البئر العميقة . والعالم : جمع علم وهو البئر العميقة . الخسف جمع س : منه  
وهي الثرائي حشرت في حجارة صبيح منها ماء سيرا لا يمتلئ . (٢) البجوشوش : الصدر . والشم :  
فرح العقاب . (٣) الشوب : الشاب من اليراق والشم . والش : دابة من مازل الصوم .  
(٤) الوصيد : بيت كالخطره يتخذ من الحجاره للبال أي العنم وهما في الجبال . والإياد : التراب يتعبد حول  
الخصوص أو الحناء يعوى به أو يجمع ماء المطر . واشدق : تاج من نفع من ماء أو كثر من وصال .  
(٥) ينهب : يتساقط ويتفقد . والقطر : الماء المنقطع . المتاع : العلم القطر . وقيل هو دون الإرا وهو  
البرد أو صغاره .

كان يسنى برفقه غُلَقًا <sup>(١)</sup> \* في غير عي منه ولا عنف  
يحبُّ عنك التي غُشيت بها \* من قبل حتى يشفيك في لطف  
لا يهيم الحاء في القراءة بالخا \* ولا لامها مع الألف  
ولا يعمى معنى الكلام ولا \* يكون إنشاده عن الصحف  
وكان ممن مضى لنا خلفًا \* فليس منه إذ بات من خلف

واختلف أبو نواس الى أبي زيد فكتب الغريب من الألفاظ ، ثم نظر في نحو سيبويه ،  
ثم طلب الحديث فكتب عن عبد الواحد بن زياد ويحيى القطان وأزهر السمان وغيرهم ،  
فلم يتخلف عن أحد منهم ، وأدركه الناس فعلم ، ثم قديم بغداد بعد ذلك .

وكان أيضا يتنزه ويدعى للفرزدق . ثم وقع بينه وبين الحكم بن قنبر المازني ، فهجاه  
الحكم وذكر برية العود وبغى عيسى ونكبه . ولما قال أبو نواس قصيدته التي يهجو بها  
خنيف ، وهي :

ألم ترَّبْ على الطَّلّ الطَّاس <sup>(٢)</sup> : عَفَاه كل أسحم ذى ارتجاس  
وذاري التَّربْ مَرَّتِكُمْ حَصَاه <sup>(٣)</sup> : نَسِيج المِيثِ مَعْنَقَةِ الدَّهَّاس  
سوى سَفْع أعارتها الليالى <sup>(٤)</sup> : سواد الليل من بعد أغبَّاس  
وأورق حالف المشواة هاب <sup>(٥)</sup> : كَفْصَاوِي الفِراخ من الهَلَّاس  
منازل من عَقِيرَة أو سُلَيْمى <sup>(٦)</sup> : أو الدهماء أخت بني الحِمَّاس  
كأن معاقِد الأوضاح منها : بِيَمِيدِ أغنَّ قوم في الكِئَاس  
وتبسم عن أغرَّ كأن فيه <sup>(٦)</sup> : مُجَاجِج سُلَافَة من بيت راس  
فمن ذا مبلغُ عمرًا رسولًا \* فقد ذكَّرتَ ودك غير ناس

(١) سناه تسنية : سهله وفتح . (٢) طاس بالكسر : دارس . والأسحم : السحاب . والارتجاس :

الزعد . (٣) المعنقة : جبل في الرمل .

(٤) الاغبَّاس : بياض فيه كدرة . والسفع : يريد بها الأثافي . (٥) الهلاس : الضمور وهاب :

لونه لون الهباء . (٦) بلدة بالشام تنسب اليها الخمر .

فلم أهُجرك هجر قلى ولكن . نوابئ لا نزال لها تُقاسى  
 نوابئ تعجزُ الأدباء عنها \* ويعيا دونها اللين النطاسى  
 وقد نأختُ عن أحساب قوم \* هم ورتوا مكارم ذى نواس  
 فإن تك أوفدت للحرب نازر \* فثا غطيتُ خوف الحرب رأسي  
 سائلي خيراً ما أبلى محام \* اذا ما النبئل ألجم بالقياس<sup>(١)</sup>  
 وسمتُ الوائيل بفاغرات \* بهن وسمت رهط أبى فراس  
 وقالت كاهل وبنو وقيين \* خناك إننا لسنا بناس  
 فما بال النعاج نعت بشتمى \* وفى زمعاتهن دم الفرّاس  
 وما حامت عن الأحساب إلا \* لسترفع ذكرها بأبى نواس

عارضه الحكم وهجاه ، فانقلب على التراب وادّعى أنه من حاء وحكم ، فزجره يزيد بن منصور الحميريّ خال الازدي فقال له : أنت خوزي ، هاله وياه ، وحكم ! فقال له : أنا مولى لهم ، فتركوه ، وقال بعضهم لبعض : إنه لظريف اللسان نزيه العالم فادعوه ، وبهذا الولاء يتعصب لنا ويكاد عنا ويهجو الترابية ، فكان كما قالوا ، فاجلهم ، فانقلب الى اليمن وعدل عن كنيته بأبى فراس واكتفى بأبى نواس ، تشبهاً بكنايته ذى نواس كما كانت اليمن تكنى ، وندم على هجاء اليمن ، ووجدتهم له أوسع ولا يبرته أقبل ، فابتذر الى هاشم بن حذيف الكندي من هجائه ، ومدح اليمن فقال :

أهاشم خذ مني ردائي وإن أذى ردائي على نفسي فغير ملوم  
 فأقسم ما جاوزت بالتم بالار . . . وما منفت غير أدعى  
 فعذت بشقوى دارم ذا اذن . . . كرم أراد فموق كل كريم  
 وإن أصرأ أغنني على . . . هان برست فيه يلد حلیم  
 تطاول فوق الناس . . . به نجسا أمام نجوم

إذا آمنتازت الأحسابُ يوماً بأهلها \* أناخَ إلى عاديّةٍ وصمّيم  
إلى كلّ معصوبٍ به التّاجُ مقوّي \* إليه أيادي عامي وتميم  
وكان قبل أن ينتمي لليمن ويدعى لزار يتعاجم في شعره، فمن ذلك قوله :  
فاسقنيها وغرّ صوّ \* تاء، لك الخير، أعجبا  
ليس في نعتِ دمنية \* لا ولا زجر أشاما

وكان الجاحظ يقول : ما أعرف لأبي نواس شعرا يفضل هذه القصيدة وهي :  
ودارٍ ندّامى عطّلوها وأدبّلوا \* بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارسُ  
مَساحِبُ من جرّ الزّقاق على النّرى \* وأضغاثُ ريحانٍ جنّى ويابسُ  
حبستُ بها صحبي بخدّدتُ عهدهم \* وإني على أمثال تلك الحابسُ  
ولم أدر منهم غير ما شهّدتُ به \* بشرقيّ سابطٍ الديار البسابسُ  
أقنيتُ بها يوماً ويوماً وثالثا \* ويوماً له يومُ التّرحّلِ خامسُ  
تدار علينا الراخُ في عسجدية \* حَبّتها بأنواع التّصاوير فارسُ  
قرّارُتها ككسرى وفي جنباتها \* منها تدرّيا بالقسيّ الفوارسُ  
فلاخمر ما زرتُ عليه جيوبُها <sup>(١)</sup> \* وللاء ما دارتُ عليه القلائسُ  
وقوله يصف كرمه وعبر عنها بالهجمة وهو يريد الدّنان :

لنا هجمةٌ لا يدرك الذّنبُ سَخْلَها \* ولا راعها نزوُ الفحالة والخطر  
إذا امتحنت ألوانها مالَ صفوها \* إلى الكتّ إلا أن أوارها خضرُ  
وإن قام فيها الخالبون اتّقمهم \* بنجلاء ثقب الجوف دَرّتها الخمرُ  
مَسارحها الغربيُّ من نهر صرصر \* ففُطّر بلّ فالصالحية فالعقرُ

(١) يعني أن الخمر مصبوب فيها إلى حلق الصور صرفاً . وقوله : وللاء، يعني انهم صبوا الماء في مزجها حتى

ثُرَاثُ أَبِي سَاسَانَ كَسَرَى وَلَمْ تَكُنْ \* مَوَارِيثُ مَا أَبْقَتْ تَسْمِيًّا وَلَا بَكْرَ  
قَصَّرْتُ بِهَا لَيْلِي وَلَيْلَ ابْنِ حُرَّةَ \* لَهُ حَسَبٌ زَالِيٌّ وَلَيْسَ لَهُ وَفَرُ

وَفِي تَعَاْجُمِ أَبِي نَوَاسٍ فِي شَعْرِهِ يَقُولُ الرَّقَاشِيُّ يَهْجُوهُ :

نَبَطِيٌّ فَإِذَا قِيلَ لَهُ \* أَنْتَ مَوْلَى حَكِيمٍ قَالَ أَجَلُ  
هُوَ مَوْلَى اللَّهِ إِذَا كَانَ بِهِ \* لَاحِقًا فَاللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُ  
وَاضِعًا نَسَبَتَهُ حَيْثُ اشْتَمَى \* فَإِذَا مَا رَابَهُ رَيْبٌ رَحَلَ

فَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ يَهْجُوهُ :

هَجَوْتُ الْفَضْلَ دَهْرِي وَهُوَ عِنْدِي \* رَقَاشِيُّ كَمَا زَعَمَ الْمَسْوُولُ  
فَلَمَّا سُوءِلْتُ عَنْهُ رَقَاشٌ \* لِنَعْلَمَ مَا تَقُولُ وَمَا يَقُولُ  
وَلَمَّا أَنْ نَصَّصْنَاهُ إِلَيْهَا \* لِنَتَعْلَمَ مَا يُقَالُ وَمَا يُقُولُ  
وَجَدْنَا الْفَضْلَ أَبْعَدَ مِنْ رَقَاشٍ \* مِنْ الْأَتْنِ أَدْعَتْ فِيهَا الْفَيْوُولُ  
وَجَدْنَا الْفَضْلَ أَكْرَمَ مِنْ رَقَاشٍ \* لِأَنَّ الْفَضْلَ مَوْلَاهُ الرَّسُولُ  
يُرِيدُ بِذَلِكَ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَنَا مَوْلَى مَنْ لَا مَوْلَى لَهُ» .

وَقَالَ أَيْضًا يَهْجُوهُ :

قُلْ لِلرَّقَاشِيِّ إِذَا جَنَّتْهُ : لَوْ مَتَّ يَا أَحْمَقُ لَمْ أَهْجُكَ  
لَأَنْتَ أَكْرَمُ عَرَضِي وَلَا : أَفَرُنْهُ يَوْمًا إِلَى عَرَضِكَ  
إِنْ تَهْجُنِي تَهْجُ فَنِي مَا جَدَا : لَا يَرْفَعُ الطَّرْفُ إِلَى مِثْلِكَ  
دُونَكَ عَرَضِي فَاهْجُجْهُ رَاشِدًا : لَا تَدْنُسُ الْأَعْرَاضُ مِنْ هَجْوِكَ  
وَاللَّهُ لَوْ كُنْتُ جَرِيرًا لَمَّا : كُنْتُ بِأَهْجِي لَكَ مِنْ أَصْلِكَ

وَقَالَ أَيْضًا يَهْجُوهُ :

يَا عَرَبِيَّةً مِنْ صَنِيعَةِ السُّوقِ : وَصَنِيعَةُ السُّوقِ ذَاتُ تَشْثِيقِ  
مَا رَأَيْتُكُمْ يَنْزَرُونَ فِي رَجُلٍ : يَدْخُلُ فِيكُمْ مِنْ خَلْقِ مَخْلُوقِ



ويحمل الوطْبَ والعَلَابَ ولا \* يصلح إلا للحمل إلبريق  
 لقد ضربنا بالطبل أنك في التقوم صحيحٌ وصيحٌ في البوق  
 قد أخذ الله من رقاش على \* تركهم المجد بالمواثيق  
 فالناس يسعون للعلا قُدماً \* وهم وراء مكسرو السوق  
 هذا كذا كم وفي الهياج اذا \* هيج فما شئت من بواشيق<sup>(١)</sup>  
 وقال أيضا يهجوهُ :

أصبح الفضل ظاهر التيه \* وذاك مذ صرت أهاجيه  
 لله شعري ، أى مفواهة \* لكل من دوني قوافيه  
 كم بين فضل منذ هاجيته \* وبينه قبل أهاجيه  
 فالحمد لله وإن كنت لم \* أحفل بقوم نصحو فيه  
 رضىت أن يشتمنى سافط \* شسعي خير من مواليه

وكان أبو نواس في دعاويه يتماجن ويعبث ويخفى نسبه واسم أمه لئلا يهجو ، وذلك مشهور عنه . ولو غضب هو نفسه على أبيه لهجاه ولم يحتشم . والمذكور من أمره أنه كان مولى الحكيمين ، يفتخر بآمن ويمدحهم لذلك ، ويمدح العجم ويدكرهم لأنه منهم ، فلذلك قال في العجم ما قال .

قال أبو الفرج الأصفهاني : كان أبو عبيدة يقول : ذهبت اليمن بجذ الشعر وهزله : امرؤ القيس بجده ، وأبو نواس بهزله . وكان يقول : ذهبت اليمن بجيسد الشعر في قديمه وحديثه : امرؤ القيس في الأوائل ، وأبو نواس في المحدثين . وكان يقول : شعراء اليمن ثلاثة : امرؤ القيس وحسان بن ثابت وأبو نواس . وقال أيضا : أبو نواس في المحدثين مثل امرؤ القيس في المتقدمين ، فتح لهم هذه الفطان ودلهم على المعاني وأرشدتهم إلى طريق الأدب والتصرف في فنونه . وكان يقول : يعجبني من شعر أبي نواس قوله :

(١) جمع باشق وهو اسم طائر ، أعجمي معرب .

بَيْنَا عَلَى كَسْرَى سَمَاءٌ مُدَامَةٌ \* مَكَلَّةٌ حَافَتْهَا بَنُجُومٌ  
فَلُورْدٌ فِي كَسْرَى بْنِ سَاسَانَ رَوْحُهُ \* إِذَا لَأَصْطَفَانِي دُونَ كُلِّ نَدِيمٍ

وسئل يعقوب بن السكيت عما يختار روايته من أشعار الشعراء، فقال: إذا أردت من الجاهليين فلا مريء القيس والأعشى، ومن الإسلاميين فلجريح والفرزدق، ومن المحدثين فلا أبي نواس فحسب. وقيل: للعتبي من أشعر الناس؟ قال: عند الناس أم عندي؟ قيل عند الناس؟ قال: امرؤ القيس؛ قيل: فعندك؟ قال: أبو نواس.

وقال عبد الله بن محمد بن عائشة: من طلب الأدب فلم ير شوعرأبي نواس فليس بتأم الأدب. وسئل: من أشعر المحدثين؟ فقال: الذي يقول:

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَعَتْ \* مِنْ أَرْزَارِهِ قَمَرًا  
يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حَسَنًا \* إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا  
بَعِينٌ خَالِطُ التَّقِيَّةِ \* رُبُّ مَنْ أَجْفَانُهَا الْحَوْرَا  
وَوَجْهٌ سَائِرٌ لَوْ \* تَصَوَّبَ مَاءُهُ قَطْرًا  
وَقَدْ خَطَّتْ حَوَاضَتُهُ \* لَهُ مِنْ عَنَبٍ طُرْرًا

وقال إبراهيم بن العباس الطويل: إذا رأيت الرجل يحفظ شعرأبي نواس علمت أن ذلك عنوان أدبه ورائد نظرفه.

وكان أبو نواس يقول عن نفسه: سفلت عن طبقة من تقدمني من الشعراء وعلوت عن طبقة من معي ومن يجيء بعدي، فانا نسيح وحدي.

وحدث جماعة من الرواة ممن شاهدوا نواس قالوا: كان أقل ما في أبي نواس قول الشعر، وكان فخلاً راوياً عالماً.

وقال أبو عبيدة: بلغني أن أبا نواس يتعاطى قرض الشعر فتلقاني وهو سكران ماطر شاربه بعد، فقلت له: كيف فلان عندك؟ فقال: تميل الظل، جامد النسيم؛ فقلت: زد؛ فقال: مظلم الهواء؛ متن النماء، فقلت: زد. فقال: غليظ الطبع، بارد الشكل؛

قلت : زد ؛ فقال : وَخَمِ الطَّلْعَةَ بِعَسْرِ الْقَلْعَةِ ؛ قلت : زد ؛ قال : نَأَى الْجَنَبَاتِ ، بارد  
الحركات ؛ قال : نَخَفْتُ عَنْهُ ؛ فقال : زدنى سؤالاً ؛ أزدك جواباً ؛ فقلت : « كفى من  
القلادة ما أحاط بالعنق » .

وقال سليمان بن أبي سَهْلٍ لأبي نَواصٍ : ما الذى استجيد من أجناس شعرك ؟ فقال :  
أشعارى فى الخمر لم يُقَلْ مثُلُها ، وأشعارى فى الغزل فوق أشعار الناس ، وهما أجود شعرى  
إن لم يَزَاحِمْ غزلى ما قتلته فى الطرد .

وكان يقول : ما قلت الشعر حتى رَوَيْتُ لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وليلى ،  
فما ظنك بالرجال ؟ وانى لأروى سبعة أَرْجُوزَةٍ ما تُعرف .

وكان قد استأذن خَلْفًا فى نظم الشعر ، فقال : لا آذُنُ لك فى عمل الشعر إلا أن تحفظَ  
ألفَ مقطوعٍ للعرب ما بين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة ؛ فغاب عنه مدةٌ وحضر إليه فقال  
له : قد حفظتها ؛ فقال : أنشدْها ، فأنشده أكثرها فى عدة أيام ، ثم سأله أن يأذن له فى نظم  
الشعر ؛ فقال له : لا آذُنُ لك إلا أن تنسى هذه الألفَ أرجوزة كأنك لم تحفظها ، فقال له :  
هذا أمر يصعب علىّ فإنى قد أتقنت حفظها ، فقال له : لا آذُنُ لك إلا أن تنساها ، فذهب  
الى بعض الدّيرة وخلا بنفسه وأقام مدة حتى نسيها ، ثم حضر فقال : قد نسيتها حتى كأنّ  
لم أكن قد حفظتها قط ؛ فقال له : الان فانظم الشعر .

وكان أبو نَواصٍ يقول : لا أكاد أقول شعراً جيّداً حتى تكون نفسى طيبة ، وأنا كَوْنُ  
فى بستانٍ مَونِقٍ ، وعلى حالٍ أرتضيها من صلالةٍ أوصل بها أو وعدٍ بصلاة ، وقد قلت وأنا على  
غير هذه الحال أشعاراً لا أرضاها . وكان يعمل القصيدة ثم يتركها أياماً ، ثم يعرضها على نفسه  
فيسقط كثيراً منها ويترك صافيها ، ولا يسره كل ما يقذف به خاطره . وكان يهمله الشعرُ  
فى الخمر فلا يعملهُ إلا فى وقت نشاطه . ولم يكن فى الشعر البلى ولا بالسريع بل كان  
فى منزلة وسطى .

وكان الأصمعي يقول : يعجبني من شعر الشاعر بيتٌ واحد قد أجاد قائله وهو !  
 ضعيفُ كَرِّ الطرفِ تحسب أنها \* قريبة عهد بالإفاقة من سُقيم  
 وإني لآتي الأمر من حيث يُتَّقَى \* ويعلم سَهْمِي حين أنزع مَنْ أَرَمِي  
 قال العتّابي لرجلين تناظرا في شعر أبي نواس : والله لو أدرك الخبيثُ الجاهلية ما فُضِّل  
 عليه أحد .

وقال أبو عمرو الشَّيباني : أشعرُ الناس في وصف النمر ثلاثة : الأعشى والأخطل  
 وأبو نُوَّاس .

قال محمد بن عمر : لم يكن شاعرٌ في عصر أبي نواس إلا وهو يحسده ليل الناس إليه  
 وشهوتهم لمعاشرته ، وبعْدَ صِبْيَتِهِ وظَرْفِ لِسَانِهِ .

وقال أبو حاتم : سئل أبو نواس عن شعره فقال : اذا أردت أن أجِدَّ ، قلتُ مثل  
 قصيدي « أيها المتأبُّ عن عُفْرِه » ، واذا أردت العبتَ قلت مثل قصيدي : « طاب  
 الهوى لعميده » ، فأما الذي أنا فيه وحدي وكلُّه جيدٌ فاذا وصفت النمر .

وقال أبو ذُكْوَانَ : كنا عند التَّوْزِيّ فذكرتُ عنده أبا نواس ، فوضع منه بعضُ  
 الحاضرين ، فقال له التَّوْزِيّ : أتقول هذا الرجل يقول :

يخافُه النَّاسُ ويرجونه . كأنه الجنة والنار

ويقول :

فما جازه جودٌ ولا حلّ دونه . ولكن يصير الجودُ حيث يصيرُ

ويقول :

فتمشّت في مفاصلهم . كتمشّي البرّ في السَّقم

قال ابن الأعرابي يوما جلّسائه : ما أشعرُ ما قال أبو نواس في النمر ؟ فقال بعضهم :

إذا عتبَ فيها شاربُ القومِ خلته يُقبَلُ في داجٍ من الأمل كوكبا

وقال آخر :

كأن كُبْرَى وَصُغْرَى من فَقَاقِعِهَا \* حصباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهبِ

وقال آخر :

ترى حيث ما كانت من البيت مَشْرِقًا \* وما لم تكن فيه من البيت مغربا

وقال آخر :

فكأن الكؤوسَ فينا نجومٌ \* دَائِرَاتُ بروجها أيدينا

وقال آخر :

صفراءُ لا تنزلُ الا حزانُ ساحتها : لو مَسَّها حَجَرٌ مسته سَرَّاءُ

فقال ابن الأعرابي : إن هذا كله لشاعر أنفرد بالإحسان فيه ، وتقدم من سبقه ومن تأخر عنه ، ولكنه أشعر من هذا كله في قوله :

لا يَتَزَلُّ اللَّيْلُ حيث حَلَّتْ \* فدهرُ شَرَّابها نهارُ

قال مسلم بن بهرام : لَقِيتُ أبا العَتَاهِيَةِ فقلت له : من أشعر الناس ؟ قال : تريد

جاهليًّا أو إسلاميًّا أو مولدها ؟ قال : كُلُّا أريد ؛ قال : الذي يقول في المديح :

إذا نحن أَثْنينا عليك بصالح \* فأنت كما نُثْنِي وفوق الذي نُثْنِي

وإن جَرَّتِ الألفاظُ يومًا بمدحٍ - لغيرك إنسانًا فأنت الذي نَعِي

والذي يقول في الزهد :

ألا ربَّ وجهٍ في التُّرابِ عَتِيقٍ وياربَّ حُسْنٍ في التُّرابِ رَقِيقٍ

وياربَّ حَزْمٍ في التُّرابِ وَبَجْدَةٍ وباربَّ رأيٍ في التُّرابِ وَثِيقٍ

فقل لقريب الدار إنك راحلٌ - إلى منزِلٍ نالِ المَحَلَّ سَمِيقٍ

وما النَّاسُ إلا هَالِكٌ وابنُ هَالِكٍ - وَدُوْنَسِيٍّ في الهالِكين عَرِيقٍ

إذا امتحن الدنيا لِيَبُّ تَكْشَفَتْ - له عن عَدُوٍّ في ثياب صَدِيقٍ

وكان يقول : سبقني أبو نواس الى ثلاثة أبيات وِدِدْتُ انى سبقته اليها بكل ما قلته فإنه أشعر الناس فيها ، منها قوله :

يا كبير الذنب عفو الآ \* له من ذنبك أكبر

وقوله :

من لم يكن لله متبها \* لم يمس محتاجا الى أحد

وقوله :

إذا امتحن الدنيا ليب تكشفت \* له عن عدو في ثياب صديق

ثم قال : قلت في الزهد ستة عشر ألف بيت وِدِدْتُ أن أبا نواس له ثلثها بهذه الأبيات .

وقال الجاحظ : سمعت النظام يقول ، وقد أنشد شعرا لأبي نواس : كأن هذا الفقى  
بجمع له الكلام فاختار أحسنه . وقال بعضهم : كأن المعاني حُيِسَتْ عليه ، فأخذ حاجته  
وفرق الباقي على الناس . وقال أبو حاتم : كانت المعاني مدفونة حتى أثارها أبو نواس .

حدث الحسين بن الخصيب الكاتب ، قال : قال أحمد بن يوسف الكاتب : كنت  
أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون ، وهو مستأقي على قفاه ، فقال لعبد الله بن طاهر :  
يا أبا العباس ، مَنْ أشعروُن قال الشعر في خلافة بني هاشم ؟ فقال : أمير المؤمنين أعرف  
بهذا وأعلى عينا ، فقال له المأمون : على ذلك قفْلُ ؛ تكلم أنت يا أحمد بن يوسف ،  
فقال عبد الله بن طاهر : أشعروهم الذى يقول :

ويا قبر معي كنت أول حفرة من الأرض خُطَّت للسباحة ونزلا

قال أحمد بن يوسف الكاتب : فقلت : بل أشعروهم الذى يقول :

أشبهت أعدائى فصرت أحبهم . إذ كان خطي منك خطي منهم

فقال المأمون : يا أحمد آيت إلا غزلا ! أين أتم عن الذى يقول :

يا شقيق النفس من حكمي نمت عن ليلى ولم أتم

فقلنا : صدقت يا أمير المؤمنين .

وكان المأمون يقول : لو سُئِلت الدنيا عن نفسها فنطقت ، لما وصفت نفسها  
كما وصفها أبو نواس في قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تَكشَّفَتْ \* له عن عدوٍّ في ثياب صديق  
وَرَدَ على العتَابي بحَلَبِ عِدَّةٍ من البِكار من أهل قَنَسرين ، فدخلوا وسأموا ؛ وكان في يده  
رُقعة ينظر إليها ، فقال لهم : لقد سَلَكَ صاحبُ هذه الرُقعة وادياً ما سَلَكَه أحدٌ قبله ؛  
فنظروا فإذا هو شعر أبي نواس في جَنانِ جارية آل عبد الوهَّاب الثَّقَفِيّ ، وهو قوله :  
رَبِّعَ الكَرَى بين الجفونِ حَيْلُ \* عَفَى عليه بُكَيَّ عليك طویلُ  
يا ناظراً ما أفلعتُ لحظائهُ \* حتى تشحَّطَ بينهن قَتیلُ  
أحَلَّتْ قَلِي من هَوَاكَ حِمْلَةً \* ما حلَّها المشروبُ والمأكولُ  
بِكالِ صورتك التي من دونها \* يتخيَّرُ التشبيهُ والتَّمثيلُ  
فوقَ القصيرةِ والقصيرةِ فوقها \* دون السِّمينِ ودونها المهزولُ  
ومما أنشدَه العتَابي لأب نواس فقال أحسن وأجاد :

مَتَابِيهٌ بِجَالِهَ صَالِفٌ \* لا يَسْتَطَاعُ كَلَامُهُ تِيهًا  
لِلْحَسَنِ فِي وَجَنَاتِهِ يَدْعُ \* ما إِنْ يَمَسُّ الدَّرَسَ قَارِيهَا  
لو كانت الأشياءُ تعقله \* أَجْلَانَهُ إِجْلَالُ بَارِيهَا  
لو تَسْتَطِيعُ الأرضُ لَأَتَقَبَضَتْ \* حتى يصيرَ جميعه فيها

وقوله :

إِن السَّحَابَ لَتَسْتَحْيِي إذا نَظَرْتُ \* إلى نَدَاكَ فَقَاسَتُهُ بِمَا فِيهَا  
حتى تَهْمُ بِأَقْلَاعٍ فيمْنَعُهَا \* خَوْفٌ من السُّخْطِ من إِجْلَالِ مَنْشِيهَا

قال محمد بن صالح بن بَيَّس الكَلَّابِي : لما دخلتُ العراقَ صرْتُ إلى مدينة السلام  
فسألت عَمَّنْ بها من الشعراء المحسنين ، وذلك في أيام خلافة الأمين أو عند موته قبل  
دخول المأمون بيسير ، ف قيل لي : قد غلب عليهم فتى من أهل البصرة يقال له الحسن

ابن هانيء ويعرف بأبي نواس ، وقد كنت سمعتُ شيئاً من شعره ، فأتاني فتي كان من أهل الأدب ، فقلت له : هل تروى لأبي نواسكم هذا شيئاً؟ قال : أروى له أبياتاً في الزهد وليس هو من طريقته ، فقلت أنشدنيها ، فأنشدني :

أني ما بال قلبك ليس يَنقَى : كأنك لا تظن الموتَ حقاً  
ألا يا بنَ الذين قُتِلوا وبادوا \* أما والله ما ذهبوا لتَبْقَى  
وما للنفس عندك من مُقام \* إذا ما آستكلت أجلاً ورزقاً  
وما أحدٌ بزدلك منك أخطى \* ولا أحدٌ بذنبك منك أشقى  
ولا لك غيرَ تقوى الله زاد . إذا جمعت إلى الآلهوات ترقى

فقلت له : أحسن والله ! قال : أفلا أنشدك أحسن من هذا؟ قالت بلى ، فأنشدني في رثاء محمد الأمين :

طوى الموت ما بيني وبين محمد \* وليس لما تطوى المنية ناشر  
فلا وصل إلا عبرة تستديمها : أحاديثُ نفيس ما لها الدهر ذا كُر  
لئن عمَّرت دور بمن لا أودّه \* لقد عمَّرتُ من أحب المقابر  
وكنْتُ عليه أحذر الموت وحده فلم يَبْقَ لي شيء عليه أحاذرُ

فقال : بحق ما غلب هذا على أهل الأدب وقدموه على غيره .

قال محمد بن جعفر الأصم : كنا عند أبي نُعَيْم ، فتذاكرنا قول عائشة أُم المؤمنين رضي الله عنها حين ذكرتُ شعرَ ليلى يري أخاه أربد :

ذهبَ الذين يُعاش في أكنافهم \* وبقيت في خَلْفِ بكسد الأجر

ولقد أنشدني أبو نعيم أبياتاً ، قلنا : أنشدناها ، فقال :

ذهبَ الناس فاستقلوا وجِمرنا . خَلَّفَا في أرذل النِّسائِ  
في أناسٍ نَعُدُّهم من عديد . فإذا قَاتَشُوا فابَسُوا بناس



كلما جئتُ أبتغي الفضلَ منهم \* بدروني قبل السؤالِ بياس  
وبنكوا لي حتى تمنيتُ أني \* مُفلتٌ عند ذاك رأساً براس

ثم قال : أندرون لمن الشعر؟ قلنا : لا، قال : للحسن بن هانيء .

قال أبو عبد الرحمن الضرير : رأيتُ مسلم بن الوليد يُجربان وهو يتولّاها، فسألني عن  
خَلَفْتُ من الشعراء ؟ فقلت له : أما من الكوفيين فأبو نواس ، وهو مقدّم عندهم ؛ فقال :  
ويحك ! كيف يتقدّم وهو يقول : رويدك يا إنسانُ لا أنتَ تَقْفُزُ رأيتُ قوله : « تقفز »  
خرجتُ من بين فكيّ شاعِرٍ قط ! ثم قال : ويلك ! وكيف يكون كذلك وهو يُحِيلُ ويخطئُ  
من صفة المخلوق الى صفة الخالق ؟ فقلت : مثل ماذا من قوله ؟ قال : أما فيما أحال فكقوله :  
وأخفتُ أهلَ الشِّركِ حتى إنه \* لتخافُكَ التَّطَفُّفُ التي لم تُخْفِ  
وهذا من الإغراق المستحيل في العقول ومما ليس على مذهب القوم ؛ وأما في تخطئه  
بصفة المخلوق الى صفة الخالق فكقوله :

يَجَلُّ أن تلحقَ الصفاتُ به \* فكلُّ خُلُقٍ خلُقُه مثلُ  
وكقوله :

\* برىء من الأشباه ليس له مثل \*

ومما قيل عن أبي نواس إن الشعر إنما هو بين المدح والهجاء وأبو نواس لا يُحسنهما،  
وأجودُ شعره في النخر والطرد ، وأحسنُ ما فيهما مأخوذ ليس له وإنما سرّقه ، وحسبك من  
رجل يريد المعنى ليأخذه فلا يُحسن أن يئني عليه حتى ييحيى به قبيحا، مثل قوله : « ودأوني  
بالتى كانت هي الداء » أخذه من قول الأعشى : « وأخرى تداويتُ منها بها » والذي أخذه منه  
أحسن . ومنها أيضا قوله : « إن الشبابَ مطيّةُ الجهلِ » أخذه من قول النابغة الجعدي :  
« فإن مطيّةَ الجهلِ الشبابُ » . وقوله : « كطلعة الأشمط من إهابه » أخذه من قول أبي النجم :  
« كطلعة الأشمط من كسائه » . ولكن رزق أبو نواس في شعره أن سار وحمله الناس وقدمه  
أهل عصره ، وإن له على ذلك لأشياء حسنا لا يدفعها ولا يطرحها إلا جاهل بالكلام  
أو حاسد .

ومن أحسن مدائح أبي نواس قوله من أرجوزته التي يمدح بها الفضل بن الربيع وهي :

وبلدة فيها زور \* صغراء تحطى في صعر  
 مريت إذا الذئب اقتفر \* بها من القوم الأثر<sup>(١)</sup>  
 كان له من الجزر \* كل جنين ما اشتر<sup>(٢)</sup>  
 ولا تملأه شعر \* ميت النساحي الثغر  
 عسفتها على خطر \* وغرير من الغرر<sup>(٣)</sup>  
 يباري حين فطر \* يهزه جن الأشر  
 لا مُتشك من سدر \* ولا قريب من خور<sup>(٤)</sup>  
 كأنه بعد الضمر \* وبعد ما جال الضفر<sup>(٥)</sup>  
 وأتمح في فسر : \* جاب رباع المنفر<sup>(٦)</sup>  
 يحدو بحقب كالأكر \* ترى بأباج القصر<sup>(٧)</sup>  
 منهن توشيم الجدر \* رعين أبكار الخضر  
 شمرى ربيع وصفر \* حتى إذا الفحل جفر<sup>(٨)</sup>  
 وأشبه السفى الإبر \* ونش أذخار النقر<sup>(٩)</sup>  
 قلن له : ما تأتمر ؟ \* وهن إذ قلن : أشر  
 غير عواص ما أمر \* كأنها لمن نظر  
 ركب يشيمون مطر \* حتى إذا الظل قصر

- (١) المرت : الأرض لانهات فيها ، واقتفر الأثر : اقتفاه وتبعه . (٢) الجزر (بفتحين) :  
 ما يذبح من الشاء ذكرا كان أو أنثى . واحدة : جزة . وما اشتر : لم يثبت له الشكر وهو الضعيف من الشعر  
 الذي لا يكاد يظهر . (٣) عسفتها : سلكها متخططا ، والغرر : الخطر . (٤) السدر : النجير .  
 (٥) الضمر (بالضم وبضمين) : الهزال . والضفر : جمع صفار (بالفتح) وهو ما يشد به البعير من شعر مضاف .  
 (٦) الجاب : الجمار الغليظ من حمر الوحش . (٧) الأباج جمع ثبج وهو وسط الشيء ، والقصر  
 جمع قصرة وهي أصل العنق . (٨) جفر : امتنع عن الضراب .  
 (٩) السفى : كل شجر له شوك ، ونش : نصب ، والنقر : جمع نقرة وهي الوهسة المستديرة من الأرض .

يَمْنَنَ مِنْ جَنبِي هَجَرَ \* أَخْضَرَ طَهَامَ الْعَكَرَ  
 وَبَيْنَ أَحْقَافِ الْقَتَرِ \* سَارَ وَلَيْسَ لِلْسَمَرِ  
 وَلَا تِلَاوَاتِ السُّورِ \* يَمْسَحُ مِرْنَانًا يَسِرُ<sup>(١)</sup>  
 زُمْتُ بِمَشْزُورِ الْمِرْرِ \* لَأُمِ كُحْلُومِ النُّفْرِ<sup>(٢)</sup>  
 حَتَّى إِذَا صَطَفَ السَّطْرُ \* أَهْدَى لَهَا لَوْ لَمْ تُجَرِ  
 دَهْيَاءَ يَحْدُوها الْقَدَرُ \* فِتْلِكَ عَنَسٌ لَمْ تُدْرِ  
 شَهَبًا إِذَا الْآلُ ظَهَرَ \* إِلَيْكَ كَلَفْنَا السَّنْفَرَ  
 حُوصًا يُجَادِبِنِ النَّظْرُ \* قَدْ انْطَوَتْ مِنْهَا السَّرُّ  
 طَى الْقَرَارَى الْحَبَرُ<sup>(٣)</sup> \* لَمْ تَتَقَعَّدْهَا الطَّيَرُ  
 وَلَا السَّنِيحُ الْمَزْدَجَرُ \* يَافِضُلُ لِلْقَوْمِ الْبَطَرُ  
 إِذْ لَيْسَ فِي النَّاسِ عَصَرُ \* وَلَا مِنْ الْخَوْفِ وَزَرُ  
 وَنَزَلَتْ إِحْدَى الْكُبَرِ \* وَقِيلَ صَمَاءُ الْغَيْرِ  
 فَالنَّاسُ أَبْنَاءُ الْحَدَرِ : \* فَرَجَتْ هَاتِيكَ الْغُمَرُ  
 عَنَّا « وَقَدْ صَابَتْ بَقَرٌ » \* كَالشَّمْسِ فِي شَخْصِ بَشَرِ<sup>(٤)</sup>  
 أَعْيَا مُجَارِيكَ الْخَطَرُ \* أَبُوكَ جَلَى عَنْ مُضَرِ  
 يَوْمَ الرِّوَاقِ الْمُحْتَضَرِ \* وَالْخَوْفُ يَقْفِرِي وَيَذُرُ  
 لَمَّا رَأَى الْأَمْرَ اقْطَرُ<sup>(٥)</sup> \* قَامَ كَرِيمًا فَانْتَصَرِ  
 كَهَزَّةِ الْعَضْبِ الذَّنْكَرِ \* مَا مَسَّ مِنْ شَيْءٍ هَبَرِ<sup>(٦)</sup>

(١) المرنان : القوس . (٢) زمت : شددت ، ومشزور مقتول ، والمرر : جمع مرة وهي قوة الفتل ،

واللائم : الشديد ، والنفر : كسر الدليل . والعرب تشبه الدقيق بالأوتار وحلّاقيم النفران . (٣) القراري : الخياط

(٤) القر : القرار ، يقال إذا وقع الأمر وقعه : صابت بقرو وقعت بقرة . قال طرفة بن العبد البكري :

كنت منهم كالمنطى رأسه \* فأنجلى اليوم غطاني ونهر

سادرا أحسب غبي وشدا \* فتناهيت وقد صابت بقرة

(٥) اشتد . (٦) هبر : قطع .

وَأَنْتَ تَقْتَأُ الْإِثْرَ \* مِنْ ذِي مُجْجُولٍ وَغُرَّرَ  
 مَعِيدٍ وَرَيْدٍ وَصَدَرَ \* وَإِنْ عَلَا الْأَمْرَ أَقْتَدِرُ  
 فَأَيْنَ أَصْحَابُ الْغَمَرِ \* إِذْ شَرَبُوا كَأْسَ الْمِقْرِ<sup>(١)</sup>  
 وَقُصِرُوا فِيمَنْ قُصِرَ \* هِيَا ت لَا يَخْفَى الْقَمَرُ  
 أَصْحَرْتَ إِذْ دَبَّوا الْخَمَرَ \* شَكْرًا ، وَحَرْمًا مِنْ شَكْرِ<sup>(٢)</sup>  
 فَاللَّهُ يُعْطِيكَ الشَّيْبَ \* وَفِي أَعَادِيكَ الظَّفَرُ<sup>(٣)</sup>  
 وَاتَّقِ مَنْ شَاءَ نَصَرَ \* وَأَنْتَ إِنْ خِفْنَا الْحَصَرَ<sup>(٤)</sup>  
 وَهَرَّ دَهْرٌ وَكَثُرَ \* عَنْ نَاجِذِيهِ وَبَسَرَ<sup>(٥)</sup>  
 أَغْنَيْتَ مَا أَغْنَى الْمَطَرُ \* وَفِيكَ أَخْلَاقُ الْيَسَرِ  
 فَانْ أَبَوْا إِلَّا الْعَسَرَ \* أَمَرْتُ حَبَلًا فَاسْتَمَرَّ<sup>(٦)</sup>  
 حَتَّى تَرَى تِلْكَ الزَّمَرَ \* تَهْوِي لِأَذْقَانِ الثَّغَرِ<sup>(٧)</sup>  
 مِنْ جَذْبِ أَلْوَى لَوْ تَرَى \* إِلَيْهِ طَوْدًا لِأَنَّا طَرَّ<sup>(٨)</sup>  
 صَعِبَ إِذَا لَاقَى أَبَرَ \* وَإِنْ هَفَا الْقَوْمُ وَقَرَّ  
 أَوْ رَهَبُوا الْأَمْرَ جَسَرَ \* ثُمَّ تَسَامَى فَفَغَرَ  
 عَنْ شَقِيقٍ ثُمَّ هَدَرَ \* ثُمَّ تَنَاجَى فَخَطَرَ<sup>(٩)</sup>  
 بَذَى سَيْبٍ وَعُذِرَ \* يَمْضِعُ أَطْرَافَ الْوَبَرِ<sup>(١٠)</sup>  
 هَلْ لَكَ وَالْهَلْ خَيْرٌ \* فِيمَنْ إِذَا غَبَتَ حَضَرَ<sup>(١١)</sup>  
 أَوْ نَالِكَ الْقِسْمُ ثَارَ \* وَإِنْ رَأَى خَيْرًا شَكَرَ  
 \* أَوْ كَانَ تَقْصِيرَ عَذَرَ \*

- (١) المقر : المر . (٢) أصحرت : برزت إلى الصحراء . ودبوا الخمر : مشوا مخمفين . والخمر :  
 ما سترك من شجر أو بناء أو نحوه . (٣) الخمر والقوة . (٤) الضيق . (٥) كسر أبدى  
 عن ناجذيه ، وبسر : عيس . (٦) أى أحكمت فتله . (٧) جمع ثغرة وهى نقرة النحر .  
 (٨) الألوى : الشديد الخشونة . (٩) اوجع وانثني . (١٠) السيب : شعر الذنب والعرف  
 والناصية . والعذر جمع عذار . (١١) قصد لئلا هل اللمة نهائية فأدخل عليها الألف واللام .

ولما عمل أبو نواس القصيدة التي أولها : \* ومستعبد إخوانه بثرائه \* بلغت  
الأمين ، فبعث إليه ، وعنده سليمان بن جعفر . فلما دخل عليه قال له : يا عاص بَطْرِ أمه  
العاهرة ، ويا مدعى ولاء حاء وحكم ! أتدري يا بن اللّغناء من توليت والى من ادّعت ؟  
الى الأُم قبيلتين في ايمن ، صُلُوج باغين . أنت تكتسب بشعرك أوساخ أيدى الناس اللثام ،  
وتقول : \* ولا صاحب التاج المحجّب في القصر \* أما والله ما نلت مني شيئاً بعد ذلك  
أبداً ! فقال له سليمان بن أبي جعفر : إى والله ! نعم هو مع هذا من كبار الثنوية (وكان يرمى  
بذلك) ، فقال له محمد الأمين : وهل يشهد عليه شاهد بشيء من ذلك ؟ فأتاه سليمان بعدة  
نفر ، فشهدوا عليه أنه شرب في يوم مطير فوضع قدحه تحت السماء في المطر فوقع فيه  
المطر ، فقالوا له : ما تصنع بذلك ويحك ؟ قال : أتم تزعمون أنه ينزل مع كل قطرة  
ملك ، فكم تراني أشرب من الملائكة ! ثم شرب ما في القدح ، فغضب محمد ، وأمر به  
الى السجن . فذلك قول أبي نواس :

ياربّ إن القوم قد ظلموني \* وبلا اقترافٍ معطيّ حبسوني  
والى الجحود بما عرفت خلافة \* ربّي إليك بكنيتهم نسبوني  
ما كان إلّا الجريّ في ميسدانهم \* في كلّ نحرى والمجانة ديني  
لا العذر يقبل لي ويفرق شاهدي \* منهم ، ولا يرضون حلف يميني  
ما كان — لو يدرون — أول محباً \* في دار متقصّة ومنزل هوين  
أما الأمين فلست أرجو دفعه \* عني ، فن لي اليوم بالمأمون  
فبلغت أبياتهُ المأمون ، فقال : والله لئن لحقته لأغنيته عني لا يؤمّله . فمات قبل دخول  
المأمون بغداد .

لما وصلت الخلافة الى محمد الأمين وولّى الفضل بن الربيع الوزارة ، تفرّغ محمد  
للّهو والصيد والزّهة ، وكان لا يخرج إلّا لصيد أو لزهة . فخرج ذات يوم وقد أمر الجند  
(١) الثنوية أصحاب الاثنين الأزليين وهم الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان ، بخلاف الجوس  
فانهم قالوا بحدوث الظلام .

والقوَادَ فركبوا، ولبس ثيابَه وتقلد سيفه ، وأعدت الحَرَاقَات والزَّلَاجَاتُ في دِجَلَه ؛ فقال له اسماعيلُ بنُ صُبَيْحٍ - وكان كاتبَ سرِّه - : يا أمير المؤمنين ان قوَادَكَ وجنَدَكَ وعامةَ رعيتِكَ قد خُبَّتْ نفوسُهُم ، وساءت ظنونُهُم ، وكبرَ عندهم ما يرون من احتجَابِكَ عنهم ، فلو جلستَ لهم ساعة من نهار فدخلوا عليك ! فإن في ذلك تسكيناً لهم ومراجعة لآمالهم ! فجلس في مجاسه وأذن للناس عامةً فدخلوا على مراتبهم ومنازلهم ، وقام الخطباء فخطبوا ، والشعراء فأنشدوا ، فلم يكن أحد منهم يتعدى الى الاطناب والتطويل ، الا أمر بالسكوت ومنع من القول .

وقام فيمن قام أبو نواس ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هؤلاء الشعراء أهل حَجَرٍ ومَدَر ، ولابل ووصفٍ للبقر وبيوت الشَّعر ، قد جَفَّتْ أَلْفَاظُهُم ، وغُلِظَتْ معانيهم ، ليس لهم بَصَرٌ بمدح الخلفاء ونسب مكارمهم ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى في إنشاده فليفعل ، فأذن له فأنشده :

أيا ذارِها بالماء حتى تُلِينَهَا \* فلن تُكرم الصَّهْبَاءَ حتى تُهِنَهَا  
أُغَالِي بها حتى اذا ما ملكْتُهَا \* أهنتُ لإكرام الخليل مَصُونَهَا  
وصفراء قبل المَرْج بيضاء بعده \* كأن شعاع الشمس يلقاك دونَهَا  
ترى العين تستعفيك من المعانِهَا \* وتُخسر حتى ما تُقِلَّ جفونَهَا  
نُزوعُ بنفس المرء عما يَسُوهُ \* ويُحْذِلُهُ ألا يزالَ قَرِينَهَا  
كأن يواقيتا رواكُدَ حولَهَا \* وزرَقَ سَنَائِيرَ تدير عُيونَهَا  
وشُمَّطَاءَ حلَّ الدهرُ منها بَحْوَةً \* دلفتُ اليها فاستلَّتْ جَبِينَهَا  
كأنَا حُلُولٌ بين أكتافِ روضةٍ \* اذا ما سلَبْنَاهَا مع الليل طِينَهَا

الى أن أكمل القصيدة . فقال له محمد : ألم أُنهَكَ عن شرب الخمر ! قال : بلى يا أمير المؤمنين ، والله ما شربتها منذ نهيتني عنها ومنعتني من شربها ، وأنا الذى أقول :

(١) الحراقات : ضرب من السفن فيها مراى نيران يرى بها العدو في البحر .

أيها الرائحان باللوم لوما \* لا أذوق المدام إلا شميمًا  
 نالني بالسلام فيها إمام \* لا أرى لي خلافه مستقيمًا  
 فاصرفها إلى يسوأي فإني \* لست إلا على الحديث نديمًا  
 كبرحظي منها إذا هي دارت \* أن أراها وأن أشم النسيما  
 فكأنني وما أزيّن منها \* قعدي يحسن التحكيما<sup>(١)</sup>  
 كل عن حملة السلاح إلى الحر \* ب فأوصي المطيع ألا يقيمًا

فتبسم محمد، وقال له : أحسنت ! وقام بعض الشعراء فأنشد :

ترقى في فضائله الامين \* وزايله المشاكل والقرين  
 وأورق زهرة التقوى وعزّت \* خلافته وصدقت الظنون  
 تمس منابر الخلفاء منه \* يد بخلاف طاعتها المنون  
 يخاف الخوف صولته ويرجو \* نداه الجود فهو له خدين

فقال عتدة ممن حضر : قد أوجز وأجاد، أكرم الله أمير المؤمنين ! فقال أبو نواس : أشعر  
 منه يا أمير المؤمنين الذي يقول :

ألا يا خير من رأيت العيون \* نظيرك لا يحس ولا يكون  
 وفضلك لا يحسد ولا يجارى \* ولا تحوى حيازته الظنون  
 فأنت تسبح وحدك لا شبيه \* نحاشيه عليك ولا خدين  
 خلقت بلا مثاكلة لشيء \* فأنت الفوق والثقلان دون  
 كأن الملك لم يك قبل شيئاً \* إلى أن قام بالملك الامين

قال : ففضله محمد وأحسن جائزته . ويقال : إنه قالها بديها .

(١) القعدي من الخوارج : الذي يرى رأى القعدة الذين يرون التحكيم حقا ، غير أنهم قعدوا عن الخروج

على الناس .

ثم نهض محمد من مجلسه ذلك ، فركب الحرّاقة إلى الشّامسيّة ، واصطفّت له الخيل وعليها الرجال على شاطئ دجلة ، وحملت معه المطايح والخزائن . وكان ركوبه حرّاقة<sup>(١)</sup> على مثال الأسد . فما رأى الناس منظراً كان أبهى ولا مسيراً كان أحسن من ذلك المنظر والمسير . وركب أبو نواس معه يومئذ وهو ينادمه ، فقال :

يسخر الله للأمين مطايا \* لم تسخر لصاحب المحراب<sup>(٢)</sup>  
 فإذا ما ركابه سرنَ بجراً \* سار في الماء راجماً ليث غاب  
 أسداً باسطاً ذراعيه يعدو \* أهرت الشّدق<sup>(٣)</sup> كلح الأنياب  
 لا يعانیه بالّجام ولا السّو \* ط ولا غمز رجله في الرّكاب  
 تحجب الناس إذ رأوك على صو \* رة ليت تمرّ مرّ السحاب  
 سبّحوا إذ رأوك سرت عليه \* كيف لو أبصرك فوق العقاب  
 ذات زور ومنسّر وجناح \* بين تشقّ العباب بعد العباب  
 تسبق الطير في السماء إذا ما اس \* تعجلوها بجيئة وذهاب  
 بارك الله للأمين وأبقا \* ه وأبق له رداء الشّباب  
 ملك تقصّر المدايح عنه \* هاميّ موفّق للصواب

ويقال : ان هذا الشعر قاله أبو نواس في محمد ، وقد ركب حرّاقته الدّافين ، فقال له شيخ إلى جانبه : اتق الله يا هذا ! فقال له أبو نواس : يا شيخ ، إن الله لم يسخر لصاحب المحراب الدّافين ، وقد سخر له ما هو خير من الدافين ، فأى شيء تنكر من هذا ؟

قال ابن حبيب : كنت مع مؤنس بن عِمْران ، ونحن نريد الفضل بن الربيع ببغداد ، فقال مؤنس : لو دخلنا على أبي نواس في السجن فسلمنا عليه ! ففعلنا ، فقال أبو نواس

(١) وذلك أنه كان للأمين ثلاث من السفن المعروفة بالحرّاقات لركوبه خاصة ، وهي الليث والعقاب

والدافين . (٢) صاحب المحراب هو سليمان بن داود نابه السلام لأنه بنى بيت المقدس .

(٣) أهرت الشّدق : واسعه . وكلح الأنياب : كثرتها .



لمؤنس: أين تريد؟ فقال: أريد أبا العباس الفضل بن الربيع، قال فبلغه رقعة أعطيكها؛ قال: نعم، فأعطاه رقعة فيها:

ما من يد في الناس واجدة \* كيد أبو العباس مولاها  
نام البغاة على مضاجعهم \* وسرى الى نفسى فأحياها  
قد كنت خفتك ثم أمنتى \* من أن أخافك خوفاً الله  
فعفوت عني عفواً مستدر \* وجبت له نقسم فألغاها

فكانت هذه الأبيات سبب خروجه من السجن .

انصرف أبو نواس من بعض المواخير سكران، فمر بمسجد قد حضرت فيه الصلاة، فدخل فقام في الصف الأول؛ فقرأ الأمام: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فقال أبو نواس من خلفه: لبيك؛ فلما قضيت الصلاة لبّوه وقالوا له: يا كافر تشهد عليك بالكفر ودفعوه. فبلغ خبره الرشيد، فدعا له حمدويه صاحب الزندقة، وأحضر أبا نواس فقال له حمدويه: يا أمير المؤمنين، إن هذا ماجن، وليس هو بحيث يُظن؛ فقال له الرشيد: ويحك! إنه وقع في نفسى منه شيء، فامتنحه. قال: خُطُّ له صورة ماني، وقال له: ابصق عليها؛ فاهوى أبو نواس بفيه ليقى عليها؛ فقال له حمدويه: قد قلت لك يا أمير المؤمنين إنه ماجن. قال: ودعا برجل من الزنادقة مشهور، وقال له: ابصق عليها؛ فقال: وما معنى البصاق! إنه من أخلاق الشرك ولا أفعله، وأبى أن يفعل. فقال الرشيد لبعض خدام القصر: امض بهذا (يعنى أبا نواس) الى السندی، فقل له: أذبه وأطلقه،

(١) لبوه: أخذوا بلبه، وهو موضع القلادة في الصدر. (٢) هو ماني بن فاتك الحكيم، الذي ظهر في زمن سابور ذي الاستخاف بن أردشير، وقتله بهرام بن هرم بن سابور، وذلك بعد عيسى عليه السلام. اتخذ له ديناً بين المجوسية والنصرانية. وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام. حكى محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى الوراق، وكان في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم، أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين: أحدهما نور والأخر ظلمة، وأنهما أزيلان لم يزلان وإن يزالا، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم، وأنهما لا يزالان قوتين حساستين سميعتين بصيرتين، وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادتان، وفي الحيز متحاذيتان تتحاذى الشخص والظل. (انظر الملل والنحل للشهرستاني)

وبهذا (يعنى الزنديق) فقل له : احبسك قبلك الى أن تستتيبه ، فان تاب وإلا قتلناه .  
قال : فمضى بهما الخادم ، فلما صار في آخر الصحن ، قال أبو نواس للخادم : الى أين  
تذهب بنا ؟ قال : الى السندی ؛ قال : فما تقول له ؟ قال : أقول له : يحبسك قبلك  
حتى تستتاب أو تقتل ، ويؤدب هذا ويطلقه . قال : فرجع أبو نواس يده ولطمه ، وقال  
له : يابن الزانية ، من الساعة نسيت ! . وبصر بهم الرشيد ، فقال : ردوهم ؛ فقال  
لأبي نواس : ما هذا الذي رأيت منك ؟ قال : أراد والله أن يهلكني ويطرحني بحيث  
أنسى أبدا أو أبقى مخلدا ، سألته يا أمير المؤمنين عن الرسالة ، فاذا هو قد غيرها ؛ فضحك  
من أبي نواس وأطلقه .

قال رُزَيْن الكاتب : اجتمعنا يوما أنا وأبو نواس وعلي بن الخليل في سوق الكرخ ،  
وكنا نجتمع ونتناشد الأشعار ونتذاكر الأخبار ونحدث بها . فقال أبو نواس : أدبر من  
كان في نفسي وكان أسرع الخلق في طاعتي ، فما أدري ما أحتال له ؟ فقال علي بن الخليل  
بمازحه : يا أبا علي ، سل شيخك وأستاذك يعطفه عليك ؛ فقال له أبو نواس : من تعني ؟  
قال : من أنت في طاعته ليلك ونهارك (يعنى ابليس) فان لم يقض لك هذه الحاجة ،  
فما ينبغي لك أن تسأله مسألة ولا أن تقر عينه بمعصية ؛ فقال : هو أسد لأبيه من أن يحل  
بي أو يحذلني ؛ وانقضى مجلسنا ذلك . فلما كان بعد أيام اجتمعنا في ذلك الموضع ، وأخذنا  
في أحاديثنا ، فضحك أبو نواس ؛ فقلنا له : ما أضحكك ؟ فقال : ذكرت قول علي بن  
الخليل يومئذ : سل شيخك يعطفه عليك . حينئذ قد سأله يا أبا الحسن فقضى الحاجة ،  
وما مضت والله الثالثة حتى أتاني من غير أن أبعث إليه ومن غير أن أستريه ، فعاتبني  
واسترضاني ، وكان الغضب منه والتجني ، وأحسب الشيخ (يعنى ابليس) كان يتسمع علينا  
في وقت كلامنا ؛ وقد قلت أبياتا في ذلك ؛ فقلنا : هاتهما ، فأشد :

لما جفاني الحبيب وامتنعت : عني الرسالات منه والخبر  
واشتد شوقي فكاد يقتلني .. ذكر حبيبي والهـم والنـيـكـر

دعوتُ إبليسَ ثم قلتُ له \* في خلوةِ والدموع تتحدر:  
 أما ترى كيف قد يلبتُ وقد \* أقرح جفني البكاء والسهر؟  
 إن أنت لم تلقِ لي المودة في \* صدر حبيبي وأنت مقتدر  
 لا قلتُ شعرا ولا سمعتُ غنا \* ولا جرى في مفاصلي السكر  
 ولا أزال القرآنَ أدرسه \* أروح في درسه وأبتكر  
 وألزم الصوم والصلاة ولا \* أزال دهرى بالخير آتمر  
 فما مضت بعد ذاك ثلاثة \* حتى أتاني الحبيب يعتذر  
 ويطلب الودَّ والوصالَ على \* أفضل ما كان قبل يهجر  
 فيألفها منةً لقد عظمت \* عندي لإبليس ما لها خطر

(١)

لما قَدِم أبو نواس على الخَصِيب بمصر أذن له وعنده جماعة من الشعراء فاستنشدته ، فقال له : هنا جماعة من الشعراء هم أقدم مني وأسنّ ، فأذن لهم في الإنشاد ، فان كان شعري نظير أشعارهم أنشدتُ وإلا أمسكتُ ، فاستنشدهم الخَصِيبُ ، فأنشدوا مديحا في الخَصِيبِ ، فلم تكن أشعارهم مقاربةً لشعر أبي نواس ، فتبسّم أبو نواس ثم قال : أنشدك أيها الأمير قصيدةً هي بمنزلة عصا موسى لتلقّف ما يافِكُون؟ قال هات ، فأنشدته قصيدته التي أولها :  
 أجارة بليتينا أبوك غيُور \* وميسور ما يرجي لديك عسير  
 حتى أتى على آخرها ، فانفضّ الشعراء من حوله .

(٢)

ويقال : إن أبا نواس كان خرج الى مصر في زِيّ الشُّطَار وتقطيعهم بطرّة قد صَفَفَها وُكَّين واسعين وذيل مجرور ونعل مطبق ، وكان خروجه مع سليمان بن أبي سهل ، فلما دخل على الخَصِيب بهذه الصورة ازدراه واستخفّ به ، وكان تُورد عليه كتبُ الحِلّةِ ممن

(١) هو الخَصِيب بن عبد الحميد العجمي أمير مصر على الخراج . وإليه تنسب منية الخَصِيب بالوجه القليل وليس بابن صاحب نهر أبي الخَصِيب ، ذلك عبد للتصور يقال له مرزوق . وكان هذا رئيسا في أراضيه .  
 فانتقل الى بغداد وصار كاتب مهرويه الرازي ، ثم انتقل الى الامارة .

(٢) الشُّطَار : جمع شاطر وهو من أعيان أهله خبيثا .

يباب السلطان، ووردت كتب أبي نواس فيها فقرأها ولم يستنشد، فانصرف مهموما .

وجاءه أهل الأدب فاستمعوا شعره وكتبوه وأنشدوه للخصيب؛ فاستحضره فأشده :

أجارةً بَيْتِنَا أبوك غيورٌ \* وميسورٌ ما يُرجى لديك عسيرٌ  
فان كنتِ لا خِلمًا ولا أنت زوجةٌ \* فلا برحتِ دوني عليك سُتورٌ<sup>(١)</sup>  
وجاورتُ قوما لا تراورَ بينهم \* ولا وصلَ إلا أن يكون سُورٌ  
فما أنا بالمشغوفِ ضربةً لازِپ \* ولا كلُّ سلطانٍ على قديرٍ  
وأتى لَطَرفَ العينِ بالعينِ زاجرٌ \* فقد كدتُ لا يخفى على ضميرٍ  
كما نظرتُ والريحُ ساكنةٌ لها \* عقابٌ بأرساغِ اليدينِ ندورٌ<sup>(٢)</sup>  
طوتُ ليلتينِ القوتَ عن ذى ضرورةٍ \* أزيغِبَ لم ينبتَ عليه شكيرٌ<sup>(٣)</sup>  
فأوفتُ على علياءٍ حينَ بدا لها \* من الشمسِ قرنٌ والضربُ يمورٌ<sup>(٤)</sup>  
تقلبُ طرفًا في حجاجي مغارةٍ \* من الرأسِ لم يدخلَ عليه دُرورٌ<sup>(٥)</sup>

ولما قال أبو نواس :

تقول التي من بيتها خَفَّ مركبي : \* عزيزٌ علينا أن نراك تسيرُ  
أما دونَ مصيرٍ للغنى متطلبٌ ؟ \* بلى إن أسبابَ الغنى لكثيرُ  
فقلتُ لها واستعجلتها بوادرٌ \* جرتُ بَحْرَى في بحرٍ من غيرِ  
ذريني أكثرَ حاسديك برحالةٍ \* إلى بلادٍ فيه الخصبُ أميرُ

قال له الخصيب : إذا يكثرُ حسادها وتبلغ أملها، وأمر له بألف دينار .

(١) الخلم : الصديق . (٢) الندور : خروج العظم من موضعه أو زواله وفي البيت من سوء التركيب ما فيه ، والتقدير فيه كما نظرت عقاب لها بأرساغ اليدين ندور والريح ساكنة . (٣) أزيغِب تصغير أزعِب وهو الفرخ ذو الزغب أى الريش الدقيق اللين . والشكير : الريش أوّل ما ينبت . (٤) الضريب : الثلج أو الجليد . ويمور : يهتوك أو يجيى ، ويذهب أو يسيل عل وجه الأرض . (٥) المحاجان مثنى حجاج وهو العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب . والندور : ما يذود في العين من الدواء .

وتماها :

اذا لم تَزُرْ أرضَ الخصبِ ركبنا \* فأيّ فتيّ بعدَ الخصبِ تزور !  
 فما جازه جودٌ ولا حلّ دونه \* ولكن يصير الجودُ حيث يصير  
 فتيّ يشتري حسنَ الثناء بماله \* ويعلم أن الدائراتِ تدورُ  
 ولم ترعني سوددًا مثلَ سوددٍ \* يحلّ أبو نصرٍ به ويسير  
 وأطرق حَيّاتِ البلادِ لحيّة \* خصيبةً التصميم حين تسور<sup>(١)</sup>  
 سموت لأهل الجور في حال أمنهم \* فأضحوا وكلّ في الوثاقِ أسير  
 اذا قام غنته على الساقِ حليّة \* لها خطوه عند القيام قصير  
 فمن يك أمسى جاهلاً بمقالتي \* فان أمير المؤمنين خير<sup>(٢)</sup>  
 فما زلتُ توليه النصيحةَ يافعا \* الى أن بدا في العارضين قدير  
 إذا غاله أمرٌ فإتما كفتيه \* وإما عليه بالكفاءِ تُشير  
 إليك رمت بالقوم هوج كائنا \* جاجها تحت الرّحال قبور  
 رحلنا بنا من عقرقوف<sup>(٣)</sup> وقد بدا \* من الصبح مفتوق الأديم شهير  
 فما نجدت بالماء حتى رأيتها<sup>(٤)</sup> \* مع الشمس في عيني أباغ تغور  
 وعُمرن من ماء النقيب بشربة \* وقد حان من ديك الصباح زمير  
 ووافين إشرافا كائس تدمي \* وهنّ الى رعن المدخن صور<sup>(٥)</sup>  
 يؤمن أهل الغوطتين كائنا \* لها عند أهل الغوطتين ثور  
 وأصبحن بالجلولان يرصحن<sup>(٦)</sup> صخرها \* ولم يبق من أجراحهن شطور  
 وقاسين ليلا دون يسان لم يكد \* سنا صبحه للناظرين ينير<sup>(٧)</sup>  
 وأصبحن قد فوزن من نهر فطرس \* وهنّ عن البيت المقدس زور

(١) تسور : تثب . (٢) القنبر : الشيب . (٣) عقرقوف : اسم موضع .

(٤) نجدت : عرفت .

(٥) صور : مائلات . (٦) يرصحن : يكسرن . (٧) زور : جمع زوراء بمعنى مائلة .

طوالب بالركبان غرة هاشم \* وفي القَرَمَا من حاجهن شُقُور<sup>(١)</sup>  
ولما أتت فسطاط مصر أجارها \* على ركبها أن لا تزال مجير  
من القوم بَسَامُ كَأَن جينَه \* سَنَا الفَجْرِ يَسِرُ ضَوْءُهُ وَيُنِيرُ  
زها بالخصيب السيف والرحم في الوغى \* وفي السَّلم يزهو مَبْرُوسِ رِيرُ  
جواد إذا الأيدي كففت عن الندى \* ومن دون عورات النساء غيورُ  
له سَلَفٌ في الأعجمين كأنهم \* إذا استؤذنوا يوم السلام بدورُ  
ولائي جدير إذ بلغتك بالمني \* وأنت بما أملت منك جديرُ  
فان تولني منك الجيل فأهله \* وإلا فإني عاذرٌ وشكُورُ

وقال يمدح العباس بن الفضل بن الربيع وأجاد :

ساد الملوك ثلاثة ما منهم \* إن حصّلوا إلا أغرّ قريعُ  
ساد الربيع رساد فضل بعده \* وعلت بعبّاس الكريم فروغُ  
عبّاسُ عباس إذا احتدم الوغى \* والفضل فضلُ والربيع ربيعُ

وقال يعاتب عُمر الورّاق :

يا من جفاني وملاً \* نسيت أهلاً وسهلاً  
ومات مرحبُ لما \* رأيت مالى قلاً  
اني أظنك تحيى \* فيما فعلت القِرْلَى<sup>(٢)</sup>  
تلقاه في الشرّينائى \* وفي الرخا يتدلّى

وله في عزة النفس :

ومستعبد إخوانه يثرائه \* لبست له كبراً أبرّ على الكبر  
إذا ضمّني يوماً وإياه محفّل \* يرى جانبي وعُراً يزيد على الوعر

(١) جمع شقر وهو الأمر المتصق بالقلب المهم له .

(٢) القِرْلَى : كان لخير وكان لا يسمع لأحد شيئاً إلا جاء اليه ودخله ولا يتخلف عن طعام لأحد ، وإذا سمع

بخصومة لم يقرب ذلك ، فضرب به المثل حتى قيل لطير من طيور الماء يوفى عليه : القِرْلَى .

أخالفه في شكله وأجره \* على المنطق المبرور والنظر الشمر  
وقد زادني تيمًا على الناس أني \* أرايَ أغناهم وإن كنتُ ذا فقر  
فوالله لا يُبدي لسانِي بلِجاجةً \* إلى أحد حتى أُغيب في قبرى  
فلا يطمعن في ذلك مني طامعٌ \* ولا صاحبُ التاج المحجب في القصر  
فلو لم أَرثُ نَفَرًا لكانت صياتي \* عن الناس حسبي من سؤالي من الفخر  
دخل أبو نواس بعد ما نسك على قوم من إخوانه عندهم شرابٌ ومغنٌ، فعرضوا عليه  
الجلوس فأبى، وأخذ الدواة والقرطاس وكتب :

إذا لم تنه نفسك عن هواها \* وتحسن صونها فإليك عني  
فإني قد شيعت من المعاصي \* ومن إدامتها وشيعن مني  
ومن أسوا وأقبح من لبيبٍ \* يرى متطنزا في مثل سني

ومن شعر أبي نواس :

عني المصلي وأقوت الكُثْبُ \* مني فالمربدان فاللهب  
منازلٌ قد عمريتها يفعًا \* حتى بدا في عذارى الشهب  
في فتية كالسيوف هزهم \* شرخ شباب وزاتهم أدب  
ثم أراب الزمان فانقسموا \* أيدي سبًا في البلاد فانشعبوا  
لن يخلف الدهر مثاهم أبداً \* على هيات شأنهم عجب  
لما تيقنت أن روحهم \* ليس لها ما حييت منقلب  
أبليت صبرا لم يئله أحد \* واقتسمتني مارب شعب  
لذلك أتى إذا رزئت أخا \* فليس بيني وبينه نسب  
قطربل مربعي ولي بقري الـ \* كرخ مصيف وأمي العنب  
ترضعني درها وتلحفني \* بطلها والهجير يلتب  
إذا تلتته الفصون جالني \* فينان<sup>(١)</sup> ما في أديمه جرب

(١) الفيان : الظل الكثيف ، والحرب ، أي لا خال فيه .

تَبَيَّتْ فِي مَاتِم حَائِمِهِ \* كَمَا تَرَأَى الْفَوَاقِدُ السُّلْبُ  
يُهْبُ شَوْقِي وَشَوْقُهُن مَعَا \* كَأَنَّمَا يَسْتَحِفُّنَا الطَّرْبُ  
فَقَمْتُ أَحْبُوَالِي الرِّضَاعِ كَمَا \* تَحَامِلُ الْوَلَدُ مَسَّهُ السَّغَبُ  
حَتَّى تَخِيرْتُ بِنْتَ دَسَكْرَةٍ \* قَدْ عَجَمَتْهَا السَّنُونُ وَالْحَقَبُ  
هَتَكْتُ عَنْهَا وَاللَّيْلُ مَعْتَكُرٌ \* مَهْلَهُ النَّسِجُ مَا لَهُ هُدْبُ  
مَنْ نَسِجَ خَرْقَاءَ لَا تُشَدُّهَا \* أَحْيَاةُ فِي السَّرَى وَلَا طُنْبُ  
ثُمَّ تَوَجَّاتُ خَضَرَهَا بِشَبَا الْ \* يَأْشُقِي بِفَاءَتْ كَأَنَّهَا لَهَبُ  
فَاسْتَوْسَقَ الشَّرْبُ لِلنَّدَامِ وَأَج \* رَاهَا عَلَيْنَا الْخَيْرُ وَالْغَرْبُ (١)  
أَقُولُ لِمَا تَحَاكِيَا شَبَهَا \* أَيُّهَا لِلتَّشَابُهِ الذَّهَبُ  
هِيَ سَوَاءٌ وَفَرَّقُ بَيْنَهُمَا \* أَنَّهُمَا جَامِدٌ وَمَنْسِكِبُ  
مُسَّ وَأَمَّا هِيَ مُحْفَرَةٌ \* صُورُ فِيهَا الْقُسُوسُ وَالصُّلْبُ  
يَتَلَوْنَ لِأَجْلِهِمْ وَقَوْفُهُمْ \* سَمَاءٌ نَحْمِرُ نَجْمُومَهَا حَبُّ  
كَأَنَّهَا لَوْلَوْ تَبَدَّدَهُ \* أَيْدِي عَذَارَى أَفْضَى بِهَا اللَّعْبُ

ومن جيد شعره قوله لما منعه الأيمن من شرب الخمر، وذلك أن المأمون أمر الخطباء  
بخراسان أن يعيَّبُوا الأيمنَ بشعر أبي نواس ويقولوا هو جليسه ونديمه وينشدوا على المنابر  
شعره، ففعله الأيمن فقال :

غَنَّا بِالطَّلُولِ كَيْفَ بَلَيْنَا \* وَأَسْقِنَا نُعْطِكَ الثَّنَاءَ الثَمِينَا  
مَنْ سَلَّافٍ كَأَنَّهُ كُلُّ طَيْبٍ \* يَتَنَقَّى مَخْبَرُ أَنْ يَكُونَا  
أَكَلَ الدَّهْرُ مَا تَجَسَّمُ مِنْهَا \* وَتَبَقَّى لُبَّهَا الْمَكُونَا  
ثُمَّ شَجَّتْ فَاسْتَضَحَكَتْ عَنْ لَالٍ \* لَوْ تَجَعَّلَ فِي يَدٍ لَأَقْتَنِينَا  
وَإِذَا مَا لَمَسَتْهَا فَهَبَاءٌ \* تَمْنَعُ الْكَفَّ مَا يُبَيِّحُ الْعِيُونَا



فِي كُؤُوسٍ كَأَنَّهُنَّ بُحُومٌ \* جَارِيَاتٌ بَرُوجُهُا أَيْدِينَا  
 طَالَعَاتٌ مِنَ السُّقَاةِ عَلَيْنَا \* فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا  
 لَوِ تَرَى الشَّرْبَ حَوْلَهَا مِنْ بَعِيدٍ \* قُلْتَ قَوْمٌ مِنْ قِرَّةٍ يَصْطَلُونَا  
 وَغَزَايَ يُدِيرُهَا بَنَاتُ \* نَاعِمَاتٍ يَزِدُّهَا الْعُسْرُ لِينَا  
 ذَاكَ عَيْشٌ لَوْ دَامَ لِي غَيْرَ أَتَى \* عِفَّتُهُ مَكْرَهَا وَخِفَّتُ الْإِيمِنَا  
 أَدِرِ الْكَأْسَ حَانَ أَنْ تَسْقِينَا \* وَأَنْقَرِ الْعُودَ إِنَّهُ يُلْهِمُنَا  
 وَدَعِ الذِّكْرَ لِلطَّلُوبِ إِذَا مَا \* دَارَتِ الْكَأْسُ يَمْسِرَةً وَيَمِينَنَا

ومن قول أبي نواس يمدح العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر :

غَرَّدَ الدِّيكُ الصَّدُوحُ \* فَاسْقِنِي طَابَ الصَّبُوحُ  
 اسْقِنِي حَتَّى تَرَانِي \* حَسَنًا عِنْدِي الْقَبِيحُ  
 قَهْوَةٌ تَذَكَّرُ نَوْحًا \* حِينَ شَادَ الْفَلَكَ نَوْحُ  
 نَحْنُ نُخَفِّئُهَا وَيَأْتِي \* طَيْبٌ عَرَفَ فِيْفُوحُ  
 فَكَأَنَّ الْقَوْمَ نُهْمِي \* يَنْهَمُ مَسْكَ ذَيْبِخُ  
 أَنَا فِي دُنْيَا مِنَ الْعَبِ \* لَسَ أَغْدُو وَأَرْوَحُ  
 هَاشِمِيَّ عَبْدِي \* عِنْدَهُ يَغْلُو الْمَدِيحُ  
 عَلَّمَ الْجُودَ كِتَابٌ \* بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَلُوحُ  
 كُلُّ جَوٍّ يَا أَمِيرِي \* مَا خَلَا جُودَكَ رِيحُ  
 إِنَّمَا أَنْتَ عَطَايَا \* أَبَدَا مَا تَسْتَرِيحُ  
 بَحَّ صَوْتُ الْمَاءِ مِمَّا \* مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ  
 مَا لِهَذَا أَحَدٌ فَو \* قَى يَدَيْهِ أَوْ نَصِيحُ  
 جُدْتَ بِالْأَمْوَالِ حَقِّي \* قِيلَ مَا هَذَا صَحِيحُ  
 فَهُوَ بِالْمَالِ جَوَادٌ \* وَهُوَ بِالْعِرْضِ شَيْخُ  
 صُورَ الْجُودِ مَثَالًا \* وَلَهُ الْعَبَاسُ رُوحُ

قال محمد بن عيينة : لقيت أبا نواس بعسكرٍ مُكرَّمٍ فقلت له : أحبُّ أن تُلشدني من شعركَ شيئاً تَضَنُّ به على غيري ، فأُلشدني :

يَكْفِي الكَرِيمَ مِنَ الكَلَا \* مِمنْ يَحَادِثُهُ أَقْلُهُ  
والشَّيْءُ شَيْءٌ لَمْ يَزَلْ \* بِأَدَقِّهِ يَأْتِي أَجَلُهُ  
إِنْ لَمْ يُصْبَحْ مِنَ الكَرِيمِ \* مِمنْ الحُرِّ وَابِلُهُ فَطَلُّهُ  
يُبْدِي مَكَارِمَهُ كَمَا \* يُبْدِي فِرْنَدَ السَّيْفِ سَلُّهُ  
وَالنَّذْلُ يُوقِعُ نَفْسَهُ \* مَتَعَمِّدًا فِيمَا يُذِلُّهُ  
وَالْحُرُّ يَكْرِمُ نَفْسَهُ :: بِالصَّفْحِ عَمَّنْ لَا يُجِئُهُ

وقال أبو نواس يمدح الأمين :

صَبِيتُ عَلَى الأَمِينِ ثِيَابَ مَدْحِي :: فَكَلَّ النَّاسَ حَسَنَ وَاسْتِجَادَا  
وَلَوْلَا فَضْلُهُ مَا جَادَ شِعْرِي :: وَلَا أَعْطَيْتَنِي الْفِطْنَ الْقِيَادَا  
وَقَالُوا قَدْ أَجَدْتَ فَقُلْتُ إِنِّي :: وَجَدْتُ الْقَوْلَ يُمْكِنُنِي بِفَادَا

ومن نغمياته :

ذَكَرَ الصُّبُوحَ بُسْحَرَةً فَأَرَاتُهَا : وَأَمْسَلَهُ دِيكَ الصَّبَاحِ صَبَاحَا  
أَوْفَى عَلَى شَرَفِ الْجِدَارِ بُسْدَقَةً \* غَرْدًا يَصْفُقُ بِالْجَنَاحِ جَنَاحَا  
فَادِرْ صَبَاحَكَ بِالصُّبُوحِ وَلَا تَكُنْ \* كَسُوفَيْنِ غَدَاؤَا عَلَيْكَ شَحَا  
إِنْ الصُّبُوحَ جَلَاءَ كُلِّ نَجْمٍ :: بَدَرْتُ يَدَاهُ بِكَأْسِهِ الْإِصْبَاحَا  
وَحَدِيثَ لَذَاتِ مَعَالٍ صَاحِبٍ : تَقَنَّنَتْ مِنْهُ فَكَاهَةٌ وَمَزَاحَا  
نَهَيْتُهُ وَاللَّيْلُ مَلْتَبَسٌ بِهِ :: وَأَزْحَتْ عَنْهُ نَعَاسُهُ فَازَاحَا  
قَالَ ابْنِي الْمَصْبَاحَ ، قُلْتُ لَهُ أَتَيْتُ :: حَسَنِي وَحَسْبُكَ ضَوْؤُهَا صَبَاحَا  
فَسَكَبْتُ مِنْهَا فِي الزَّجَاجَةِ شَرْبَةً \* كَانَتْ لَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحَا

من قهوة جاءتك قبل مزاجها \* عطلاً فألبسها المزاج وشاحاً :  
 شك الزل فؤادها فكأنها \* أهتدت إليك بريحتها تفاعاً  
 صفراء تفرس النفوس فلا ترى \* منها بهن سوى السبات جراحاً  
 ومنها :

لا تبك ليلي ولا تطرب الى هند \* وأشرب على الورد من حراء كالورد  
 كأساً اذا انحدرت في حلق شاربها \* أجدته حمرتها في العين والحد  
 فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة \* من كف لؤلؤة مشوقة القصد  
 تسقيك من طرفها نحرًا ومن يدها \* نحرًا فما لك من سكرين من بد  
 لي نشوتان وللنذمان واحدة \* شيء خُصصت به من دونهم وحدي  
 كان الأصمعي يفضل أبا نواس على شعراء زمانه بهذه القصيدة :

أما ترى الشمس حلت الحلا \* وطاب وقت الزمان واعتدلا  
 وغنت الطير بعد عجمتها \* واستوفت النجر حورها ككلا  
 واكتست الأرض من زخارفها \* وشي ثياب تخاله حلالا  
 فاشرب على جدّة الزمان فقد \* أصبح وجه الزمان مقبلا  
 من قهوة تذهب الهموم فلا \* أرهب فيها الملام والعذلا  
 كرخية ترك الطويل من العيد \* ش قصيرا وتبسّط الأمل  
 تلمع لمع السراب في قدح الـ \* قوم اذا ما حبابها اتصلا  
 يقول صرف اذا مزجت له \* من لم يكن للكثير احتملا  
 فسق هذا بقدر طاقته \* وأحمل على ذا بقدر ما احتملا  
 عجمنا بشيئين من طبائعها \* حسن وطيب ترى به المشلا

كان أبو نواس لا يُستَنشد شيئاً من شعره إلا أنشد هذه القصيدة :

وَحَيْمَةَ نَاطُورٍ بِرَأْسِ مُنْفَةٍ \* تَهْمُ يَدَا مَنْ رَامَهَا بِزَلِيلِ (٢)  
 إِذَا عَارَضَتْهَا الشَّمْسُ فَأَظْلَامُهَا \* وَإِنْ وَاجَهَتْهَا آذَنْتُ بِدُخُوبِ  
 حَطَطْنَا بِهَا الْأَثْقَالَ فَلِ هَيْبَةٍ (٣) \* عَبُورِيَّةٌ تُدَكِّي بَغِيرَ فَيْتِيلِ  
 تَأْتَتْ فَلَيْلًا ثُمَّ فَاءَتْ بِمَذَقَةٍ (٤) \* مِنْ الظِّلِّ فِي رَثِّ الْأَبَاءِ ضَيْلِ  
 كَأَنَّا لَدَيْهَا بَيْنَ عِطْفِي نَعَامَةٍ \* جَفَا زَوْرُهَا عَنْ مَبْرِكٍ وَمَقِيلِ  
 حَلَبْتُ لِأَصْحَابِي بِهَا دِرَّةَ الصَّبَا \* بَعْضُهَا مِنْ مَاءِ الْكُرُومِ شُمُوبِ  
 إِذَا مَا أَتَتْ دُونَ اللَّهَامَةِ مِنَ الْفَتَى \* دَعَا هُمُّهُ مِنْ صَدْرِهِ بِرَحِيلِ  
 فَلَمَّا تَوَقَّى الشَّمْسَ جَنَحَ مِنَ الدُّجَى \* تَصَابَيْتُ وَأَسْتَجَمَلْتُ غَيْرَ جَمِيلِ  
 وَعَاطَيْتُ مَنْ أَهْوَى الْحَدِيثَ كَمَا بَدَا \* وَذَلَلْتُ صَعْبًا كَانَ غَيْرَ ذَلِيلِ  
 فَعَنِّي وَقَدْ وَصَدْتُ يُسْرَى خَدَّهُ \* أَلَا رُبَّمَا طَالِبْتُ غَيْرَ مُنِيلِ  
 وَأَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِحَقْوَى مُسَاعِدِ \* وَإِنْ كَانَ أَدْنَى صَاحِبِ وَخَلِيلِ  
 وَأَصْبَحْتُ أَلْحَى السَّكْرَ وَالسُّكْرَ مُحْسِنٌ \* أَلَا رَبُّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ ثَقِيلِ  
 كَفَى حَزَنًا أَنْ الْجَوَادَ مَقْتَرٌ \* عَلَيْهِ وَلَا مَعْرُوفَ عِنْدَ بَخِيلِ  
 سَأَبْنِي الْغَنَى إِمَّا جَلِيسَ خَلِيفَةٍ \* يَقُومُ سُوءًا أَوْ نَحِيفَ سَبِيلِ  
 بِكُلِّ فِتْنَى لَا يُسْتَطَارُ جَنَانُهُ \* إِذَا نَوَّهَ الزَّحْفَانِ بِاسْمِ قَتِيلِ  
 لِنَحْمَسَ مَالَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ \* أُنْحَى بِطَنِيَّةٍ لِلطَّيِّبَاتِ أَكُوبِ  
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ عَوْنٌ عَلَى النَّدَى \* وَلَيْسَ جَوَادٌ مَقْتَرٌ كَبَخِيلِ

(١) الناطور : حافظ النخل والكرم والزرع وفي البارع : الناطر والناطور بالطاء المهملة حافظ الزرع ، من كلام أهل السواد وليس بعربي محض . (٢) الزليل مصدر كالزلل . (٣) أى منهزمى هاجرة ، وعبورية نسبها الى النجوى العبور وأيام طلاءها أيام الحر الشديد . (٤) يعنى الشمس ، أى توقفت فى الجو عند زوالها . وفاءت بمذقة ، أى دخلت عليهم من تلك الخيمة الخالقة التى ثبتت على الأباء الضعيف من القصب الرث فلم تقو الشمس وتليهم لم تمنعهم الحمة بستر قوى فيصير ناله ولكنه شمس وظل ، فشبهت بالمذوق من اللبن ، أى المنزوع .

فإن استزيد أنشد هذه القصيدة الأخرى :

كان الشباب مطية الجهل \* ومحسن الضحكات والمنزل  
كان الجمال إذا أردت به \* ومشيت أخطر صيت النعل  
كان البليغ إذا نطقت به \* وأصاحت الأذان للملي  
كان المشفع في مآربه \* عند الفتاة ومدرك التبيل  
والأمري حتى إذا عزمت \* نفسي أعان يدي بالفعل  
فالآن صرت إلى مقاربة \* وحططت عن ظهر الصبارخي  
والراح أهواها وإن رزأت \* بلغ المعاش وقللت فضلي  
صفراء مجدها مرآزبها \* جلت عن النظراء والمنيل  
دخرت لآدم قبل خلقته \* فتقدمته بخطوة القبل  
فأتاك شيء لا تلامسه \* إلا بحسن غيرزة العقل  
فتروى منها العير في بشر \* حر الصيفحة ناصع سهل  
فاذا علاها الماء ألهمها \* حببا شبيهة جلاجل النحل  
حتى إذا سكنت جوارحها \* خطت بمنزل أكارع النمل  
خطئين من شتى ومجتمع \* غفل من الإجماع والشكل  
فاعذر أخاك فإنه رجل \* مررت مسامعه على العذل

ومن طيب شعره ، والشطر الأول من القصيدة لفظ ابن الدمينه :

أعاذل ما على وجهي فتوم \* ولا عرضي لأول من يسوم  
يفضني على الفتيان أني \* أبيت فلا ألام ولا ألوم  
أعاذل إن يكن برداي رثا \* فلا يعدمك بينهما كريم  
شقت من الصبا واشتق مني \* كما اشتقت من الكرم الكروم  
فأست أسوم للذات نفسي \* مياومة كما دفع الغريم

ومتصلٍ بأسباب المعالي \* له في كل مكرمة قديمٌ  
 رفعتُ له النداء بقم نخداها \* وقد أخذت مطالعها النجوم  
 بتفدية تزال النفس فيها \* وتتمن الخسولة والعموم  
 فقام وقت من أخوين هاجا \* على طربٍ وليهما برسم  
 أجز الزرق وهو يمر رجلا \* يحور به العاس ويستقيم  
 سيل الندمان ما أولته منها \* وسلها ما احتوى منها الكريم  
 كلا الشخصين متصفين ولكن \* قضت وطرا وذا منها سقيم

وقال :

إني صرفت الهوى الى قمر \* لم تبذله العيون بالنظر  
 اذا تأملتته تعاطمك آل \* بإقرار أنه من البشر

ومن قوله :

يا شقيق النفس من حكم \* نمت عن ليلى ولم أتم  
 فاسقني البكر التي اختمرت \* بخمار الشيب في الرحم  
 نمت أنصات الشباب لها \* بعد ما جازت مدى الحرم  
 فهي لليوم السقي برلت \* وهي ترب الدهر في القدم  
 عتقت حتى لو اتصلت \* بلسان ناطق وقم  
 لأحتبت في القوم ماثلة \* ثم قصت قصصة الأعم  
 فرعتها بالمزاج يد \* خلقت للسين والقلم  
 في ندأى سادة زهير \* أخذوا اللذات من أعم  
 فتمشت في مفاصلهم \* كتمشي البرء في السقم  
 فعلت في البيت اذ مزجت \* مثل فعل الصبح في الظلم  
 فاهتدى سارى الظلام بها \* كاهتداء السفر بالعلم

ومن طرديات أبي نواس في صفة الكلب :

أنت كلباً أهله من كده \* قد سعت جدودهم يحده  
فكل خير عندهم من عنده \* وكل رقد نالهم من رفته  
يظل مولاه له كعبده \* بيت أدنى صاحب من مهده  
وإن عرى جلاله ببرده \* ذا غرة محجلاً بزنده  
تلذ منه العين حسن قده \* يا حسن شديقه وطول قده  
تلقى الطباء عتاً من طرده \* يشرب كأساً شدها من شده  
\* يالك من كلب نسيج وحده \*

### أبو نواس وجنان

قال أبو الفرج: كانت جنان هذه جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، وكانت حلوة جميلة المنظر أديبة، ويقال: إن أبا نواس لم يصدق في حب امرأة غيرها، وقيل له يوماً إن جنان قد عزمت على الحج، فكان هذا سبب حجه وقال: أما والله لا يفوتني المسير معها والحج عاى هذا إن أقامت على عزيمتها، وقال وقد حج وعاد:

ألم تر أننى أفنيت عمري : بمطلبها ومطلبها عسير  
فلما لم أجد سبباً إليها : يقربني وأعييني الأمور  
حججت وقلت قد حججت جنان : فيجمعني وإياها المسير

قال من شاهده حين حج مع جنان، وقد أحرم: يا بنة الليل جعل يلبي بشرو ويخدو به  
ويطرب، فغنى به كل من سمعه وهو قوله :

ألمنا ما أعدناك : مايك كل من ملك  
لبك قد أبت لك : ليك، إذ الحمد لك  
والملك لا شراك لك : والابل لما أن حلك

والساجحات في الفلك \* على مجاري المنسلك  
 ما خاب عهد أملك \* أنت له حيث سلك  
 لولاك يا رب هلك \* كل نبي وملك  
 وكل من أهل لك \* سبح أو لبي فلك  
 يا مخطئا ما أغفلك \* عجل وبادر أجلك  
 واختم بخير عملك \* لييك ان الملك لك  
 والحمد والنعمة لك \* والعز لا شريك لك

وفيها يقول :

جفني عيني قد كاديس \* قط من طوبى ما اختلج  
 وفؤادي من حرج \* لك والهجير فد نضج  
 خبرني فدتك نف \* سى وأهلى متى الفرج  
 كان ميعادنا خرو \* ج زياد فقد نرج  
 أنت من قتل عائد \* بك في أضيق الحرج

قال الأصفهاني : قال محمد بن ابراهيم بن كثير الصوفي : دخلنا على أبي نواس نعوذه  
 في علته التي مات فيها ، فقال له علي بن صالح الهاشمي : يا أبا علي ، أنت في أول يوم من أيام  
 الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، وبينك وبين الله عز وجل هنأت ، فتب إلى الله عز وجل ،  
 فبكى ساعة ثم قال : ساندوني ساندوني ، ثم قال : أأخوف بالله عز وجل وقد حدثني حماد  
 ابن مسلم عن زيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « لكل نبي شفاعته وإنى اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة » أقتراني  
 لا أكون منهم ؟



ومن قوله في مرض موته :

دَبَّ فِي السَّقَامِ عُلُوًّا وَسُقْلًا . وَأَرَانِي أَمُوتُ عُضْوًا فُعُضْوًا  
 لَيْسَ تَمِضِي مِنْ لَحْظَةٍ بِي إِلَّا . نَقَصَتْ بِي بِمَرِّهَا فِي جُزْأٍ  
 ذَهَبَتْ جِدَّتِي بِحَاجَةِ نَفْسِي . وَتَطَلَّبْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نِضْوًا  
 لَهَفَ نَفْسِي عَلَى لَيْلٍ وَأَيَّا . مِ تَجَاوَزْتُهُنَّ لِعِبَاءٍ وَلَهْوًا  
 قَدْ أَسَانَا كُلَّ الْإِسَاءَةِ فَالِد . سَهْمٌ صَفَحًا عَنَّا وَغَفَرًا وَعَفْوًا

ثم قال :

شِعْرٌ حَىَّ أَنَاكَ مِنْ لَفْظِ مَيِّتٍ . صَارَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَقْفًا  
 قَدْ بَرَتْ جِسْمَهُ الْحَوَادِثُ حَتَّى . كَادَ عَنْ عَيْنِ الْخَلَائِقِ يَخْفَى  
 لَوْ تَأَمَّلْتَنِي أُتْبِصِرَ وَجْهِي . لَمْ تَبْنُ مِنْ كِتَابِ وَجْهِي حَرْفًا  
 وَلَكَّرْتَ طَرَفَ عَيْنِكَ فِيمَنْ . قَدْ بَرَاهِ السَّقَامِ حَتَّى تَعْفَى

وكان عمر أبي نواس تسعا وخمسين سنة ، وكانت وفاته قبل دخول المأمون مدينة

السلام بست سنين ( سنة ١٩٨ ) .

٢ - العتّابي<sup>(١)</sup>

قال أحمد بن سَهْل : تذاكرنا شعرَ العتّابي فقال بعضنا : فيه تكلف ، ونصره بعضنا .

فقال : شيخ حاضر ، ويحكم ! أيقال إن في شعره تكلفا وهو القائل :

رُسُلُ الضمير اليك تَنزِي \* بالشوق ظالمةٌ وحسرى

مترجّيات ما يَنِي \* ن على الوجان بعد مسرى

ما جفّ للعينين بعد \* لك يا قير العين مجرى

فاسلمّ سلّمت مبرأ : من صَبوتى أبدا معرى

(١) هو كلثوم بن عمرو بن أيوب العتّابي التّغلبى من ولد عتاب بن أسيد ثم من بنى تغلب بن وائل - شاعر مترسل بليغ مطبوع متصرف في فنون الشعر مقدّم ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان منقطعا الى البرامكة فوصفه الرشيد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ وعظمت فوائده منه .

وكان حسن الاعتذار في شعره ورسائله وله مصنفات في المنطق والأدب واللغة وكان يقيم في رأس عين بعيسدا عن دور الخلفاء والأمراء . وبلغ الرشيد قصيدة قالها فأعجب بها فطلب إشتغاله اليه بقاء . وملكه قيص غليظ وفروة وخف ، وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل ، فلما رفع الخبر بقدمه الى الرشيد أمر بأن نفرش له حجره وتقام له وظيفة ففعلوا ، فكانت المائدة إذا قدّمت اليه أخذها رقاقة وملحا وخلط الملح بالتراب فأكلها ، فإذا كان وقت النوم نام على الأرض ، والتخدم يتفقدونه ويتعجبون من فعله . وسأل الرشيد عنه فأخبروه فأمر بطرده فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيلي وهو في منزله فسلم عليه وانسب له فرحب به وقال له « ارتفع » فقال « لم آتلك للجلوس » قال « فأحاجتك » قال « دابة أبلغ عليها إلى رأس عين » فقال : يا غلام ، أعطه الفرس الفلاني : فقال : لا حاجة لي في ذلك ولكن تأمر . أن تشتري لي دابة أتبلغ عليها : فقال لغلامه « امض معه فابتع له ما يريد » فضى معه فعدل به العتّابي إلى سوق الحمير فقال الغلام : إنما أمرني أن ابتاع لك دابة : فقال له : أنه أرسلاك معي ولم يرسلني معك فإن عملت ما أريد والا انصرف : فضى معه فاشتري حمارا بمائة ونحسين درهما وقال : ادفع اليه ثمته : فدفعه اليه فركب الحمار عريا بمرشحة عليه وبرذعة رساقاه مكشوفتان ، فقال له يحيى بن سعيد « فضحتني ! أمثلي يجهل مثلك على هذا ! » فضحك وقال « ما رأيت قدرك يستوجب أكثر من ذلك » ومضى إلى رأس عين .

توفى سنة ٢٢٠ هـ وتجد أخباره في الأغاني (ج ١٢ ص ٢) ووفوات الوفيات (ج ٢ ص ١٣٧) .

(٢) أي متبلمات بالقليل حتى يصلن اليك .

إن الصبابة لم تدع \* منى سوى عظيم مبرى  
ومدامع عبرى على \* كبد عليك الدهر حرى  
أو يقال إنه متكأف وهو الذى يقول :

فلو كان للشكر شخص يبين \* إذا ما تأمله الناظر  
لمثبته لك حتى تراه \* لتعلم أى أمرؤ شاكر

ويجد الرشيد على العتّابى فدخل سراً مع المتطلبين بغير إذن، فثل بين يدي الرشيد وقال له : يا أمير المؤمنين، قد آذنتي الناس لك ولنفسى فيك، وردنى ابتلاؤهم الى شكرك، وما مع تذرك قناعة بغيرك، ولنعم الصائئ لنفسى كنت لو أعاننى عليك الصبر، وفى ذلك أقول :  
أخضنى المقام الغمر إن كان غمرنى \* سناً خلب أو زلت القدمان  
أتركنى جذب المعيشة مقترأ \* وكفأك من ماء الندى تكفان  
وتجعلنى سهم المطامع بعد ما \* بآلت يمينى بالندى ولسانى  
فأعجب الرشيد قوله، وخرج وعليه الخلع، وقد أمر له بجائزة .

كلم العتّابى يحيى بن خالد فى حاجة بكلمات قليلة، فقال له يحيى : لقد نزر كلامك اليوم وقل، فقال له : وكيف لا يقل وقد تكفنى ذل المسألة وحيرة الطلب وخوف الرد؟ فقال : والله لئن قلّ كلامك لقد كثرت فوائده، وقضى حاجته .

قال يحيى بن خالد البرمكى لولده : إن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كل يوم بن عمرو العتّابى فضلا عن رسائله وشعره، فإن تروا أبدا مثله .

وقف العتّابى بباب المأمون يلتمس الوصول اليه، فصادف يحيى بن أكثم جالسا ينتظر الإذن، فقال له : إن رأيت أعزك الله أن تذكر أمرى لأمر المؤمنين إذا دخلت فافعل، قال له : لست أعزك الله بحاجبه، قال : فإن لم تكن حاجبا فقد يفضل مثلك ما سألت، واعلم أن الله عز وجل جعل فى كل شى زكاة، وجعل زكاة المال رفد المستعين، وزكاة الجاه إعانة الملهوف، واعلم أن الله عز وجل مقيّل عليك بالزيادة إن شكرت، أو التغير إن كفرت .

وإني لك اليوم أصلح منك لنفسك، لأنني أدعوك إلى ازدياد نعمتك وأنت تأتي، فقال له يحيى: أفعل وكرامة، ونخرج الإذن ليحيى، فلما دخل لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن استأذن المأمون للعتابي، فأذن له .

وقيل له : لو تزوجت، فقال : إني وجدت مكابدة العقّة أيسر عليّ من الاحتيال لمصلحة العيال .

قال دُعيل : ما حسدتُ أحدا قطّ على شعركا حسدتُ العتّابي على قوله :

هَيْبَةُ الْإِخْوَانِ قَاطِعَةٌ \* لِأَنِّي الْحَاجَاتُ عَنْ طَلْبِهِ

فَإِذَا مَا هَيْبَتْ ذَا أَمَلٍ . مات ما أمّأت من سببه

كان العتّابي جالسا ذات يوم ينظر في كتاب، فتر به بعض جيرانه، فقال : أيش ينفع العلم والأدب من لا مال له؟ فأنشد العتّابي قوله :

يَا قَاتِلَ اللَّهِ أَقْوَامًا إِذَا تَقَفُّوْا . ذَا الْآبِ يَنْظُرُ فِي الْآدَابِ وَالْحِكْمِ

قَالُوا وَلَيْسَ بِهِمْ إِلَّا نَفَاسُهُ<sup>(١)</sup> . أَنَا فَعِ ذَا مِنَ الْإِقْدَارِ وَالْعُدْمِ

وَلَيْسَ يَدْرُونَ مَا الْخَطَّ الَّذِي حُرِّمُوا . — لِحَاكُمُ اللَّهَ — مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ فَهْمِ

ومن قوله أيضا :

لَئِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا أَنَا لَمْ تَكْ رَوْهَ فَأَمْسِيَتْ ذَا يُسْرِفُ كُنْتَ ذَا عُسْرِ

لَفَسَدَ كَشَفَ الْإِثْرَاءَ مِنْكَ إِزْمًا مِنْ الْإِثْمِ كَانَتْ تَحْتَ سُرٍّ مِنَ الْفُتْرِ

وقال أيضا :

رَحَلَ الرَّجَاءُ إِلَيْكَ مَهْرِيَا حَيَاةً، أَيْ نَوَاسِ الدَّهْرِ

رَدَّتْ إِلَيْكَ نَدَاتِي أَيْ إِلَى الْإِثْمِ الْإِثْمِ الْإِثْمِ الْإِثْمِ

وَجَعَلْتُ سَبَّكَ عَذَابَ دَوْءِ الْهَلَاكِ رَحْلًا مَهْرِيَا مَهْرِيَا مَهْرِيَا

لما سبى من دور الثبري وأنه أتى إلى الرضا آغا، قال له: يا أبا عبد الله، جعفر بن يحيى

عنه مدته وجعل يستعطفه عليه، فقال له: يا أبا عبد الله، جعفر بن يحيى :

ما زلتُ في غَمَرَاتِ الموتِ مُطَرَّحًا \* قد ضاق عني فسيحُ الأرض من حيلي  
ولم تزلْ دائبًا تسعى بلطفك لي \* حتى آخلتُ حياتي من يَدَيَّ أَجَلِي  
عاد عبد الله بن طاهر وإسحاق بن إبراهيم بن مُصَنَّب كلثوم بن عمرو العتّابي في علة  
أعتلّها، فقال الناس : هذه خَطَرَةٌ خَطَرَتْ ، فبلغ ذلك العتّابي ، فكتب الى عبد الله بن  
طاهر :

قالوا الزيارَةُ خَطَرَةٌ خَطَرَتْ \* ويحارُّ بِرَّكَ ليس بالخطر  
أَبْطُلْ مقالَهم بِثانِيَةِ \* تستنِفِد المعروف من شكري  
فلما بلغت أباؤه عبد الله بن طاهر ضحك من قوله وركب هو وإسحاق فعاداه مرة  
ثانية .

كانت له امرأة من باهلة ، فلما مضى الى رأس عين قالت له : هذا منصور النمرى :  
قد أخذ الأموال فحلّ نساءه وبنى داره واشترى ضياعاً وأنت ههنا كما ترى ، فأنشأ يقول :  
تلوم على تَرَك الغنى باهليَّةً \* ذوى الفقر عنها كلَّ طَرَف وتالد  
رأت حولها النسوان يرُقُن في الثرى . مقلّدة أعناقُها بالقلائد  
أسرَّكَ أنى نلتُ ما نال جمعُفر \* من العيش أو ما نال يحيى بن خالد  
وأن أمير المؤمنين أغصني \* مخصهما بالمُرهفات البوارد  
رأيتُ ريفاتِ الامور مشُوبَةً \* بمستودعات في بطون الأسود  
دعيني تَجَنُّي ميتني مطمئنةً \* ولم اتجشّم هولَ تلك الموارد

لما قدم العتّابي مدينة السلام على المأمون أدين له ، فدخل عليه وعنده إسحاق بن إبراهيم  
الموصلي ، وكان العتّابي شيخاً جليلاً نبيلاً ، فسلم فردّ عليه وأدناه وقربه حتى قُرب منه ، فقبّل  
يَدَه ، ثم أمره بالجلوس فجلس ، وأقبل عليه يسأله عن حاله وهو يجيبه باسان دُلُق طائق ،  
فاستظرف المأمون ذلك وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح ، فظن الشيخ أنه آستخف به ، فقال :  
يا أمير المؤمنين ، الإيناس قبل الإبناس ، فاشتبه على المأمون قوله ، فظفر الى إسحاق مستفهما ،  
(١)

فأومأ اليه وغمزه على معناه حتى فهم، فقال: يا غلام، ألف دينار، فأُتي بذلك، فوضع بين يدي العتّابي وأخذوا في الحديث، وغمز المأمونُ إسحاقَ بن إبراهيم عليه، فجعل العتّابي لا يأخذ في شيء إلا عارضه إسحاق، فبقي العتّابي متعجباً، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أأأذن لي في سؤال هذا الشيخ عن اسمه؟ قال: نعم سل، فقال لإسحاق يا شيخ، من أنت وما اسمك؟ قال: أنا من الناس وأسمى كُلَّ بَصَل، فتبسّم العتّابي وقال: أما أنتَ فعروف وأما الاسمُ فمُنكر، فقال إسحاق: ما أقلّ إنصافك! أتتكر أن يكون اسمي كل بصل. واسمك كلثوم، وكلثوم من الأسماء، أو ليس البصل أطيب من الثوم؟ فقال له العتّابي: لله دَرَك! فما أَحَبُّكَ، أأأذن لي يا أمير المؤمنين في أن أصله بما وصلتني به؟ فقال المأمون: بل ذلك موفّر عليك ونأمر له بمنزله: فقال له إسحاق: أما إذ أقررت بهذه فتوهّني تجدني، فقال: ما أظنك إلا إسحاق الموصلي الذي يتناهى إلينا خبره، قال: أنا حيث ظننت، وأقبل عليه بالتحية والسلام، فقال المأمون — وقد طال الحديث بينهما —: أما إذ قد اتفقتما على المؤدّة فانصيرفا متناديين، فانصرف العتّابي إلى منزل إسحاق فأقام عنده.

قال عثمان الورّاق: رأيت العتّابي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام، فقلت له: وَيَحْك! أما تستحي؟ فقال لي: أرايت لو كنا في دارها بقر كنت تستحي وتحشم أن تأكل وهي تراك؟ فقال: لا، قال: فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر، فقام فوعظ وقصّ ودعا حتى كثر الزحام عليه ثم قال لهم: روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبه أنفه لم يدخل النار، فما بقي أحد إلا أخرج لسانه يومئذ به نحو أرنبه أنفه ويستدره حتى يبلغها أم لا، فلما تفرّقوا قال لي العتّابي: ألم أخبرك أنهم بقر؟

قال الفضل: رأيت العتّابي بين يدي المأمون وقد أسن، فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده واعتمد الشيخ على المأمون، فأزال المأمون بُهْضه رويداً رويداً حتى أقبله فتهَضّص.

وكتب كلثوم بن عمرو العتّابي الى صديق له يستجديه :

أما بعد — أطل الله بقاءك وجعله يمتدّ بك الى رضوانه والجنة — فإنك كنت  
عندنا روضة من رياض الكرم، تبهج النفوس بها، وتستريح القلوب اليها؛ وكنا نغفيا  
من النجعة<sup>(١)</sup> استئتما لزهرتها، وشفقة على خضرتها، وآذارا لثمرتها، حتى أصابتنا سنة  
كانت عندي قطعة من سني يوسف<sup>(٢)</sup> أشدّ علينا كآبا، وغابت قِطتها، وكذبنا غيومها،  
وأخلفتنا بروقها، وفقدنا صالح الإخوان فيها، فانتجعتك . وأنا بانتجاعي إياك شديد الشفقة  
عليك، مع علمي بأنك موضع الرائد<sup>(٣)</sup>، وأنت تغطّي بهنّ الحاسد . والله يعلم أني ما أمدك  
إلا في حومة<sup>(٤)</sup> الأهل . وأعلم أن الكريم اذا استجيا من إعطاء القليل ولم يمكنه الكثير،  
لم يعرف جوده ولم تظهر هيبته . وأنا أقول في ذلك :

إذا تكلمت عن بذل الليل ولم . . . . . تقدر على سعة لم يظهر الجود

بث النوال ولا تمنعك قاتنه . . . . . فكل ما سدّ فقرا فهو محمود

قبل فشأطره جميع ماله .

(١) النجعة : طلب الكلا في موضعه . (٢) الكب : الفحط وبلاء الشتاء ومرض يصيب

الكلاب . (٣) الرائد : العال . (٤) الحومة هنا : الجماعة والطائفة .

٣ - دَعْبِل<sup>(١)</sup>

شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من وزراءهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة أحسن إليه أم لم يُحسن، ولا أفلت منه كبير أو صغير.

وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل الى على صلوات الله عليه. وقصيدته: «مدارس آيات خلت من تلاوة» من أحسن الشعر وفاحر المدائح المَقُولَة في أهل البيت عليهم السلام، وقصد بها أبا علي بن موسى الرضا بخراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه وخلع عليه خلعة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قُم ثلاثين ألف درهم، فلم يبيعها فقطعوا عليه الطريق فأخذوها، فقال لهم: إنما تُراد لله عز وجل وهي محترمة عليكم، فدفعوا اليه ثلاثين ألف درهم، فخلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون في كفته، فأعطوه فردتهم، فكان من أكفائه.

قال ابراهيم بن المهدي للأُمون قولاً في دعبل يترضيه عليه؛ فضحك المأمون وقال: إنما تخرضني عليه لقوله فيك:

يا معشر الأجناد لا تَقْنَطُوا \* وَارْضُوا بما كان ولا تَسْخَطُوا  
فسوف تُعْطَوْنَ حَنِينَةً<sup>(٢)</sup> \* يَلْتَذُّهَا الْأَمْرُذُ وَالْأَشْمَطُ  
وَالْمَعْبِدِيَّاتِ لُصُودُكُمْ<sup>(٣)</sup> \* لا تدخل الكيس ولا تُرْبَطُ  
وهكذا يرزق قوادده . خليفة مُصْحَفُه التَّربُّطُ

(١) هو دعبل بن علي بن رزين من نزاعة، أصله من الكوفة وجاء بغداد بطلب من الرشيد. وهو شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا وزراءهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة أحسن إليه أو لم يُحسن، ولا أفلت منه كبير أو صغير، فكان الناس يخافونه ويتقونه حتى المأمون فإنه هجاء شديد واحتمل ذلك منه. توفي سنة ٢٤٦ هـ. ونجد أخباره في الأغاني ج ١٨ ص ٢٩ وابن خلكان ج ١ ص ١٧٨ والشعر والشعراء ص ٥٣٩ والفهرست (ص ١٦١).  
(٢) يريد أصواتاً منسوبة الى حنين الحيرة المعنى.  
(٣) يريد أصواتاً منسوبة الى المعنى.



قد ختم الصك بأرزاكم \* وصح العزم فلا تسخطوا  
بيعة ابراهيم مشئومة \* يقتل فيها الخلق أو يقحطوا

فقال له ابراهيم : فقد والله هباك أنت يا أمير المؤمنين ؛ فقال : دع هذا عنك فقد عفوت عنه في هجائه ليأى لقوله هذا ، وضحك . ثم دخل أبو عباد ، فلما رآه المأمون من بعد قال لابراهيم : دعبل يحسر على أبى عباد في الهجاء ويحجم عن أحد ! فقال له : وكان أبى عباد أبسط يدا منك يا أمير المؤمنين ؛ قال : لا ! ولكنه حديد جاهل لا يؤمن ، وأنا أحلم وأصفح ، والله ما رأيت أبى عباد مقبلا إلا أضحكني قول دعبل فيه :

أولى الأمور بضبيعة وفساد \* أمر يدبره أبو عباد  
حرق على جلسائه فكأنهم \* حضروا الملحمة ويوم جلال  
يسطو على كتابه يدواته \* فضمخ بدم ونضح مداد  
وكانه من دير هرقل مفلت \* حرد يحز سلاسل الأقياد  
فاشدد أمير المؤمنين وثاقه \* فأصح منه بقية الحاداد  
وكان «بقية» هذا مجنونا في البهارستان .

قال أبو خالد الخزازي لدعبل : ويحك ! قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ووترت الناس جميعا ، فأنت دهرلك كله شريد طريد هارب خائف ، فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك ! فقال : ويحك ! انى تأملت ما تقول فوجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم إلا على الرهبة ، ولا يبالى الشاعر وإن كان مجيدا اذا لم يخف شره ، ولمن يتقيد على عرشه أكثر ممن يرغب اليك فى تشريفه ، وغيوب الناس أكثر من محاسنهم ، وليس كل من شرفته شرف ، ولا كل من وصفته بالجوود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه أنتفع بقولك ، فاذا رأك أوجعت عرض غيره وفضحت آتقائك وخاف من مثل ما جرى على الآخر ، ويحك يا أبا خالد ! إن الهجاء المقذع آخذ بضبع الشاعر من المديح المضرع ، فضحك أبو خالد وقال : هذا والله مقال من لا يموت حتف أنفه .

كان سبب خروج دعبل من الكوفة أنه كان يتشطر وبصحب الشطار، فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعتمّة، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة، وكان يروح كل ليلة بكيسه الى منزله، فلما طلع مقيلا اليهما وثبا اليه بفرحاه وأخذا ما في كُتبه، فاذا هي ثلاث رُمّانات في خرقة، ولم يكن كيسه ليلتذ معه، ومات الرجل مكانه، وأسستردعبل وصاحبه وجّد أولياء الرجل في طلبهما وجّد السلطان في ذلك، فطال على دعبل الاستتار فاضطر الى أن هرب من الكوفة، فما دخلها حتى لم يبق من أولياء الرجل أحد.

قال أحمد بن خالد : كأيوما بدار صالح بن علي من عبد القيس ببغداد ومعنا جماعة من أصحابنا، فسقط على سطح البيت ديك طار من دار دعبل، فلما رأيناه قلنا : هذا صيّدنا، فأخذناه، فقال صالح : ما نصنع به ؟ قلنا : نذبحه، فذبحناه وشويناه. وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح، فطلبه منا فخذناه وشربنا يومنا، فلما كان من الغد خرج دعبل فصلّى الغداة ثم جلس على باب المسجد — وكان ذلك المسجد يجتمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء ويتناهبهم الناس — فجلس دعبل على باب المسجد وقال :

أَسْرَ الْمُؤَدَّنَ صَالِحٌ وَضِيؤُهُ \* أَسْرَ الْكَيِّ هَفَا خِلَالَ الْمَاقِطِ

بَعَثُوا عَلَيْهِ بَيْنَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ \* مِنْ بَيْنِ نَافِئَةٍ وَآخَرِ سَامِطِ

يَتَنَازَعُونَ كَأَنَّهُمْ قَدْ أَوْثَقُوا \* خَافَانِ أَوْ هَزَمُوا قِبَائِلَ نَاعِطِ<sup>(١)</sup>

نَهَشُوهُ فَانْتَرَعَتْ لَهُ أَسْنَانُهُمْ \* وَتَهَشَّمَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْحَائِطِ

فكتبها الناس عنه ومَضَوْا، فقال لي أبي، وقد رجع الى البيت : ويحكم ! ضاقت عليكم المأكَل فلم تجدوا شيئا تأكلونه سوى ديك دعبل ! ثم أُنشدنا الشعر، وقال : لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته وبعثت به الى دعبل وإلا وقعنا في لسانه، ففعلت ذلك. قال أحمد بن أبي كامل : كان دعبل ينشدي كثيرا هجاء له، فأقول له فيمن هذا ؟ فيقول ما أستحقّه أحدٌ بعينه بعد، وليس له صاحب، فاذا وجد على رجل جعل ذلك الشعر فيه وذكر اسمه في الشعر.

(١) قبيلة من همدان، وأصله جبل نزلوا به فنسبوا اليه.

كان دعبل يختلف الى الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث ، وهو خرجته  
وفهمه وأدبه ، فظهر له منه جفاء وبلغه أنه يعيبه ويذكره وينال منه ، فقال يهجوهُ :  
يا بُؤْسَ للفضل لو لم يأت ما عَابَهُ \* يستفرغ السم من صماء قِرْصَابَهُ  
ما إن يزال وفيه العيبُ يجمعه \* جهلا لأعراض أهلِ المجد عِيَابَهُ  
إن عابني لم يعبْ إلا مؤدِّبَهُ \* ونفسه عاب لما عاب أدَابَهُ  
فكان كالكلب ضَرَاهُ مَكْلَبَهُ \* لغيره فعدا فاصطاد كَلَابَهُ  
كان دعبل يقول : ما كانت لأحد قط عندى مِنَّةٌ إلا تَمَنَّيْتُ موته .

كتب دعبل الى أبي نَهْشَل بن حميد الطوسي قوله :  
إنما العيشُ في مُنادمة الإخِوا \* ن لا في الجلوس عند الكُهاب  
وبصرف كأنها أُلْسِنُ البر \* ق إذا استعرضت رقيق السحاب  
إن تكونوا تركُّمُ لذة العيد \* ش حذار العِقَاب يوم العقاب  
فدعوني وما ألدُّ وأهوى \* وأدفعوا بى في صدر يوم الحساب

قال محمد بن زكريا الفرغانى : سمعت دعبلا يقول فى كلام جرى «لَيْسَكَ» فانكرته عليه ؛  
فقال : دخل زيد الخيل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : «يا زيد ما وُصِف لى  
رجل إلا رأيتُهُ دون وصفه لَيْسَكَ» يريد غيرك .

قال عمرو بن مَسْعُودَة : حضرتُ أبا دُلْف عند المأمون وقد قال له المأمون : أى شىء  
تروى لأخى خُزَاعَة يا قاسم ؟ فقال : وأىّ أخى خُزَاعَة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن تعرّف فيهم  
شاعرا ؟ فقال : أما من أنفُسِهِم فأبو الشَّيْص ودعبل وابن أبي الشَّيْص وداود بن أبى رزِين ،  
وأما من موالِيهِم فطاهر وأبنة عبد الله ، فقال : ومن عسى من هؤلاء أن يُسأل عن شعره  
سوى دعبل ! هات أىّ شىء عندك فيه ؟ فقال : وأىّ شىء أقول فى رجل لم يسلم عليه أهلُ  
بيته حتى هُجَاهم ، فقرن إحسانهم بالإساءة وبذلهم بالمنع وجودهم بالبخل ، حتى جعل كل  
حسنة منهم بإزاء سيئة منه ؟ قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول فى المطَّلب بن عبد الله

### ملحق الكتاب الثالث

أَبْنُ مَالِكٍ ، وَهُوَ أَصْدَقُ النَّاسِ لَهُ وَأَقْرَبُهُمْ مِنْهُ ، وَقَدْ وَفَدَ إِلَيْهِ إِلَى مِصْرَ فَإِذَا  
وَوَلَّاهُ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ أَنْ قَالَ فِيهِ :

إِضْرِبْ نَدَى طَلْحَةِ الطَّلْحَاتِ مَتْبُودًا \* بِالسُّؤْمِ مَطْلِبٍ فِينَا وَكُنْ كَلِمًا  
تُخْرِجُ نُرَاعَاةً مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ \* فَلَا تَحْسَ لَهَا لَوْ مَا وَلَا

فَقَالَ الْمَأْمُونُ : قَاتِلْهُ اللَّهُ ! مَا أَغْوَصَهُ وَالْطُفَةَ وَأَدْهَاهُ ، وَجَعَلَ يَضْحَكُ ، ثُمَّ دَعَا  
أَبْنَ طَاهِرٍ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ تَحْفَظُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِدَعْبَلٍ ؟ فَقَالَ : أَحْفَظُ أَيْبَاتَنَا لَهُ فِي  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : هَاتَهَا وَيْحَكَ ! فَأَنْشَدَهُ :

سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِأَيَّامِ الصَّبَابَاتِ \* أَيَّامِ أَرْفُلٍ فِي أَثْوَابِ لَذَائِ  
أَيَّامِ غَصْنِي رَطِيبٌ مِنْ لَيَانَتِهِ \* أَصْبُو إِلَى غَيْرِ جَارَاتٍ وَتُكَّاتِ  
دَعِ عَنْكَ ذِكْرَ زَمَانٍ فَاتٍ مَطْلِبُهُ \* وَأَقْذِفْ بِرَحْلِكَ عَنْ مَتْنِ الْجَهَالَاتِ  
وَأَقْصِدْ بِكُلِّ مَدِيحٍ أَنْتَ قَائِلُهُ \* نَحْوَ الْهُدَاةِ بَنَى بَيْتَ الْكَرَامَاتِ

فَقَالَ الْمَأْمُونُ : إِنَّهُ قَدْ وَجَدَ وَاللَّهِ مَقَالًا فَقَالَ ، وَنَالَ بِبَعِيدِ ذِكْرِهِمْ مَا لَا يَنَالُهُ فِي وَصْفِ غَيْرِهِمْ

وَمِنْ قَوْلِ دَعْبَلٍ وَفِيهِ غَنَاءٌ :

أَيُّ الشَّبَابِ وَآيَةُ سَلَاكَ \* لَا أَيْنَ يُطْلَبُ ضَلٌّ مِنْ هَلَاكَ  
لَا تَعْجِبِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ \* ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى  
يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ بَوْمُكَ \* يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سَفِكَ  
لَا تَأْخُذُوا بِظُلَامَتِي أَحَدًا \* قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي أَشْتَرَاكَ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدْبَرِ : لَقِيتُ دَعْبَلَ بْنَ عَلِيٍّ فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ أَجَسَرُ النَّاسِ عِنْدِي

وَأَقْدَمُهُمْ حَيْثُ تَقُولُ :

إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَيُوفُهُمْ \* قَتَلْتُ أَخَاكَ وَشَرَّفْتُكَ بِمَقْعَدِ  
رَفَعُوا مَحَلَّكَ بَعْدَ طَوْلِ نَحْوِهِ \* وَأَسْتَنْقِذُوكَ مِنَ الْخَضْبِضِ الْأَوْهَدِ

وأولها :

أخذ المشيبُ من الشباب الأغيذِ \* والنائباتُ من الأنامِ بمَرصدٍ  
فقال : يا أبا اسحاق ، أنا أحمل خَشْبتي منذ أربعين سنة ، فلا أجد من يصبني عليها .

كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع وقد أفاد وأثرى ، وكانت  
الشراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرّون به ، وكان إذا لقيهم وضع  
طعامه وشرابه ودعاهم إليه ودعا بغلاميه : تنف وشعف ، وكانا مغنيين ، فأقعدهما يغنيان  
وسقاهم وشرب معهم وأنشداهم ، فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره ، وكانوا يواصلونه  
ويصلونه . وأنشد دعبل لنفسه في بعد أسفاره :

حَلَلْتُ مَحَلًّا يَقْصُرُ الْبَرْقُ دُونَهُ \* ويعجز عنه الطيفُ أن يَتَحَيَّنَا

قال البحتري : دعبل بن علي أشعر عندي من مسلم بن الوليد ، لأن كلام دعبل  
أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم ، وكان يتعصب له .  
كان المعتصم يُبغض دعبلا لطول لسانه . وبلغ دعبلا أنه يريد اغتياله وقتله ، فهرب  
إلى الجبل ، وقال يهجوه :

بَكَى لِسَاتَاتِ الدِّينِ مَكْتَتِبٌ صَبٌّ \* وفاض بفرط الدمع من عينه غَرْبٌ  
وقام إمام لم يكن ذا هِدَايَةٍ \* فليس له دين وليس له لُبٌ  
وما كانت الأنبياءُ تأتي بمثله \* يُمَلِّكُ يوما أو تدين له العُربُ  
ولكن كما قال الذين تتابعوا \* من السلف الماضين اذ عظم الخطبُ  
ملوك بني العباس في الكُتُبِ سبعةٌ \* ولم تأتِ عن ثامن لهم كُتُبُ  
كذلك أهل الكهف في الكهفِ سبعةٌ \* خيارٌ إذا عُدوا وثامنهم كَلْبُ  
وإني لأعطي كلهم عنك رفعةً \* لأنك ذو ذَنْبٍ وليس له ذنبُ  
لقد ضاع مُلكُ الناسِ اذ ساس مُلكهم \* وصَيْفٌ وأَشْناسٌ وقد عَظُمَ الكُربُ  
وفَضْلُ بن مروان يُسَلِّمُ ثُلَمَةً \* يظل لها الإسلام ليس له شَعْبُ

لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه :

قد قلتُ إذ غَيَّبوه وأنصرفوا \* في خير قبر لخير مدفون

لن يجبر الله أمةً فقدت \* مثلك إلا بمثل هارون

فقال دعبل يعارضه :

قد قلتُ إذ غَيَّبوه وأنصرفوا \* في شر قبر لشر مدفون

إذهب الى النار والعذاب فما \* خلقتك إلا من الشياطين

مازلت حتى عقدت بيعةً من \* أضرت بالمسلمين والدين

وقال في ذلك وفي قيام الواثق :

الحمد لله لا صبر ولا جلد \* ولا عزاء إذا أهل البلاء رقدوا

خليفة مات لم يحزن له أحد \* وأنرقام لم يفرح به أحد

ولقد أحسن في وصف سفر سافره ، فطال ذلك السفر عليه ، فقال فيه :

ألم يأن للسفر الذين نحلوا \* الى وطن قبل الممات رجوع

فقلت ولم أملك سوابق عبء \* نطقن بما ضمت عليه ضلوع

تبين فكم دار تفرق شملها \* وشمل شيت عاد وهو جميع

كذاك الليالي صرفهن كما ترى \* لكل أناس جذبة وربيع

ثم قال : ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني في سفرى وهجرأى ومسلتي حتى أعود .

ومن قول دعبل وفيه غناء :

سرى طيف ليل حين آن هبوب \* وقضيت شوقا حين كاد يذوب

فلم أر مطروفاً يحل برحلة \* ولا طارقاً يقري المنى ويثيب

ومن قوله :

لقد عجبت سلمى وذاك عجيب \* رأت بي شيا تجلته خطوب

وما شيتني كبرة غير أننى \* بدهي به رأس الفطيم يثيب

وقال في صالح بن عطية الأضخم وكان من أقيح الناس وجهها، وخاطب فيها المعتصم :

قل للإمام إمام آل محمد \* قول آمرئ حديب عليك محام  
أنكرت أن تفتر عنك صنيعه \* في صالح بن عطية الحجام  
ليس الصنائع عنده بصنائع \* لكنهن طوائل الإسلام  
إضرب به جيش العدو فإنه \* جيش من الطاعون والبرسام

قال أبو تمام : ما زال دعبل مائلا إلى مسلم بن الوليد مقرا بأستاذيته ، حتى ورد عليه  
بجران بخفاءه مسلم ، وكان فيه بخل ، فهجره دعبل وكتب اليه :

أبا تحلّد كنا عقيدي مودة \* هوأنا وقلباننا جميعا معاً معا  
أحوطك بالغيب الذي أنت حاطي \* وأجرع إشفاقا من أن تتوجعا  
فصيرتني بعد انتكائك منيها \* لنفسى عليها أرهب الخلق أجمعا  
غششت الهوى حتى تداعت أصوله \* بنا وأبتذلت الوصل حتى تقطعا  
وأزلت من بين الجوانح والحشى \* ذخيرة ود طالما قد تمعا  
فلا تلحيني ليس لي فيك مطمع \* تخزقت حتى لم أجسد لك مرقعا  
فهبك يميني استأكلت فقطعتها \* وجشمت قلبي صبره فتشجعنا  
ثم تهاجرا فالتقيا بعد ذلك .

اجرى الرشيد على دعبل رزقا سنيا ، فكان أول من حرّضه على قول الشعر . فوالله ما بلغه  
أن الرشيد مات حتى كافأه على فعله من العطاء السنّي والغنى بعد الفقر والرفعة بعد الخمول  
بأقيح مكافأة ، وقال فيه يهجوّه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام :

وليس حي من الأحياء نعلمه \* من ذى يمان ومن بكر ومن مضر  
إلا وهم شركاء في دماهم \* كما تشارك أيسار على جزر  
قتل وأسروا وتحريق ومنهبة \* فعل الغزاة بأرض الروم والخزر  
أرى أمة معذورين إن قتلوا \* ولا أرى لبني العباس من عذر

أَرْبَعُ يَطُوسُ عَلَى الْقَبْرِ الزَّكِيِّ إِذَا \* مَا كُنْتُ تَرْبَعُ مِنْ دِينَ عَلَى وَطَرِ  
قَبْرَانِ فِي طَوْسٍ خَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ \* وَقَبْرُ شَرِّهِمْ هَذَا مِنَ الْعِبَرِ  
مَا يَنْفَعُ الزَّجَسَ مِنْ قَرَبِ الزَّكِيِّ وَلَا \* عَلَى الزَّكِيِّ بِقَرَبِ الزَّجَسِ مِنْ ضَرَرِ  
هِيَاهُ، كُلِّ أَمْرٍ رَهْنٌ بِمَا كَسَبْتَ \* لَهُ يَدَاهُ نُفْذٌ مَا شِئْتَ أَوْ فُذِّرَ

استدعى بعض بني هاشم دعبلا وهو يتولى للعنصم ناحية من نواحي الشام، فقصده  
اليها فلم يقع منه بحسن ظن وجفاه، فكتب اليه دعبل :

دَلَّيْتِي بِغُرُورٍ وَعَدَكْ فِي \* مُتَلَاظِمٍ مِنْ حَوْمَةِ الْغَرَاقِ  
حَتَّى إِذَا شِمْتَ الْعَدُوَّ وَقَدْ \* شُهِرَ انْتِقَاصُكَ شُهْرَةَ الْبَلَقِ  
أَنْشَأْتُ تَخْلُفَ أَنْ وَدَّكَ لِي \* صَافٍ وَجْهَكَ غَيْرَ مَنْحَذِقِ  
وَحَسِبْتَنِي فَقَعًا بِقَرْقَرَةٍ \* فَوِطِئْتَنِي وَطَاءً عَلَى حَنْقِ  
وَنَصَبْتَنِي عَلَمَاً عَلَى غَرَضٍ \* تَرْمِينِي الْأَعْدَاءُ بِالْحَدَقِ  
وَوَظَنْتَ أَرْضَ اللَّهِ ضَيْقَةً \* عَنِّي وَأَرْضَ اللَّهِ لَمْ تَضِقْ  
مِنْ غَيْرِ مَا جُرِّمَ سِوَى ثِقَةٍ \* مَنِّي بُوْعَدَكَ حِينَ قُلْتَ ثِقِ  
وَمَوْدَةٍ تَحْنُو عَلَيْكَ بِهَا \* نَفْسِي بِلَا مَنٍّ وَلَا مَلَقِ  
فَمَتَى سَأَلْتُكَ حَاجَةً أَبَدَا \* فَاشْدُدْ بِهَا قُفْلًا عَلَى غَاقِ  
وَقَفَّ الْإِخَاءُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ \* هَارٍ فَبِعِصِهِ بَيْعَةَ الْخَلْقِ  
وَأَعَدَّ لِي قُفْلًا وَجَامِعَةً \* فَاشْدُدْ يَدَيَّ بِهَا إِلَى عُنُقِ  
أَعْفِيكَ مِمَّا لَا تَحِبُّ بِهَا \* وَأَسْدُدْ عَلَى مَذَاهِبِ الْأُفُقِ  
مَا أَطْوَلَ الدُّنْيَا وَأَعْرَضَهَا \* وَأَدَلَّتْ بِمَسَالِكِ الطُّرُقِ

دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو يجتاد :

جِئْتُ بِلا حُرْمَةٍ وَلَا سَبَبٍ \* إِلَيْكَ إِلَّا بِجُرْمَةِ الْآدَبِ  
فَاقْضِ ذِمَّامِي فَإِنِّي رَجُلٌ \* غَيْرُ مُلِجٍ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ



فانتقل عبد الله ودخل الحرم ووجهه اليه بصرة فيها ألف درهم ، وكتب اليه :  
 أعجلتنا فاناك عاجل يرنا \* ولو آنتظرت كثيره لم يقلل  
 نخذ القليل وكن كأنك لم تقل \* ونكون نحن كآنتنا لم نفعل  
 مات دعبل بقرية من قري السوس ، بعث اليه مالك بن طوق من ضرب ظهره  
 بعكاز لها زج مسموم فمات من غد .

## ٤ - حسين بن الضحّاك<sup>(١)</sup>

(٢) « شاعرٌ ظريفٌ شديدُ الظُّرفِ ، ربما أقطعَ نظيرهُ في شعراءِ العصرِ العباسيِّ كلَّهُ ، وهو معَ ظرفهِ وإسرافهِ في المجونِ ، قليلُ الفحشِ في اللفظِ . غيرَ مُتهالكٍ على القولِ الآثِمِ والألفاظِ المنكرةِ ، لا يتخيّرُها ولا يقصدُ إليها ، وإنما يعرضُ لها إذا اضطرَّ إليها اضطراباً وهو على ظرفهِ ورقةٌ حاشيتهُ وحرصُهُ على نقاءِ اللفظِ وطهره شاعرٌ بالمعنى الصحيحِ لهذه الكلمةِ ، مجوّدٌ إذا فكّرَ ، مظفرٌ إذا بحثَ ، موفّقٌ الى اللفظِ المتينِ ، والأسلوبِ الرّصينِ في غيرِ جفوةٍ ولا غِلظةٍ ، لا يعرفُ التكلّفَ في لفظٍ ولا معنىً ، وإنما ينطلقُ لسانه معَ سجيّتهِ ، وسجيّتهِ سهلةٌ مرسّلةٌ غنيّةٌ غزيرةُ المادةِ ، لا تكادُ تنضبُ ، ولا ينالها إعياءٌ أو كلالٌ ، وحياته كلها عبرٌ وعظاتٌ ولكنها عبرٌ وعظاتٌ مبتسمةٌ ليست بالمظلمة ولا العابسة ولا بالتي تردّك وتنفّرك ، وتجعلُ للحزنِ والأسى الى قلبك سبيلاً ، ولعلك لا تجدُ من شعراءِ هذا العصرِ رجلاً مثله ، تقرأ أخباره فتظنُّ مبتسماً منذ تبتدئُ الى أن تنتهي دون أن تعيسَ أو تقطب . وربما تجاوزتَ الابتسامَ الى الإغراقِ في الضحكِ من حين الى حين ، ولكلكَ لن تتركَ الابتسامَ الى الحزنِ الشديدِ . وربما اعترضتكَ في طريقك سحابةٌ محزنةٌ ولكن هذه السحابةُ رقيقةٌ هادئةٌ هيّنةٌ ، فهي أضعفُ من أن تزيلَ ابتسامتكَ . وكان هذا الشاعرُ من المعمرينِ ، بلغَ المائةَ أو كادَ ، وعاصرَ طبقاتٍ من الشعراءِ ، وألواناً من حاشيةِ الخلفاءِ ، ولكنه ظلَّ محتفظاً بشخصيّتهِ الوداعةِ المبتسمةِ ، تغيرَ الناسُ واختلّفتِ الظروفُ ، وظلَّ هو واحداً

(١) هو مولى باهلة ، ولد في البصرة ونشأ فيها ونادم الخلفاء من بني العباس ، وكان خليعاً فاسداً وكان مع ذلك حسن التصرف في النظم ولشعره قبول ورونق ، فهو من المتقنين وله معان جديدة في الخمر كان أبو نواس يأخذها عنه ، ومع أن أبو نواس مات سنة ١٦٨ هـ ، والضحّاك مات سنة ٢٥٠ هـ فقد تعاصرا لأن ولدهما متقارب لأن ابن الضحّاك عمر كثير . وهو أول من نادى الأمين وله فيه مدائح كثيرة ، وعمرهما طويلاً حتى قارب مائة السنة ومات في خلافة المستعين أو المنتصر . وتجد أخباره في الأغاني (ج ٦ ص ١٧٠) وابن خلكان (ج ١ ص ١٥٤) .

(٢) من بحوث صديق الدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية .

لم يتغير. كان خليعا، بل كان يُعرف بالخليع، وكان كثير المجون مُسرفا فيه، وما أحسب أن أبا نواس سبقه الى لذة أو برز عايشه في مأثم، ولم يكنه على خلاعته وإسرافه في المجون وتهالكه على اللذات، احتفظ طول حياته بشيء من كرم الخلق وطهارة العنصر وجودة الأصل، كأنما كانت هذه اللذات والآثام تنزلق على نفسه وأخلاقه انزلاقا دون أن تترك فيها أثرا باقيا، وإنما كانت الآثار التي تركها لياليه الساهرة، وأيامه المملوءة بالعَبَث، هذه الأشعار الجميلة الحلوة التي سأظهرك على طرف منها.

فلم يكن هذا الرجل كغيره من الشعراء الذين إنما كانوا يصلون الى الخلفاء بعد الجهد والكد، وبعد التلطف وحسن الحيلة؛ وإنما كان منصلا بالخلفاء اتصالا شديدا، يعاشرهم ويرافقهم ويتدخل في حياتهم الخاصة، وربما تدخل الى أكثر مما ينبغي. وكان الخلفاء يبحثون عنه، ويحصرّون على عشرته ويبدلون في ذلك غير قليل من الإلحاح والعطاء، وكان شعره كله أو أكثره مرآة لحياة القصر في أيام طائفة غير قليلة من الخلفاء.

فترى من هذا الوصف أنه شاعر أديب ظريف مطبوع، حسن التصرف في الشعر حاول المذهب، لشعره قبول ورونق صاف، وكان أبو نواس يأخذ معانيه في النحر فيغير عليها، وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبته للناس الى أبي نواس، وله معان في صفتها أربع فيها، وهاجي مسلم بن الوليد فانتصف منه، وله غزل كثير جيد، وهو من المطبوعين الذين تخلو أشعارهم ومذاهبهم جملة من التكلف.

قال : أنشدت أبا نواس قصيدتي التي قلتها في النحر وهي :

بَدَلْتُ مِنْ نَفَحَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ<sup>(١)</sup> \* وَمِنْ صَبُوحِ دُرِّ الْإِبِلِ وَالشَّاءِ

فلما انتهيت منها الى قولي

حتى اذا أُسْنِدْتُ فِي الْبَيْتِ وَاحْتَضِرْتُ . عِنْدَ الصُّبُوحِ بَيْسَامِينَ أَكْفَاءِ

فُضِّتْ خَوَاتِمُهَا فِي نَعْتٍ وَاصِفِهَا \* عَنْ مِثْلِ رَقَاقَةٍ فِي جَفْنِ مَرَّهَاءِ<sup>(٢)</sup>

(١) الآء : ثمر شجر واحدة آءء . (٢) المرهء : التي لا تكتمل .

فصُعقَ صُعْقَةً أَفْزَعْتَنِي وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا أَشْقَرَ ، فَقُلْتُ : وَيْلَكَ يَا حَسَنَ ، إِنَّكَ أَفْزَعْتَنِي وَاللَّهِ ، فَقَالَ : بَلَى وَاللَّهِ أَنْتَ أَفْزَعْتَنِي وَرُعْتَنِي ، هَذَا مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي كَانَ فِكْرِي لَا بَدَأَ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهَا أَوْ أَغْوَصَ عَلَيْهَا وَأَقُولُهَا ، فَسَبَقْتَنِي إِلَيْهِ وَاخْتَلَسَتْهُ مِنِّي ، وَاسْتَعْلِمَ لِمَنْ يُرَوِّي أَيْ أَمَ لَكَ ؟ فَكَانَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ ، سَمِعْتُ مِنْ لَا يَعْلَمُ بِرُويِهَا لَهُ :

لَمَّا قَدِمَ الْمَأْمُونُ مِنْ خِرَاسَانَ أَمَرَ بِأَنْ يُسَمَّى لَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ لِيَجَالِسُوهُ وَيَسَامِرُوهُ ، فَذَكَرَ لَهُ جَمَاعَةٌ فِيهِمُ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، وَكَانَ مِنْ جُلَسَاءِ مُحَمَّدٍ الْمُخْلُوعِ ، فَلَمَّا رَأَى أَسْمَهُ قَالَ : أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ :

هَلَا بَقِيَتْ لَسَدٌ فَاقْتَنَّا \* أَبَدَا وَكَانَ لَغَيْرِكَ التَّلَفُّ

فَلَقَدْ خَلَقْتَ خَلَائِفًا سَلَفُوا \* وَلَسَوْفَ يُعَوِّزُ بِعَدْلِكَ الْخَلَفُ

لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ، وَاللَّهِ وَلَا يَرَانِي أَبَدًا إِلَّا فِي الطَّرِيقِ ، وَلَمْ يَعَاقِبِ الْحُسَيْنُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ هِجَاؤِهِ لَهُ وَتَعْرِضِهِ بِهِ ، وَاتَّخَذَ حُسَيْنٌ إِلَى الْبَصْرَةِ فَأَقَامَ بِهَا طَوِيلَ أَيَّامٍ الْمَأْمُونُ .

قَالَ أَبُو صَالِحٍ بْنُ الرَّشِيدِ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الْمَأْمُونِ وَمَعِيَ بَيْتَانِ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَحِبَّ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي بَيْتَيْنِ ، فَقَالَ : أَنْشِدْهُمَا ، فَأَنْشَدْتُهُمَا :

حَمَدَنَا اللَّهُ شُكْرًا إِذْ حَبَانَا \* بِنَصْرِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

فَأَنْتَ خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ حَقًّا \* جَمَعْتَ سِمَاحَةً وَجَمَعْتَ دِينَا

فَقَالَ : لِمَنِ هَذَانِ الْبَيْتَانِ ؟ فَقُلْتُ : لِعَبْدِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، قَالَ : قَدْ أَحْسَنَ ، فَقُلْتُ : وَلَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَجُودُ مِنْ هَذَا ، فَقَالَ : وَمَا هُوَ ؟ فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلَهُ :

أَجْرُنِي فَإِنِّي قَدْ ظَمِئْتُ إِلَى الْوَعْدِ \* مَتَى تُنْجِزَ الْوَعْدَ الْمَوْكُودَ بِالْعَهْدِ

أَعِيدُكَ مِنْ خُلَافِ الْمُلُوكِ وَقَدْ بَدَأَ \* تَقَطَّعَ أَنْفَاسُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ

أَيُخْلِلُ فَرْدُ الْحَسَنِ عَنِّي بَنَائِلَ \* قَلِيلٍ وَقَدْ أَفْرَدْتُهُ بِهَوَى فَرْدِ

رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ \* فَمَا يَكُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ

أَلَا إِنَّمَا الْمَأْمُونُ لِلنَّاسِ عَصَمَةٌ \* مَمِيزَةٌ بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالرُّشْدِ

فَأُطْرُقُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : مَا تَطْيِيبُ نَفْسِي لَهُ بِخَيْرٍ بَعْدَ مَا قَالَ فِي أَخِي مُحَمَّدٍ مَا قَالَ .

ومن قوله يرثي محمدا الأمين :

أُطِّلَ حَزَنًا وَأَبَكَ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا \* بِحُزْنٍ وَإِنْ خِفَتِ الْحِسَامُ الْمَهْنَدَا  
فَسَلَامَتِ الْأَشْيَاءُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ \* وَلَا زَالَ شَمْلُ الْمَلِكِ مِنْهَا مُبْتَدَا  
وَلَا فَرِحَ الْمَأْمُونُ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ \* وَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشْرِدَا

ولحسين في محمدا الأمين مراثٍ كثيرة جيّادٌ، وكان كثير التحقيق به والمؤالة له لكثرة إفضاله عليه، وميله إليه، وتقديره إياه، وبلغ من جزعه عليه أنه خُوِّلَطَ فكان يُنكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول: إنه مستر وأنه قد وقف على دُعائه في الأمصار يدعون إلى مراجعة أمره والوفاء ببيعة ضنّا به وشفقة عليه .

ومن جيّد مراثيه إياه قوله :

سَأَلُونَا أَنْ كَيْفَ نَحْنُ ؟ فَقُلْنَا \* مَنْ هَوَى نَجْمُهُ فَكَيْفَ يَكُونُ ؟  
نَحْنُ قَوْمٌ أَصَابَنَا حَدَثُ الدَّمِ \* مَرَّ فُظْلُنَا لِرَيْبِهِ نَسْتَكِينُ  
نَتَمَنَّى مِنَ الْأَمِينِ إِيَّاهُ \* لَهْفَ نَفْسِي وَأَيْنَ مَنَى الْأَمِينِ

ومن جيّد قوله في مراثيه إياه .

أَعَزَّيْ يَا مُحَمَّدُ عَنْكَ نَفْسِي \* مَعَاذَ اللَّهِ وَالْأَيْدَى الْجِسَامِ  
فَهَلَّا مَاتَ قَوْمٌ لَمْ يَمُوتُوا \* وَدُفِعَ عَنْكَ لِي يَوْمَ الْجِسَامِ  
كَأَنَّ الْمَوْتَ صَادَفَ مِنْكَ غُيًّا \* أَوْ اسْتَشْفَى بِقُرْبِكَ مِنْ سَقَامِ

وقال أيضا يرثيه :

يَا خَيْرَ اسْرْتَهُ وَإِنْ زَعَمُوا \* إِنِّي عَلَيْكَ لَمُثَبِّتٌ أَسْفُ  
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ لِي كَبَدًا \* حَرَّى عَلَيْكَ وَمَقْلَةً تَكْفُ  
وَلَيْنٌ شَجِيتُ بِمَا رُزْتُ بِهِ \* إِنِّي لَأَضْمُرُ فَوْقَ مَا أَصْفُ  
هَلَّا بَقِيتَ لَسَدًا فَاقْتَنَا \* أَبَدًا وَكَانَ لِنَفْسِكَ التَّلَفُ  
فَلَقَدْ خَلَقْتَ خَلَائِفًا سَلَفُوا \* وَلَسَوْفَ يُعْوِزُ بَعْدَكَ الْخَلَفُ

لا بات رهطك بعد هفوتهم \* إلى رهطك بعدها شنف<sup>(١)</sup>  
 هتكوا بحرمتك التي هتكت \* حرم الرسول ودونها السجف  
 وثبت أقاربك التي خذات \* وجميعها بالذل معترف  
 لم يفعلوا بالشط إذ حضروا \* ما تفعل الغيرة الأنف  
 تركوا حريم أبيهم نقلا \* والمحصنات صواريخ هتف  
 أبدت مخاضها على دهنش \* أبكارهن ورنت النصف  
 سلبت معاجهن وأجنت<sup>(٢)</sup> \* ذات النقاب ونوزع الشنف  
 فكأنهن خلال منتهب \* در تكشف دونه الصدف  
 ملك تحوت ملكه قدر \* فوهى وصرف الدهر مختلف  
 هينات بعدك أن يدوم لنا \* عز وأن يبق لنا شرف  
 لا هيوا صحف مشرفة \* للغادرين تحتها الجدف  
 أفعد عهد الله تقتله \* والقتل بعد أمانة سرف  
 فستعرفون غدا بعاقبة \* عز الإله فأوردوا وقفوا  
 يامن يحون نومه أرق \* هدت الشجون وقلبه لطف  
 قد كنت لي أملا غنت به \* ففضى وحل محله الأسف  
 مرج النظام وعاد منكرنا \* عرفا وأنكر بعدك العرف  
 فالشمل منتشر لفقدك وال \* مدنيا سدى والبال منكسف

وقال أيضا يرثيه :

اذا ذكر الأمين نعى الأميننا \* وإن رقد الخلى حى الجفونا  
 وما برحت منازل بين بصرى \* وكلواذى هيج لي شجونا  
 عراض الملك خاوية تهادى \* بها الأرواح تنسجها فنونا

(١) مبغض منكر . (٢) جمع معجر بالسر وهو ثوب تعجز به المرأة أى تشده على رأسها .

تَحُونُ عَنْ سَاكِنِهَا زَمَانٌ \* تَلْعَبُ بِالْقُرُونِ الْأَوَّلِينَ  
 فَشَتَّتْ شَمْلَهُمْ بَعْدَ اجْتِمَاعٍ \* وَكُنْتُ بِحَسَنِ الْفَتَمِ ضَمِينَا  
 فَلَمْ أَرِ بَعْدَهُمْ حُسْنًا سِوَاهُمْ \* وَلَمْ تَرَهُمْ عِوْنَ النَّاطِرِينَ  
 فَوَاسَفَا وَإِنْ شِمَّتِ الْأَعَادَى \* وَآهٍ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
 أَضَلَّ الْعُرْفَ بَعْدَكَ مُتَّبِعُوهُ \* وَرُفِّعَ عَنْ مَطَايَا الرَّغْبِينَ  
 وَكُنْ إِلَى جَنَابِكَ كُلَّ يَوْمٍ \* يَرْحَنَ عَلَى السَّعُودِ وَيَغْتَدِينَا  
 هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي هَوَتْ الْمَعَالَى \* لِهَلْدَتِهِ وَرِيحِ الصَّالِحُونَ  
 سَتَنْدُبُ بَعْدَكَ الدُّنْيَا جَوَارَا \* وَتَتَدَبُّ بِمَدِّ الدِّينِ الْمُصَوَّنَا  
 فَقَدْ ذَهَبَتْ بِشَاشَةِ كُلِّ شَيْءٍ \* وَعَادَ الدِّينَ مَطْرُوحًا مَهِينَا  
 تَعَقَّدُ عَنْ مُتَصِلٍ بِكَسْرَى \* وَمِلَّتْهُ وَذَلَّ الْمُسْلِمُونَ

وقال أيضا يرثيه :

أَسَفًا عَلَيْكَ سَلَكَ أَقْرَبُ قُرْبَةٍ \* مِنِّي وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَزِيدُ

قال أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي : حسين بن الضحاك أشعر المحدثين حيث يقول :

أَيُّ دِيْبَاجَةٍ حُسَيْنٍ \* هَيِّجَتْ لَوْعَةً حَزْنِي  
 إِذْ رَمَانِي الْقَمَرُ الزَّا \* هَرَى عَنْ فَتْرَةِ جَفْنِ  
 بِأَبَى شَمْسٍ نَهَارٍ \* بَرَزْتُ فِي يَوْمِ دَجْنِ  
 قَرَّبْتَنِي بِالْمَسْنَى حَتَّى \* إِذَا مَا أَخْلَفْتَنِي  
 تَرَكْتَنِي بَيْنَ مِيعَا \* دَخُلْتُ وَتَجَرَّنِ  
 مَا أَرَى فِي مَنْ الصَّبِّ \* مَوَّةَ إِلَّا حَسَنَ ظَنِّي  
 إِنَّمَا دَامَتْ عَلَى الْغَدِ \* رَلَمَا تَعْرِفَ مِثْلِي  
 أَسْتَعِذُ اللَّهَ مِنْ إِعْرَا \* ضَ مِنْ أَعْرَضَ عَنِّي

لما وَلِيَ المعتصم أمر بمكاتبة بالقدوم عليه ، فلما دخل وسلم أستاذنه في الإنشاد ،  
فأذن له ، فأنشده قوله :

هَلَّا سَأَلْتَ تِلْكَ الْمَشْتَاقَ \* وَمَنْتَ قَبْلَ فِرَاقِهِ بِتَلَاقٍ  
إِنْ الرَّقِيبَ لَيْسْتَ تَرْتِيبًا \* صُعُودًا إِلَيْكَ وَظَاهِرَ الْإِقْلَاقِ  
وَلَيْتَ أَرَبْتُ لَقَدْ نَظَرْتُ بِمَقْلَةٍ \* عَبْرِي عَلَيْكَ سَخِينَةَ الْإِمَاقِ  
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِحَائِفِ مَرَقِّبٍ \* جَعَلَ الْوَدَاعَ إِشَارَةً بَعْنِاقِ  
إِذَا لَا جَوَابَ لِمُفْجَعٍ مَحْجِرٍ \* إِلَّا الدَّمُوعُ تُصَانُ بِالْإِطْرَاقِ

حتى انتهى الى قوله :

خَيْرُ الْوُفُودِ مَبَشِّرُ بَخْلَافَةٍ \* خَصَّتْ بِبَهْجَتِهَا أَبَا إِسْحَاقِ  
وَاقِفُهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ سَلِيمَةً \* مِنْ كُلِّ مَشْكَالَةٍ وَكُلِّ شِقَاقِ  
أَعْطَتْهُ بَصْفَقَتَهَا الضَّمَائِرُ طَاعَةً \* قَبْلَ الْأَكْفِ بِأَوْكَدِ الْمِثَاقِ  
سَكَنَ الْأَنْامُ إِلَى إِمَامٍ سَلَامَةٍ \* عَفَّ الضَّمِيرُ مَهْدَبَ الْأَخْلَاقِ  
خَفِيَ رَعِيَّتُهُ وَدَافَعُ دُونِهَا \* وَأَجَارُ مُمْلَقِهَا مِنَ الْإِمْلَاقِ

حتى أتمها ، فقال له المعتصم : آذنُ مني ، فدنا منه ، فلما فقه جوهرا من جوهرا كان بين  
يديه ، ثم أمره بأن يخرج من فيه ، فأخرجه وأمر بأن يُنْظَمَ ويدفع اليه ويخرج الى الناس  
وهو في يده ، ليعلموا موقعه من رأيه ، ويعرفوا فضله ، فكان أحسن ما أُدِخَ به يومئذ .

ومن شعره قوله :

أَمِينَ اللَّهُ ثِقٌ بِاللَّهِ \* لَهُ تُعْطَى الصَّبْرُ وَالنُّصْرَةُ  
كُلِّ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ \* كَلَّاكَ اللَّهُ ذُو الْقُدْرَةِ  
لَنَا النُّصْرُ بَعُونَ اللَّهِ \* وَالْكُفْرَةُ لَا الْفَرَةَ  
وَالْإِزَاقُ أَعْدَا \* نَكَّ يَوْمُ السُّوءِ وَاللَّيْلَةُ  
وَكَأْسُ تَلْفِظِ الْمَوْتِ \* كَرِيهُ طَعْمُهَا مُرَّةٌ



سَقُونَا وَسَقَيْنَاهُمْ \* وَلَكِنْ بِهِمِ الْحِرَّةُ

كَذَاكَ الْحَرْبُ أَحْيَانَا \* عَلَيْنَا وَلَنَا مَرَّةٌ

ومن قوله في غضب حِطَّةٍ للوائق من زيارته أخرى في نوبتها :

غَضِبْتُ أَنْ زَرْتُ أُخْرَى خِلْسَةً \* فَلَهَا الْعُتَى لَدَيْنَا وَالرِّضَا

يَا قَدَتِكَ النَّفْسُ كَانَتْ هَفْوَةً \* فَاغْفِرْهَا وَأَصْفَحْ عَمَّا مَضَى

وَأَتْرَكَ الْعَدْلَ عَلَى مَنْ قَالَهُ \* وَأَنْسَى جَوْرِي إِلَى حَكْمِ الْقَضَا

فَلَقَدْ نَبَيْتَنِي مِنْ رَفَدَتِي \* وَعَلَى قَلْبِي كَيْبَرَانِ الْغَضَا

كان الواثق يتحظى بجارية له فماتت ، فجزع عليها وترك الشراب أياما ، ثم سلاها وعاد

إلى حاله ، فدعا الحسين ليلة وقال له : رأيت فلانة في النوم فليت نومي كان طال قليلا

لأتمتع ببقائها ، فقل في هذا شيئا ، فقال :

لَيْتَ عَيْنَ الدَّهْرِ عَنَا غَفَلَتْ \* وَرَقِيبَ اللَّيْلِ عَنَا رَقَدَا

وَأَقَامَ النَّوْمُ فِي مَدَّتِهِ \* كَالَّذِي كَانَ وَكَمَا أَبَدَا

بَابِي زَوْرٌ تَلَفَّتْ لَهُ \* فَتَنَفَّسْتُ إِلَيْهِ الشُّعَدَا

بَيْنَا أَضْحَكَ مَسْرُورًا بِهِ \* إِذْ تَقَطَّعَتْ عَلَيْهِ كَيْدَا

لما أعيته الحيلة في رضا المأمون عنه رمى بأمره إلى عمرو بن مسعدة وكتب إليه :

أَنْتَ طَوْدِي مِنْ بَيْنِ هَذِي الْأَصْحَابِ \* وَيَسْهَابِي مِنْ دُونِ كُلِّ شِهَابِ

أَنْتَ يَا عَمْرُو قُوَّتِي وَحَيَاتِي \* وَلِسَانِي وَأَنْتَ طُفْطُورِي وَنَابِي

أَتُرَانِي أَنْسَى أَيْادِيكَ إِلَيَّ \* ضَاحِضًا إِذَا أَسْوَدَ نَائِلُ الْأَصْحَابِ

أَيْنَ أَخْلَاقُكَ الرِّضَايَةِ حَالَتْ \* فِي أَمِّ أَيْنَ رِيقَةُ الْكَتَّابِ ؟

أَنَا فِي ذِمَّةِ السَّحَابِ وَأَطْمَأْ؟ \* إِنَّ هَذَا لَوَصْمَةٌ فِي السَّحَابِ

قُمْ إِلَى سَيِّدِ الْبَرِّيَّةِ عَنِّي \* قَوْمَةٌ تَسْتَجِرُّ حُسْنَ الْخَطَابِ

فَلْعَلَّ الْإِلَهِ يُطْفِئَ عَنِّي \* بِكَ نَارًا عَلَى ذَاتِ الْتَهَابِ

فلم يزل عمرو يُلطف للمأمون حتى أوصله إليه وأدّر أرزاقه .

وَسِرْبِ ظَبَاءٍ مِنْ ذُرَابَةِ هَاشِمٍ \* هَتَفَنَ بِدَعْوَى خَيْرِ حَى وَمَيَّتِ  
أَرْدِيدًا مَنَى إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ \* عَلَى كَبِدِ حَرَى وَقَلْبِ مُفْتَتِ  
فَلَا بَاتَ لَيْلُ الشَّامَتَيْنِ بِغِبْطَةٍ \* وَلَا بَلَغَتْ أَمَامُهُمْ مَا تَمَنَّتِ

ومن قوله :

ومن قوله :

وقال في هوى له :

(1-1)

لا وحقّ ما أنا فيه \* له من عطفٍ أرجيه  
 ما الحياةُ نافعة \* لي على تأيئه  
 النعيم يشغله \* والجمال يطفيه  
 فهو غيرُ مكترث \* للذي ألاقه  
 تأيئه تزهده \* في رغبتي فيه

ومن قوله في هوى له :

إن من لا أرى وليس يراني \* نصب عيني مُمثل بالأمانى  
 أبى من ضميره وضميري \* أبدا بالمغيب ينتجيان  
 نحن شخصان إن نظرت ورو \* حان إذا ما اخترت يمتزجان  
 فاذا ما هممت بالأمر أو هم \* بشيء بدأته وبدانى  
 كان وفقاً ما كان منه ومنى \* فكأنى حكيتُه وحكاني  
 خطرات الجفون منا سواء \* وسواء تحرك الأبدان

ومن قوله :

قدت من قال لي على خفّره \* وغض من جفنه على حوره  
 سمع بأشعارك المليح فيا \* ينفك شادها على وتره  
 حسبك بعض الذي أذعت ولا \* حسب ليصّب لم يقض من وطره  
 وقلت يا مستعير سالفة الـ \* خشف وحسن الفتور من نظره  
 لا تترك الحبيب من طرب \* عاود فيك الصبا على كبره

ومن قوله :

سائل بطيفك عن ليلى وعن سهرى \* وعن نتاج أنفاسي وعن فكري  
 لم يحلّ قلبي من ذكرك إذ نظرت \* عيني اليك على صحوى ولا سكرى  
 سقياً ليوم سرورى إذ تُسازعني \* صفو المدامة بين الألس والخفر

وفضّل كأسك يأتيني فأشربه \* جَهْرًا وتشرب كأسى غير مُسْتَر  
وكيف أشمّله لثى وألزمه \* نَحْرَى وترفعه كفى الى بصرى  
فليت مُدّة يومى إذ مضى سلفا \* كانت ومُدّة أيامى على قَدَر  
حتى اذا ما آنطوت عنا بشاشته \* صرنا جميعا كذا جارَيْن فى الحُفَر  
ومن قوله لهوى كان له :

تَعَزَّيْأَسْ عَن هَوَايَ فَإِنِّى \* اذا آنصرفت نفسى فهيهات عن رَدَى  
إِذَا خُنْتُم بِالْغَيْبِ وَدَى فَالْكَم \* تُدَلُّونَ إِدْلَالَ الْمَقِيمِ عَلَى الْعَهْدِ  
وَلِى مِنْكَ بَدِّ فَاجْتَنِبْنِى مَدْمًا \* وَانْ خِلْتَ أَنِّى لَيْسَ لى مِنْكَ مِنْ بَدِّ  
لما ولى الوراق الخلافة أنشده حسين :

أُكَاتِمُ وَجْدَى فَا يَنْكُتُمْ \* بِنِ لَوْ شَكُوتُ إِلَيْهِ رَحِمُ  
وَإِنِّى عَلَى حَسَنِ ظَنِّى بِهِ \* لِأَحْذَرُ إِنْ بُحْتُ أَنْ يَحْتَشِمُ  
وَلِى عِنْدَ لَحْظَتِهِ رَوْعَةٌ \* تَحْقُقُ مَا ظَنَّنْهُ الْمَتَمُّ  
وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنِّى لَهُ \* مَحَبٌّ وَأَحْسِبُهُ قَدْ عَلِمُ  
وَإِنِّى لَمُغْضٍ عَلَى لَوْعَةٍ \* مِنْ الشَّوْقِ فِى كَبْدَى تَضْطَرِّمُ  
عَشِيَّةً وَدَعْتَ عَنْ مَقْلَةٍ \* سَقُوجٍ وَزَفْرَةٍ قَلْبِ سِدِّمِ  
فَإِذَا كَانَ عِنْدَ النَّوَى مُسْعِدٌ \* سَوَى الْعَيْنِ تَمْزِجُ دَمْعًا بِدَمِ  
سَيَذْكُرُ مِنْ بَانَ أَوْطَانَهُ \* وَيَبْكِى الْمَقِيمِينَ مِنْ لَمْ يُقِمِ

كتب إلى الحسن بن رجا فى يوم شك، وقد أمر الوراق بالإفطار، فقال :  
هَزَزْتُكَ لِلصَّبُوحِ وَقَدْ نَهَانِ \* أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الصِّيَامِ  
وَعِنْدَى مِنْ قِيَانِ الْمِصْرِ عَشْرٌ \* تَطْيِيبُ بَهْتِ عَاتِقَةِ الْمَدَامِ  
وَمِنْ أَمْثَالِهِنْ إِذَا أَنْتَشَيْنَا \* تَرَانَا نَجْتَنِى تَمَرِ الْغَسْرَامِ  
فَكَنْ أَنْتَ الْجَوَابُ فَلَيْسَ شَيْءٌ \* أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَذْفِ الْكَلَامِ

فوردت رقعته ، وقد سبقه إليه محمد بن الحارث بن بُسْخَر ووجهه إليه بغلام نظيف الوجه  
ومعه ثلاثة غلابة أقران حسان الوجه ، ومعهم رُقعة كتبها كما تكتب المناشير ، وختمها  
في أسفلها وكتب فيها يقول :

سِرْ عَلَى أَسْمِ اللَّهِ يَا أَشَدَّ \* كُلِّ مَنْ غَضِنَ لِحَيْنِ  
فِي ثَلَاثٍ مِنْ بَنَى الرُّو \* مِ إِلَى دَارِ حُسَيْنِ  
أَتَخَيَّصُ الْكَهْلَ إِلَى مَوْ \* لَآكَ يَا قُرَّةَ عَيْنِي  
أَرَاهُ الْعُنْفَ إِذَا أَسْتَعَدَّ \* صَى وَطَالِبَهُ بِدَيْنِ  
وَدَعِ اللَّفْظَ وَخَاطِبَهُ \* هِ بِغَمَزِ الْحَاجِبَيْنِ  
وَأَحْذَرِ الرَّجْعَةَ مِنْ وَجْهٍ \* هَكَ فِي خُفَى حُسَيْنِ

فمضى معهم .

ومن قوله لمن أعرض عنه :

تَيْتِيهِ عَلَيْنَا أَنْ رُزِقْتَ مَلَاخَةً \* فَهَلَّا عَلَيْنَا بَعْضَ تَيْهِكَ يَا بَرُّ  
لَقَدْ طَالَ مَا كُنَّا مَلَاخًا وَرَبْمَا \* صَدَدْنَا وَتَهْنَا ثُمَّ غَيَّرْنَا الدَّهْرُ

وله في هوى يُحِبُّ عنه :

ظَنُّ مَنْ لَا كَانَ ظَنُّ \* لَ بِحَبِيبِي فَمَاهُ  
أَرَصَدَ الْبَابَ رَقِيدٍ \* نَ لَهُ فَاصْتَفَاهُ  
فَإِذَا مَا أَشْتَاقُ قَرِيبٍ \* وَلِقَائِي مَنَعَاهُ  
جَعَلَ اللَّهُ رَقِيدٍ \* هِ مِنْ الشُّوْءِ فِدَاهُ  
وَالَّذِي أَفْرَحَ فِي الشَّ \* دَنَ قَلْبِي وَلَوَاهُ  
كُلُّ مُشْتَاقٍ إِلَيْهِ \* فَمِنْ الشُّوْءِ فِدَاهُ  
سَيِّئًا مِنْ حَالَتِ الْأَحْ \* سِرَاسٍ مِنْ دُونِ مُنَاهُ

أمره المتوكل بأن ينادمه ويلازمه، فلم يطق ذلك لكبر سنه، فقال للمتوكل بعض من حضر عنده: هو يطبق الذهاب إلى القرى والمواخير والسكر فيها ويعجز عن خدمتك؛ فبلغه ذلك، فدفع إلى أحمد بن حمدون أبياتا قالها وسأله إيصالها، فأوصلها إلى المتوكل، وهي:

أما في ثمانين وقيتها \* عذير وإن أنا لم أعتذر  
فكيف وقد جرّتها صاعدا \* مع الصاعدين يتسع آخر  
وقد رفع الله أقلامه \* عن ابن ثمانين دون البشر  
سوى من أصرّ على فتنة \* وألحد في دينه أو كفر  
وإني لمن أسراء الإل \* له في الأرض نصب صروف القدر  
فإن يقض لي عملا صالحا \* أثاب وإن يقض شرا غفر  
فلا تلح في كبر هذني \* فلا ذنب لي أن بلغت الكبر  
هو الشيب حلّ بعقب الشباب \* فمن ذا يلوم إذا ما عذر  
وإني لفي كنف مغدق \* وعز بنصر أبي المنتصر  
يباري الرياح بفضل السما \* ج حتى تبلد أو تنحسر  
له أكد الوحى ميراثه \* ومن ذا يخالف وحى الشؤر  
وما للحدود وأشباهه \* ومن كذب الحق إلا المجر

فلما أوصلها شيّعها بكلام يعذره وقال: لو أطاق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعد بها؛

فقال المتوكل: صدقت، وأمر له بعشرين ألف درهم.

### ٥ - محمد بن عبد الملك الزيَّات<sup>(١)</sup>

كان محمد شاعرا مُجيدا لا يُقاس به أحد من الكُتَّاب ، وإن كان إبراهيم بن العباس مثله في ذلك ، فإن إبراهيم مُقِلٌّ وصاحب قصار ومقطَّعات . وكان محمد شاعرا يُطيل فيجيد ، ويأتي بالقصار فيجيد ؛ وكان بليغا حسن اللفظ اذا تكلم واذا كتب .

ولما تولى محمد الوزارة اشترط ألا يلبس القباء ، وأن يلبس الدَّرَاعَة ويتقلد عليها سيفا بجمائل ، فأجيب الى ذلك .

وكان يقول : الرحمةُ خَوَّرَ في الطبيعة ، وَضَعَفَ في المُنَّة ، ما رَحِمْتُ شيئا قط ؛ فكانوا يطعنون عليه في دينه بهذا القول ، فلما وُضِعَ في الثَّقَل والحديد قال : ارحموني ، فقالوا له : وهل رحمت شيئا قط فترحم ؟ هذه شهادتك على نفسك وحُكْمك عليها .

لما ماتت أمُّ ابنه عمر ورثاها بقصيدة منها :

يقول لى الخِلَّان لو زُرْتُ قَبْرَهَا \* فقلتُ وهل غير الفؤاد لها قَبْرُ  
على حين لم أجدُ فأجهل قَبْرَهَا \* ولم أبلغ السنَّ التي معها الصبر

ومن شعره قوله :

ما أعجب الشيءَ ترجوه فتُحرِّمه \* قد كنتُ أحسب أنى قد ملأت يدي  
مالى اذا غبتُ لم أذكر بصالحه \* وإن مَرِضْتُ فطال السَّقمُ لم أعد

(١) هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة واشتهر بابن الزيَّات لأن جده (أبان) كان يجلب الزيت من مراضه الى بغداد ، وكان أدبيا شاعرا عالما بالحو واللغة ، وله ديوان شعر ومجموعة رسائل جيدة ، وكان في أوَّل أمره من جملة الكُتَّاب ثم صار وزيرا للعتصم ولأبيه الواثق . ولما تولى المدوكل قبض عليه وأمر بإدخاله في تنور من حديد كان ابن الزيَّات أعده لتعذيب المصادرين وأرباب الدواوين المطالبين بالأموال وقبده بخمسة عشر رطلا من حديد ، ثم أمر بإخراجه بعد أن مكث فيه أربعين يوما ، فوجدوه ميتا وذلك سنة ٢٣٣ هـ . ويجد ترجمته في الأغاني (ج ٢٠ ص ٤٦) وابن خلكان (ج ٢ ص ٧٨) .

ومن شعره قوله :

ألم تعجب لمكتئبٍ حزينٍ \* خدين صبايةٍ وحليفٍ صبرٍ  
يقول اذا سألت به بخير \* وكيف يكون مهجورٌ بخير

وكان لمحمد يردون أشهب لم ير مثله قرأه وحسنا، فسعى به محمد بن خالد الى المعتصم

ووصف له فراهته، فبعث اليه المعتصم فأخذه منه، فقال محمد بن عبد الملك يرثيه :

كيف العزاء وقد مضى لسبيله \* عنا فودعنا الأحمَّ الأشهبُ  
دبَّ الوشاةُ فأبعدوك وربما \* بعد الفتي وهو الأحبُّ الأقرب  
لله يومَ نأيت عني ظاعنا \* وسُلبتُ قربك أيَّ علقٍ أُسَلِّبُ  
نفسٌ مفرقةٌ أقام فريقها \* ومضى لطيته فريقٌ يُجَنِّبُ  
فالان اذ كملت أداتك كلها \* ودعا العيون اليك لونٌ معجب  
وأختر من سرِّ الحادثات خيرها \* لك خالصا ومن الحلى الأغرب  
وغدوت طنان الجلام كأنما \* في كل عضو منك صنَجٌ يضرب  
وكان سرجك إذ علاك غمامةٌ \* وكأنا تحت الغمامة كوكب  
ورأى على بك الصديقُ جلالهٌ \* وغدا العدوَّ وصدْرهُ يتلهَّبُ  
أنساك لا زالت اذا منيته \* نفسى ولا زالت يمينى تتكب  
أضمرتُ منك اليأس حين رأيتنى \* وقوى حبالى من قواك تُقَضِّبُ  
ورجعت حين رجعت منك بحسرةٍ \* لله ما فعل الأحمَّ الأشهب

ولما وثب إبراهيم بن المهدي على الخلافة أقترض من مياسير التجار مالا، فأخذ من

عبد الملك أبي محمد عشرة آلاف درهم وقال له : أنا أردتها اذا جاعنى مال، ولم يتم أمره،

فأستخفى ثم ظهر ورضى عنه المأمون، فطالبه الناس بأموالهم، فقال : إنما أخذتها للسلبيين

وأردت قضاءها من فيهم، والأمر الآن الى غيرى، فعمل محمد بن عبد الملك قصيدة

خاطب فيها المأمون ومضى الى إبراهيم بن المهدي فأقرأه إياها وقال : والله لئن لم تعطنى



المال الذى اقترضته من أبى لأوصلن هذه القصيدة الى المأمون، تخاف أن يقرأها المأمون  
فيتسبب ما قاله ، فيوقع به ، فقال له : خذ منى بعض المال ونجّ على بعضه ، ففعل ؛  
والقصيدة قوله :

ألم تر أنّ الشئَ للشئِ علّةٌ \* تكون له كالنار تُقدَح بالزّندِ  
كذلك جرّبت الأمور وإِنما \* يدُلُّك ما قد كان قبْلُ على البعدِ  
وطّنى إبراهيم أنّ مكانه \* سيّبعث يوما منلّ أيامه التّكدي  
رأيت حسينا حين صارَ محمّداً \* بغير أمانٍ في يديهِ ولا عقْدِ  
فلو كان أمضى السيفَ فيه بضربة \* فصيره بالقاع مُنْعِفَ الخدِّ  
إذا لم تكن للجُنْد فيه بقيّةٌ \* فقد كان ما بُلّغْتُ من خبر الجندِ  
هم قتلوه بعد أنّ قتلوا له \* ثلاثين ألفا من كهولٍ ومن مُردِ  
وما نصرّوه عن يدٍ سلّفت له \* ولا قتلوه يوم ذلك عن حقدِ  
ولكنّه الغدرُ الصّراحُ وخِفةُ الـ \* حلومٍ وُبعد الرأى عن سننِ القصدِ  
فذلك يومٌ كان للناسِ عبرةٌ \* سبقَ بقاءَ الوحى فى الحجرِ الصّلدِ  
وما يوم إبراهيم إن طال عمره \* بأبعد فى المكروه من يومه عندى  
تذكّر أمير المؤمنين مقامه \* وأيمانه فى الهزل منه وفى الحدِّ  
أما والذى أمسيت عبداً خليفةً \* له شرّ إيمان الخليفة والعبيدِ  
إذا هنّ أعواد المنابر بأسنّته \* تغنى بليلى أو يميّة أو هندِ  
فوالله ما من توبةٍ نزعت به \* اليك ولا ميل اليك ولا ودِّ  
ولكنّ إخلاصَ الضميرِ مقربٌ \* إلى الله زُلْفى لا تبيدُ ولا تُكدي  
أتاك بها كرها اليك بأنفسه \* على رَغْمه وآستاءِ الله بالحمدِ  
فلا تتركَنَّ للناس موضعَ شبهةٍ \* فإنك مجزىٌ بحسبِ الذى تُسدى  
فقد غلطوا للناس فى نصب مثله \* ومن ليس للنصور بابن ولا المهدي

فكيف بمن قد بايع الناس وألقت \* ببيعته الرُكبان غَوْرًا الى تَجْدِ  
ومن سَكَتَ تسلُّمُ الخلافةَ سمعَه \* يُنادى به بين السَّماطين من بُعدِ  
واى امرئ سَمَّى بها قط نفسه \* ففارقها حتى يُغيب فى اللحدِ  
وتزعم هَذِي النَّابِيتَةِ أَنه \* إمام لها فيما تُسرِّ وما تُبدى  
يقولون سُنَى وأَيُّهُ سُنَّة \* تَمِّمُ بَصْعَلُ الرَّأْسِ جَوْنَ الْقَفَا جَعْدِ  
وقد جعلوا رُخْصَ الطعام بعهدِه \* زعيمًا له باليمن والكوكب السَّعدِ  
إذا ما رأوا يومًا غَلَاءَ رَأْيَتِهِم \* يَحْنُونُ تَحْنَانًا الى ذلك العهدِ  
وإقبالُه فى العيد يُوجِفُ حَوْلَه \* وَجِيفَ الحَيَادِ واصطكاك القَنَا الجُرْدِ  
وَرَجَالُهُ يَمِشُّونَ بِالْبَيْضِ قَبْلَه \* وقد تَبَعُوهُ بالقضيب وبالْبُرْدِ  
فإن قلتَ قد رامَ الخلافةَ قَبْلَه \* فلم يُؤْتَ فيما كان حاول مِن جَدِّ  
فلم أَجْزِه إِذْ خَيَّبَ الله سَعِيَه \* على خطأ إِذْ كان منه على عَمْدِ  
ولم أَرْضَ بعد العفو حتى رَفَعْتُهُ \* وَلَلْعَمَّ أُولَى بالتَغْمُدِ والرَّفْدِ  
فليس سَوَاءً خَارِجِي رَمَى به \* اليك سَفَاهَ الرأى والرأى قد يردى  
تَعَادَتْ لَهُ من كل أَوْبِ عَصَابَةٍ \* متى يُوردوا لا يُصدِّروه عن الوَرْدِ  
ومن هو فى بَيْتِ الخلافةِ تَلْتَقِ \* به وبك الآباء فى ذُرْوَةِ المَجْدِ  
فولاك مَوْلَاهُ وَجُنْدُكَ جُنْدُه \* وهل يَجْمَعُ القَيْنُ الحُسَّاءِ فى غَمْدِ  
وقد رابحى من أَهل بيتك أَنى \* رأيتُ لَهم وَجْدًا به أَيْمًا وَجْدِ  
يقولون لا تَبْعِدْ من أَبْنِ مِلَّةِ \* صبورٍ على اللأواء ذى مِرَّةِ جَلْدِ  
فَدَانَا وَهَانَتْ نَفْسُهُ دُونَ مُلْكَا \* عليه لدى الحال التى قَلَّ مَنْ يَفْدَى  
على حينَ أعطى الناسُ صَفِيقَ أَكْفَمِهِم \* على بن موسى بالولاية والعهدِ  
فما كان فينا من أبى الضَّيِّمِ غَيْرُه \* كَرِيمٌ كَفَى ما فى القَبولِ وفى الرَّدِّ  
وَجَرَدَ إِبراهيمَ لَلوْتِ نَفْسَه \* وأبدى سلاحًا فوق ذى مِيعَةِ نَهْدِ

وأبلى ومن يبلغ من الأمر جهده \* فليس بمذموم وإن كان لم يُجِدِ  
فهذه أمور قد يخاف ذوو النهى \* مغبتها والله يهديك للرشد  
وكانت الخلافة في أيام الواثق تدور على إيتاخ وكتبه سليمان بن وهب ، وعلى أشناس  
وكتبه أحمد بن الخصب ، فعمل محمد بن عبد الملك قصيدة وأوصلها الى الواثق على أنها  
لبعض أهل العسكر، وهي :

يا بن الخلف والأملك إن نُسبوا \* حُرّت الخلافة عن آبائك الأول  
أجرت أم رقدت عينك عن عجب \* فيه البرية من خوف ومن وهل  
وليت أربعة أمر العباد معا \* وكلهم حاطب في جبل محتبيل  
هذا سليمان قد ملكت راحته \* مشارق الارض من سهل ومن جبل  
ملكته السند فالشجرين من عدن \* الى الجزيرة فالأطراف من ملل  
خلافة قد حواها وحده فضت \* أحكامه في دماء القوم والنقل  
وابن الخصب الذي ملكت راحته \* خلافة الشام والغازين والقفل  
فنبيل مصر فبحر الشام قد جرى \* بما أراد من الاموال والحلل  
كأنهم في الذي قسمت بينهم \* بنو الرشيد زمان القسم للدول  
حوى سليمان ما كان الأمين حوى \* من الخلافة والتبليغ للأمل  
وأحمد بن خصب في إمارته \* كالقاسم بن الرشيد الجامع السبل  
أصبحت لا ناصح يأتيك مستترا \* ولا علانية خوفا من الحيل  
سل بيت مالك أين المال تعرفه \* وسل نجاجك عن أموالك الجمل  
كم في حبوسك ممن لا ذنوب لهم \* أسرى التكذب في الأفياد والجمل  
سميت باسم الرشيد المرتضى فيه \* تسمى الأمور التي تُجنى من الزلل  
عث فيهم مثل ما عاث يدها معا \* على البرامك بالتهديم للقلل

فلما قرأ الواثق هذا الشعر غاظه ، ونكب سليمان بن وهب وأحمد بن الخصب ،  
وأخذ منهما ومن أسبأهما ألفي ألف دينار فجعلها في بيت المال .

٦ - ابن البواب<sup>(١)</sup>

لما أتى المأمون بشعر ابن البواب الذي يقول فيه :

أَيُّخْلَ فَرَّدُ الْحَسَنِ فَرَّدُ صِفَاتِهِ \* عَلَى وَقْدِ أَفْرَدْتُهُ بِهِوَى فَرَّدِ  
رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ \* فَمَّا كَكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ  
أَلَا إِنَّمَا الْمَأْمُونُ لِلنَّاسِ عِصْمَةٌ \* مُمَيِّزَةٌ بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالرَّشْدِ

فقال المأمون : أليس هو القائل :

أَعْنَيْ جُودًا وَأَبْكِيَا لِي مُحَمَّدًا \* وَلَا تَذْخَرَا دَمْعًا عَلَيْهِ وَأَسْعِدَا  
فَلَا فِرْحَ الْمَأْمُونُ بِالْمُلْكِ بَعْدَهُ \* وَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا شَرِيرًا مُطَّرِدَا

واحدة بواحدة ، ولم يَصْلُحْهُ بشيء . ولما سَخِطَ عَلَيْهِ قَالَ قَصِيدَةً يمدحه بها ، ودسَّ مَنْ غَنَّاهُ فِي بَعْضِهَا لَهَا وَجَدَ مِنْهُ نَشَاطًا ، فَسَأَلَ : مَنْ قَائِلُهَا ، فَأَخْبَرَ بِهِ ، فَرَضَى عَنْهُ وَرَدَّهُ إِلَى رَسْمِهِ .  
من الخدمة ، وهى :

هَلْ لِلْحَبِّ مُعِينٌ \* إِذْ شَطَّ عَنْهُ الْقَرِينُ  
فَلَيْسَ يَبْكِي لَشَجْوِ الْ \* حَزِينِ إِلَّا الْحَزِينُ  
يَا ظَاغِنَا غَابَ عَنَّا \* غَدَاةَ بَانَ الْقَطِيبُ  
أَبْكَيْ الْعَيُونَ وَكَانَتْ \* بِهِ تَقَمَّرُ الْعَيُونَ  
يَا أَيُّهَا الْمَأْمُونُ الْ \* مَبَارَكُ الْمَيْمُونُ  
لَقَدْ صَفَّتْ بِكَ دُنْيَا \* لِلسَّالِمِينَ وَدِينُ  
عَلَيْكَ نَوْرُ جَلَالِ \* وَنُورُ مُلْكِ مُبِينِ

(١) هو عبد الله بن عتاب من أهل بخارى ، وجرى به بلاء ، وجماعة معه رهينة إلى الحاجج بن يوسف ، فنزلوا عنده بواسطة ، فأقطعهم سكة بها ، فات تطوها ونزلوها طول أيام بنى أوبية ، ثم اضمحوا من الدولة العباسية إلى الربيع نخدموه ، وكان عبد الله بن محمد هذا يخالف الفصل بن الربيع على حبة الخلفاء ، وكان صالح الشعر قليلة وراوية لا تنجدار الخلفاء عالمًا بأمورهم .

القولُ منك فعّال \* والظن منك يقين  
 ما من يديك شمال \* كلنا يدك يمين  
 كأنما أنت في الجنو \* د والتقي هارون  
 من نال من كل فضل \* ما ناله المأمون  
 تألف الناس منه \* فضل وجود ولين  
 كالبدر يبدو عليه \* سكينته وسكون  
 فالرزق من راحتيه \* مقسم مضمون  
 وكل خصلة فضل \* كانت فمنه تكون

ومما يغنى فيه قوله :

أفق أيها القلب المعذب كم تصبو؟ \* فلا النأي عن سمالك يسلى ولا القرب  
 أقول غداة استخبرت ميم علي؟ \* من الحب كرب ليس يشبهه كرب  
 اذا أبصرتك العين من بعد غاية \* فأدخلت شكافيك أثبتك القلب  
 ولو أن ركبا يمموك لقادهم \* نسيك حتى يستدل بك الركب

أملق ابن البواب حين جفاه الخليفة وعلت سنه عن الخدمة، فرحل الى أبي دلف  
 القاسم بن عيسى ومدحه بقصيدة، فوهب له ثلاثين ألف درهم وعاد بها الى بغداد، فما  
 نفدت حتى مات؛ وهى قوله :

طرقك صائدة القلوب رباب \* ونأت فليس لها اليك ماب  
 وتصرمت منها العهود وغلقت \* من دون نيل طلابها الأبواب  
 فلا صدفن عن الهوى وطلابه \* فالحب فيه بلية وعذاب  
 وأخص بالمدح المهذب سيّدا \* تفحاته للجبدين<sup>(١)</sup> رغب  
 والى أبي دلف رحلت مطيتى \* قد شققها الإرقال والإتاع

(١) الأرقال : ضرب من الخبب .

تعلو بنا قُلَلُ الجبال ودونها \* مما هَوَتْ أهوية وشعاب  
 فإذا حلتُ لدى الأمير بأرضه \* نلتُ المني وتقضيت الآرابُ  
 ملكٌ تأثُلَ عن أبيه وجده \* مجدًا يقصر دونه الطُّلابُ  
 وإذا وزنت قديم ذى حسبٍ به \* خضعتُ لفضل قديمه الأحسابُ  
 قوم علوا أملاك كل قبيلة \* فالناس كلهم له أذنان  
 ضربت عليه المكرمات قبابها \* فعلا العمود وطالت الأطنابُ  
 عقيم النساءُ بمشله وتعطلت \* من أن تُضمّن مثله الأصلابُ

---

## ٧ - الخُرَيْمِيُّ (١)

كان متصلاً بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة، وله فيه مدائح جَيَّاد، ثم رثاه بعد موته، ف قيل له : يا أبا يعقوب، مدائحك لآل منصور بن زياد أحسن من سرائيك وأجود؛ فقال : كُنَّا يومئذ نعمل على الرجاء، ونحن اليوم نعمل على الوفاء، وبينهما بون بعيد .  
وهو القائل في عيذه :

أُصْنِي إِلَى قَائِدِي لِيُخْبِرَنِي \* إِذَا التَّقِينَا عَمَّنْ يُحْيِينِي  
أُرِيدُ أَنْ أُعْدِلَ السَّلَامُ وَأَنْ \* أَفْصَلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالذُّونِ  
أَسْمَعُ مَا لَا أَرَى فَأَكْزُهُ أَنْ \* أَخْطِئُ وَالسَّمْعُ غَيْرُ مَأْمُونِ  
لِلَّهِ عَيْنِي الَّتِي يُفَعِّتُ بِهَا \* لَوْ أَنَّ دَهْرًا بِهَا يُوَاتِينِي  
لَوْ كُنْتُ خَيْرَتُ مَا أَخَذْتُ بِهَا \* تَعْمِيرَ نُوحٍ فِي مُلْكِ قَارُونِ  
حَقٌّ أَخْلَاقِي أَنْ يَعُودُونِي \* وَأَنْ يُعْزَوْا عَنِّي وَيَكُونِي

وهو القائل :

إِذَا مَا مَاتَ بَعْضُكَ فَأَبِكْ بَعْضًا \* فَإِنَّ الْبَعْضَ عَنْ بَعْضٍ قَرِيبُ  
يُمْنِي الطَّبِيبُ شِفَاءُ عَيْنِي \* وَهَلْ غَيْرُ الْإِلَهِ لَهَا طَبِيبُ

(١) هو إسحاق بن حسان ويكنى أبا يعقوب، من العجم، وهو القائل :

إِنْ أَمَرْتُ مِنْ سِرَاةِ الصَّغْدِ أَلْبَسْنِي \* عَرَفَ الْأَعَاجِمُ جِلْدًا طَلِبَ الْخَبِيرِ

وكان دول ابن خريم الذي يقال لأبيه : خريم الناعم . وهو خريم بن عمرو بن بنى مرزبان عوف بن سعد بن ذبيان .  
وعنى أبو يعقوب الخريمي بعد ما أسن، وكان يقول في ذلك شعرا، فنه قوله :

فَإِنْ لَكَ عَيْنِي خَبَا نَوْهَا \* فَكَمْ قَبْلَهَا نَوْرَيْنِ خَبَا  
فَلَمْ يَعْلَمْ قَلْبِي وَلَكِنَّا \* أَرَى نَوْرَ عَيْنِي إِلَيْهِ سَرَى  
فَأَسْرَجَ فِيهِ إِلَى نَوْرِهِ \* سَرَّاجًا مِنَ الْعَالَمِ يَشْفَى الْعَمَى

وقال يذكر بغداد والفتنة التي كانت بها :

قالوا ولم يَلْعِبِ الزمانُ بيغ \* دَادَ وَتَعَثَّرَ بِهَا عَوَائِرُهَا  
 إِذْ هِيَ مِثْلُ الْعُرُوسِ بِأَدْبُهَا \* مَهَوَّلٌ لِلْفَقِّ وَحَاضِرُهَا  
 جَنَّةُ دُنْيَا وَدَارُ مَغَبَّة \* قَلَّ مِنَ النَّائِبَاتِ وَأَثَرُهَا  
 دَرَّتْ خُلُوفُ الدُّنْيَا لِسَاكِنِهَا \* وَقَلَّ مَعْسُورُهَا وَعَاسِرُهَا  
 وَأَفْرَجَتْ بِالنَّعِيمِ وَأَتَجَبَّتْ \* فِيهَا بِلْدَاتُهَا حَوَاضِرُهَا  
 فَالْقَوْمُ مِنْهَا فِي رَوْضَةِ أَنْفٍ \* أَشْرَقَ غَبُّ الْقِطَارِ زَاهِرُهَا  
 مِنْ غَرَّةِ الْعَيْشِ فِي بُلَهْنِيَّة \* لَوْ أَنَّ دُنْيَا يَوْمَ عَامِرِهَا  
 دَارُ مَلُوكٍ رَسَتْ قَوَاعِدُهَا \* فِيهَا وَقَرَّتْ بِهَا مَنَائِرُهَا  
 أَهْلُ الْعِلَا وَاللَّيْ وَأَنْدِيَةِ الْ \* فَفَخَّرَ إِذَا عُدَّتْ مَفَاخِرُهَا  
 أَفْرَاحُ نَعَمِي فِي إِرْثِ مَمْلَكَةٍ \* شَدَّ عُرَاها لَهَا أَكْبَارُهَا  
 فَلَمْ يَزَلْ وَالزَّمَانُ ذُو غَيْرِ \* يَقْدَحُ فِي مُلْكِهَا أَصَاغِرُهَا  
 حَتَّى تَسَاقَتْ كَأْسًا مُمْتَلِئَةً \* مِنْ فِتْنَةٍ لَا يُقَالُ عَائِرُهَا  
 وَأَفْتَرَقَتْ بَعْدَ أَلْفَةِ شَيْعًا \* مَقْطُوعَةً بَيْنَهَا وَأَوَاصِرُهَا  
 يَا هَلْ رَأَيْتَ الْأَمْلَاقَ مَا صَنَعَتْ \* إِذْ لَمْ يَزْعَمْهَا بِالنَّصِيحِ زَاجِرُهَا  
 أَوْ رَدَّ أَمْلَاقُهَا نَفْسَهُمْ \* هُوَّةٌ غَيَّ أَغْيَتَ مَصَادِرُهَا  
 مَا صَرَّهَا لَوْ وَفَتْ بِمَوَاقِفِهَا \* وَأَسْتَحْكَمَتْ فِي التَّقَى بَصَائِرُهَا  
 وَلَمْ تُسَافِكْ دِمَاءَ شَيْعَتِهَا \* وَتَبَتَّعِلَ فِتْنَةً تُكَايِرُهَا  
 وَأَقْنَعَتْهَا الدُّنْيَا الَّتِي جُمِعَتْ \* لَهَا وَرَغْبُ النُّفُوسِ ضَائِرُهَا  
 مَا زَالَ حَوْضُ الْأَمْلَاقِ [...] \* مَسْجُورُهَا بِالْهَوَى وَسَاجِرُهَا  
 تَبَقَّى فُضُولُ الدُّنْيَا مُكَاثِرَةً \* حَتَّى أُبْجِتَ كَرُّهَا ذَخَائِرُهَا



يبيع ما جَمَعَ الأَبْوَةُ لـ \* أبناء لا أُرَبِّحَت مَتَاجِرُهَا  
 يا هِل رَأَيْتَ الحِنَانِ زَاهِرَةً \* يروق عَيْنَ البَصِيرِ زَاهِرُهَا  
 وهل رَأَيْتَ القَصُورَ شَارِعَةً \* تُكِنُّ مِثْلَ الدَّمَى مَقَاصِرُهَا  
 وهل رَأَيْتَ القُرَى الَّتِي غَرَسَ الـ \* أَمَلَاكَ مُحْضِرَةً دَسَاكِرُهَا  
 محفوفةً بالكروم والنخل والـ \* تَرْيْحَانِ قَدْ دَمِيتَ مَحَابِرُهَا  
 فَإِنهَا أَصْبَحَتْ خَلَايَا مِنَ الـ \* إِنْسَانٍ قَدْ دَمِيتَ مَحَابِرُهَا  
 قَفَرًا خَلَاءَ تَعْوَى الكَلَابِ بِهَا \* يَنْكُرُ مِنْهَا الرُّسُومَ دَائِرُهَا  
 وَأَصْبَحَ البُؤْسُ مَا يَفَارِقُهَا \* إَلْفًا لَهَا وَالسُّرُورُ هَابِرُهَا  
 بَزْدَ وَرْدٍ وَالْيَاسِرِيَّةِ وَالـ \* شَطِئِينَ حَيْثُ أَتَيْتَ مَعَابِرُهَا  
 وَبِالرَّحَى وَالْحَيْزُرَانِيَّةِ الـ \* حُلَايَا الَّتِي أَشْرَفْتَ قَنَاطِرُهَا  
 وَقَصْرَ عَبْدِيهِ عِبْرَةً وَهَدَى \* لِكُلِّ نَفْسٍ زَكَّتْ سَرَائِرُهَا  
 فَأَيْنَ حَرَّاسُهَا وَحَارِسُهَا \* وَأَيْنَ مَجْبُورُهَا وَجَابِرُهَا  
 وَأَيْنَ خَصِيائَتُهَا وَحَشَوَتُهَا \* وَأَيْنَ سَكَّانَهَا وَعَامِرُهَا  
 أَيْنَ الْجَرَادِيَّةِ الصَّقَالِبُ وَالـ \* أَحْبَشُ تَعْدُو هُدُلًا مَشَافِرُهَا  
 يَنْصَدِعُ الجُنْدُ عَنْ مَوَاقِبِهَا \* تَعْدُو بِهَا سُرِّيًّا ضُؤَامِرُهَا  
 بِالسَّنْدِ وَالْهِنْدِ وَالصَّقَالِبِ وَالـ \* نَوْبَةَ شَيْتِ بِهَا بَرَابِرُهَا  
 طَيْرًا أَبَابِيلَ أُرْسَلَتْ عَبَتَا \* بِقُدُمِ سُودَانَهَا أَحَامِرُهَا  
 أَيْنَ الظَّبَاءِ الْأَبْكَارِ فِي رَوْضَةِ الـ \* حُلُكٍ تَهَادَى بِهَا غَرَائِرُهَا  
 أَيْنَ غَضَارَاتِهَا وَلَذَّتْهَا \* وَأَيْنَ مَجْبُورُهَا وَجَابِرُهَا  
 بِالمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْيَمَانِيِّ وَالـ \* يَلْتَجِجُ مَشْبُوبَةً مَجَامِرُهَا  
 يَرْفُلَانِ فِي الْحَزِّ وَالْمَجَاسِدِ وَالـ \* مَوْنِيَّ نَخْطُومَةً مَرَامِرُهَا

فآين رقاصها وزامرها \* يُجِبْن حيث آتته حناجرها  
 تكاد أسمعهم تُسَلّ اذا \* عارض عيدانها مزاهرها  
 أمست بكوف الحمار خالية \* يسعرها بالجحيم ساعرها  
 كأنما أصبحت بساحتهم \* عادٌ ومستم صراصرها  
 لا تعلم النفس ما يبأيتها \* من حادث الدهر أو يبأكرها  
 أضحى وتمسى درية غرضا \* حيث استقرت بها شرارها  
 لأشهم الدهر وهو يرشقه \* مُحْنَطُها مرة وباقرها  
 يابؤس بغداد دار مملكة \* دارت على أهلها دوائرها  
 أمهلها الله عاقبها \* لما أحاطت بها كبائرها  
 بالخسف والقذف والحريق وبال \* حرب التي أصبحت تُساورها  
 كم قد رأينا من المعاصي بها \* كالعاهر السوء ... ..  
 حلت ببغداد وهي آمنة \* داهية لم تكن تُحاذرها  
 طالعها السوء من مطالعه \* وأدركت أهلها جرائرها  
 رق بها الدين وأسحّف بذى الـ \* فضل وعزّ الشّاك فاحدا  
 وخطم العبد أنف سيده \* بالزغم واستعبدت مخادرها  
 وصار ربّ الحيران فاسقهم \* وأبتر أمر الدروب ذاعرها  
 من ير بغداد والجنود بها \* قد ربقت حولها عساكرها  
 كل طحونٍ شهباء بأسلة \* تُسقط أحبالها زماجرها  
 تلقى بنى الردى أو أنسها \* يرهقها للقاء طاهرها  
 والشيخ يعدو حزما كتابه \* يُقَدِّم أعجازها يعاورها  
 ولزهر بالقول مأسدة \* مرقومة صلبة مكاسرها  
 كتائب الموت تحت ألوية \* أبرح منصورها وناصرها

يَعْلَمُ أَنَّ الْأَقْدَارَ وَاقِعَةٌ \* وَقَعَا عَلَى مَا أَحَبَّ قَادِرُهَا  
فَتَلَكَ بَعْدَادُ مَا يَبِينُ مِنْهَا \* سَدَّ لَهُ فِي دُورِهَا عَصَا فِرْهَا  
مُخَفِّفَةٌ بِالرَّدَى مِنْطَقَةٌ \* بِالصَّقْرِ مُحْصُورَةٌ جِبَا بِرْهَا  
وَبَيْنَ شَطِّ الْفُرَاتِ مِنْهُ إِلَى \* دِجْلَةٍ حَيْثُ أَتَتْ مَعَا بِرْهَا  
كَهَادِي السُّفَرَاءِ نَافِرُهُ \* تَرْكُضُ مِنْ حَوْلِهَا أَشَا فِرْهَا  
يُحْرِقُهَا ذَا وَذَاكَ يَهْدِمُهَا \* وَيَسْتَفِي بِالنَّهَابِ شَا طِرْهَا  
وَالْمَكْرُخُ أَسْوَاقُهَا مَعْطَلَةٌ \* يَسْتَنْ عِيَارُهَا وَعَا بِرْهَا  
أَخْرَجَتْ الْحَرْبُ مِنْ سَوَاقِطِهَا \* أَسَادَ غِيلَ غُلْبَا تُسَاوِرْهَا  
مِنْ الْبَوَارِي تَرَأْسُهَا وَمِنْهَا \* يَخُوصُ إِذَا أَسْتَلَّامَتْ مَغَا فِرْهَا  
تَغْدُو إِلَى الْحَرْبِ فِي جَوَاشِنِهَا \* صَوِّفُ إِذَا مَا عَدَّتْ أَسَاوِرْهَا  
كَتَائِبُ الْهَرِشِ تَحْتَ رَايَتِهِ \* سَاعَدَ طَرَارُهَا مُقَامِرْهَا  
لَا الرِّزْقُ تَبْنِي وَلَا الْعَطَاءُ وَلَا \* يُحْشِرُهَا لِلْقَاءِ حَاشِرْهَا  
فِي كُلِّ دَرْبٍ وَكُلِّ نَاجِيَةٍ \* خَطَارَةٌ يَسْتَهْلُ خَا طِرْهَا  
بِمِثْلِ هَامِ الرِّجَالِ مِنْ فَلَاقِهَا \* صَخْرَ يَزُودُ الْمُقْلَاعَ بَا بِرْهَا  
كَأَنَّمَا فَوْقَ هَامِهَا عِدْفُ \* مِنْ الْقَطَا الْكُذْرُ هَاجَ نَافِرْهَا  
وَالْقَوْمُ مِنْ تَحْتِهَا لَمْ رَجَلُ \* وَهِيَ تَرَامِي بِهَا خَوَاطِرْهَا  
بَلْ هَلْ رَأَيْتَ السِّيُوفَ مُصَلَّتَةً \* أَشْهَرَهَا فِي الْأَسْوَاقِ شَا هِرْهَا  
وَالْخَيْلَ تَسْتَنْ فِي أَرْزَقَتِهَا \* بِالْثَرْكِ مَسْنُونَةٌ خِنَا جِرْهَا  
وَالنَّفْطُ وَالنَّارُ فِي طَرَائِقِهَا \* وَهَابِيًا لِلدُّخَانِ عَا مِرْهَا  
وَالنَّهْبُ تَعْدُو بِهِ الرِّجَالُ وَقَدْ \* أَبَدَتْ خَلَائِلَهَا حَرَا بِرْهَا  
مُعْصُومَاتُ وَسْطِ الْأَرْزَقَةِ قَدْ \* أَبْرَزَهَا لِلْعِيُونِ سَا بِرْهَا  
كُلُّ رَقُودٍ الضَّحَى مَحْبَاةٌ \* لَمْ تَبْدُ فِي أَهْلِهَا مَحَا جِرْهَا

بَيْضَةَ خِذْرٍ مَكُونَةٍ بَرَزَتْ \* للناس منشورةً غداؤها  
 تعرُّ في ثوبها وتُعْجِلُها \* كَبَّةٌ خِيلَ زِيَعَتِ حَوَافِرُهَا  
 تسأل أين الطريق والهة \* والنار من خلفها تبادرها  
 لم تجتَلِ الشمسُ حسنَ بهجتها \* حتى اجتلتها حربُ بُبْاشِرها  
 ياهل رأيت الثكلي مَوْلَاةً \* في الطرق تسعى والجهد باهرها  
 في إثر نعش عليه واحدها \* في صدره طعنة يساورها  
 فرغاء تُلْقِي التَّارَ من يدها <sup>(١)</sup> \* يَهْزَأُ بِالسَّانِ شَاجِرُهَا  
 تنظر في وجهه وتهتِفُ بالـ \* شكل وعز الدموع خامرها  
 غرغر بالنفس ثم أسأمتها \* مَطْلُولَةٌ لَا يُخَافُ نَائِرُهَا  
 وقد رأيت الفتيان في عَرَصَةِ الـ \* معرك معفورةً مناخرها  
 كل فتى مناعٌ حقيقته \* تشقى به في الوغى مساعرها  
 بانت عليه الكلاب تنهشه \* مخضوبةً من ديم أظافرها  
 أما رأيت الخيولَ جائلةً \* بالقوم منكوبةً دوائرها  
 تعرُّ بالأوجه الحسان من الـ \* مَقْتَلَى وَغُلَّتْ دَمًا أَشَاعِرُهَا  
 يَطَّأْنَ أَكْبَادَ فِتْيَةٍ يُجَدِّ \* يَفْلِقُ هَامَاتِهِمْ حَوَافِرُهَا  
 أما رأيت النساء تحت الحجا \* نيق تعادى شعثًا ضفائرُها  
 عقائل القوم والعجائز والـ \* عُنَسٌ لَمْ تُخْتَبَرْ مَعَاصِرُهَا  
 يحملن قوتا من الطحين على الـ \* أَكْتَفَ مَعْصُوبَةً مَعَاجِرُهَا  
 وذات عيش ضنك ومقعسة \* تَشْدَحُهَا صَخْرَةٌ تُعَاوِرُهَا  
 تسأل عن أهلها وقد سُليت \* وَأَبْثَرُ عَنْ رَأْسِهَا عَقَائِرُهَا  
 يا ليت ما والدهر ذو دُوبٍ \* تُرْجَى وَأُخْرَى تُنْخَشَى بِوَادِرُهَا

(١) كذا في هامش النسخة الأوربية من الطبري . وفي نسخة بولاق وأوربا ( في صلبها ) :

\* فرغاء ينق الشار مردها : وهي رواية ظاهر عليها التحريف وفساد المعنى .

هل ترجعن أرضنا كما غنيت \* وقد تهاوت بنا مصايرها  
 من مبلغ ذا الرياستين رسا \* لايت تأتني للنصح شاعرها  
 بأن خير الولاة قد علم الذ \* سأس اذا عُددت ماثرها  
 خليفة الله من بريته ال \* مأمون سائسها وجايرها  
 سميت اليه آمال أمتنه \* منقادة برها وفاجرها  
 شاموا حيا العدل من تحايله \* وأفحرت بالتقى بصايرها  
 وأخذوا منك سيرة جلّت ال \* شك وأخرى صحت معاذرها  
 وأستجمعت طاعة برفقك لل \* مأمون تجديها وغايرها  
 وأنت سمع في العالمين له \* ومقلة ما يكمل ناظرها  
 فاشكر لذي العرش فضل نعمته \* أوجب فضل المزيّد شاكرها  
 وأحذر فداء لك الرعية وال \* أجناد مأمورها وأمرها  
 لا تردن غمرة بنفسك لا \* يصدر عنها بالرأى صادرها  
 عليك صحضاها فلا تليج ال \* غمر ملتجة زوايرها  
 والقصد إن الطريق ذو شعيب \* أشامها وعثها وجايرها  
 أصبحت في أمة أوائلها \* قد فارقت هديها وأوايرها  
 وأنت سرسورها وسائسها \* فهل على الحق أنت قاسرها  
 أدب رجالا رأيت سيرتهم \* خالف حكم الكتاب سائرها  
 وأمدد الى الناس كف مرحمة \* تسد منهم بها مفاقرها  
 أمحك العدل إذ هممت به \* ووافقت مدّه مقاديرها  
 وأبصر الناس قصد وجههم \* وملكت أمة أخايرها  
 تُشرع أعناقنا اليك اذا ال \* سادات يوما جمّت عشائرها  
 كم عندنا من نصيحة لك في الد \* له وقربى عزّت زوايرها

وحرمةٍ قُرْبَت أواصرها \* منك وأخرى هل أنت ذاكرها  
 سعى رجال في العلم مطلبهم \* رائحتها باكر وبأكرها  
 دونك غراء كالوذيلة لا \* تفقد في بلدة سوائرها  
 لا طمعا قلبها ولا بطرا \* لكل نفس نفس تؤامرها  
 سيرها الله بالنصيحة وال \* خشية فاستدبجت مرأها  
 جاءتك تحكي لك الأمور كما \* ينشر بزّ التجار ناشرها  
 حملتها صاحباً أخا تقيّة \* يظلّ عجبا بها يحضرها  
 ومن جيد شعره قوله :

الناس أخلاقهم شتى وإن جيلوا \* على تشابه أرواح وأجساد  
 للغير والشر أهل واكلوا بهما \* كل له من دواعي نفسه هاد  
 منهم خليل صفاء ذو محافظة \* أرسى الوفاء وأخييه بأوتاد  
 ومشر الغدر مخي أضالعه \* على سريرة غمر غلها باد  
 مشاكس خدع جثم غوائله \* يبدى الصفاء ويخفي ضربة الهادي  
 يأتيك بالبغي في أهل الصفاء ولا \* ينقّ يسعى بإصلاح لإفساد  
 ومن جيد شعر الخرمي قوله :

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله \* ويخصب عندي والمحل جديب  
 وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى \* ولكننا وجه الكريم خصيب  
 ومن جيد شعره قوله :

زاد معروفك عندي عظما \* أنه عندك محقور صغير  
 وتناسيه كأن لم تأته \* وهو عند الناس مشهور كبير

وهو القائل :

وإن أشد الناس في الحشر حسرة \* لمورث مالي غيره وهو كاسبه  
 كفى سفها بالكهل أن يتبع الصبا \* وأن يأتي الأمر الذي هو عائبه

ويُستجاد له قوله :

ودون الندى في كل قلب ثنية \* لها مصعدٌ وعمر ومنحدر سهل  
 وودّ القى في كل نيل يُئله \* إذا ما أنقضى لو أن نائله جزل  
 وأعلم عِلما ليس بالظن أنه \* لكل أناس من ضرائبهم شكل  
 وأنّ أخلاء الزمان غناؤهم \* قليل إذا الإنسان زلت به النعل  
 تزود من الدنيا متاعاً لغيرها \* فقد شمرت حذاء وأنصرم الحبل  
 وهل أنت إلا هامة اليوم أو غد \* لكل أناس من طوارقها أشكال

وفي هذا الشعر يقول :

أبا لصغد بأس إذ تعيرني جمل \* سفاهاً ومن أخلاق جاريّ الجهل  
 فإن تفخرى يا جمل أو تتجمل \* فلا نفر إلا فوقه الدين والعقل  
 أرى الناس شرّاً في الحياة ولا يرى \* لقبر على قبر علاء ولا فضل  
 وما ضرّني أن لم تلدني يُحار \* ولم تستمل جرمٌ على ولا عكل

وهو القائل :

ما أحسن الغيرة في حينها \* وأقبح الغيرة في كل حين  
 من لم يزل متّهما عرسه \* متّاصبا فيها لرب الظنون  
 أوشك أن يُغريها بالذي \* يخاف أن يُبرزها للعيون  
 حسبك من تحصينها وضعها \* منك إلى عرض صحيح ودين  
 لا تطلع منك على ريبة \* فيتبع المقرون جبل القرين

٨ - عبد الله بن طاهر<sup>(١)</sup>

كان يحلّ من علو المنزلة وعظم القدر ولطف مكان من الخلفاء، يُستغنى به عن التقريظ له والدلالة عليه، وأمره في ذلك مشهور عند الخاصة والعامة، وله في الأدب مع ذلك المحلّ الذي لا يُدفع، وفي السماحة والشجاعة ما لا يقاربه فيه أحد.

وكان أديبا ظريفا جيّد الغناء، نسب إليه صاحب الأغاني أصواتا كثيرة أحسن فيها ونقلاها أهل الصنعة عنه، وله شعر رائع ورسائل ظريفة، فمن شعره قوله :

نحن قومٌ تُليّننا الحَدَقُ النُّجْجُ \* لُ على أُنّا نُلين الحديدا  
طَوْعُ أيدي الظُّبَاءِ تَقْتادنا العِي \* من ونقّاد بالطّاعان الأسودا  
تَمَلِّك الصَّيْدِ ثم تملِكنا اليه \* ضُ المصوناتُ أعينّا وخدودا  
تَنَقّي سَخَطنا الأسود ونخشى \* سَخَط الحِشْف حين يُبدى الصدودا  
قترانا يوم الكريهة أحرا \* را وفي السّلم للغواني عبيدا

أعطاه المأمون مآل مصر لسنة، خراجها وضياعها، فوهبه كلّ وفّقه في الناس ورجع صِفرا من ذلك، فغاظ المأمون فعله، فدخل إليه يوم مقدّمه، فأثدّه أبياتا قالها في هذا المعنى، وهي :

(١) هو أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق كان سيّدا نبيلّا على الهمة شهبا، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه، حسن الالتفات إليه لذاته ورعاية لحق والده وما أسلفه من الطاعة في خدمته، وكان واليا على الدينور فلما خرج بابك الخرمي على خراسان وأوقع الخوارج بأهل قرية الحمراء من أعمال نيسابور وأكثروا فيها الفساد واتصل الخبر بالمأمون بعث إلى عبد الله وهو بالدينور يأمره بالخروج إلى خراسان، فخرج إليها وحارب الخوارج وقدم نيسابور في رجب سنة ٢١٥ هـ. وكان المطر قد انقطع عنها تلك السنة، فلما دخلها طارت مطرا كثيرا، فقام إليه رجل يزاع من حانوته وأنشده :

قد حطّ الناس في زمانهم \* حتى إذا جئت جئت بالدرر

غيثان في ساعة لنا قدما \* فرحبا بالأمير والمطر

تولى الشام والعراق ومصر. وتوفي سنة ٢٣٠ هـ. وتُجد ترجمته في ابن خلّكان (ج ١ ص ٣٦٩) والأغاني

(ج ١١ ص ١١)



نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَعْيُنُ خَاضِعَةٌ \* لِلنَّائِبَاتِ أَيْبًا غَيْرَ مُهْتَضَمٍ  
إِلَيْكَ أَقْبَلْتُ مِنْ أَرْضِ أَقْمَتُ بِهَا \* حَوْلَيْنِ بَعْدَكَ فِي شَوْقٍ وَفِي أَلَمٍ  
أَقْفُو مَسَاعِيكَ اللَّائِي خُصِصَتْ بِهَا \* حَدُّو الشَّرَّارِ عَلَى مِثْلِ مِنَ الْأَدَمِ  
فَكَانَ فَضْلِي فِيهَا أَتْنِي تَبَعٌ \* لِمَا سَنَنْتَ مِنَ الْإِنْعَامِ وَالنِّعَمِ  
وَلَوْ وُكِّتُ إِلَى نَفْسِي عَيْنٌ بِهَا \* لَكِنْ بَدَأَتْ فَلَمْ أَعْجِزْ وَلَمْ أَلَمِ

فضحك المأمون وقال : والله ما نَفِسْتُ عَلَيْكَ مَكْرُمَةً نَلَّتْهَا ، وَلَا أَحْدُوثةً حَسَنَ عِنْدَكَ ذَكَرَهَا ، وَلَكِنْ هَذَا شَيْءٌ إِذَا عَوَّدْتَهُ نَفْسُكَ افْتَقَرَتْ ، وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى لَمْ شَعْنِكَ وَإِصْلَاحِ حَالِكَ . وَزَالَ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ .

لَمَّا فَتَحَ عَبْدُ اللَّهِ مَصْرَ سَوْغَةِ الْمَأْمُونِ تَرَاخَاهَا ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَجَازَ بِهَا كُلَّهَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ أَلْفٍ دِينَارٍ أَوْ نَحْوَهَا ، فَأَتَاهُ مُعَلَّى الطَّائِي وَقَدْ أَعْلَمُوهُ مَا صَنَعَ بِالنَّاسِ فِي الْجَوَائِزِ وَكَانَ عَلَيْهِ وَاجِدًا ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ تَحْتَ الْمِنْبَرِ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، أَنَا مُعَلَّى الطَّائِي وَقَدْ بَلَغَ مِنِّي مَا كَانَ مِنْكَ مِنْ جَفَاءٍ وَغِلَظٍ ، فَلَا يَغْلُظَنَّ عَلَى قَلْبِكَ ، وَلَا يَسْتَخْفِنَنَّكَ الَّذِي بَلَغَكَ ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ :

يَا أَعْظَمَ النَّاسِ عَفْوًا عِنْدَ مَقْدِرَةٍ \* وَأَظْلَمَ النَّاسِ عِنْدَ الْجُودِ لِلْمَالِ  
لَوْ أَصْبَحَ النِّيلُ يُجْرِي مَاءً ذَهَبًا \* لَمَّا أَشْرَتْ إِلَى خَزَائِنِ بَيْتِهَا  
تُغْلِي بِمَا فِيهِ رِقِّ الْحَمْدِ تَمْلِكُهُ \* وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعَاضَ الْحَمْدَ بِالْغَالِي  
تَفَكُّ بِالْيُسْرَى كَفَّ الْعُسْرَ مِنْ زَمَنِ \* إِذَا اسْتَطَالَ عَلَى قَوْمٍ بِإِقْلَالِ  
لَمْ تَخْلُ كَفْكَ مِنْ جُودٍ مُخْتَبِطٍ \* وَمُرْهَفٍ قَاتِلٍ فِي رَأْسِ قَتَالِ  
وَمَا بَثَّتْ رَعِيْلَ الْخَيْلِ فِي بَلَدٍ \* إِلَّا عَصَفْنَ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالِ  
إِنْ كُنْتُ مِنْكَ عَلَى بَايَ مَنَنْتَ بِهِ \* فَإِنَّ شُكْرَكَ مِنْ قَلْبِي عَلَى بَالِ  
مَا زِلْتُ مُقْتَضِبًا لَوْلَا مَجَاهِرَةٌ \* مِنْ أَلْسِنٍ خُصِنَ فِي صَدْرِي بِأَقْوَالِ

فضحك عبد الله وسرَّ بما كان منه وقال : يا أبا السَّمرَاء ، أَقْرِضْنِي عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ فَمَا أَمْسَيْتُ أَمْلِكُهَا ، فَأَقْرِضَهُ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ .

كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر ، وكان نديمه وجليسه ، وكان له مؤثرا مقدما ، فأصاب منه معروفا كثيرا وأجازه بجوائز سنّية هناك وقبل ذلك ، ثم إنه وجد عليه في بعض الأمر بفناه وظهر له منه بعض ما لم يحبه ، فرجع حينئذ إلى بغداد وقال :

إِنْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ خَلَّانَا \* لَا مُبْدَأَ عُرْفَا وَإِحْسَانَا

فَحَسْبُنَا اللَّهُ رَضِينَا بِهِ \* ثُمَّ بَعْدَ اللَّهِ مَوْلَانَا

يعنى به المأمون ، وغنت فيه جاريته وسمعه المأمون ، فاستحسنه ووصله وإياها ، فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر ، فغاضبه ذلك وقال : أَجَلْ ! صنعنا المعروف إلى غير أهله فضاع .

ولعبد الله ألحان صاغها ، فمنها ومن مختارها وصدورها ومقدمها لحنه في شعر أخت عاصية فإنه صوت نادر جيد صحيح العمل مُزدوج النغم ، بين لينٍ وشِدَّةٍ على رسم الحدائق من القُدَماء ، وهو :

هَلَّا سَقَيْتُمْ بَنِي سَهْمٍ أَسِيرَكُمْ \* نَفْسِي فِدَاؤُكُمْ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي

الطاعنُ الطعنةُ النجلاءُ يتبعها \* مُضَرَّجٌ بَعْدَ مَا جَادَتْ بِإِزْبَادٍ

ومن غنائه أيضا :

رَاحَ صَحْبِي وَعَاوَدَ الْقَلْبَ دَاءُ \* مِنْ حَيِّبِ طِلَابِهِ لِي عَنَاءُ

حَسَنُ الرَّأْيِ وَالْمَوَاعِيدُ لَا يُؤْنِسُنِي لَشَيْءٌ مِمَّا يَقُولُ وَفَاءُ

مَنْ تَعَزَّى عَمَّنْ يَحِبُّ فَإِنِّي \* لَيْسَ لِي مَا حَيَّيْتُ عَنْهُ عَزَاءُ

## ما قيل في هجاء الأمين ورثائه

قيل في هجائه :

لم نُبَكِّكْ لما ذا للطَّربِ \* يا أبا موسى وترويح اللُّعبِ  
 ولستَ تركَ التَّمسُّ في أوقاتها \* حرصًا منها على ماء العنبِ  
 وشنيفٍ أنا لا أبكى له \* وعلى كَوثر لا أخشى العَطَبِ  
 لم تكن تعرف ما حدَّ الرضا \* لا ولا تعرف ما حدَّ الغضبِ  
 لم تكن تصلِّحْ لللك ولم \* تُعطِكَ الطاعةَ بالملك العربِ  
 أيها الباكي عليه لا بَكَتْ \* عين من أبكاك إلا للعجبِ  
 لم نُبَكِّكْ لِمَا عَرَضَتْنا \* للجانيقِ وطُورٍ للسَّلبِ  
 ولقوم صيَّرونا أعْبُدًا \* لهم يبدو على الرأس الذَّنْبِ  
 في عذابٍ وحِصارٍ مُجْهِدٍ \* سَدَّدَ الطُّرُقَ فلا وَجَهَ طَلَبِ  
 زعموا أنك حيٌّ حاشِر \* كلَّ من قد قال هذا قد كَذَبِ  
 ليت من قد قاله في وَحْدَةٍ \* من جميع ذاهِبٍ حيث ذهبِ  
 أوجب الله علينا قَتْلَهُ \* فاذا ما أوجب الأمرَ وَجَبِ  
 كان والله علينا فِتْنَةً \* غَضِبَ الله عليه وكتبِ

وقال عبد الرحمن بن أبي الهُداهد يرثيه :

يا غَرْبُ جُودِي قد بُتَّ من وَدَمِهِ ، فقد فقدنا الغَزيرَ من دِمَمِهِ  
 ألوتَ بدنِياك كَفَّ نائِبَةً \* وصِرْتَ مُغْضًى لنا على نِقَمِهِ  
 أصبحَ للموتِ عندنا عَلمٌ \* يضحك سِنُّ المنون من عَلمِهِ  
 ما آسَترَ لَتَ دَرَّةُ المنون على \* أكرم من حَلٍّ في رُى رَحِمِهِ  
 خليفَةُ اللهِ في بَريَّتِهِ \* تقصُرُ أيدي الملوِكِ عن شِمَمِهِ

يَفْتَرَّ عَنْ وَجْهِهِ سَنَا قَمَر \* يَلْشَقُّ عَنْ نَوْرِهِ دُجَى ظُلَمِهِ  
زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ مِنْ جَوَانِبِهَا \* اِذْ أَوْلَعَ السِّيفُ مِنْ نَيْجِيعِ دَمِهِ  
مَنْ سَكَتَتْ نَفْسُهُ لِمَصْرَعَةٍ \* مِنْ عُمَمِ النَّاسِ أَوْ ذَوَى رَحِمِهِ  
رَأَيْتُهُ مِثْلَ مَا رَأَاهُ بِهِ \* حَتَّى تَذُوقَ الْأَمْرَ مِنْ سَقَمِهِ  
كَمْ قَدْ رَأَيْنَا عَزِيزَ مَمْلَكَةٍ \* يُنْقَلُ عَنْ أَهْلِهِ وَعَنْ خَدَمِهِ  
يَا مَلِكًا لَيْسَ بَعْدَهُ مَلِكٌ \* لِحَاثِمِ الْأَنْبِيَاءِ فِي أُمَمِهِ  
جَادَ وَحَتَّى الَّذِي أَقْبَتَ بِهِ \* سَخَّ غَزِيرِ الْوَكَيْفِ مِنْ دِيَمِهِ  
لَوْ أَحْجَمَ الْمَوْتُ عَنْ أُخَى ثِقَةٍ \* أُسْوَى فِي الْعِزِّ مُسْتَوَى قَدَمِهِ  
أَوْ مَلِكٍ لَا تَرَامُ سَطَوْتُهُ \* إِلَّا مَرَامَ الشَّيْمِ فِي أَجْمِهِ  
خَلَدَكَ الْعِزُّ مَا سَرَى سَدَفٌ \* أَوْ قَامَ طِفْلُ الْعَشَى فِي قَدَمِهِ  
أَصْبَحَ مُلْكٌ إِذَا أَتَرَّتْ بِهِ \* يَقْرِعُ سَنَ الشُّقَاةِ مِنْ نَدَمِهِ  
أَتَرْدُو الْعَرْشَ فِي عِدَاكَ كَمَا \* أَتَرُ فِي عَادِهِ وَفِي إِرَامِهِ  
لَا يَبْعَدُ اللَّهُ صَيُّورَةَ تَلَيْتَ \* لَخَيْرِ دَايِعِ دَعَاةٍ فِي حَرَمِهِ  
مَا كُنْتُ إِلَّا كُحْلُ ذِي حُلْمٍ \* أَوْجَلَّ بَابَ السَّرُورِ فِي حُلَمِهِ  
حَقٌّ إِذَا أَطْلَقْتَهُ رَقْدُهُ \* عَادَ إِلَى مَا أَعْتَرَاهُ مِنْ عَدَمِهِ

وقال أيضا يرثيه :

أَقُولُ وَقَدْ دَنُوتَ مِنَ الْفِرَارِ \* سُقِيتَ الْغَيْثَ يَاقَصْرَ الْقَسَارِ  
رَمَتْكَ يَدُ الزَّمَانِ بِسَهْمِ عَيْنٍ \* فَصَرَتْ مُلَوَّحًا بِدُخَانِ نَارِ  
أَيْنَ لِي عَنْ جَمِيعِكَ أَيْنَ حَلَّوْا \* وَأَيْنَ مِزَارَهُمْ بَعْدَ الْمَزَارِ  
وَأَيْنَ مُحَمَّدٌ وَأَيْنَاهُ مَالِي \* أَرَى أَطْلَاهُمْ سُودَ الدِّيَارِ  
كَأَنَّ لَمْ يُؤْتَسُوا بِأَنْبِيَسٍ مُلْكٍ \* يَطْوِلُ عَلَى الْمُلُوكِ بِخَيْرِ جَارِ  
إِمَامٌ كَانَ فِي الْحَسَدَانِ عَوْنًا \* لَنَا وَالْغَيْثُ يَمْنَحُ بِالْقَطَارِ

لقد ترك الزمانُ بَنَى أبيه \* وقد غمرتهم سُود البحار  
أضاعوا شمسهم بقرتُ بنحس \* فصاروا في الظلام بلا نهار  
وأجلوا عنهم قمرًا منيرا \* وداسَتْهُمْ خيولُ بني الشرار  
ولو كانوا لهم كفؤًا ومثلاً \* إذا ما تُوجوا تيجانَ عار  
ألا بآب الأمامِ ووَآرثاه \* لقد ضَرمَ الحشى منّا بنار  
وقالوا الخلدُ يبع فقلتُ ذُلًّا \* يصير بيائعيه الى صغار  
كذلك الملكُ يُتبع أوليه \* إذا قُطِعَ القرار من القرار

وقال مُقدّس بن صَيْفَى يرثيه :

خليلي ما أُنْتُك به الخطوبُ \* فقد أعطاك طاعته النجيب  
تدلّت من شماريخ المنايا \* متايا ما تقوم لها القلوبُ  
خلالَ مقابر البستانِ قبر \* يُجاور قبره أَسَدٌ غريب  
لقد عَظُمَت مُصيبته على من \* له في كل مَكْرمة نصيب  
على أمثاله العَبراتُ تُدرى \* وُثْنُكَ في مآثمه الجُيوبُ  
وما أَدْحَرَتْ زُبَيْدة عنه دمعا \* تُحْصَ به النسيبة والنسيب  
دَعُوا موسى ابنه لبكاء دَهِير \* على موسى ابنه دخل الحزيب  
رأيتُ مَشَاهِدَ الخلفاء منه \* خَلَاءَ ما بساحتها جُيب  
لِيَهْنِكَ أننى كَهْلٌ عليه \* أَدُوبٌ وفي الحشى كَيْدُ تَدُوب  
أُصِيبَ به البعيدُ نَحَرَ حَزنا \* وعَيْنُ يومه فيه المرُيب  
أَنادى من بطون الأرض شَخْصًا \* يَحْرَكُ النَّداءُ فما يُجيب  
لئن نَعَتِ الحروبُ اليه نفسًا \* لقد فُجِعَ بمصرعه الحروب

وقال نزيمة بن الحسن يرثيه على لسان أم جعفر :

لخيرِ أُمَامٍ قام من خيرِ عُصْرٍ \* وأفضلِ سَامٍ فوق أَعْوَادِ مِنْبَرٍ  
لِوَارِثِ عِلْمِ الْأَوَّلِينَ وفهمهم \* ولِلَّذِلكِ المَأْمُونِ من أُمِّ جَعْفَرٍ  
كَتَبْتُ وعِني مُسْتَهْلُ دَمُوعِهَا \* إِلَيْكَ أَبْنِ عَمِي من جَفُونِي وَتَحْجَرِي  
وَقَدْ مَسَّنِي ضَرٌّْ وَذُلٌّ كَاثِبَةٌ \* وَأَرْقَ عِني يَا ابْنَ عَمِي تَفَكْرِي  
وَهَمَّتْ لِي لَا قِيَّتُ بعد مَصَابِهِ \* فَأَمْرِي عَظِيمٌ مُنْكَرٌ جَدُّ مُنْكَرٍ  
سَأَشْكُو الَّذِي لَا قِيَّتُهُ بعد فَقْدِهِ \* إِلَيْكَ شَكَاةُ الْمُسْتَهَامِ الْمُقَهَّرِ  
وَأَرْجُو لِمَا قَدْ مَرَّ بِي مَذْفَقُهُ \* فَأَنْتَ لِبَيْتِي خَيْرُ رَبِّ مُغَيَّرِ  
أَتَى طَاهِرٌ لَا طَهَّرَ اللَّهُ طَاهِرًا \* فَمَا طَاهِرٌ فِيمَا أَتَى بِمُطَهَّرِ  
فَأُخْرِجْنِي مَكشُوفَةَ الْوَجْهِ حَاسِرًا \* وَأَنْتَبَ أَمْوَالِي وَأَحْرَقَ أَذْرِي  
يَعِزُّ عَلَى هَارُونَ مَا قَدْ لَقِيْتُهُ \* وَمَا مَرَّ بِي من نَاقِصِ الْخَلْقِ أَعُورِ  
فَإِنْ كَانَ مَا أَسْدَى بِأَمْرِ أَمْرَتِهِ \* صَبَرْتُ لِأَمْرٍ من قَدِيرٍ مُقَدَّرِ  
تَذَكَّرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قِرَابَتِي \* فَدَيْتُكَ من ذِي حِرْمَةٍ مُتَذَكَّرِ

وقال أيضا يرثيه :

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ الصَّمَدِ \* مَاذَا أَصْبَنَا بِهِ فِي صُبْحَةِ الْأَحَدِ  
وَمَا أَصِيبَ بِهِ الْإِسْلَامُ قَاطِبَةً \* من التَّضَعُّعِ فِي رُكْنَيْهِ وَالْأَوْدِ  
مَنْ لَمْ يُصَبِّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ \* يُصْبِحْ بِمَهْلَكَةِ وَالْهَمِّ فِي صُغْدِ  
فَقَدْ أَصِيبَتْ بِهِ حَتَّى تَبَيَّنَ فِي \* عَقْلِي وَدِينِي وَدُنْيَايَ وَفِي جَسَدِي  
يَا لَيْلَةً يَشْتَكِي الْإِسْلَامُ مُدَّتَهَا \* وَالْعَالَمُونَ جَمِيعًا آخِرَ الْأَبَدِ  
غَدَرْتُ بِالْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ \* وَبِالْإِمَامِ وَبِالضَّرْغَامَةِ الْأَسَدِ  
سَارَتْ إِلَيْهِ الْمَنَابَا وَهِيَ تُرْهِبُهُ \* فَوَاجَهْتُهُ بِأَوْغَادِ ذَوِي عَدَدِ  
بُشُورِ جِيْنٍ وَأَغْتَامٍ يَقُودُهُمْ \* قُرَيْشُ بِالْبَيْضِ فِي قُبُصٍ من الزَّرْدِ

فصَادَفُوهُ وَحِيدًا لَا مُعِينَ لَهُ \* عَلَيْهِمْ غَائِبَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدَدِ  
 بَخَزَعُوهُ الْمَنَایَا غَيْرَ مُتَمَتِّعٍ \* فَرَدَا فَيَاكَ مِنْ مُسْتَسْلِمٍ فَرَدَ  
 يَلْقَى الرَّجُوهَ بَوَاجِهٍ غَيْرَ مُبْتَدِّلٍ \* أَهْبَى وَأَنْقَى مِنَ الْقُوْهِیَّةِ الْجُدُدِ  
 وَأَحْسَرْنَا وَقَرِيشٌ قَدْ أَحَاطَ بِهِ \* وَالسَّيْفُ مُرْتَعِدٌ فِي كَفِّ مُرْتَعِدِ  
 فَمَا تَحْرَكْ بَلْ مَا زَالِ مُتَصِيبَا \* مِنْكَسَّ الرَّأْسُ لَمْ يُبْدِئْ وَلَمْ يُعِدْ  
 حَتَّى إِذَا السَّيْفُ وَافَى وَسَطَ مَفْرِقِهِ \* أَذْرَتْهُ عَنْهُ يَدَاهُ فَعَمِلَ مُتَّعِدِ  
 وَقَامَ فَاعْتَلَقَتْ كَفَّاهُ لَبَّتُهُ \* كَضِغَمٍ شَرَسٍ مُسْتَسِيلٍ لَبِدِ  
 فَاجْتَرَّهُ ثُمَّ أَهْوَى فَاسْتَقَلَّ بِهِ \* لِلْأَرْضِ مِنْ كَفِّ لَيْثٍ مُخْرَجِ حَرْدِ  
 فَكَادَ يَقْتُلُهُ لَوْ لَمْ يُكَايِرُهُ \* وَقَامَ مَنْفَلِتًا مِنْهُ وَلَمْ يَكْدِ  
 هَذَا حَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا \* نَقَصْتُ مِنْ أَمْرِهِ حَرْفًا وَلَمْ أَزِدْ  
 لَا زِلْتُ أَنْدُبُهُ حَتَّى الْمَمَاتِ وَإِنْ \* أَخْنَى عَلَيْهِ الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدِ

وذكر عمر بن شبة أن محمد بن أحمد الهاشمي حدثه أن لبابة ابنة علي بن المهدي قالت

البيتين الآتين وقيل أنهما لابنة عيسى بن جعفر وكانت مملكة بمحمد :

أَبْكِيكَ لَا لِلنَّعِيمِ وَالْأُنْسِ - بَلْ لِلْعَالِي وَالرَّحِمِ وَالْأُنْسِ  
 أَبْكِي عَلَى هَالِكٍ جُعْتُ بِهِ - أَرَمَلَنِي قَبْلَ لَيْلَةِ الْعُرْسِ

هجاء يحيى بن أكرم<sup>(١)</sup>

وعندنا في المجلد الأول أن نذكر مثلاً من الهجاء قاله بعض الشعراء في يحيى بن أكرم، وها هو ذا :

أَرْقَهُ بَرْحُ الْهَوَى وَسَيْدُمُهُ \* وَمَلَّهَ الْحُبُّ فَبَاتَ يَأْلُمُهُ  
 طَوْرًا يُعَانِيهِ وَطَوْرًا يُشْتُمُهُ \* مِثْلَ الْحَرِيقِ فِي الْحَشَا يُضْرَمُهُ  
 فَفَاضَتْ الْعَيْنُ بِدَمْعٍ تَسْجُمُهُ \* نَمَتْ عَلَيْهِ كُلُّ شَوْقٍ يَكْتُمُهُ  
 وَبَاحَ بِالْحُبِّ الَّذِي يُجْجِمُهُ \* وَبَاتَ وَالْقَلْبُ يُسَاحِي هِمَمُهُ  
 مِنْ لَحَبٍ قَدْ تَرَاهُ يَرْحُمُهُ \* أَصْبَحَ بِالْبَاسَاءِ عَارٍ أَنْفَمُهُ  
 طَالَ تَصَابِيهِ وَطَالَ سَقَمُهُ \* وَبَلَى الْجِسْمَ وَرَقَّتْ أَعْظَمُهُ  
 يَشْهَدُنِي اللَّهُ عَلَى مَنْ يَظْلِمُهُ \* يَمْنَعُهُ طَعْمُ الْكُرَى وَيَحْرِمُهُ  
 وَأَهَّا لَهُ يَصِرُ مِنْ لَا يَصِرُهُ \* أَصْبَحَ هَذَا الدِّينَ رَثًا رِمُهُ  
 عَظْلَهُ الْجَوْرَ وَطَالَ قَدَمُهُ \* سَحَتْ مِنَ الْجَوْرِ عَلَيْهِ دِيمُهُ  
 فَبَادَ مَغْنَى رَبْعِهِ وَأَرْسُمُهُ \* إِلَّا بَقَايَا قَوْمِهِ وَجُمُهُ  
 أَوْطَنَهُ الْجَوْرَ فَاضْحَى مَعْلَمُهُ \* يَرُودُ فِيهِ شَاؤُهُ وَنَعْمُهُ  
 مِنْ يَشْهَدُ الْجَوْرَ فَتَحْنُ نَعْلَمُهُ \* أَنْوَكُ قَاضٍ فِي الْبِلَادِ نَعْلَمُهُ  
 يَقُولُ حَقًّا لَا تُعَيِّثُ تَرْحُمُهُ \* مَذَّ وَلِيَ الْحَكْمَ أُبَيِّحُ حَرَمُهُ  
 وَأَنْتَهَكْتُ مِنَ الْقَضَاءِ حَرَمُهُ \* وَأَضْطَرَبَتْ أَرْكَانُهُ وَدِعْمُهُ  
 وَاللَّهُ يَبْنِيهِ وَنَحْنُ نَهْدِمُهُ \* يَا لَيْتَ يَحْيَى لَمْ يَلِدْهُ أَكْثَمُهُ  
 وَلَمْ تَطَأْ أَرْضَ الْعِرَاقِ قَدَمُهُ \* مَلْعُونُهُ أَخْلَاقُهُ وَشَيْئُهُ<sup>(٢)</sup>

(٢) حذفنا بعد هذا البيت

(١) أنظر ما كتبناه عن يحيى بن أكرم في المجلد الأول (ص ٤٤٠) .

أربعة أبيات رأينا أنها تنافي الآداب العامة .



والله والله لقد حلّ دمه \* لو أن للدين عمادا يدعمه  
 يعيل عنه الميل أويقومه \* لكان قدرنّ عليه مائمه  
 أرجو ويقضى الله لا يسأله \* من وجهه هذا ولكن يقصمه  
 \* بالسيف اذ حلت عليه نقمه \*

## وصف ثورة بغداد وحريقها

أما ما أصاب بغداد من سلب ونهب وتحريق وتخريب وفتنة شعواء وقتل ودماء،  
فانا نترك الكلمة في ذلك لشعراء ذلك العصر .

قال الأعمى يصف دمار الحرب :

تَقَطَّعَتِ الْأَرْحَامُ بَيْنَ الْعَشَائِرِ \* وَأَسْلَمَهُمْ أَهْلُ التَّقَى وَالْبَصَائِرِ  
فَذَاكَ أَنْتَقَامُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ بِهِمْ \* لَمَّا أَجْتَرَمُوهُ مِنْ رُكُوبِ الْكِبَائِرِ  
فَلَا نَحْنُ أَظْهَرْنَا مِنَ الذَّنْبِ تَوْبَةً \* وَلَا نَحْنُ أَصْلَحْنَا فُسَادَ السَّرَائِرِ  
وَلَمْ نَسْتَمِعْ مِنْ وَاغِظٍ وَمَذَكَّرٍ \* فَيَنْجَحَ فِينَا وَعَظٌ نَاهٍ وَآمِرِ  
فَابِكَ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا تَقَطَّعَتْ \* عِرَاهُ وَرَجَى ضَرَّهُ كُلَّ كَافِرِ  
فَأَصْبَحَ بَعْضُ النَّاسِ يَقْتُلُ بَعْضَهُمْ \* فَمِنْ بَيْنِ مَقْهُورٍ عَزِيزٍ وَقَاهِرِ  
وَصَارَ رِئُوسُ الْقَوْمِ يَحْمِلُ نَفْسَهُ \* وَصَارَ رِئِيسَا فِيهِمْ كُلُّ شَاطِرِ  
فَلَا فَاجِرَ لِلْبَرِّ يَحْفَظُ حَرَمَهُ \* وَلَا يَسْتَطِيعُ الْبَرُّ دَفْعًا لِفَاجِرِ  
تَرَاهُمْ كَأَمْثَالِ الذَّنَابِ رَأَتْ دَمًا \* فَأَمَّتْهُ لَا تَلْوَى عَلَى زَجَرِ زَاجِرِ  
وَأَصْبَحَ فُسَاقُ الْقَبَائِلِ بَيْنَهُمْ \* تَسَلُّ عَلَى أَقْرَانِهَا بِالْخُنَاجِرِ  
فَابِكَ لِقَتْلَى مِنْ صَدِيقٍ وَمِنْ أَخٍ \* كَرِيمٍ وَمِنْ جَارٍ شَفِيقٍ مُجَاوِرِ  
وَوَالِدَةٍ تَبْكِي بِحَزَنِ عَلَى أَبْنَاهَا \* فَيَبْكِي لَهَا مِنْ رَحْمَةٍ كُلُّ ظَائِرِ  
وَذَاتٍ حَلِيلٍ أَصْبَحَتْ وَهِيَ أَيْمٌ \* وَتَبْكِي عَلَيْهِ بِالْدموعِ الْبَوَادِرِ  
نَقُولُ لَهُ قَدْ كُنْتَ عِزًّا وَنَاصِرًا \* فَغَيَّبَ عَنِ الْيَوْمِ عَزَى وَنَاصِرِي  
وَأَبَكَ لِإِحْرَاقٍ وَهَدْمٍ مَنَازِلَ \* وَقَتْلٍ وَلِهَابٍ لِهَيْمٍ وَالدُّخَانِ

وإبراز ربات الخدور حوايزا \* نخرجن بلا نُحْمِر ولا بَمَازِر  
 تراها حيارى ليس تعرف مذهباً \* نوافر أمثال الطباء النوافر  
 كأن لم تكن بغداد أحسن منظراً \* وملهى رآته عين لاه وناظر  
 بلى هكذا كانت فأذهب حسنها \* وبدد منها الشمل حكم المقادر  
 وحل بهم ماحل بالناس قبلهم \* فأضحوا أحاديثاً لبَّادٍ وحاضر  
 أبغداد يا دار الملوك ومُحَمَّى \* صروف المنايا مستقر المنابر  
 ويا جنة الدنيا ومطلب الغنى \* ومستنبت الأموال عند الضرائر  
 أبينى لنا اين الذين عهدتهم \* يحلون في روض من العيش زاهر  
 وأين ملوك في المواكب تغتدى \* تُشَبِّه حسنا بالنجوم الزواهر  
 وأين القضاة الحاكمون برأيهم \* لورْد أمور مشكلات الأوامر  
 أو القائلون الناطقون بحكمة \* ورصف كلام من خطيب وشاعر  
 وأين مراح للملوك عهدتها <sup>(١)</sup> \* منخرقة فيها صنوف الجواهر  
 تُرَشِّ بماء المسك والورد أرضها \* يفوح بها من بعد ريح المجامر  
 وروح الندامى فيه كل عشيّة \* الى كل قياض كريم العناصر  
 وأين قيات تستجيب لنغمها \* اذا هولبها حينئذ المزامر  
 وأين الملوك الغرُّ من آل هاشم \* وأشياعهم فيها اكنفوا بالمعادر  
 يروحون في سلطانهم وكأنهم \* يروحون في سلطان بعض العشائر  
 يجادل عما نالهم كبرائهم \* فنالتهمو بالكُرْه أيدى الأصاغر  
 فأقسم لو أن الملوك تناصروا \* لزلت لها خوفاً رقاب الجبابر

(١) كذا في الأصل ولعلها صريح .

وقال عمرو بن عبد الملك الوراق يبكي بغداد ويهجو طاهرا ويعرض به :

من ذا أصابك يا بغدادُ بالعينِ \* ألم تكوني زمانا قُترة العينِ  
 ألم يكن فيك أقوامٌ لهم شرف \* بالصالحات والمعروف يلقونِ  
 ألم يكن فيك قومٌ كان مسكنهم \* وكان قريهم زينا من الزين  
 صاح الزمانُ بهم بالبين فانقضوا \* ما ذا الذي بلحنتني لوعة البين  
 أستورعُ الله قوماً ما ذكرتهمو \* ألا تحدر ماء العين من عيني  
 كانوا فقرهم دهرٌ وصدعهم \* والذهر يصدع ما بين الفريقين  
 كم كان لي مُسعد منهم على زمني \* كم كان منهم على المعروف من عون  
 لله در زمان كان يجمعنا \* أين الزمان الذي ولّى ومن أين  
 يا من يُحترَب بغداداً ليعمرها \* أهلكَت نفسك ما بين الطريقين  
 كانت قلوبُ جميع الناس واحدة \* عينا وليس يكون العين كالدين  
 لما استبتهم فرقهم فرقا \* والناس طراً جميعاً بين قلوبين

ولبعض فتیان بغداد :

بكيْتُ دماً على بغداد لما \* فقدتُ غَضارة العيش الأنيق  
 تبدلنا هموماً من سرور \* ومن سعة تبدلنا بضيق  
 أصابتها من الحساد عينٌ \* فأفنت أهلها بالمنجنيق  
 فمومٌ أحرِقوا بالنار قسراً \* ونائحةٌ تنوح على غريق  
 وصائحةٌ تُنادى وأصابها \* وباكيةٌ لفقدان الشفيق  
 وحوراءُ المدامع ذات دَل \* مضمخةٌ المجاسد بالخالوق  
 تَفتر من الحريق الى انتهابٍ \* ووالدها يفر الى الحريق

وَمَالِيَةُ الْغَزَالَةِ مُقْلَتِيهَا \* مَضَاحِكُهَا كَلَالَةُ الْبُرُوقِ  
 حَيَارَى كَالْهَدَايَا مُبَكِّرات \* عَلِيَّهَا الْقِلَابُ فِي الْخُلُوقِ  
 يُبَادِلِينَ الشَّفِيقَ وَلَا شَفِيقًا \* وَقَدْ فُقدَ الشَّفِيقُ مِنَ الشَّفِيقِ  
 وَقَوْمٌ أُخْرِجُوا مِنْ ظِلِّ دُنْيَا \* مَتَاعُهُمْ يُبَاعُ بِكُلِّ سُوقِ  
 وَمُغْتَرَبٌ قَرِيبُ الدَّارِ مُلَقَّ \* بِلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ  
 تَوْسِطَ مَنْ قَتَلَهُمْ جَمِيعًا \* فَمَا يَدْرُونَ مِنْ أَى الْفَرِيقِ  
 فَلَا وَلَدٌ يُقِيمُ عَلَى أَيْمِهِ \* وَقَدْ هَرَبَ الصَّدِيقُ مِنَ صَدِيقِ  
 وَمَهُمَا أَنَسَ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى \* فَإِنِى ذَاكَرُ دَارِ الرِّقِيقِ

## بيان المصادر العربية والافرنجية الهامة التي عولنا عليها في المراجعة لكتاب عصر المأمون

نشبت لك هنا الهام من مراجع الكتاب عدا دواوين الشعراء ومعجمات اللغة.  
التي أشرنا اليها في مواضعها من الكتاب وهوامشه . وهى :

المصادر باللغة العربية :

- |  |   |
|--|---|
| تاريخ الطبرى ، طبعة مصر وليدن .  | تاريخ دمشق لابن عساكر، مخطوط .  |
| تاريخ الكامل لابن الأثير، طبعة مصر.                                    | تاريخ المشارقة لصليبا بن يوحنا ، مخطوط .                              |
| تاريخ مروج الذهب للسعودى ، طبعة مصر وباريس .                           | تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، مخطوط .                                 |
| تاريخ اليعقوبى ، طبعة ليدن باشراف المسيو هتسما .                       | تاريخ بغداد لابن طيفور (الجزء السادس طبعة أوروبا) .                   |
| تاريخ أبى الفدا للملك المؤيد ، طبعة الأستانة .                         | تاريخ التشريع الاسلامى للرحوم الخضرى بك ، طبعة مصر .                  |
| تاريخ علماء الأندلس لأبى الوليد عبد الله محمد بن يوسف ، طبعة أوروبا .  | تاريخ الآداب السلطانية والدول الاسلامية لابن طباطبا ، طبعة أوروبا .   |
| تجارب الأمم لابن مسكويه ، طبعة مصر.                                    | تاريخ النجوم الزاهرة لابن تغريبرى ، طبعة أوروبا .                     |
| تاريخ العبر والمبتدا والخبر لابن خلدون ، طبعة مصر .                    | البداء والتاريخ لأبى زيد البالىخى ، طبعة باريس سنة ١٨٩٩ «أرنست لرو» . |
| الأخبار الطوال لأبى حنيفة الدينورى ، طبعة ليدن .                       | الآثار الباقية لليرونى ، طبعة ليسك .                                  |
| نظم الجوهر لابن البطريق ، طبعة أكسفورد سنة ١٦٥٩ للمستشرق ادوار بوكوك . |   |

تراجم الحكماء للقفطى ، طبعة مصر .  
 طبقات الأدباء لعبد الرحمن الأنبارى ،  
 طبعة مصر .  
 وفيات الأعيان لابن خلكان ، طبعة  
 مصر .  
 فوات الوفيات لابن شاذى الكنتى ،  
 طبعة مصر .  
 الملل والنحل للشهرستانى ، طبعة مصر .  
 ألف باء ليوسف البلى ، طبعة مصر .  
 مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ،  
 طبعة دار الكتب .  
 فتوح البلدان للبلاذرى ، طبعة ليدن .  
 كتاب البلدان لابن الفقيه الهمداني ،  
 طبعة ليدن .  
 كتاب البلدان لليعقوبى ، طبعة ليدن .  
 مسالك الممالك للاصطخرى ، طبعة  
 ليدن .  
 المسالك والممالك لابن حوقل ، طبعة  
 ليدن .  
 أحسن التقاسيم للقدسى ، طبعة ليدن .  
 المسالك والممالك لابن خرداذبه ، طبعة  
 ليدن .  
 الأعلاق النفيسة لابن رسته ، طبعة ليدن .  
 حسن المحاضرة للسيوطى ، طبعة مصر .  
 بلوغ الأرب فى أحوال العرب للألوسى  
 طبعة بغداد .  
 مقدمة الياذة هويمروس تعريب البستانى  
 طبعة مصر .

مختصر تاريخ الدول لأبى الفرج الملقب ،  
 طبعة بيروت .  
 تاريخ الاستحقاق ، طبعة أوروبا .  
 فتوح الشام للواقدي ، طبعة مصر .  
 نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، طبعة  
 مصر .  
 ولاية مصر وقضائها للكندى ، طبعة  
 بيروت .  
 مختصر أخبار الخلفاء لابن الساعى ،  
 طبعة مصر .  
 كشف الظنون لحاجى خليفة ، طبعة  
 الأستانة وليبسك ومصر .  
 المستطرف للإشيهى ، طبعة بولاق .  
 معجم البلدان لياقوت الحموى ، طبعة  
 ليبسك ومصر .  
 المزهر للسيوطى ، طبعة بولاق .  
 الأحكام السلطانية للماوردي ، طبعة  
 أوروبا .  
 أعلام الناس للاتيدى ، طبعة مصر .  
 كتاب المعارف لابن قتيبة ، طبعة أوروبا .  
 معجم الأدباء لياقوت الرومى ، طبعة  
 مصر وإشراف مرجليوث .  
 الفهرست لابن النديم ، طبعة ليبسك .  
 طبقات الأئمة لابن صاعد ، طبعة بيروت .  
 طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ،  
 طبعة مصر .

- حضارة الاسلام في دار السلام لجميل  
مدور، طبعة مصر .
- كتاب الأغاني للاصبهاني، طبعة بولاق  
والساحي .
- الجزء الأول من كتاب الأغاني، طبع  
مطبعة دار الكتب المصرية .
- نهاية الأرب، طبع مطبعة دار الكتب  
المصرية والنسخة الفتوغرافية  
بالدار .
- صبح الأعشى، طبع مطبعة دار الكتب  
المصرية .
- كتاب التاج المنسوب للمحافظ، طبع  
مطبعة دار الكتب المصرية .
- كتاب الأمالي لأبي علي القالي، طبع  
مطبعة دار الكتب المصرية .
- كتاب الكامل للبرد، طبعة مصر .
- كتاب البيان والتبيين للمحافظ، طبعة  
مصر .
- العمدة لابن رشيقي، طبعة مصر .
- كتاب المحاسن والمساوي للبيهقي، طبعة  
فردرك شوالى .
- كتاب المحاسن والاضداد للمحافظ، طبعة  
ليدن .
- كتاب البخلاء للمحافظ، طبعة مصر .
- كتاب الحيوان للمحافظ، (نسخة  
فتوغرافية محفوظة بدار الكتب  
المصرية) .
- كتاب الكشكول للعامل، طبعة مصر .
- سراج الملوك للطرطوشي، طبعة مصر .
- كتاب الخراج لقدامة بن جعفر، طبعة  
ليدن .
- كتاب الخراج لأبي يوسف، طبعة  
بولاق .
- تاريخ الوزراء المنسوب للصولي، طبعة  
بيروت .
- أشهر مشاهير الاسلام، للرحوم رفيق  
العظم بك، طبعة مصر .
- كتاب نفح الطيب، طبعة مصر وأوربا .
- مقاتيح العلوم للخوازمي، طبعة مصر .
- مفيد العلوم للخوازمي، طبعة مصر .
- كتاب المواهب الفتحية للرحوم  
الشيخ حمزة فتح الله، طبعة مصر .
- كتاب السيرة لابن هشام، طبعة مصر .
- مقدمة ابن خلدون، طبعة مصر .
- خطط الشام للاستاذ محمد كرد علي،  
طبعة دمشق .
- مجموعة مجلة المشرق، طبعة بيروت .
- مجموعة مجلة المجمع العلمي، طبعة دمشق .
- مجموعة مجلة الهلال، طبعة مصر .
- مجموعة مجلة المقتطف، طبعة مصر .
- بعض فصول ومباحث من المجلة  
الأسبوعية .
- حديث الأربعاء للدكتور طه حسين،  
طبعة مصر .



- منهل الرقاد في علم الانتقاد لقسطاكي  
المحمدي بك، طبعة مصر .
- محاضرات الأستاذ الاسكندري  
المدرس بدار العلوم، طبعة مصر .
- الوسيط للأستاذ الاسكندري المدرس  
بدار العلوم، طبعة مصر .
- أدبيات اللغة العربية للأستاذ مصطفى  
صادق الرافعي، طبعة مصر .
- أدبيات اللغة العربية للرحوم عاطف  
بركات بك وزملائه، طبعة مصر .
- مذهب الأغاني للرحوم الخضرى بك،  
طبعة مصر .
- بلاغة العرب للدكتور أحمد ضيف،  
طبعة مصر .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة، طبعة ليدن .
- طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي،  
طبعة ليدن ومصر .
- كتاب الأذكياء لابن الجوزى، طبعة  
مصر .
- العقد الفريد للملك السعيد، طبعة مصر .
- العقد الفريد لابن عبد ربه، طبعة  
مصر .
- لطائف المعارف للشعالبي، طبعة ليدن .
- عيون الأخبار لابن قتيبة، طبعة  
دار الكتب وأوربا .
- حلبة الكيت، طبعة بولاق .
- خزانة الأدب لابن حجة الحموي، طبعة-  
بولاق .
- خزانة الأدب للبغدادى، طبعة بولاق .
- محاضرات الفلسفة لستلالته بالجامعة  
المصرية .
- محاضرات علم الفلك بالجامعة المصرية  
للسنيور كرولونيوف، طبعة روما .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة  
لطاشكبرى زاده، طبعة  
حيدر آباد .
- محاضرات الشيخ عبد الوهاب النجار  
بالجامعة المصرية .
- محاضرات المرحوم الشيخ محمد المهدي  
بالجامعة المصرية .
- محاضرات الأستاذ الخضرى بك في تاريخ  
الأهم الإسلامية، طبعة مصر .
- محاضرات الأستاذ الخضرى بك في تاريخ  
الدولة الأموية، طبعة مصر .
- التمهيد الإسلامى للرحوم جورجى بك  
زيدان، طبعة مصر .
- تاريخ آداب اللغة العربية للرحوم  
جورجى بك زيدان، طبعة مصر .
- طبقات ابن سعد، طبعة أوربا .
- طبقات الشافعية للسبكي، طبعة مصر .
- المنثور والمنظوم لابن طيفور .
- رسالة بنى أمية للحافظ، خطية .

رسائل البلقاء للأستاذ محمد كرد علي ،  
 طبع مصر .  
 جمهرة أشعار العرب لأبي زيد ، طبعة  
 مصر .  
 المفضليات للضبي ، طبعة مصر .  
 حماسة البحتری ، طبعة بيروت .  
 الصناعتين لأبي هلال العسكري ، طبعة  
 مصر .  
 الموشى لأبي الطيب ، طبعة أوروبا .  
 ديوان الحماسة لأبي تمام ، طبعة مصر .  
 مجانى الأدب وشرحه ، طبعة بيروت .  
 مختارات البارودي ، طبعة مصر .  
 حياة الحيوان للدميري ، طبعة مصر .  
 عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي  
 (أجزاء منه محفوظة بدار الكتب  
 المصرية) .  
 الفرج بعد الشدة للتنونجي ، طبعة مصر .

كتاب الوزراء والكتاب لأبي عبد الله  
 محمد بن عبدوس الجهشيارى طبعة  
 فينا سنة ١٩٢٦  
 كتاب الاشتقاق لابن دريد الأزدي  
 طبعة جوتنجن سنة ١٨٥٤  
 الأوراق للصولي ، خطية .  
 مطبوعات تذكاري جيب الانجليزية  
 وخاصة مؤلفات الأستاذين  
 مرجليوث وبرون .  
 زهر الآداب للحصري ، طبعة مصر .  
 المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ، طبعة  
 أوروبا .  
 الوافي بالوفيات للصفدي (المحفوظ  
 بدار الكتب المصرية تحت  
 رقم ١٣١٩) .  
 أخبار أبي نواس لابن منظور ، طبعة  
 مصر .

## المصادر الأفرنجية :

- Histoire des Arabes par Cl. Huart: Paris.  
 Life of Mohamet by Sir W. Muir. (London).  
 The Life and Teachings of Mohammed and the Spirit of Islam by  
 Ameer Ali. (London).  
 D. S. Margoliouth: Mohammed and the Rise of Islam. (London)  
 in "Heroes of the Nations' Series".  
 H. Lammens: "Etudes sur les régnes des Califs. Omayyades Moawia  
 1<sup>er</sup> et Yasid 1<sup>er</sup>". (Beyrouth).  
 Library of Universal History (N. Y.).  
 History of Arabic Literature: Cl. Huart. (London).  
 A Literary History of Persia: Ed. G. Browne. (London).  
 A Literary History of the Arabs by R. A. Nicholson. (London).  
 Short History of the Saracens by Ameer Ali, (London).  
 The Caliphate: its rise decline and fall by Sir W. Muir. (London).  
 Annals of the Early Caliphate by Sir W. Muir. (London).  
 Baghdad during the Abbasid Caliphate by G. le Strange. (Oxford).  
 Encyclopaedia of Islam. (Luzac).  
 Encyclopaedia Britannica. (London).  
 La Grande Encyclopédie. Paris.  
 The Historians' History of the World by H. S. Williams.  
 (New York).  
 Ency. of Religion & Ethics by I. Hastings. (London).  
 The History of the Decline and Fall of the Roman Empire by  
 Gibbon. (London).  
 The History of Philosophy in Islam by J. de Boer translated by  
 Jones. (London).  
 Muhammedanische Studien by Ignaz Goldziher, (Halle).  
 Histoire des Musulmans d'Espagne Jusqu' à la Conquête de l'Anda-  
 lusie par les Almoravides by R. Dozy. (London).  
 Development of Muslim Theology, Jurisprudence and Constitu-  
 tional Theory by D. B. Macdonald. (London).  
 Margoliouth's Works Etc.  
 R. Dozy: Supplément aux Dictionnaires Arabes. 1927.  
 Bibliothek Arabischer Historiker und Geographen: Hans V. Mzik.  
 (Leipzig).

(مطبعة دار الكتب المصرية ٥٤٩/١٩٣٧/٣١٥٠)

۳۶



۲۹۶۵۹۴۱

**MUSLIM UNIVERSITY LIBRARY  
ALIGARH**

This book is due on the date last stamped. An  
over due charge of one anna will be charged for  
each day the book is kept over time.

78-473

20 Sep 1975

19 75

# Extract from the RULES of the LYTTON UNIVERSITY, MUSLIM ALIGARH.

The under mentioned shall be eligible to take books the Library:—

- A. Members of the Court
- B. Members of the University teaching staff, including the Librarian.
- C. Students on the rolls of the University
- D. Other persons, whether connected with the University or not, who have obtained special permission of the Vice-Chancellor on deposit of Rs. 25.

2. The maximum number of books that may be borrowed at any one time is—  
[In Rule 2] { A & B...2 volumes  
                  C           10 volumes  
                  D           16 volumes  
                  E           24 volumes  
                  F           32 volumes  
                  G           40 volumes  
                  H           48 volumes  
                  I           56 volumes  
                  J           64 volumes  
                  K           72 volumes  
                  L           80 volumes  
                  M           88 volumes  
                  N           96 volumes  
                  O           104 volumes  
                  P           112 volumes  
                  Q           120 volumes  
                  R           128 volumes  
                  S           136 volumes  
                  T           144 volumes  
                  U           152 volumes  
                  V           160 volumes  
                  W           168 volumes  
                  X           176 volumes  
                  Y           184 volumes  
                  Z           192 volumes  
                  AA           200 volumes  
                  AB           208 volumes  
                  AC           216 volumes  
                  AD           224 volumes  
                  AE           232 volumes  
                  AF           240 volumes  
                  AG           248 volumes  
                  AH           256 volumes  
                  AI           264 volumes  
                  AJ           272 volumes  
                  AK           280 volumes  
                  AL           288 volumes  
                  AM           296 volumes  
                  AN           304 volumes  
                  AO           312 volumes  
                  AP           320 volumes  
                  AQ           328 volumes  
                  AR           336 volumes  
                  AS           344 volumes  
                  AT           352 volumes  
                  AU           360 volumes  
                  AV           368 volumes  
                  AW           376 volumes  
                  AX           384 volumes  
                  AY           392 volumes  
                  AZ           400 volumes  
                  BA           408 volumes  
                  BB           416 volumes  
                  BC           424 volumes  
                  BD           432 volumes  
                  BE           440 volumes  
                  BF           448 volumes  
                  BG           456 volumes  
                  BH           464 volumes  
                  BI           472 volumes  
                  BJ           480 volumes  
                  BK           488 volumes  
                  BL           496 volumes  
                  BM           504 volumes  
                  BN           512 volumes  
                  BO           520 volumes  
                  BP           528 volumes  
                  BQ           536 volumes  
                  BR           544 volumes  
                  BS           552 volumes  
                  BT           560 volumes  
                  BU           568 volumes  
                  BV           576 volumes  
                  BW           584 volumes  
                  BX           592 volumes  
                  BY           600 volumes  
                  BZ           608 volumes  
                  CA           616 volumes  
                  CB           624 volumes  
                  CC           632 volumes  
                  CD           640 volumes  
                  CE           648 volumes  
                  CF           656 volumes  
                  CG           664 volumes  
                  CH           672 volumes  
                  CI           680 volumes  
                  CJ           688 volumes  
                  CK           696 volumes  
                  CL           704 volumes  
                  CM           712 volumes  
                  CN           720 volumes  
                  CO           728 volumes  
                  CP           736 volumes  
                  CQ           744 volumes  
                  CR           752 volumes  
                  CS           760 volumes  
                  CT           768 volumes  
                  CU           776 volumes  
                  CV           784 volumes  
                  CW           792 volumes  
                  CX           800 volumes  
                  CY           808 volumes  
                  CZ           816 volumes  
                  DA           824 volumes  
                  DB           832 volumes  
                  DC           840 volumes  
                  DD           848 volumes  
                  DE           856 volumes  
                  DF           864 volumes  
                  DG           872 volumes  
                  DH           880 volumes  
                  DI           888 volumes  
                  DJ           896 volumes  
                  DK           904 volumes  
                  DL           912 volumes  
                  DM           920 volumes  
                  DN           928 volumes  
                  DO           936 volumes  
                  DP           944 volumes  
                  DQ           952 volumes  
                  DR           960 volumes  
                  DS           968 volumes  
                  DT           976 volumes  
                  DU           984 volumes  
                  DV           992 volumes  
                  DW           1000 volumes  
                  DX           1008 volumes  
                  DY           1016 volumes  
                  DZ           1024 volumes  
                  EA           1032 volumes  
                  EB           1040 volumes  
                  EC           1048 volumes  
                  ED           1056 volumes  
                  EE           1064 volumes  
                  EF           1072 volumes  
                  EG           1080 volumes  
                  EH           1088 volumes  
                  EI           1096 volumes  
                  EJ           1104 volumes  
                  EK           1112 volumes  
                  EL           1120 volumes  
                  EM           1128 volumes  
                  EN           1136 volumes  
                  EO           1144 volumes  
                  EP           1152 volumes  
                  EQ           1160 volumes  
                  ER           1168 volumes  
                  ES           1176 volumes  
                  ET           1184 volumes  
                  EU           1192 volumes  
                  EV           1200 volumes  
                  EW           1208 volumes  
                  EX           1216 volumes  
                  EY           1224 volumes  
                  EZ           1232 volumes  
                  FA           1240 volumes  
                  FB           1248 volumes  
                  FC           1256 volumes  
                  FD           1264 volumes  
                  FE           1272 volumes  
                  FF           1280 volumes  
                  FG           1288 volumes  
                  FH           1296 volumes  
                  FI           1304 volumes  
                  FJ           1312 volumes  
                  FK           1320 volumes  
                  FL           1328 volumes  
                  FM           1336 volumes  
                  FN           1344 volumes  
                  FO           1352 volumes  
                  FP           1360 volumes  
                  FQ           1368 volumes  
                  FR           1376 volumes  
                  FS           1384 volumes  
                  FT           1392 volumes  
                  FU           1400 volumes  
                  FV           1408 volumes  
                  FW           1416 volumes  
                  FX           1424 volumes  
                  FY           1432 volumes  
                  FZ           1440 volumes  
                  GA           1448 volumes  
                  GB           1456 volumes  
                  GC           1464 volumes  
                  GD           1472 volumes  
                  GE           1480 volumes  
                  GF           1488 volumes  
                  GG           1496 volumes  
                  GH           1504 volumes  
                  GI           1512 volumes  
                  GJ           1520 volumes  
                  GK           1528 volumes  
                  GL           1536 volumes  
                  GM           1544 volumes  
                  GN           1552 volumes  
                  GO           1560 volumes  
                  GP           1568 volumes  
                  GQ           1576 volumes  
                  GR           1584 volumes  
                  GS           1592 volumes  
                  GT           1600 volumes  
                  GU           1608 volumes  
                  GV           1616 volumes  
                  GW           1624 volumes  
                  GX           1632 volumes  
                  GY           1640 volumes  
                  GZ           1648 volumes  
                  HA           1656 volumes  
                  HB           1664 volumes  
                  HC           1672 volumes  
                  HD           1680 volumes  
                  HE           1688 volumes  
                  HF           1696 volumes  
                  HG           1704 volumes  
                  HH           1712 volumes  
                  HI           1720 volumes  
                  HJ           1728 volumes  
                  HK           1736 volumes  
                  HL           1744 volumes  
                  HM           1752 volumes  
                  HN           1760 volumes  
                  HO           1768 volumes  
                  HP           1776 volumes  
                  HQ           1784 volumes  
                  HR           1792 volumes  
                  HS           1800 volumes  
                  HT           1808 volumes  
                  HU           1816 volumes  
                  HV           1824 volumes  
                  HW           1832 volumes  
                  HX           1840 volumes  
                  HY           1848 volumes  
                  HZ           1856 volumes  
                  IA           1864 volumes  
                  IB           1872 volumes  
                  IC           1880 volumes  
                  ID           1888 volumes  
                  IE           1896 volumes  
                  IF           1904 volumes  
                  IG           1912 volumes  
                  IH           1920 volumes  
                  II           1928 volumes  
                  IJ           1936 volumes  
                  IK           1944 volumes  
                  IL           1952 volumes  
                  IM           1960 volumes  
                  IN           1968 volumes  
                  IO           1976 volumes  
                  IP           1984 volumes  
                  IQ           1992 volumes  
                  IR           2000 volumes  
                  IS           2008 volumes  
                  IT           2016 volumes  
                  IU           2024 volumes  
                  IV           2032 volumes  
                  IW           2040 volumes  
                  IX           2048 volumes  
                  IY           2056 volumes  
                  IZ           2064 volumes  
                  JA           2072 volumes  
                  JB           2080 volumes  
                  JC           2088 volumes  
                  JD           2096 volumes  
                  JE           2104 volumes  
                  JF           2112 volumes  
                  JG           2120 volumes  
                  JH           2128 volumes  
                  JI           2136 volumes  
                  JJ           2144 volumes  
                  JK           2152 volumes  
                  JL           2160 volumes  
                  JM           2168 volumes  
                  JN           2176 volumes  
                  JO           2184 volumes  
                  JP           2192 volumes  
                  JQ           2200 volumes  
                  JR           2208 volumes  
                  JS           2216 volumes  
                  JT           2224 volumes  
                  JU           2232 volumes  
                  JV           2240 volumes  
                  JW           2248 volumes  
                  JX           2256 volumes  
                  JY           2264 volumes  
                  JZ           2272 volumes  
                  KA           2280 volumes  
                  KB           2288 volumes  
                  KC           2296 volumes  
                  KD           2304 volumes  
                  KE           2312 volumes  
                  KF           2320 volumes  
                  KG           2328 volumes  
                  KH           2336 volumes  
                  KI           2344 volumes  
                  KJ           2352 volumes  
                  KK           2360 volumes  
                  KL           2368 volumes  
                  KM           2376 volumes  
                  KN           2384 volumes  
                  KO           2392 volumes  
                  KP           2400 volumes  
                  KQ           2408 volumes  
                  KR           2416 volumes  
                  KS           2424 volumes  
                  KT           2432 volumes  
                  KU           2440 volumes  
                  KV           2448 volumes  
                  KW           2456 volumes  
                  KX           2464 volumes  
                  KY           2472 volumes  
                  KZ           2480 volumes  
                  LA           2488 volumes  
                  LB           2496 volumes  
                  LC           2504 volumes  
                  LD           2512 volumes  
                  LE           2520 volumes  
                  LF           2528 volumes  
                  LG           2536 volumes  
                  LH           2544 volumes  
                  LI           2552 volumes  
                  LJ           2560 volumes  
                  LK           2568 volumes  
                  LL           2576 volumes  
                  LM           2584 volumes  
                  LN           2592 volumes  
                  LO           2600 volumes  
                  LP           2608 volumes  
                  LQ           2616 volumes  
                  LR           2624 volumes  
                  LS           2632 volumes  
                  LT           2640 volumes  
                  LU           2648 volumes  
                  LV           2656 volumes  
                  LW           2664 volumes  
                  LX           2672 volumes  
                  LY           2680 volumes  
                  LZ           2688 volumes  
                  MA           2696 volumes  
                  MB           2704 volumes  
                  MC           2712 volumes  
                  MD           2720 volumes  
                  ME           2728 volumes  
                  MF           2736 volumes  
                  MG           2744 volumes  
                  MH           2752 volumes  
                  MI           2760 volumes  
                  MJ           2768 volumes  
                  MK           2776 volumes  
                  ML           2784 volumes  
                  MN           2792 volumes  
                  MO           2800 volumes  
                  MP           2808 volumes  
                  MQ           2816 volumes  
                  MR           2824 volumes  
                  MS           2832 volumes  
                  MT           2840 volumes  
                  MU           2848 volumes  
                  MV           2856 volumes  
                  MW           2864 volumes  
                  MX           2872 volumes  
                  MY           2880 volumes  
                  MZ           2888 volumes  
                  NA           2896 volumes  
                  NB           2904 volumes  
                  NC           2912 volumes  
                  ND           2920 volumes  
                  NE           2928 volumes  
                  NF           2936 volumes  
                  NG           2944 volumes  
                  NH           2952 volumes  
                  NI           2960 volumes  
                  NJ           2968 volumes  
                  NK           2976 volumes  
                  NL           2984 volumes  
                  NM           2992 volumes  
                  NO           3000 volumes  
                  NP           3008 volumes  
                  NQ           3016 volumes  
                  NR           3024 volumes  
                  NS           3032 volumes  
                  NT           3040 volumes  
                  NU           3048 volumes  
                  NV           3056 volumes  
                  NW           3064 volumes  
                  NX           3072 volumes  
                  NY           3080 volumes  
                  NZ           3088 volumes  
                  OA           3096 volumes  
                  OB           3104 volumes  
                  OC           3112 volumes  
                  OD           3120 volumes  
                  OE           3128 volumes  
                  OF           3136 volumes  
                  OG           3144 volumes  
                  OH           3152 volumes  
                  OI           3160 volumes  
                  OJ           3168 volumes  
                  OK           3176 volumes  
                  OL           3184 volumes  
                  OM           3192 volumes  
                  ON           3200 volumes  
                  OO           3208 volumes  
                  OP           3216 volumes  
                  OQ           3224 volumes  
                  OR           3232 volumes  
                  OS           3240 volumes  
                  OT           3248 volumes  
                  OU           3256 volumes  
                  OV           3264 volumes  
                  OW           3272 volumes  
                  OX           3280 volumes  
                  OY           3288 volumes  
                  OZ           3296 volumes  
                  PA           3304 volumes  
                  PB           3312 volumes  
                  PC           3320 volumes  
                  PD           3328 volumes  
                  PE           3336 volumes  
                  PF           3344 volumes  
                  PG           3352 volumes  
                  PH           3360 volumes  
                  PI           3368 volumes  
                  PJ           3376 volumes  
                  PK           3384 volumes  
                  PL           3392 volumes  
                  PM           3400 volumes  
                  PN           3408 volumes  
                  PO           3416 volumes  
                  PP           3424 volumes  
                  PQ           3432 volumes  
                  PR           3440 volumes  
                  PS           3448 volumes  
                  PT           3456 volumes  
                  PU           3464 volumes  
                  PV           3472 volumes  
                  PW           3480 volumes  
                  PX           3488 volumes  
                  PY           3496 volumes  
                  PZ           3504 volumes  
                  QA           3512 volumes  
                  QB           3520 volumes  
                  QC           3528 volumes  
                  QD           3536 volumes  
                  QE           3544 volumes  
                  QF           3552 volumes  
                  QG           3560 volumes  
                  QH           3568 volumes  
                  QI           3576 volumes  
                  QJ           3584 volumes  
                  QK           3592 volumes  
                  QL           3600 volumes  
                  QM           3608 volumes  
                  QN           3616 volumes  
                  QO           3624 volumes  
                  QP           3632 volumes  
                  QQ           3640 volumes  
                  QR           3648 volumes  
                  QS           3656 volumes  
                  QT           3664 volumes  
                  QU           3672 volumes  
                  QV           3680 volumes  
                  QW           3688 volumes  
                  QX           3696 volumes  
                  QY           3704 volumes  
                  QZ           3712 volumes  
                  RA           3720 volumes  
                  RB           3728 volumes  
                  RC           3736 volumes  
                  RD           3744 volumes  
                  RE           3752 volumes  
                  RF           3760 volumes  
                  RG           3768 volumes  
                  RH           3776 volumes  
                  RI           3784 volumes  
                  RJ           3792 volumes  
                  RK           3800 volumes  
                  RL           3808 volumes  
                  RM           3816 volumes  
                  RN           3824 volumes  
                  RO           3832 volumes  
                  RP           3840 volumes  
                  RQ           3848 volumes  
                  RR           3856 volumes  
                  RS           3864 volumes  
                  RT           3872 volumes  
                  RU           3880 volumes  
                  RV           3888 volumes  
                  RW           3896 volumes  
                  RX           3904 volumes  
                  RY           3912 volumes  
                  RZ           3920 volumes  
                  SA           3928 volumes  
                  SB           3936 volumes  
                  SC           3944 volumes  
                  SD           3952 volumes  
                  SE           3960 volumes  
                  SF           3968 volumes  
                  SG           3976 volumes  
                  SH           3984 volumes  
                  SI           3992 volumes  
                  SJ           4000 volumes  
                  SK           4008 volumes  
                  SL           4016 volumes  
                  SM           4024 volumes  
                  SN           4032 volumes  
                  SO           4040 volumes  
                  SP           4048 volumes  
                  SQ           4056 volumes  
                  SR           4064 volumes  
                  SS           4072 volumes  
                  ST           4080 volumes  
                  SU           4088 volumes  
                  SV           4096 volumes  
                  SW           4104 volumes  
                  SX           4112 volumes  
                  SY           4120 volumes  
                  SZ           4128 volumes  
                  TA           4136 volumes  
                  TB           4144 volumes  
                  TC           4152 volumes  
                  TD           4160 volumes  
                  TE           4168 volumes  
                  TF           4176 volumes  
                  TG           4184 volumes  
                  TH           4192 volumes  
                  TI           4200 volumes  
                  TJ           4208 volumes  
                  TK           4216 volumes  
                  TL           4224 volumes  
                  TM           4232 volumes  
                  TN           4240 volumes  
                  TO           4248 volumes  
                  TP           4256 volumes  
                  TQ           4264 volumes  
                  TR           4272 volumes  
                  TS           4280 volumes  
                  TT           4288 volumes  
                  TU           4296 volumes  
                  TV           4304 volumes  
                  TW           4312 volumes  
                  TX           4320 volumes  
                  TY           4328 volumes  
                  TZ           4336 volumes  
                  UA           4344 volumes  
                  UB           4352 volumes  
                  UC           4360 volumes  
                  UD           4368 volumes  
                  UE           4376 volumes  
                  UF           4384 volumes  
                  UG           4392 volumes  
                  UH           4400 volumes  
                  UI           4408 volumes  
                  UJ           4416 volumes  
                  UK           4424 volumes  
                  UL           4432 volumes  
                  UM           4440 volumes  
                  UN           4448 volumes  
                  UO           4456 volumes  
                  UP           4464 volumes  
                  UQ           4472 volumes  
                  UR           4480 volumes  
                  US           4488 volumes  
                  UT           4496 volumes  
                  UU           4504 volumes  
                  UV           4512 volumes  
                  UW           4520 volumes  
                  UX           4528 volumes  
                  UY           4536 volumes  
                  UZ           4544 volumes  
                  VA           4552 volumes  
                  VB           4560 volumes  
                  VC           4568 volumes  
                  VD           4576 volumes  
                  VE           4584 volumes  
                  VF           4592 volumes  
                  VG           4600 volumes  
                  VH           4608 volumes  
                  VI           4616 volumes  
                  VJ           4624 volumes  
                  VK           4632 volumes  
                  VL           4640 volumes  
                  VM           4648 volumes  
                  VN           4656 volumes  
                  VO           4664 volumes  
                  VP           4672 volumes  
                  VQ           4680 volumes  
                  VR           4688 volumes  
                  VS           4696 volumes  
                  VT           4704 volumes  
                  VU           4712 volumes  
                  VV           4720 volumes  
                  VW           4728 volumes  
                  VX           4736 volumes  
                  VY           4744 volumes  
                  VZ           4752 volumes  
                  WA           4760 volumes  
                  WB           4768 volumes  
                  WC           4776 volumes  
                  WD           4784 volumes  
                  WE           4792 volumes  
                  WF           4800 volumes  
                  WG           4808 volumes  
                  WH           4816 volumes  
                  WI           4824 volumes  
                  WJ           4832 volumes  
                  WK           4840 volumes  
                  WL           4848 volumes  
                  WM           4856 volumes  
                  WN           4864 volumes  
                  WO           4872 volumes  
                  WP           4880 volumes  
                  WQ           4888 volumes  
                  WR           4896 volumes  
                  WS           4904 volumes  
                  WT           4912 volumes  
                  WU           4920 volumes  
                  WV           4928 volumes  
                  WW           4936 volumes  
                  WX           4944 volumes  
                  WY           4952 volumes  
                  WZ           4960 volumes  
                  XA           4968 volumes  
                  XB           4976 volumes  
                  XC           4984 volumes  
                  XD           4992 volumes  
                  XE           5000 volumes  
                  XF           5008 volumes  
                  XG           5016 volumes  
                  XH           5024 volumes  
                  XI           5032 volumes  
                  XJ           5040 volumes  
                  XK           5048 volumes  
                  XL           5056 volumes  
                  XM           5064 volumes  
                  XN           5072 volumes  
                  XO           5080 volumes  
                  XP           5088 volumes  
                  XQ           5096 volumes  
                  XR           5104 volumes  
                  XS           5112 volumes  
                  XT           5120 volumes  
                  XU           5128 volumes  
                  XV           5136 volumes  
                  XW           5144 volumes  
                  XX           5152 volumes  
                  XY           5160 volumes  
                  XZ           5168 volumes  
                  YA           5176 volumes  
                  YB           5184 volumes  
                  YC           5192 volumes  
                  YD           5200 volumes  
                  YE           5208 volumes  
                  YF           5216 volumes  
                  YG           5224 volumes  
                  YH           5232 volumes  
                  YI           5240 volumes  
                  YJ           5248 volumes  
                  YK           5256 volumes  
                  YL           5264 volumes  
                  YM           5272 volumes  
                  YN           5280 volumes  
                  YO           5288 volumes  
                  YP           5296 volumes  
                  YQ           5304 volumes  
                  YR           5312 volumes  
                  YS           5320 volumes  
                  YT           5328 volumes  
                  YU           5336 volumes  
                  YV           5344 volumes  
                  YW           5352 volumes  
                  YX           5360 volumes  
                  YY           5368 volumes  
                  YZ           5376 volumes  
                  ZA           5384 volumes  
                  ZB           5392 volumes  
                  ZC           5400 volumes  
                  ZD           5408 volumes  
                  ZE           5416 volumes  
                  ZF           5424 volumes  
                  ZG           5432 volumes  
                  ZH           5440 volumes  
                  ZI           5448 volumes  
                  ZJ           5456 volumes  
                  ZK           5464 volumes  
                  ZL           5472 volumes  
                  ZM           5480 volumes  
                  ZN           5488 volumes  
                  ZO           5496 volumes  
                  ZP           5504 volumes  
                  ZQ           5512 volumes  
                  ZR           5520 volumes  
                  ZS           5528 volumes  
                  ZT           5536 volumes  
                  ZU           5544 volumes  
                  ZV           5552 volumes  
                  ZW           5560 volumes  
                  ZX           5568 volumes  
                  ZY           5576 volumes  
                  ZZ           5584 volumes

4. Books may be retained by—  
[in Rule 2] { A & B...2 volumes  
                  C           10 volumes  
                  D           16 volumes  
                  E           24 volumes  
                  F           32 volumes  
                  G           40 volumes  
                  H           48 volumes  
                  I           56 volumes  
                  J           64 volumes  
                  K           72 volumes  
                  L           80 volumes  
                  M           88 volumes  
                  N           96 volumes  
                  O           104 volumes  
                  P           112 volumes  
                  Q           120 volumes  
                  R           128 volumes  
                  S           136 volumes  
                  T           144 volumes  
                  U           152 volumes  
                  V           160 volumes  
                  W           168 volumes  
                  X           176 volumes  
                  Y           184 volumes  
                  Z           192 volumes  
                  AA           200 volumes  
                  AB           208 volumes  
                  AC           216 volumes  
                  AD           224 volumes  
                  AE           232 volumes  
                  AF           240 volumes  
                  AG           248 volumes  
                  AH           256 volumes  
                  AI           264 volumes  
                  AJ           272 volumes  
                  AK           280 volumes  
                  AL           288 volumes  
                  AM           296 volumes  
                  AN           304 volumes  
                  AO           312 volumes  
                  AP           320 volumes  
                  AQ           328 volumes  
                  AR           336 volumes  
                  AS           344 volumes  
                  AT           352 volumes  
                  AU           360 volumes  
                  AV           368 volumes  
                  AW           376 volumes  
                  AX           384 volumes  
                  AY           392 volumes  
                  AZ           400 volumes  
                  BA           408 volumes  
                  BB           416 volumes  
                  BC           424 volumes  
                  BD           432 volumes  
                  BE           440 volumes  
                  BF           448 volumes  
                  BG           456 volumes  
                  BH           464 volumes  
                  BI           472 volumes  
                  BJ           480 volumes  
                  BK           488 volumes  
                  BL           496 volumes  
                  BM           504 volumes  
                  BN           512 volumes  
                  BO           520 volumes  
                  BP           528 volumes  
                  BQ           536 volumes  
                  BR           544 volumes  
                  BS           552 volumes  
                  BT           560 volumes  
                  BU           568 volumes  
                  BV           576 volumes  
                  BW           584 volumes  
                  BX           592 volumes  
                  BY           600 volumes  
                  BZ           608 volumes  
                  CA           616 volumes  
                  CB           624 volumes  
                  CC           632 volumes  
                  CD           640 volumes  
                  CE           648 volumes  
                  CF           656 volumes  
                  CG           664 volumes  
                  CH           672 volumes  
                  CI           680 volumes  
                  CJ           688 volumes  
                  CK           696 volumes  
                  CL           704 volumes  
                  CM           712 volumes  
                  CN           720 volumes  
                  CO           728 volumes  
                  CP           736 volumes  
                  CQ           744 volumes  
                  CR           752 volumes  
                  CS           760 volumes  
                  CT           768 volumes  
                  CU           776 volumes  
                  CV           784 volumes  
                  CW           792 volumes  
                  CX           800 volumes  
                  CY           808 volumes  
                  CZ           816 volumes  
                  DA           824 volumes  
                  DB           832 volumes  
                  DC           840 volumes  
                  DD           848 volumes  
                  DE           856 volumes  
                  DF           864 volumes  
                  DG           872 volumes  
                  DH           880 volumes  
                  DI           888 volumes  
                  DJ           896 volumes